الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد دراية - أدرار

كلية الآداب و اللغات قسم اللغة والأدب العربي

المباحث الدلالية في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في اللغة والأدب العربي

تخصص: الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب:

عبد العزيز بجيدة

إشـــراف:

أ.د: المغيلي خدير

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. إدريس بن خويا	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة أدرار
أ.د. المغيلي خدير	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة أدرار
أ.د. عمران رشيد	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً	جامعة بشار
أ.د. قصاصي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً	جامعة أدرار
أ.د. سعاد شابي	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً	جامعة أدرار
د. أحمد بن عمار	أستاذ محاضر «أ»	مناقشاً	جامعة ادرار

السنة الجامعية:1440-1441هـ/ 2019 –2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أغلى ما املك ما أملك في هذه الحياة ، إلى من أمدتني بحنانها وعطفها فأزالت الوحشة عن نفسي....

إلى أمي الغالية رحمة الله عليها .

إلى من تجرع من أجلي و أجل إخواتي كأس العناء ، ....إلى رمزي في الصبر والنضال ......

إلى أبي الغالي جزاه الله عنا خيراً وبارك في أنفاسه ولحظاته .

إلى من تعاهدت معي على الصبر والحب في الحلو والمر فكانت لي سنداً وعوناً

إلى زوجتي الكريمة .

إلى جميع الإخوة والأهل والأصحاب ... أهدي عملي المتواضع

عبد العزيز

شكر وتقدير

الحمد لله الذي لا يحمد على فضل سواه ، والشكر له جل في علاه .

لا يسعني في هذا المقام وبعد إكتمال هذا العمل ، إلا أن أتقدم بشكري الخالص و إمتناني الكبيرين إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر :

أستاذي الفاضل الدكتور المغيلي خدير حفظه الله وبارك له في علمه وعمله وماله وأهله وأولاده والذي لم يذخر أي جهد في تشجيعي وتوجيهي ونصحي طيلة سنوات من البحث من أجل اكتمال هذا العمل فكان لي نعم الأستاذ ونعم المشرف .

كما لا أنسى هيئة مكتبة المسجد النبوي الشريف ، قسم البحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية لتفضلهم عني بجملة من الكتب والمصادر تخدم هذا البحث

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل .

فإليهم جميعاً أتقدم بالشكر والعرفان

عبد العزيز بحيدة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً لا ينقطع أبداً، ولا يحصي له الخلق عدداً، كما ينبغي لجلال وجهه ربنا وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام التامان المتلازمان الأكملان على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

كتب ربنا سبحانه وتعالى أن يترل كلامه المبجل ، على نبيه المرسل ، بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، وتولاه بحفظه وعنايته ، فقال جل وعلا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾، فكان كلاماً لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي أسراره، ولا يحاط بإعجازه ، وكانت لغته منذ أن أنزله الله سبحانه وتعالى لغةً معجزةً ، لم يكن لها قبلها ولا بعدها مثيلٌ، وقيض لها الله سبحانه وتعالى بكرمه من يدرسها، ويبحث فيها ، ويذلل صعبها ، ويوضح مبهمها ، ويبين أحكامها وحكمها ، خدمةً لهذا الكلام الآلهي المترل، فنشأت عن ذلك علومٌ وفروعٌ لا تعد ولا تحصى مما تستلزمه هذه اللغة العربية المبينة ، ولعل علم الدلالة أحد أهم تلك العلوم المساهمة في الكشف عن أسرار هذه اللغة ، وما احتوته من كنوزٍ جليلةٍ نفيسةٍ، لذلك كان سعي من أكرمهم الله سبحانه لخدمة كتابه العزيز من المفسرين خصوصاً، و اللغويين عموماً، إلى إبراز مواطن الإعجاز الرباني في ثنايا الخطاب القرءاني ، فكانت تفاسيرهم القرءانية ، وجهودهم اللغوية بحقٍ هبةً ربانيةً امتن الله بها علينا بعدهم.

ولما رأيت أن الكشف عن جوانب هذا النوع من أنواع العلوم اللغوية ، والمتمثل في البحث الدلالي ومباحثه، موضوعٌ جديرٌ أن يبحث فيه، وحقيقٌ أن يحقق فيه، ألهمني الله سبحانه وتعالى؛ وبفكرةٍ طيبة من أستاذي المشرف إلى اختيار واحدٍ من أهم التفاسير ، ذات القيمة العلمية الكبيرة في هذا المجال ، قصد الاستفادة منه ، وإخراجه إلى ساحة البحث والدراسة المعمقة من جديد، كونه قد أتى عليه حيناً من الزمن ، و لم يلق حظه من ذلك، هذا التفسير هو تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي الجزائري ، المسمى: تفسير كتاب الله العزيز.

ولما كان التوجه في هذا يندرج تحت مسمى الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب، إرتأيت أن أقدم إضافةً علميةً، كنقطةٍ في بحرٍ محيطٍ، كانت تلك النقطة محددة في : المباحث الدلالية في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم.

إن عملي هذا أسعى به إلى طرح بعض من إشكالات علم الدلالة العربي، بتعدد فروعه واتجاهاته ، وتنوع مشاربه ، واختلاف مناهج الدراسة فيه، وذلك من خلال ما حظيت به مشكلة اللفظ والمعنى، والعلاقة بينهما، من اهتمامٍ بالغٍ لدى علماء اللغة قديماً وحديثاً انطلاقا من علاقة الدال بالمدلول ، وربط ذلك بعلم التفسير، فأسعى به إلى إبراز بعضٍ من جهود المفسرين عامةً، والمفسر الجزائري الشيخ هود بن محكم خاصةً ،

في مجال البحث الدلالي، مستنبطاً الأراء الدلالية للمفسر حول تلك القضايا المراد البحث فيها ، والتي دفعتني إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم الدلالة عند المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري ؟ ، وكيف تعامل في تفسيره مع القضايا الدلالية التي ينكشف بها معنى ودلالة كل مفردةٍ وكل سياقٍ ؟، وهل تختلف نظرته لعلم الدلالة مقارنةً بنظرة من سبقوه ؟ ، أم أنه استفاد من نظرتهم الدلالية ؟، وكيف عالج مشكلة اللفظ والمعنى من خلال عمله التحليلي الدلالي لمفردات القرءان؟، وما أنواع الدلالات في تفسيره ؟، وكيف وظفها للوقوف على معاني المفردات القرءانية؟، وما التحليل الذي اعتمده في كشف الفروقات والمساحات الدلالية بين ألفاظ القرءان الكريم ؟، وكيف فسر تعدد المعنى واللفظ ؟، وغير ذلك.

وجديرٌ بي هاهنا أن أعلل سبب اختياري لهذا المحددِ آنفاً؛ فأقول:

لما وجدت في نفسي حُباً وميلاً شديدين للقرءان الكريم ، وعلومه وفنونه، وكل دراساته ، لم تطاوعني نفسي أن أخرج عن هذا المجال البحثي الدراسي القرءاني الشيق ، خصوصاً بعدما تناولت جزءً يسيراً من علوم القرءان الكريم، وارتباطها بقضايا اللغة في الطورين السابقين.

والعلة الثانية ؛ أني لما اهتديت ومن خلال دراستي في طور ليسانس إلى فكرةٍ ظلت تروادني يومها ، وأبحث عن تعليلٍ علميٍ لغويٍ دلاليٍ لها، وبحمد الله وجدتها بعد اشتغالي بالبحث في بعض أقضية مجال البحث الدلالي، وارتباطاته بأسرار مفردات القرءان الكريم، كون هذا الأخير والبحث فيه ، يهيئ لطالب العلم ، وللمتخصص في مجال اللغة الإلمام بعلوم اللغة كلها ، باعتبار أن الدلالة هي العلم الوحيد من علوم اللغة الذي يُشرك في دراسته جوانب أخرى من تلك العلوم، كعلم الأصوات مثلاً، والصرف والنحو والتركيب والمعجم والسياق ، وغير ذلك ، وفي الوقت ذاته يعد علم الدلالة قطب الرحى في عملية تفسير كلام رب العالمين، وفي مجال تدبر آياته للوصول إلى إدراك مقاصد الخطاب الرباني.

ثم أضيف علةً ثالثةً أبرر بها سبب إختياري لهذا ، وهي أن تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي ضل حبيس الرفوق والخزانات لدى أصحابها فترةً طويلةً من الزمن ، حتى كاد ينسى ذكره بين التفاسير القرءانية، كيف لا وهو أقدم تفسيرٍ أثريٍ جزائريٍ خالصٍ وصل إلينا كاملاً ، بعدما أُخرج للنور على يد المحقق بالحاج سعيد شريفي جزاه الله كل خير، ولولا جهود هذا الأخير ، وصبره ومصابرته على مشقة عناء تحقيقه، لم يكن التفسير شيئاً مذكوراً إلى يومنا هذا ، غير أن فضل الله علينا عظيمٌ ، ومع هذا تعد قلة الدراسات والبحوث عليه، وفيه، قلةٌ قليلةٌ ، بل تُعد على الأصابع لحد الآن.

فكان هذا الأمر أكبر حافزٍ على ولوج مجال الدراسة والبحث فيه ، رغم إدراكي لصعوبة الأمر، لكن يتيسر على من يسره الله عليه ، وأضيف هاهنا إلى ما سبق ذكره؛ أن قلة الدراسات حول تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي ،كانت من علل إختياري له كموضوعٍ للبحث .

ومن الدراسات التي وقفت عليها في هذا المجال، دراستين أكاديميتين علميتين لاغير ، إحدهما للباحثة الجزائرية سعاد زغيشي، وهي عبارة عن دراسةٍ تقدمت بها في إطار مستلزمات استكمالٍ لنيل شهادة دكتوراه، والثانية للباحث الفلسطيني سامي محمود محمد أحمد ، في إطار نيل شهادة ماجستير ، وكلا الدراستين في مجال دراسة منهجية الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، فلم تتطرقا في ذلك إلى الجانب الدلالي فيه ، على الرغم من أهمية الدلالة القرءانية في تفسير الشيخ هود بن محكم ، ووجدت في هذا الأخير مادةً دلالية منوعة ، حقيقٌ أن يُبحث فيها ، وهي عاكسةٌ لجهوده الدلالية ، وسعة علمه وغزارته في هذا المجال ، فعزمت متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، وبعد موافقة أستاذي الكريم ، واستشارة جملة ممن لهم باعٌ في هذا، فأرشدوني جميعهم إلى البحث في هذا، ونُصْحهم لي بالصبر والإخلاص في الطلب ، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ورغم صعوبة إدراك المراد في الحصول على المادة العلمية المتعلقة بالجانب الدلالي في تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري ، إلا إني بفضلٍ من الله سبحانه ، وبجهدٍ من الأستاذ المشرف، حاولت إسقاط حيثيات ومستلزمات هذا العِلمِ اللغوي لتحليل تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم، وتناوله تناولاً دلالياً محضاً، مستنبطاً منه القضايا والظواهر والمباحث الدلالية الواردة فيه، متبعاً في ذلك المنبهج التحليلي الوصفي التاريخي، معتمداً كل الاعتماد في البحث على الله ، ثم على مجلدات التفسير الأربعة، وعلى كتب مفردات ألفاظ القرءان وتحقيقها ، مستفيداً في الوقت ذاته من بعض التفاسير الأخرى ؛كتفسير ابن كثيرٍ ، وتفسير الجلالين، وابن جرير، وغيرهم.

والسبب في هذا أن طبيعة تفسير الشيخ هود بن محكم تتوافق في بعض القضايا اللغوية مع تلك التفاسير المذكورة في تعاملها عند التحليل الدلالي لتلك القضايا اللغوية الواردة في التفسير.

كما طمحت وسعيت من خلال هذه الدراسة الدلالية إلى تحقيق الأهداف التالية :

- تحديد مفهومٍ شاملٍ للدلالة عند الشيخ هود بن محكم من خلال ما اعتمده في إبراز معاني مفردات القرءان الكريم أثناء عمله التفسيري.
- إبراز الجهود الدلالية لديه ، ومحاولة الكشف عن القضايا الدلالية الحديثة في تفسيره.
- التعريف به ، وبمُؤَلَفِه القيم ، والمكانة التي يتبوأها بين التفاسير الجليلة القدر.

- محاولة إبراز المنهج الدلالي الذي سار عليه الشيخ هود بن محكم في تعامله مع المفردة العربية عامة ، والمفردة القرءانية خاصة.

- الحديث عن مفهوم الدلالة القرءانية ، وأثرها في التدبر والتمعن لخطاب الله سبحانه وتعالى.

وقد فصلتُ تقسيم بحثي هذا عبر خطةٍ أساسها مدخلٌ عامٌ، وثلاثة فصولٍ ، فأما المدخل فكان الحديث فيه عن إرهاصات البحث الدلالي العربي عند العرب القدامى، مبرزاً فيه جهود علماء اللغة القدامى في ذلك ، إضافة إلى تعريف الدلالة ، وموضوع دراساتها ، وأثرها ، وأهمية البحث فيها، كما تطرقت إلى محاولة تقديم دراسةٍ لإشكالية اللفظ والمعنى وتداخل المصطلحات ، وغير ذلك .

وفي الفصل الأول خصصت الحديث فيه للتعريف بالمُؤَلِف الشيخ هود بن محكم من المهد إلى اللحد، بذكر جانبٍ من ترجمته ، وبيان حياته الشخصية، ثم التعريف بمُؤَلَفِه : «تفسير كتاب الله العزيز» ومنهجه في التفسير، ومصادره فيه ، والتعريف بالتفسير وأنواعه وما يُستلزم ذكره في ذلك.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه المباحث الدلالية في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم ، تناولاً على شقين؛ شقٌ نظريٌ، وآخر تطبيقيٌ محدداً لأمثلةٍ دلاليةٍ من تفسير كتاب الله العزيز ، فتطرقت إلى مبحث الاشتراك اللفظي ، والترادف ، والتضاد ، والمعرب ، وما يتعلق بكل مبحثٍ من تلك المباحث الدلالية.

وأشيرها هاهنا إلى بيان الاقتصار على هذه المباحث الدلالية المذكورة فحسب، وأقول أن طبيعة منهج الشيخ هود بن محكم في تفسيره مبنية وقائمة على الاختصار ، وأحياناً الاختصار الشديد، وفي عملية بحثي لتلك المباحث الدلالية ، هذا ما أمكنني الوقوف عليه من خلال تصفحي لصفحات تفسيره ، مما يعني أنه اكتفى بتلك العلاقات الدلالية المذكورة ، وأشار إشارتين خفيفتين إلى مبحث الاشتقاق في تفسير آيةٍ من سورة البقرة، وأظن أنه لم يُذكر غيرها في تفسيره، لذا اقتضت طبيعة البحث عدم إيراد الاشتقاق ضمن المباحث الدلالية عنده في تفسيره.

ومما يذكر أيضاً في هذا ، أن علاقات الاشتراك اللفظي وقضاياه ، أخذت حظاً وافراً من تفسيره ، لذلك كانت أمثلة المشترك اللفظي أكثر من غيرها في هذا الفصل، فركزت في هذا الفصل على اهتمام الشيخ هود بن محكم في تعامله مع علاقة اللفظ بالمعنى وتعددهما عنده ، ممثلاً بنماذج ومفرداتٍ من تفسيره.

أما الفصل الثالث فتحدثت فيه عن جملةٍ من القضايا الدلالية في تفسيره ،كأصناف الدلالات وأنواعها ، وكالترابط المفاهيمي الدلالي في تفسيره ، وكظاهرة التقابل الدلالي ، وأثرها في الكشف عن دلالة المفردات القرءانية في تفسير الشيخ هود بن محكم، وكظاهرة الخصوصية الدلالية للمفردة القرءانية وغير ذلك.

ثم إني استعنت في هذا البحث بمجموعةٍ من المصادر والمراجع، خاصةً تلك التي تُعنى بدراسة معاني القرءان وعلومه ، من أهمها : البرهان في علوم القرءان للزركشي ، والإتقان في علوم القرءان للسيوطي ، ومجاز القرءان لأبي عبيدة ، ومعاني القرءان للفراء وغيرها ، وبعض المصادر المهتمة بتحقيق مفردات غريب القرءان ككتاب: مفردات غريب القرءان للراغب الاصفهاني ، إضافة إلى المعاجم اللغوية كمقاييس اللغة لابن فارس ، ولسان العرب لابن منظور وغيرهما ، وكتاب الاضداد لابن السكيت، كما اعتمدت أيضاً على مجموعة لابأس بها من المراجع العربية الحديثة ، والتي تناولت منها على سبيل المثال لا الحصر: علم الدلالة لأحمد مختار عمر، وكتاب الاشتراك والتضاد في القرءان دراسة احصائية لأحمد مختار، وكتاب الترادف في القرءان الكريم لمحمد نور الدين المنجد، وكتاب علم الدلالة فايز الداية وغير ذلك مما له صلة بالدراسات الدلالية الحديثة.

وفي الختام لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل، والذي كان لي نعم الأخ والعضد قبل أن يكون لي أستاذاً عزيزاً ، خدير المغيلي الذي لازمني ملازمة الناصح الأمين في هذا العمل ، و أفاد عملي بكل ما أكرمه الله به من رأيٍ وعلمٍ ومصادر ومراجع ، وحثني دائماً على الاجتهاد والمثابرة ، والصبر والإخلاص والتواضع ، فكشف لي ما كان مستوراً عني في هذا المجال العلمي، وقادني إلى بر الأمان ، ومنحني من وقته الثمين للإشراف والمتابعة الدقيقة لصفحات هذا الجهد عبر سنواتٍ عديدةٍ ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وجعل ذلك في ميزان حسناته ، وحسنات والديه ، وبارك الله له في علمه وعمره وماله وأهله وولده ، وزاده بسطةً في العلم والجسم.

كما لا يفوتني تقديم شكري الجزيل لكل من كان له فضلٌ ومزيةٌ عليَ في انجاز هذه الأطروحة ، وأخص أساتذتي؛ أساتذة جامعة أدرار دون استثناء ، جعل الله جهودهم خالصةً لوجهه الكريم ، وأثابهم الثواب الحسن إن شاء الله.

والشكر كل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل ، وتحمل مهمة التدقيق فيه، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

اللهم إني أسألك علماً نافعاً
ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً.

أدرار في: 05 أوت 2019

المدخل

إرهاصات البحث الدلالى وقضايا الدلالة عند العرب القدامي

1- الجهود الدلالية عند العرب القدامى.
2- مفهوم الدلالة عند العرب القدامى.
3- عناصر الدلالة وأنواعها.
4- اصطلاحية الدلالة واعتباطية الدال والمدلول.
5- اللفظ والمعنى وإشكالية تداخل المصطلحات.
6- التفرقة بين مصطلحي الدلالة والمعنى.
7- دراسة اللفظ ومشكلاته.
8- قضايا تعدد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ.

1ــ الجهود الدلالية عند العرب القدامى:

تعتبر الفترة المبكرة للدراسة اللغوية أكثر تنبهاً، وأنفذ إدراكاً لثنائية اللفظ والمعنى ،وأثرهما في فهم المقصدية من الكلام والتواصل، وتحديداً لمبتغاه، فمنذ القرون الأولى، اهتم العرب القدامى بالجانب اللغوي اهتماماً عاماً، وأفردوا لقضية البحث الدلالي الاهتمام الخاص، وهذا من خلال البحث في دلالات الألفاظ التي تنبه إليها علماء اللغة العربية في وقتٍ مُبكرٍ، وإن هذا السبق الباكر في الاهتمام بقضايا الدلالة، لمؤشرٌ على النضج الذي أحرزته العربية كلغةِ بيانٍ وإعجازٍ، باعتبار أن ما تمتاز به هو الفصاحة في النطق دون سواها من اللغات، والبيان والبلاغة في تعبيرها، والإعجاز في تأويلات مراميها ومقصدها.

والحديث عن إرهاصات البحث الدلالي، ونشأته عند علماء العربية القدامى، ندرك من خلاله أن هذا مرتبطٌ بما جسده القرءان الكريم، الذي عُدَ النواة الأولى لهذا الدرس، ومن هنا نجد أن التأسيس الأول للبحث الدلالي، كان قِوامه الأساسُ، هو قراءة وفهم الكتاب الكريم، خصوصاً لما تحداهم بنظمه وأسلوبه وتركيبه وبيانه وإعجازه، حاملاً بين طياته ثورةً دينيةً إجتماعيةً فكريةً عقائدية، في قالبٍ لغويٍ ونظامٍ متناسقٍ ،جعل عقلهم وفكرهم يقف أمام لغته في حيرةٍ، فسعت العرب بكل ما في وسعها من دراساتٍ حول الكتاب المعجز إلى البحث في دلالات ألفاظه ومعانيها، فجاءت دراساتٍ متعددة متلونة، ثم تنوعت وتوالت فكان منها مثلاً: عملية ضبط المصحف الشريف بالشكل، والذي يُعد في الحقيقة والأصل عملاً دلالياً خالصاً وبامتيازٍ، باعتبار أن أي تَغَيُرٍ في المبنى، يؤدي إلى تغييرٍ في المعنى، كذلك ما تمثل في الجهود الرامية إلى حصر معاني الغريب في القرءان الكريم، والإهتمام البالغ بدراسة إعجازه في القرءان الكريم.

ثم ظهرت المعاجم والرسائل الجامعة للألفاظ المختصة بموضوعٍ واحدٍ، في الحيوان والنبات والشجر وغير ذلك كثيرٌ، وكل هذه الجهود والأعمال هي أساس قيام الدرس الدلالي كعلمٍ قائمٍ بذاته، له موضوعاته وأسسه.

بعد هذه الإرهاصات الدلالية المبكرة، أرتقت الصناعة المعجمية، وتطورت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، وسعيه لتحقيق حصر ألفاظ اللغة، وجمعها وفق منهجٍ علميٍ دقيقٍ في الحصر، أساسه الترتيب الصوتي، كذلك نجد اهتمام العلامة الزمخشري، وجهده الفذ في معجمه أساس البلاغة، والذي سعى فيه إلى وضع معالم التفرقة بين المعاني الحقيقية، وأخرى مجازية.

إضافة إلى هذا، تلك المحاولة الناجحة للعلامة ابن فارس، واسهاماته الرائدة في معجمه مقاييس اللغة، إذ أنه في الأصل عملٌ دلاليٌ محضٌ، ومثلٌ رائعٌ للمعاجم الكاشفة عن الصلات القائمة بين اللفظ والمعنى في أكثر من وجهٍ، وهذا من خلال سعيه إلى ربط المعنى الجزئي للمادة بمعناها العام الذي يجمعها، ومحاولة الربط بينها، وإعادتها إلى أصول متفرعة عنها[1]، ومن جهة أخرى ما نلمسه من إرهاصاتٍ دلاليةٍ، حينما عقد باباً للحروف المفردة الدالة على المعنى، في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، إذ يقول في هذا:«...وللعرب الحروف المفردة التي تدل على المعنى، نحو: التاء في خرجتُ وخرجتَ، والياء في ثوبي، وفرسي»[2]،فكان ذلك إشارة دلالية إلى ما تحمله الحروف من معانٍ.

إن بيان ابن فارس دلالة الحرف المفرد على المعنى، من صميم الدلالة وإرهاصاتها في البحث الدلالي عند العرب، والملاحظ على هذه الحروف التي أوردها ابن فارس وأشار إليها ،هي ضمائرٌ متصلةٌ تلحق الفعل ، وتحمل دلالةً معينةً، لتدل وتحدد من قام بالفعل، هل المتكلم أم المخاطب؟، ففي قوله: «خرجتُ»، فإن وظيفة التاء تحمل وتجسد دلالة المتكلم، وأما قوله: «خرجتَ»، فإن الدلالة ههنا تتوجه جهة المخاطب، لأن الفعل تميز بالتاء المتحركة التي لحقت آخره، كما تؤدي حركة هذا الحرف «التاء» ، إلى قيمٍ خلافيةٍ بين التذكير والتأنيث في المفرد، فالفتح في التاء للمذكر، وأمَا الكسر فهو للمؤنث.

ومن ثمة فإنه يمكن لنا القول: إن الحركة هي المحددة لقيمة الدلالة لدى الشخص في التذكير والتأنيث مثلاً، في حين أن هذا الحرف الزائد الذي لحق آخر الفعل، قد يحمل دلالةً أخرى، فمثلاً في قول ابن فارس: ثوبي، فرسي...، فإن هذه الياء تحمل قيمةً دلاليةً تفيد معنى الملكية[3].

ونجد ابن فارس متوسعاً في هذا الباب، إذ يضيف قوله إلى الذي تقدم ذكره «... ومنها حروفٌ تدل على الأفعال نحو: إِ زيداً ،أي: عِدْه ، و آحِ من وحيت ، و دِ من وديت، وشِ من وشيت الثوب، و عِ من وعيتُ»[4]، فهو بهذه الإضافة، يختزل الأفعال الثلاثة الواوية الفاء في حرفٍ واحدٍ، بحيث إنها تبقى دالة على أصل فعلها.

ولو انتقلنا من الإشارات الدلالية لدى ابن فارس، وتجاوزنا ذلك إلى العلامة سيبويه، وحديثه عن قضية اللفظ والمعنى في كتابه الكتاب، لوجدنا أنه قد عقد باباً مستقلاً عنوانه : «باب اللفظ والمعنى»، واصطلح عليه

[1] ينظر: ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق:أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، 1997 ، ص: 160.
[2] المصدر نفسه، ص: 160.
[3] ينظر: صفية مطهري، الدلالة الايحائية في الصيغة الإفرادية، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط1،2015،ص: 25،26.
[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، مصدر سابق، ص: 161.

بقوله: « هذا باب اللفظ للمعاني»[1]،باعتبار أن اللفظ قد يكون واحداً، وقد تتعدد معانيه، وبَيَن في هذا الباب من كتابه ما لكلام العرب من اختلافِ اللفظين لاختلافِ المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين[2]، ومن خلال طرح هذه الفكرة عند العلامة سيبويه، ألفيناه في كتابه يسعى محاولاً ربط اللفظ بالمعنى، ويُبينُ علاقاتٍ بينها، وفق أحكامٍ لغويةٍ يقتضيها الدرس النحوي، ويلزُم بها، وهي ذات أهميةٍ بالغةٍ، لارتباطها بالقوالب التحديدية كالفاعلية والمفعولية، والإضافة وغيرها من الدلائل الوظيفية النحوية[3]، فكانت هذه القوالب التحديدية لتلك الدلالات المتعددة ،كفيلةٌ بإبراز المعنى واستجلائه.

ثم يؤكد العلامة سيبويه أيضاً، في أكثر من موضعٍ على تلك المصادر التي جاءت على نسقٍ واحدٍ، حيث تقاربت المعاني، وذلك في مثل: النزوان، والنقزان والقفزان، وإنما هذه أشياءٌ في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله: العسلان والرتكان، ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحركٌ، و مثله الخطران واللمعان؛ لأن هذا اضطرابٌ وتحركٌ، ومثله كذلك اللهبان والوجهان، لأنه تحرك الحر وتثوره، فإنها بمترلة الغليان.[4]

ومما تقدم ذكره، نستشف تلك الصلة الوثيقة بين الصيغة و مدلولها، وفي ذلك إشارةٌ من سيبويه إلى الإقرار بوجود الصلة بين اللفظ ومعناه، فالمصادر التي على وزن: (فعلان) دالةٌ عنده على الحركة المصاحبة للحدث.

وفي جهود العلامة ابن جني كذلك نجد بحثاً دلالياً خالصاً، يضاف إلى من سبقه من بحوثٍ أسهمت في إرساء معالم الدرس الدلالي العربي، وهذا ما نلمسه عند تناوله لقضية اللفظ والمعنى في كتابه الخصائص، حيث فصَّل وأفردَ، وعقد لهذه المسالة أبواباً كثيرة متعددة منها:

1- بابٌ في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني:

وفي مضمون هذا أن يوجد للمعنى الواحد (الدال)، مسمياتٌ كثيرة (المدلول)، وذلك في مثل: المِسك والصَّوار، أي: أن كل واحدٍ منها يجذب حاسة من يشمه[5]، فوقع ههنا بينهما تلاقي المعني رغم اختلاف المبنى.

2- بابٌ في الاشتقاق الأكبر: وفي هذا خصص حديثه لموضوع التقاليب الستة للكلمة الواحدة، وما ينجم عنه من معانٍ، وهذا بأخذ أصلٍ من الأصول الثلاثية، فنعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً، بمعنى أننا

[1] أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط1988، ج01،ص: 24.
[2] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص: 24.
[3] ينظر: صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، مرجع سابق، ص: 22.
[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، مصدر سابق،ج2،ص: 218.
[5] ينظر: ابن جني ، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت،ط2006،ج3، ص: 113.

حيثما قلبنا الكلمة، فهي تشتمل على معنى عامٍ مشتركٍ، مثل كلمة: (ك.ل.م) والتي تكون تقلباتها على النحو الآتي:

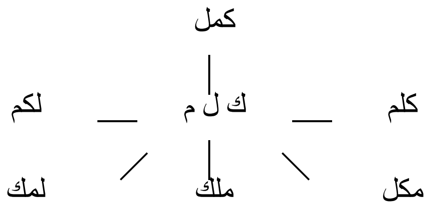

ومن هنا تتجلى فكرة التقاليب عند ابن جني، حيث تحصل من أصلٍ ثلاثيٍ على تقاليب ستةٍ، ونلاحظ أن من بين هذه التقاليب ما هو مستعملٌ، وما هو مهملٌ، فمثلاً في المثال السابق فإن كلمة: "لمك"، قد أُهْملت، وبقيت هذه المواد الخمسة (التقاليب)، وما فيها من تقديمٍ وتأخيرٍ من تقليب الأصول الثلاثة، مجتمعٌ فيها معنىً واحداً، هو الدلالة على القسوة والشدة[1]، فتبين من عقد تلك التقاليب الستة للأصل الثلاثي ما هو مستعملٌ منها، وما هو مهملٌ.

3- بابُ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: ويتجلى هذا عند ابن جني في أوجه تقارب الحروف والأصوات والألفاظ مثل: «الهزّ والأزّ» في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣ ﴾[2]، فهاهنا كلمتي: الَهزَّ، والأز، متقاربتين في اللفظ ، ولما كانت الهمزة أخت الهاء، تقاربا كذلك اللفظان لتقارب المعنيين.

كما أشار العلامة ابن جني في هذا الصدد إلى مسألةٍ أخرى، مشابهةٍ لما تقدم، متمثلةً في إشتراك الحروف الثلاثة الأولى، ويرى أن مجرد الإشتراك في الحروف، يؤدي أيضاً إلى الاشتراك في المعنى والدلالة، ومَثَلَ لهذا بكلمتي: دَمِثَ، ودَمْثَرَ؛ إذ تدل الأولى على معنى الدماثة ،أي: السهولة، ومأخوذةٌ من دَمِثَ المكان، كفرح ، وسهُلَ، والثانية معناها ومدلولها: السهل من الأرض، والجمل الكثيرُ اللحم..[3]، وهذا الاشتراك في الحروف الثلاثة الأولى، هو ما قصده ابن جني حين أفرد لهذه الظواهر بابُ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

---

[1] ينظر: ابن جني، الخصائص، مصدر سابق ،ج2،ص: 113.

[2] سورة مريم، الآية: 83.

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ج2، ص: 145.

4- بابُ إمساس الألفاظ أشباه المعاني: ويقصد بهذا وضع هيئة الألفاظ على صورةٍ مناسبةٍ لمعناها، وأكد هنا في هذا الباب على القيم الصرفية ودلالتها، مُشيراً بذلك إلى تقارب المعنى نتيجة تقارب الصوت، وذلك في مثل، صيغة:(الفعلان) الدالة على الإضطراب كما تقدم، أو صيغة (الفعلَلَه) مثلاً، الدالة على:« التكرير»، تقول العرب: « صرصر الجنذب» ،أي: كرر وردَدَ في تصويته.

كما اهتم العلامة ابن جني من خلال جهوده الدلالية، بمسألة المناسبة الطبيعية بين الحرف ومعناه، أو مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث، مثل الفعل قّضَم، والفعل خَضَمَ، ومقارنتهما، إذ يوظف الأول من حيث الدلالة والاستعمال، في أكل الشيء اليابس، في حين دلَّ الثاني على الإستعمال في أكل الشيء الرطب[1]، فكانت المناسبة الطبيعية بين الحرف ومعناه؛ أي: مناسبة الحرف لصوت الحدث ،وما يدل عليه من معانٍ، كفيلة بتوجيه الدلالة إلى المقصود من المفردة تحديداً دلالياً.

هذه بعض الجهود المتمثلة في تلك الإسهامات التي قدمها ابن جني، سعياً منه إلى خدمة العربية والقرءان الكريم، وفهم كلام العرب.

ولو انتقلنا من ابن جني والقضايا الدلالية عنده، وجئنا إلى عبد القاهر الجرجاني، والذي عُدَّ من البلاغيين، لصح لنا القول بأنه مؤسسٌ عمليٌ لموضوع البحث الدلالي عند العرب، من خلال ما أملته وفرضته عليه البلاغة، فهو مثلاً عندما يتحدث عن الدلالة في إطار نظرية النظم، مبيناً أهمية السياق في توضيح المعنى، ندرك أنه بهذا الطرح العلمي هو الصميم، باعتبار ما للسياق من أثرٍ دلاليٍ في كشف المدلولات وبيانها، ولعرفنا أنه يتكلم عن الصيغة الفنية التي خلُص إليها في شأن الدلالة[2].

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا: « وجبَ أن يُعْلَم أن مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه، ولكن الحكم بموجود المعنى أو عدمه، وأن ذلك أي: الحكم بوجود المعنى أو عدمه حقيقة الخبر، إلاَّ أنه إذا كان بوجود المعنى من الشيء، أو فيه يسمى إثباتاً، وإذا بعدم المعنى وإنتقائه عن الشيء يسمى نفياً »[3]، وما أفهمه من خلال قول الجرجاني، هو إيضاح فكرتي اللفظ والمعنى عنده في اللغة، يتضح بالعلاقة الواردة بين اللفظ والمعنى، أي:(بين الدال والمدلول)، وهي علاقةُ اعتباطٍ، بانصراف المدلول إلى التصوير الذهني، أو إلى

---

[1] ينظر: عبد الكريم فتحي الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،ط2007، ص: 238.

[2] ينظر: حسين علي الصغير، تطوير البحث الدلالي دراسات تطبيقية في القرءان الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط الأولى،1999، ص: 35.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي للنشر، د،ط، دت، ص: 284.

المرجع، بحيث إن نظم الكلمة الصوتي اعتباطيٌ لا يقوم على مناسبة طبيعية[1]، ونفهم هذا بعمقٍ عند قوله مُضيفاً: « إنَّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضىً عن معنىً، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً من العقل، إقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال: رَبَضَ مكان ضرب، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فسادٍ»[2]، فهو بهذا التأسيس العلمي العملي يبرز العلاقة الذهنية والنفسية من حركية الدلالة اللغوية، ومن وراء هذه الحركية الدلالية تقام الروابط بين الألفاظ، أصواتاً وكتابةً وانطباعاتها التصويرية، ووقائعها المادية أو منعكساتها المجردة، وهذه نقطةٌ هامةٌ شغلت الكثير من أعلام الدرس اللغوي الحديث[3].

ثم إنَّ المدقق في الإشارات الدلالية من خلال جهود العلامة الجرجاني، يتبدى له ذلك الوقوف العميق من طرف الجرجاني على مسألة اللفظ والمعنى، وهو موقفاً منه ميز به ظاهرة تفضيل المعنى على اللفظ، مستنداً في ذلك إلى أضربِ وأنواع دلالة المعنى عنده حيث قسمها إلى[4]:

1. **دلالة مباشرة**: وهي أن تصل من الكلام إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، بمعنى: من ظاهر اللفظ دون واسطة وهذا قصده الجرجاني بالمعنى.
2. **دلالة غير مباشرة**: وهي أن لا تصل من الكلام إلى القصد بدلالة اللفظ وحده، وهو أن تعقل من اللفظ معنىً، ثم يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخرٍ، ويتمثل ذلك في الكناية والاستعارة والتمثيل؛ وهذا الذي سماه معنى المعنى.

واستنبط الجرجاني هذه التفرقة والقسمة بين أضرب الدلالة، على فكرة مقولة الوضع عند الأصوليين، وتأثر بها، وبنى عليها أحكامه في التفرقة بين المعنى، و ومعنى المعنى، والملاحظ أن هذا الأخير موضوعٌ علميٌ هامٌ، شغل فكر الغربيين في العصر الحديث، وبلوروه ترجمةً إلى مصنفاتٍ اندرجت تحت ما يسمى بمعنى المعنى. The Meaning Of Meaning،وهدا الأخير عبارة عن عنوانٍ علميٍ للمؤلفين الإنجليزيين: أوجدنC k Orgdon، و ريتشاردرI A Richards، حيث درسا فيه ماهية المعنى من حيث هو عملٌ ناتجٌ عن اتحاد وجهي الدلالة.

---

[1] ينظر: طارق النعمان ،اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم، ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط2003، ص: 215.

[2] عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص:56.

[3] ينظر: علي حسن مزيان، عبد القاهر الجرجاني دلالياً، ،مجلة القافلة، جامعة الاردن، عدد:11، أكتوبر،1998، ص:30.

[4] ينظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ،ص: 204،203 ، وينظر: علي حسن مزيان ،عبد القاهر الجرجاني دلالياً، ، مرجع سابق، ص:30.

وفي بصمات الجاحظ أيضاً نجد الإشارات الدلالية والقضايا المتعلقة باللفظ والمعنى، إذ يؤكد الجاحظ في كتابه: البيان والتبيين ، على أن المعاني مبسوطةٌ في الطريق، وأصل هذه الفكرة لديه هي قاعدةٌ ثابتةٌ، يجب مراعاتها عند الكلام، وتوخي الغاية منه بالنفع والدلالة، وهذا هو لبُ الدلالة وما ترمي إليه، فالجاحظ في كتابه أشار إلى كيفية اضطرار المتكلمين إلى استحداث ألفاظٍ في اللغة لم تُعهد عند متداوليها في الإستعمال.

يقول الجاحظ:« وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن استماع المعاني»[1]،فهو بهذا الطرح يُقر بأن هناك معانٍ واسعةٍ لا حصر لها، باعتبار أنها ممثلةً في أصلها لجميع ما خلقه الله عز وجل من كائناتٍ، وقضية عجز الأسماء التي أوردها الجاحظ، قضيةً جوهرية الدلالة، إذ لولاها ما أستُحدِثت الألفاظ لعلة سَدِ عجز الاسم، وتعويض ما بدر منه نقصٍ.

ثم يتحدث الجاحظ في مصنفه عن أقسام الأنواع الدلالية، ويميز بين كل قسمٍ تمييزاً علمياً بحسب ما تقتضيه طبيعة العلامة في محيطها الطبيعي والثقافي والحضاري بشكلٍ عامٍ[2]، حيث يقول الجاحظ مفصلاً لهذه الأقسام الدلالية: «... جميع أصناف الدلالات على المعاني في لفظٍ وغير لفظٍ، خمسةُ أشياءٍ، لا تنقص ولا تزيد أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة»[3]، ومن خلال قوله هذا، نستنتج أن اللفظ عنده هو تلك الطبيعة المتفق أو المتواضع عليها داخل مجموعةٍ لغويةٍ من دالٍ ومدلولٍ، كما أن الصنف الثاني: هو الإشارة المتضمنة جميع الحركات والإيماءات الدالة.

والصنف الثالث: العقد بمعنى الحساب دون لفظٍ مثل الأصابع، والرابع: هو الخط المتعدي للزمان والمكان والمطلق غير المقيد، والخامس النصبة، أي: الحال الناطقة دون لفظٍ، والمشار إليه بغير يدٍ، وذلك جَليٌ في خلق الله سبحانه وملكوته.

إن كل ما أشار إليه العلامة الجاحظ في مصنفه هذا، من صميم الدلالة بدرجةٍ أولى، والجاحظ بهذا الطرح ممثلاً به للبلاغة والدلالة معاً، فالجهود الدلالية من خلال عملهم كثيرةٌ في التراث العربي، وخير دليلٍ على هذا، اتساعهم وإهتمامهم البليغ بالمباحث الدلالية من مجازٍ وحقيقةٍ ودراسةٍ للأساليب ،كالأمر والنهي والاستفهام وغير ذلك كثيرٌ لدى الجرجاني والسكاكي، وحازم القرطاجني وضياء الدين بن الأثير وغيرهم.

[1] الجاحظ، البيان والتبين ،تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي،ط1978،ج1، ص: 141،142.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الامارات، الطبعة الثانية،2012، ص: 146.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق ،ج1، ص: 76.

ولو انتقلنا من البحث الدلالي العربي عند البلاغيين إلى علماء المنطق، للمسنا وأدركنا تلك الإسهامات منهم في قضيتي اللفظ والمعنى، حيث أرجعوها إلى منطلق البداية والنشأة للغة، واستندوا في أحكامهم إلى المنطق الذي أفضى بهم إلى العلم بأن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام تعرف على أسماء الأشياء الحسية من خلال المعاينة والمشاهدة الحسية، وأكدوا أن معرفة حقيقة هذه المعاني المجردة جاءت عقب معرفة الأعيان، وهذا هو التفسير المنطقي عندهم لما جاء في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[1]، وإن تعددت المفاهيم وتنوعت، و اختلفت أحياناً حول تفسير وتأويل هذه الآية، وحسبنا هنا أن نقف على الذي ذكره ابن كثيرٍ وأورده في تفسيره، حيث يقول: « قال السدي: عمن حدثه عن ابن عباس: وعلم آدم الاسماء كلها، قال : علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس، وقال الضحاك عن ابن عباس: وعلم آدم الأسماء كلها، قال هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس، إنسانٌ، ودابةٌ، وسماءٌ، وأرضٌ، وسهلٌ، وبحرٌ، وخيلٌ، وحمارٌ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها»[2].

وعالج أبو علي بن سينا (ت 427هـ) كذلك بعضاً من هذه الإشارات والمباحث الدلالية المتعلقة أساساً بقضيتي اللفظ والمعنى في كتابه العبارة ، وأعطى لهذه المسألة بُعداً إضافياً للبحث الدلالي عند العرب، يقول ابن سينا في ذلك: « إن الإنسان قد أوتي قوةً حسيةً، ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس، فترتسم فيها إرتساماً ثانياً ثابتاً، وإن غاب عن الحس،ثم ربما ارتسم بعد ذلك في النفس أمورٌ على نمو ما أداَّه الحِس، فإما أن تكون هي المرتسمات في الحِس، ولكن انقلبت عن هيئتها المحسوسة إلى التجريد، أو تكون قد ارتسمت في جنبة أخرى لا حاجة في المنطق إلى بيانها...»[3]، إن ما نفهمه من خلال طرح ابن سينا في قوله هذا، هي تلك الرؤيا العلمية التي تؤكد بها على مدى قوة الأثر النفسي للأشياء الحسية، خلافاً للأشياء المجردة، وهذا ما توصل إليه ابن سينا بفكره الثاقب إلى مسألة فهم العملية التصويرية الذهنية للأشياء فهمهاً دقيقاً، وذلك مضمون ما جاء في قوله: « وأمَّا دلالة ما في النفس على الأمور فدلالةٌ طبيعيةٌ، لا تختلف لا الدال ولا المدلول عليه، كما في الدلالة بين اللفظ والأثر النفساني، فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلفٍ ،فإن الدال مختلفٌ، ولا كما في الدلالة بين اللفظ والكتابة، فإن الدال والمدلول عليه جميعاً يختلفان»[4]،

---

[1] سورة البقرة، الآية: 31.

[2] ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، تحقيق: أنس محمد الشامي، دار البيان العربي، بيروت،الطبعة الأولى،دت، ج1، ص: 99.

[3] ابن سينا، العبارة، ،تحقيق :محمود الخضيري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،مصر،ط:1970،ص: 1،2.

[4] المصدر نفسه، ص: 05.

ونستنتج من حَدِّ قول ابن سينا، أن الإنسان له الكفاءة التامة والمقدرة على التصور الحاصل في الأذهان، وهذا أمرٌ قد يُعد قاسماً يشترك فيه جميع البشر لا ريب، ثم أن هذا التصور الحاصل في الذهن يتفق مع الشيء المتواجد في الأعيان، والأشياء هي الأخرى لا تختلف، وإن كان الاختلاف حاصلٌ ،فإنه لا محالة بين الألفاظ المعبرة عن معنىً واحدٍ في النفس ثابتٌ، في حين أن أنماط الكتابة الرامزة إلى لفظ واحدٍ مختلفة وغير ثابتةٍ، فمثلاُ في الصوت أو اللفظ أو الرسم الكتابي مختلفةٌ، لكن مدلولها و مقصودها أو ما يقع من دالها في النفس ثابتٌ لا يختلف، وهذا طرحٌ دلاليٌ محضٌ عند ابن سينا، ثم إن هذه الفكرة التي كان منشأها عند ابن سينا قد تبلورت و ازدادت عمقاً وتوسعاً فكرياً عند أبي حامد الغزالي (ت 505هـــ)، ذلك أنه عبر عنها بمنهجٍ شاملٍ بقوله:« والوجود في العيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة، فإنها دالتان بالوضع و الاصطلاح...»[1]، وهذا تقديمٌ سبق به الغزالي اللساني دي سوسير في الدرس اللساني الحديث، حيث إنه رسم معالم الدليل اللغوي "بمعنى: العلامة" قبل أن يتناولها دي سوسير في القسم الأول من كتابه، حيث قسم هذا الأخير اللفظ إلى وجهين لا يمكن فصلها، متمثلان في: "التصور الذهني، والصورة السمعية"، بما احتوته من أصواتٍ لفظيةٍ، والتصور الذهني مجسداً في المدلول، في حين أن الصور السمعية متمثلة في الدال، أما مصطلح وفكرة الدليل التي قصدها الغزالي، فهي ليس لها بديلٌ عند دي سوسير، وقصد بها مطلق العلاقة بين الدال والمدلول، (بين الصوت السمعي للفظ، والتصور الذهني)، ويرى بأنها علاقةٌ اعتباطية[2].

إن الذي أشار إليه العلامة الغزالي، وتنبه إليه هو لبُ الفكرة التي أهتمت بها الدراسات الحديثة وتوسعت[3]، وازدادت عمقاً علمياً على يد منظري الدرس اللساني الحديث.

وازدادت هذه الفكرة عمقاً حين فصل الغزالي مراحل تصور الشيء، منتهياً بها إلى مرحلة الكتابة والخط، إذ رتب عناصر الفكرة بقوله:« فإنَّ للشيء وجودٌ في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكاتبة دالةٌ على اللفظ، واللفظ دالٌ على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس و مثال الموجود في الأعيان...»[4]، وإنطلاقاً من هذا فإن ما قصده الغزالي من هذه الفكرة، أن لها أربعة مراتب، وأن اللفظ حلَّ بالمرتبة الثالثة.

[1]أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق ،شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية،2013، ص: 47.

[2] ينظر: دي سوسير، دروس في الألسنة العامة، ، ترجمة صالح القرمادي، الدار العربية للنشر ، مصر ، ط 2 ، ص : 111،112.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص:114.

[4] أبو حامد الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق، مصدر سابق، ص: 46،47.

ومن خلال ما تقدم؛ يمكن القول بأن علماء العربية القدامى، قد تواصلوا بفضل ما حباهم الله به من مداركاتٍ إلى تحديد أبعاد الدلالة الثلاثة: (الدال أو الرمز، والمدلول، وهو المعنى، أو التصور، والمشار إليه ،وهو الشيء، أو الموضوع)، كما أنهم قد درسوا وبحثوا في طبيعة العلاقة الكامنة بين اللفظ والمعنى، فرأوا أنها علاقةٌ اصطلاحيةٌ، كما بحثوا في العلاقة بين التصور أو المفهوم، وبين الشيء المرموز له بالعلاقة الطبيعية له، وكذا حددوا العلاقة بين اللفظ والمشار إليه أو الشيء، بأنها علاقةٌ اعتباطيةٌ لا تقوم على صلةٍ معنويةٍ أو حسيةٍ.

وعند الحديث عن البحث الدلالي لدى الأصوليين، حتماً سنجد أنفسنا بصدد قدرٍ عالٍ من المباحث الدلالية في مصنفاتهم التراثية، والمهتمة أساساً ببيان القصد من كلام رب العالمين، وسيد المرسلين، ومن كلام العرب، إذْ عقدوا أبواباً للدلالات عالجوا بها مواضيع عدةٍ، تضمنت مثلاً، دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق، ودلالة الإشارة، ودلالة المفهوم، وتقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والأمر والنهي، والخفي والمشكل، والمجمل والمتشابه، والنص والظاهر، والترادف والتضاد والاشتراك، وغير هذا من المباحث الدلالية الكثيرة، وتلك جهودٌ دلاليةٌ عظيمةٌ لأعلامٍ أفذاذٍ بدايةً من الإمام الشافعي من خلال كتابه الرسالة، والشاطبي في مؤلفه الموافقات في أصول الشريعة، وكذا الآمدي في كتابه الإحكام في أصول الأحكام، وأبي حامد الغزالي في كتابه المستصفى من علم الأصول.

ومن باب التمثيل لا الحصر لبعض تلك الأبواب الدلالية المنتشرة في كتبهم الأصولية، أقف مثلاً على موضوع دلالة الأمر والنهي عندهم، والذي أوْلوه عنايةً خاصةً ،ودققوا فيه بالبيان والتحليل والتمثيل.

ومعلومٌ أن الأمر يرد على صيغة:(أفعل) المشتركة بين العديد من الأغراض، باعتبار دلالتها على الأمر بمجرد صيغتها، خلافاً إذا أقترنت بقرينةٍ محددةٍ للمراد والغاية منها، وقد بين علماء الأصول في بحوثهم وجهودهم الدلالية بعض هذه الأغراض المتعددة، ولي أن أمثل ببعض القرائن وربطها بما يوازيها من كتاب الله تعالى.

1. **الوجوب**: كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[1]، فهاهنا في الآية الأمر أتى على صيغة «أفعل»، لكنها ارتبطت بقرينة الوجوب، وعند الأصوليين قاعدةٌ مفادها أن الأمر دالٌ على الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه عن ذلك.

[1] سورة الإسراء، الآية: 78.

2. **الندب**: **كما ورد في قوله تعالى**: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**[1]، فالأمر هاهنا اقترن بقرينة الندب الدالة على الترغيب والتحبيب في الشيء، والآية متعلقةٌ بحكم المكاتبة للرِق والعبيد، حيث يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:«... هذا أمرٌ من الله تعالى للسادة، إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوهم، بشرط أن يكون للعبد حيلةٌ وكسبٌ...، وقد ذهب كثيرٌ من العلماء أن هذا الأمر أمرُ ارشادٍ واستحبابٍ، لا أمرُ تحتمٍ وإيجابٍ»[2]، فيتحدد بدلك معنى الندب لا الوجوب.

3. **الإرشاد**: كما ورد في قوله تعالى:{ **واشهدوا دوي عدل منكم**}[3] فدلالة الأمر هنا اقترنت بقرينة الإرشاد إلى عدم وجوب الشهادة في النكاح ، أو الطلاق أو الرجعة، إلاّ بشاهد عدلٍ، إلاّ أن يكون من عذر[4].

التهديد: كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ ﴾[5]، فَحُمِلِ الأمر في هذه الآية على قرينة التهديد والتخويف، يقول الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيرها: « وهذا وعيدٌ، كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [6] ، وهذا وعيدٌ أيضاً يفهم من ظاهر سياق صيغة الفعل اعملوا»[7]، وهو نفس الرأي الذي رجحه ابن كثير في تفسيره، حيث قال في تفسير الآية الكريمة: **اعملوا ما شئتم**» ، « قال مجاهد والضحَّاك، وعطاء الخرساني: اعملوا ما شئتم، وعيدٌ من خيرٍ أو شرٍ إنَّه عالِمٌ بِكُم ، وبصيرٌ بأعمالكم»[8].

4. **الإهانة**: كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ ﴾[9]، إذ يفهم من خلال سياق هذه الآية، أن القصد منها ليس هو الظاهر من مدلول الكلمات، وإنما قصدٌ خفيٌ على جهة التهكم

---

[1] سورة النور، الآية: 33.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم ،مصدر سابق،ج3،ص: 274.

[3] سورة الطلاق، الآية: 03.

[4] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق،ج4،ص: 490.

[5] سورة فصلت، الآية: 40.

[6] سورة الكهف، الآية: 29.

[7] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،الطبعة الأولى، 2005،ج4، ص: 78.

[8]، ابن كثير، تفسير القرءان العظيم ، مصدر سابق، ج4، ص: 128.

[9] سورة الدخان، الآية: 49.

والتوبيخ، وهذا الذي أشار إليه ابن كثير في تفسيره، والشيخ هود بن محكم كذلك، ورأوا أن معنى دلالة فعل الأمر الوارد في الآية، أقترن بقرينة الإهانة والتهكم والتوبيخ.[1]

5. **الدعاء**: وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا ﴾[2]، فصيغة اغفر، على (افعل) الأمرية هنا، حُملت على قرينة التماس الدعاء، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعاء لكل من دخل مترله وهو مؤمنٌ.[3]

وعليه فإن هذه بعض دلائل القرائن المرتبطة بدلالة فعل الأمر الوارد في الكلام، والتي وقف عليها علماء الأصول وبينوا المقصدية منها.

كما اختص النهي ودلالته عندهم بنفس العمل، وذلك أن النهي يقتضي ترك الفعل واجتنابه، وصيغة:(لا تفعل)، أو ما يقوم مقامها ،كالجمل الخبرية المستعملة في النهي، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ ﴾[4]، فهي جملةٌ خبريةٌ، قامت وجرت مجرى النهي المتقضي التحريم، فهي آية تحريم المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاعة والمحارم بالصهر[5]، والصيغة العامة للنهي هي الواردة على صيغة (لا تفعل)، وهي أيضاً متعلقة بقرائن دلاليةٍ موضحةً للمعنى كما في الأمر، ومن تلك الأغراض والقرائن:

1. **غرض التحريم**: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ ﴾[6]، فصيغة لا تفعل، (لا تنكحوا)، يُفهم من مدلولها التحريم، إذ حرم الله أن يتزوج المسلمة أحدٌ من المشركين، أو العكس.[7]

الكراهية: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾[8]، فاقتضت دلالة النهي ههنا ، مدلول الكراهة.

---

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق،ج4،ص: 182، و ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 42، و ص: 123.

[2] سورة نوح، الآية: 28.

[3] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم ، مصدر سابق، ج4،ص: 551.

[4] سورة النساء ،الآية: 23.

[5] ينظر: المصدر نفسه ،ج1، ص: 612.

[6] سورة البقرة، الآية: 221.

[7] ينظر: هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 196.

[8] سورة المائدة، الآية: 87.

الدعاء: وهذا كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾[1]، فيفهم من النهي «لا تزغ » على صيغة لا تفعل دلالة الدعاء.

التأدب: كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[2]،اذ دلت الآية على معنى: الأدب والتأدب.

إن الذي تقدم ذكره في أغراض الأمر والنهي، هي فقط على جهة التمثيل لا الحصر، وإن كانت في الأصل كثيرةٌ هي تلك الأغراض ومتعددة.

يقول أبو حامد الغزالي في هذا المقام: « إن هذه الأوجه عَدَّها الأصوليون شغفاً منهم بالتكثير وبعضها كالمتداخل...»[3]،بمعنى أن قد توجد نقاط تقاطعٍ وتداخلٍ بين تلك القرائن أو الأغراض الدلالية، سواءً ارتبط الأمر بالأمر أو النهي على السواء، ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾، فالسياق بها يحتمل دلالة التهديد، كما يحتمل أن يكون قريباً من الإنذار كذلك، ولا يوجد فرقٌ مثلاً بين الإرشاد والندب، إلا أن الإرشاد تنبيهٌ لمصلحةٍ دنيويةٍ، والندب لثوابِ الآخرة[4]، فأجملوا فيها القول ، ووضحوا تلك الأغراض الدلالية بما يناسبها من كلام رب العالمين، وكلام العرب.

وفي مسألتي: «اللفظ والمعنى» عندهم كلامٌ يطول، ذلك أنهم أولوا اللفظ الأولوية على حساب المعنى، باعتبار أن المعاني هي التي توجد في الفكر أولاً، ثم تقوم الألفاظ بعد ذلك بالتعبير عنها[5]، فاللفظ في نظر الأصوليين دليل الفكر لا غير، وهو خاضعٌ للتطور والتغير، لذا كان سعيهم من خلال جهودهم إلى تحديد دلالته. وأجد في هذا المقام العلامة الغزالي يقرر هذا بقوله:« فاعلم أن كل من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك...، ومن قرر المعاني أولاً في عقله، ثم أتبع المعاني الألفاظ، فقد اهتدى»[6]، فكانت الأولوية عندهم للألفاظ على حساب المعاني، ثم إن مما تقدم ذكره والإشارة إليه، قد تعلق أساساً بدلالتي الأمر والنهي عند الأصوليين في بحثهم الدلالي.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 08.

[2] سورة المدثر، الآية: 06.

[3] أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد عبدالسلام الشافي، دار الكتب، العلمية، بيروت، ط1، 199، ج1، ص: 419.

[4] ينظر: أحمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1996، ص: 91،92.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص: 141.

[6] أبي حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، مصدر سابق،ج1، ص: 21.

وفي دلالتي المنطوق والمفهوم أيضاً موضوعٌ دلاليٌ صِرفٌ في جهودهم، إذ عرفوا المنطوق أنَّه مادل عليه اللفظ في محل النطق[1]، وقصدوا بهذا أن اللفظ لا تتوقف استفادته عنه، إلاَّ حين النطق به، لا على الانتقال من معنى آخر إليه، وذلك في نحو دلالة آية سورة النساء المتقدمة مثلاً: وهذه آية المحرمات، دلت على تحريم من لا يجوز النكاح بهن ، كما تقدم ذكره، وهنا مثلاً في هذا الجزء، دلت على تحريم نكاح الربيبة في حجر الرجل من زوجته التي دُخل بها، فدلالة هذا الجزء أو القِسْمِ من آية التحريم المبنية لما يحرم على الرجل من النساء على تحريم الربيبة، وهي دلالة المنطوق[2].

وأما ما أرتبط بالمفهوم فعرفوه على أنه مادلَّ عليه اللفظ لا في محل النطق[3]، وذلك في قوله تعالى مثلاً: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4]، ولنقف هاهنا على المفهوم انطلاقاً من المنطوق، إذ دل منطوق الآية الكريمة، على عدم التأفف والنهْرِ للوالدين، ودلت على النهي، باعتبار أن الأصل وَجَبَ إكرامهما والإحسان إليهما، فمن هنا نفهم أن النهي هنا اقتضى دلالة التحريم، والحرمة في إيذائهما، فكل فعلٍ أو قولٍ يتضمن معنى الإيذاء لهما ،إلاَّ و دلَّ هذا النص بمفهومه وفحواه على النهي عليه، ولذا وضْعت القاعدة الأصولية، وعُمِلَ بها في التفسير؛ مفادها: أن الحكم في المسكوت عنه، أولى من حكم المنطوق به[5]، والقصد جليٌ من عِلِة الحرمة في هذا الأدنى من القول «أفٍ»، إذ تتجلى في كف الأذى عنهما، مراعاةً لحرمتهما[6]، وذلك أن التأفيف والنهر المنهي عنهما نطقاً، أقلُ شأناً من الإيذاء بالضرب أو الشتم، وبهذا يكون الضرب أو الشتم محرمين بمفهوم الموافقة، على أساس أن المفهوم في حد ذاته على ضربين: مفهومٌ بالموافقة، ومفهومٌ بالمخالفة، لأن المسكوت عنه أولى بالحكم (وهو الحُرمة)، من المنطوق به، إذْ إنَّ معنى الإيذاء والإهانة فيه، أي: في المسكوت عنه أوضحُ أو أشدُ منه في المنطوق به[7]، فكانت هذه بعض أهم معالم البحث الدلالي لدى العرب القدامى، وما تعلق به من قضايا وإشاراتٍ دلاليةٍ مهدت لنشأة معالم الدرس اللساني الحديث.

---

[1] ينظر: محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، ط1،2000، ص: 587.

[2] ينظر: محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر،ط 2008، ج1، ص: 591.

[3] ينظر: محمد بن علي الشوكاني ،إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مصدر سابق ،ص: 587.

[4] سورة الإسراء، الآية:23.

[5] ينظر: محمود توفيق محمد سعد، سُبل الاستنباط من الكتاب والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، طبعة2011، ص: 222.

[6] ينظر: محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ج1، ص: 519.

[7] ينظر: أحمد بن أبي سهل السرخسي، أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار لجنة إحياء المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1 ،1993، ج1، ص: 242.

2 ـــ مفهوم الدلالة عند العرب القدامى:

2 ـــ1 تعريف الدلالة في اللغة:

الدلالة في اللغة من قولهم :«دَلَّه على الشيء يَدلَه دلاً...»[1]، وهي لفظةٌ مشتقةٌ من الفعل "دلل"، وهو جِذْرٌ لها، وله أصلان؛كما يقول العلامة ابن فارس (ت 395هـــ): «أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء، فالأول دللت فلاناً على الطريق ، والدليل: الأمارة في الشيء ،وهو بين الدِّلالة والدَلالة ، والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشيء؛ إذا اضطرب» [2]، والدِّلالة بِكَسْر الدال، أو الدَّلالة بفتح الدال بمعنى واحد[3]، وفي قول ابن منظور(ت 711هـــ)، يُبين إلى ما يقصد بالدلالة من هديٍ وإرشادٍ، حيث يقول: «دلَّ فلانٌ إذا هدى، ودل إذا افتخر...دَل يدُل إذا هدى، ودل إذا مَنَّ بعطائه ...، والدل قريب المعنى من الهدي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك »[4]، ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله ، ودله على الصراط المستقيم، وتناصرت أدلة العقل وأدلة السمع، واستدل به عليه، وأقبلوا هدي الله دليلاه...[5]، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ ﴾[6]، وقوله تعالى :﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ ﴾[7]،ومن ذلك أيضاً، قوله تعالى على لسان أخت موسى عليه السلام: ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴾[8].

وعليه: يتبين لنا من خلال هذه النماذج النصية القرآنية السابقة، أنها ذات معنىً لغويٍ أساسيٍ واحدٍ، هو أن الدلالة تعني الهداية إلى الطريق والإرشاد إليه، ويتبين أيضاً أن لفظ: "دَلَ" بصيغه المختلفة بها إعانة للأصل اللغوي لهذا اللفظ ،وهو لا يختلف كثيراً عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته، باعتبار أنه إذا كان معنى اللفظ "دل" وما صِيغ منه في النص القرآني يعني الإرشاد والهداية والإعلام والإشارة والرمز، فإن المصطلح

---

[1] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، دت، مادة:"دلل"،ج3،ص:255.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط 1999،ج2، ص: 259.

[3] ينظر: ابن السكيت ، اصلاح المنطق ، تحقيق، أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون، ، دار المعارف، القاهرة ، ط2، ص: 111.

[4] ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق ، مادة: (دلل) ،ج11، ص: 248، 249.

[5] ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، بيروت لبنان، الطبعة1، 2008، مادة: "دلل"، ص: 201.

[6] سورة الصف ،الآية: 10.

[7] سورة القصص ،الآية: 11.

[8] سورة طه، الآية: 40.

العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يُضيف من تحليلٍ عميقٍ للفعل الدلالي ،كالبحث في البنية العميقة، والبنية السطحية عند تشومسكي ضمن نظريته التوليدية مثلاً[1]، ودلالة اللفظ هي هدايته إلى معناه ومفهومه، ونقصد بلفظ الدلالة هنا؛ المعنى، فكأنما قلنا: مدلول لفظ كذا ؛ أي: معناه هو كذا.

2 -2 تعريف الدلالة في الاصطلاح:

الدلالة في اصطلاح أهل اللغة ، هي كما عرفها الشريف الجرجاني:« كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأول الدال، والثاني هو المدلول»[2]، حيث نفهم من قول الجرجاني أن المعنى المفهومي الاصطلاحي للفظ "دلالة" قريبٌ جداً من المعنى اللغوي،وعرفه الراغب الإصفهاني الدلالة بقوله : « هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواءٌ كان ذلك بقصدٍ ممن يجعله دلالةً ، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنه حيٌ ، قال تعالى :﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[3] ، وأصل الدلالة مصدرٌ كالكتابة والأمارة، والدال من حَصَلَ منه ذلك »[4] .

ولو تتبعنا استعمال لفظ:"دَلَ" وما صيغ منه في معاجم اللغة المعروفة ،لألفينا دلالة لا تبتعد عن ذلك المجال الذي رسمه القرآن الكريم ، ومن هذه الاستعمالات ربما أجد أقرب تعريفٍ اصطلاحيٍ للدلالة في تراثنا العربي هو تعريف الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) الذي أشرت إليه سابقاً، بحيث إنه ليشير إلى العلم الذي يهدف إلى دراسة المعنى الذي يتحقق من الرموز الصوتية واللفظية والكتابية وغيرها ، حيث قال:« الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ،كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب...»[5]، وضرب مثلاً لذلك على أحد أنواع الدلالة في قوله تعالى :﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾[6]، حيث جسد ذلك بصورة سيدنا سليمان عليه السلام ، إذ وبعد وفاته ظل حولاً كاملاً منتصباً ومتكئاً على عصاه، وهذه الهيئة هي علامةٌ دالةً أولتها الجن بدلالة الحياة، ولذلك ظلت تسعى وتعمل كأنها

[1] ينظر: منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثهُ في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب،دمشق، الطبعة1، 2001، ،ص: 25، 26.

[2] الشريف الجرجاني، التعريفات ، مكتبة لبنان، ناشرون، د ط، دت، ص: 109.

[3] سورة سبأ، الآية:14.

[4] الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق: تديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، مطبعة التقدم العربي، بيروت، 1992، مادة (دل)، ج1،ص: 163

[5] المصدر نفسه ،ص:177.

[6] سورة سبأ، الآية: 14.

مأمورة ،غير أن الأمر هاهنا ليس بالنطق أو بالإشارة، وإنما كان الأمر بالهيئة أو بالنصبة، فالدلالة موضوعها دراسة كل ما يدل على شيءٍ ويتوصل به إلى معناه، وتُعُد الألفاظ هي أكثر الرموز اللغوية دلالةً على المعنى وأكثرها انتشاراً، وأدقها تعبيراً، وأسرعها فهماً، ومن ثمة فإن هذه المعاجم تُجمع بأن الدال والدليل هو المرشد والهادي على حُسْنِ سِمَتِهِ وهديه، وهيئته، واللفظ يرشد إلى المعنى ويهدي إليه، ودلالة اللفظ على المعنى في اصطلاح الأصوليين واتفاقهم تتمثل في ثلاثة أوجه هي:

المطابقة، والتضمن ، والالتزام.

فلو قلنا مثلاً لفظة:«بيت»، فإنها تدل على معنى البيت عن طريق دلالة المطابقة، وفي الوقت ذاته فهي دالةٌ على السقف وحده بطريق التضمن ، باعتبار أن البيت يتضمن السقف، أما عن طريق الالتزام فهو دلالة لفظ السقف على الحائط، إذْ ليس الحائط جزءاً من السقف، كما كان السقف جزءاً من البيت، وكما كان الحائط جزءاً من نفس البيت ، لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه[1]، ومن هنا نفهم أن الدلالة عند الأصوليين متمثلة في قضيتي «اللفظ والمعنى»، والعلاقة بينهما، وهي:« كون اللفظ بحيث إذا أرسل عُلِمَ منه المعنى للعلم ، بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى»[2] ، وينبثق لنا من هذا التعريف الموجز قضيتان أساسيتان:

أولهما: قضية اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما.

وثانيهما: قضية الاختلاف الحاصل في تحديد ماهية وتعريف الدلالة بين أهل اللغة والأصوليين والمناطقة، إذ يقول المناطقة مما جاء في قول الجرجاني:«هو كون الشيء»، ويقصدون بالشيء مطلق الأمر ، كقول الأصوليون: إنَّ الدلالة هي كون اللفظ...، ويقصدون باللفظ ما تحقق نطقه ، وتأكد في الأذن سماعه.

والأشياء التي تدل على غيرها كثيرةٌ منها اللفظية وغير اللفظية، وموضوع دراستي في هذا البحث هو الصنف الأول؛ أي: الدلالات اللفظية ، ودراسة ما تؤديه الألفاظ والعبارات من دلالةٍ على معانيها.

وإننا لنجد العلامة الجاحظ أول من تفطن وتنبه إلى أقسام هذه الأشياء الدالة على غيرها، وميزها إلى دلالاتٍ لفظيةٍ ،وأخرى غير لفظيةٍ، وفصل القول فيها لما قال في هذا:«...وجميع أصناف الدلالات على المعاني

[1] ينظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى ، مصدر سابق، ج1، ص: 74.

[2] محمود توفيق محمد سعد ، دلالة الألفاظ عند الأصوليين ، مطبعة الأمانة ، القاهرة، ط1، 1987، ص: 11.

من لفظٍ وغير لفظٍ خمسة أشياءٍ، لا تنقص ولا تزيد، أولهما: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة...»[1]،فالصنف الأول المتمثل في الدلالة اللفظية، يراد به دلالة اللفظ على معناه لا غير ،كدلالة لفظ الاسم مثلاً:«ذهبٌ» على ذلك المعدن النفيس، وكدلالة اللفظة ذاتها «ذهبَ»، على فعلٍ دل على التنقل من مكانٍ لآخر بحسب توظيف لفظة «ذهب» في متن الجملة.

والصنف الثاني الذي أشار إليه الجاحظ بقوله« وغير اللفظية»، وذكر أولهما: الخط، أي: الدلالة الخطية، إذ هي دلالة الرموز المخطوطة على ما تشير إليه من رموز، كدلالة خط: (ق.ل.م)، بمعنى كلمة – قلم – ،على ذلك اللفظ المعبر به عن تلك الأداة المستعملة في الكتابة والرسم ، ودلالة الإشارة الشيء الثاني عند الجاحظ متمثلة في بعض حركات أجزاء البدن مثلاً، كاليدين والرأس والحاجبين....، وهذه كلها حركاتٌ تدل على معانٍ معروفة ومتواضع عليها بين مستعمليها ، فدلالة الإيماء بالرأس، دالةٌ على معنى الموافقة أو الرفض مثلاً، وهذه تندرج ضمن الدلالة الاشارية التي هي شريكة دلالة اللفظ والمساعدة له، والنائبة عنه أحياناً.

أما دلالة العقد، فهي دلالةٌ استعملها العرب للحساب بالأصابع دون اللفظ و الخط، والقسم الموالي مما حدده الجاحظ، هو دلالة النصبة ، أو الحالة، فهي دلالة الهيئة العامة للشيء ، أو للشخص على معنى ما.

وزاد الجاحظ في توضيح هذا الصنف والنوع بقوله:« وأمَّا النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد»[2]، وهذا نفهم من خلال قوله أن الدلالة النصبية ،أو دلالة الحال هي تلك الوضعية القائمة مقام اللفظ ، أو الإشارة، أو هما معاً في أداء المعنى وبيانه.

[1] الجاحظ أبو عثمان عمر بن قنبر ،البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط7، 1998، ج1، ص: 76.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 81.

3ــ عناصر الدلالة وأنواعها عند العرب القدامى:

ا ــ عناصر الدلالة:

متفقٌ على أن اللغة هي جماع عنصرين أساسين هما : الألفاظ و المعاني، إذ متى عُرف اللفظ ، توصلنا إلى الفهم السليم له وإدراك معناه ، ومن هنا كان للدلالة ثلاثة عناصرٍ متوقفةً في وظيفتها عليها ، وهذه العناصر كآلاتي:

1- الدال «signifiant »: وهو الصورة الصوتية ، وأداة الإشارة إلى الفكرة الذهنية المجردة [1]، ويتعدد هذا الدال من صورته المنطوقة أو المكتوبة، أو المركبة ، كما قد يكون شكلاً أو إشارة ، ولا يفهم هاهنا من حدّ تعريف دي سوير على أنه الصورة الصوتية فحسب ، و المتمثلة في الصوت الفيزيائي فقط ، بل قد يتعدى الفهم إلى الأثر النفسي الناتج من هذا الدال ، وما يرافقه من أصوات لها أثرٌ في الذهن .

2- المدلول «signifie» : و يعرفه دي سوسير على أنه : « التصور»[2]، أو الصورة المفهومية التي تعبر عن التصور الذهني [3] ، الذي يحيلها الدال ، ومن ثمة فهو الفكرة أو المفهوم "المعنى" الذي يحمله الدال ويعبر عنه ، فليس المدلول هو الشيء ، بل هو ذلك الأثر النفسي الحاصل للدال.

فمثلاً كلمات : لؤلؤ ، و نرجس و ورد و العناب و البرد، في قول الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ و سقت   ورداً و عضت على العنابِ بالبردِ [4] .

هي كلمات لا تحمل معنى المطابقة للأشياء المتوافرة في عالمنا الخارجي، بل هي منطويةٌ على تمثلاتٍ نفسيةٍ لهذه المسميات، موجودةٌ لدى الفرد.

3- العلاقة (النسبة) : و يقصد بهذا العنصر تلك العلاقة القائمة الكامنة بين الشيء (الدال)، و مدلوله ، أي: بين اللفظ و المعنى ، فهي علاقة بين صورتين «صوتية و ذهنية» ، وبحصولها يتم الفهم و الإدراك ، و تسمى أيضاً "العلاقة الدلالية" ، وعليه فإن ما يفهم مما تقدم ذكره، أن الدلالة هي كيانٌ نفسي رابطٌ بين

---

[1] ينظر: فردان دي سوسير محاضرات في الالسنية العامة ، ، ترجمة : يوسف غازي ، و مجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ط1 ، 1986 ص: 81 ،و ص: 139 .

[2] المرجع نفسه، ص: 88 .

[3] ينظر : أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر بيروت ، ط 2 ، 1999 م ، ص: 18 .

[4] ينظر: مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ،دار القلم ، بيروت ، لبنان ،د ط ،د ت ، ص :249 .

تصور ذهني، وصورةٍ صوتيةٍ، أو شكلٍ آخر من أشكال ما يحصل به التواصل و الإتصال ، ولا يمكن فصل الصوت عن فكرة الذهن ، فمتى حضر الأول ، استدعى بالضرورة حضور الثاني، والعكس .

ب- أنواع الدلالة :

من بين اهتمامات علم الدلالة ، تركيزه على دراسة الرمز اللغوي بشكلٍ دقيقٍ، باعتبار أن له خصائص تميزه عن غيره من بقية الرموز، ومن بين الخصائص المميزة له ، أن له بُعداً نطقياً ، و آخر فيزيائياً ، وثالثاً سمعياً ، وغير ذلك، وهذه الأبعاد على النحو التالي:

المستوى الصوتي phonétique

ثم بعداً صرفياً morphological

و بعداً تركيبياً (المستوى النحوي) gramatical،

وبعداً معجمياً وبعداً معجمياً

وبعداً سياقياً contixtical

و بعدا اجتماعياً .

وبهذه الأبعاد المتداخلة ، تتعدد الدلالات ، وتختلف مستوياتها ، تبعاً لتنوع الدرس اللغوي، لكن أصل تقسيم علماء اللغة للدلالة، مرده بحسب مصدرها إلى أربعة أنواعٍ:

(صوت + صرف + نحو + معجم)

وفي الآتي ذكر ما يتعلق بهذه الأنواع مثل ما أشار إليه تمام حسان : « إن كل دراسةٍ لغويةٍ لا بد أن تتجه إلى المعنى، فالمعنى هو الهدف المركزي الذي تصوّب إليه سهام الدراسة من كل جانبٍ، على النحو المبين في الشكل التالي:

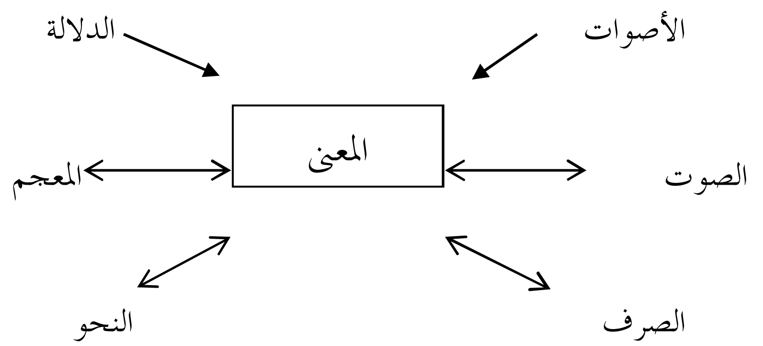

وهكذا يصبح مُبَضعاً، و يستقل كل فرعٍ من فروع الدراسات اللغوية ببضعةٍ من هذا المعنى توضحه ، وتبين عنه ، وتعين على كشفه ، بقطع النظر عما إذا كانت هذه البضعة مما يتصور فهمه مُستقلاً عن الهيكل العام للمعنى المركب ، أم لا »[1]، وبذلك تتحقق الدراسة العلمية الدلالية للمعاني المستنبطة من الألفاظ والمفردات.

4 ـــ اصطلاحية الدلالة واعتباطية الدال والمدلول:

من خلال ما سبق؛ وما أشرت إليه من جهود علماء العربية القدامى، تظهر لنا بعض ملامح الخلاف الواقع حول قضية الاصطلاح والتواضع في اللغة، بين النفي والإثبات، وأساس هذا الخلاف الجوهري بينهم، هو فَهْمُ كلٍ منهم فَهماً مغايراً لغيره للدليل المستدل به، والوارد في قوله جلا جلاله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2]،وهذا بُغية إثبات كُلاً منهم دعوى رأيه وموقفه من القضية.

وأحاول جاهداً استعراض بعض الآراء والحجج التي أدلى بها بعض علماء العربية وتحليلها واستنتاج المغزى منها.

1- يورد ابن فارس وإتباعه في الرأي أدلةً نقليةً وعقليةً لإثبات توقيفية اللغة، وينفون صفة الاصطلاحية والتواضع عنها، وهذا ما يفهم من تمسكهم بما « يُرْوى عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، من أنه كان يفسر الأسماء بأسماء الأشياء؛ من نباتٍ وحيوانٍ وجمادٍ، وهكذا يرون أن الله تعالى علم آدم اللغة المألوفة لنا وألفاظها، واختص الأسماء بالذكر دون الأفعال أو الحروف، لأنها في رأيهم أساس اللغات»[3]، وهذا دليلٌ نقليٌ.

أمَّا الدليل العقلي منهم حينما نجدهم يُورِدَون إجماع العلماء على الاحتجاج والاستشهاد بلغة العرب، معتبرين إيَّاها أنها اللغة الأم التي لا يمكن الخروج عنها، ولا الاحتجاج بغيرها، يقول إبـــــراهيم أنيس: « ولو كانت اللغة مُوَاضَعةً واصطلاحاً ، لم يكن العرب في الاحتجاج بهم بأولى مِنَا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم، مما يدل على أن تلك اللغة التي رُوِيَتْ، والتي ليس لنا أن نُغَير منها، أو نُبَدل، هي أمرٌ توقيفيٌ ، ومن

1 تمام حسان ، اللغة بين الوصفية و المعيارية ، دار الكتب ، القاهرة ، ط 4 ، 2001 ،ص: 118 .

2 سورة البقرة، الآية: 31.

3 إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2،1963، ص: 16.

واجبنا أن نلتزم حدودها »[1]، لكن مما يؤخذ على هذا الدليل أن كون الاحتجاج عند العرب لم يكن شاملاً لجميع اللغة، بل أحياناً كان مقتصراً على الفصيح فقط.

وهذا الفصيح الخالص كان قائماً على السَليقة، والدليل على وجود المواضعة أو الاصطلاح، أنه وبعد فساد ملكة اللسان عند العنصر العربي، بسبب مخالطته للعجم، أو الأمم الأخرى، أُمِّرَ أبو الأسود الدؤلي بوضع ضوابطَ يُصلح الناسُ بها ألسنتهم ، وتُعَرب بها حروف وكلمات القرآن الكريم، فكان من وضع النحو العربي، حيث جاء هذا النحو العربي بمصطلحاتٍ وألفاظٍ لم تُعْرف عند العرب في السابق قبل الذين إحْتَج اللغويون بكلامهم[2]، ولنا أن نقدم هنا دليلٌ مفاده؛ أن أحد فُحصاء العرب سُمِعَ يَنْشد قول القائل: نَحنُ بَنَي علقمة الأخيارَا، فلما قيل له لِمَ نصبت بَنَي ؟ استغربَ وأنكر أن يكون قد نصبه، وهذا الاستغراب صادرٌ منه لعدم معرفته بهذا المصطلح النحوي الجديد الذي هو: النَصْبُ.

إنَّ طبيعة هذا الاختلاف الواقع بين فريق أهل توقيف اللغة، وفريق أصحاب الاصطلاح؛ مَردُه في الأساس هو اعتماد كلٍ منهم خاصيةً يبنى على أساسها تفسير للآية السابقة، وهي قوله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، فيذهب القائلون بالتوفيق إلى أن صيغة الفعل الماضي(عَلَمَ) يُفْهَم من خلال سياقها أنها حَامِلَةً لِميزة الدلالة التلقينية، وهذا ما اعتمده ابن فارس، وعبد الله بن عباس، وأبو الحسن الأشعري، ومجاهد بن جَبر المكي، وسعيد بن جُبير، والربيع بن أنس، وعبد الرحمان بن زيد وابن درستوية وغيرهم[3].

هذا وبالرغم من كون اتفاقهم على هذه الميزة، وهي ميزة الدلالة التلقينية، لكنهم اختلفوا في صفاتها بين التلقين الشامل، والتلقين الجزئي، فابن فارس ومن سار معه في الرأي مثلاً ، يقول أن الفعل الماضي:(عَلَمَ) يحمل سِمةً جزئيةً في كونه علمه أسماء ذريته كلهم فقط، بينما ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن كثير يرون أن الفعل الماضي (عَلَمَ) يحمل سِمة الشمول في التعليم[4]، وبذلك فسروا وكشفوا تلك الاصطلاحية، واعتباطية الدال والمدلول.

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص: 16.

[2] ينظر: عبدالجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية، مؤسسة الأشرف للطباعة،بيروت، الطبعة الأولى،1988، ص: 77.

[3] ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ، مصدر سابق، ج1، ص:35.

[4] عبدالقادر عبدالجليل ، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1،ص: 47

5 ـــ اللفظ والمعنى وإشكالية تداخل المصطلحات:

إن قضية اللفظ والمعنى من أولى اهتمامات البحث اللغوي عموماً، وهي بؤرة الدرس الدلالي بوجهٍ خاصٍ، وهي كذلك من القضايا المهمة التي شغلت الفكر الإنساني لما لها من ارتباطٍ بوظيفة اللغة في الإتصال والتواصل.

ولما كانت قضية اللفظ والمعنى محور اهتمام البحث اللغوي، فإن علماء اللغة العربية وغيرهم عالجوها بالتدقيق، باعتبار أن القضية لها أثرٌ واضحٌ في بيان أحكام الدين، وفهم روح العقيدة فهماً سليماً، وهذه هي العلة والتفسير العلمي المنهجي الذي جعل الكثير من الفقهاء وأهل الأصول والتفسير يبدأون تأليفهم بدراسة اللفظ والمعنى، وقد وضحوا المسألة جزاهم الله خيراً، وقتلوها بحثاً وتمحيصاً.

ولو أمعنا النظر، وأعملنا الفكر في تراثنا العربي باحثين عن هذه القضية، لوجدناها محصورةً ضمن زمرة من المصطلحات التي تداولها علماؤنا في جهودهم وكتبهم مثل اللفظ والمعنى، والمشار إليه في التصور، الدال، المدلول، الفكر، الأشياء...[1]، كما نجدهم يَتْصدون بهذه المسميات لقضية اللفظ والمعنى.

ومن خلال بيان حَدِّ هذه المصطلحات المتداولة عندهم، فإن اللفظ هو ما يخرج من الفم من أصواتٍ – وهو من الكلام– ولفظت به لكلامٍ وتلفظت به، أي: تكلمت به، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾[2]، وفي عُرفِ اللغويين هو ما يخرج من الفم في صورة أصواتٍ لكلماتٍ ورموزٍ له، بأشكال كتابته للدلالة على منطوقٍ له معنىً.

وقد أستخدم علماء العربية مصطلحاتٍ مغايرةٍ بمعنى اللفظ منها: الكلمة، القول، الكلام الملفوظ،أما الدال siqnifiant فهو الصورة السمعية عند المتلقي، وهو الصيغة الخارجية للكلمة، ويصح أن نُعبر عنه بالرمز الذي يشير إلى معنىً في النفوس، ويستدل عليه به، وله عِدِة مجسداتٍ يُمثل بها مثل: اللفظ، أو الرمز اللغوي Symdol، أو الرمز الكتابي الذي يشير إلى معنىً ذهنيٍ، كالحروف والأعداد، ويتمثل أيضاً في رموزٍ غير لغويةٍ كالصور والحركات والهيئات والأصوات الدالة على المعنى[3].

---

[1] ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة، دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، دط، 2006، ص: 23.

[2] سورة ق، الآية 18.

[3] ينظر: محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة:2002 ، ص: 18-23.

وأما المعنى: Meaning فهو القصد الذي تضمره النفوس، ويظهر أثر معناه في الشيء إذا بُحث عنه، مثل معنى الكلام، أو معنى الشِّعر، ويصح أن نقول عنه بصيغةٍ أخرى، إنّه إظهار ما تضمنه اللفظ، أي: ما تحمله النفس من الدلالة على أشياءٍ حسيةٍ كانت أو معنويةٍ، وتتجسد هذه المعاني خارج النفس في صورةٍ رمزيةٍ صوتيةٍ، أو كتابيةٍ أو حركاتٍ تعبيريةٍ، وصورٍ رمزيةٍ.[1]

والمدلول: signifis هو التصور الذهني الذي تثيره الصورة السمعية في ذهن المتلقي (المستمع)، والتي تشمل جميع أفراد الجنس، أو هو شمول المعنى المجرد والصفات المشتركة بين أفراد الجنس، ويصح أن نُسميه المفهوم، ونُعبر عنه أيضاً بالذي يحمله القالب بوضعِ الواضع ، أو غير ذلك من سياقات الاستعمال اللغوي.[2]

وأمَّا الفكرة Thouqhr فهي تلك الصورة الذهنية لأمرٍ ما، أو لشيءٍ، سواءً معنوياً أم حساً مدركاً؛ فقد يدرك الإنسان الشيء المعنوي من خلال المعلومات التي تقدم إليه، مثل شعوره بالموت من خلال معاينة شخصٍ يموت، أو ميت، وأمَّا الأمور الحسية فالأفكار تتكون حولها، والمجسدة لصورة الشيء كما هي في الواقع.

ثم إن المعنى والفكرة لا يتطابقان تطابقاً تاماً، وإن كان أحدهما؛ أي: المعنى جزءاً من الآخر (الفكرة)، فإن المعنى يستدعيه الرمز الذي يرمز إلى الشيء، بينما الفكرة يستدعيها الشيء نفسه، فنحن مثلاُ عند رؤيتنا لصورة شجرةٍ لايصرح بمعناها، لكن كل ما يمكن القيام به هو استرجاع المعلومات الذهنية، أو الأفكار المتحلقة بالصورة ولكن رمز (شجر)، يستدعي جزءاً يسيراً من تلك المعلومات، لا يتخطى تعريفها على كون أنها نباتٌ فحسب، بل ربما استخدمنا ألفاظاً أخرى تمنحنا أفكاراً جديدة، فنقول مثلاً: شجرةُ التفاحِ مثلاً، لنحدد المراد أو لنتعرف عليها من خلال الرسم أو الصورة.[3]

ومن هنا تظهر لنا إشكالية تداخل المصطلحات وإلتقائها، وفي الحقيقة أن مسألة التفرقة العملية بين الدلالة والمعنى ، أو الدلالة والرمز، لأمرٌ عسير التحديد؛ لعِلة تداخل مباحثها لدى العلماء اللغويين قديماً و حديثاً، حتى أنه أحياناً أدى هذا التداخل إلى جواز استعمال اللفظين؛ أي: الدلالة والمعنى بمفهومٍ واحدٍ، وهذا ما أشار إليه التهانوي في مقدمة كتابة قائلاً: «... ولعل علم الدلالة أو حقل المعنى من أدق العلوم في

---

[1] ينظر: محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مرجع سابق، ص:20.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:21.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 19-21.

الدراسات اللغوية»[1] فنراه هنا يجعل الدلالة والمعنى وكأنهما مترادفين ، إلا أن منهجية ومقتضيات البحث العلمي الأكاديمي تفرض علينا لزاماً التفرقة بين معالم الدلالة، والمعنى أو الدلالة وغيرها.

فلو سلمنا واعتبرنا أن علم الدلالة Sematics هو العلم الذي يدرس المعنى[2]، أو هو علمٌ يُعنى ويهتم بدراسة العلاقة بين الدال والمدلول، واللفظ ومعناه، ويبحث في القصد[3]، فإن إرتباط الدراسة الدلالية في الدرس اللغوي العربي في أساسه دراسةٌ للمعنى لا غير.

لكن الشيء المهم هنا من هذا المقام، هو أننا لا نكاد نجد لدى علمائنا العرب القدامى تحديداً دقيقاً واضحاً لماهية المعنى، إلاَّ ما تمثل في بعض الإشارات، مثل ما جاء على لسان ابن فارس مثلاً، من كون « أن المعنى هو القصد والمراد، يقال عَنَيْتُ بالكلام كذا، أي: قصدت وعمدت...، وقال قومٌ: اشتقاق المعنى من الإظهار يقال: عَنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته...، قال الفراء لم تعن بلادٌ بشيءٍ، إذا لم تنبت، وحكى ابن السكيت لم تَعْنَ من عَنَتْ تعني، فإن كان هذا، فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيده اللفظ»[4].

وأشار كذلك إلى ما تقدم به الزبيدي في تاج العروس بقولٍ للفارابي:« ومعنى الشيء ومعناته واحدٌ، ومعناه وفحواه ومقتضاه، ومضمونه، كله هو ما يدل عليه اللفظ... ،وهو ما لا يكون للسان فيه حظٌ، إنما هو المعنى يُعرف بالقلب».[5]

فأجد هنا أن الزبيدي لا يفرق بين المعنى والفحوى والمقتضى، والمضمون، ويعتبر كل هذا هو ما دل على لفظٍ.

وذكر الزبيدي راوياً عن المناوي قوله: « المعاني هي الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ»[6] ومن ثمة فإن الصور الحاصلة في العقل من حيث إنها تقصد باللفظ هي المعنى، وعلماء علم اللغة يقررون أن

[1] محمد علي التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ج1، ص:73.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، ط5، 1998، ص: 11،12.

[3] ينظر: محمود السعران، علم اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، ط3، ص: 261.

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، مصدر سابق، ج1، ص: 192،193.

[5] الزبيدي، تاج العروس من جوامع القاموس ، تحقيق: علي شير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1994، ج 19، ص: 711.

[6] ينظر: المصدر نفسه، مادة: (معنى)، ج19 ،ص: 711.

الشيء له في الوجود أربعة مراتب: الأولى حقيقته في النفس، والثانية ثبوت حقيقته في الذهن ، والثالثة تأليف صوتٍ بحروفٍ تدل عليه، والرابعة: إدراكٌ بحاسة البصر ،أي: الكتابة[1].

وعليه فإن الصورة الحاصلة من حيث قصدها باللفظ تسمى معنًى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوماً، ومن حيث إنها مقولة في جوابِ ما هو؟ تسمى ماهيةً، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى الحقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هويةً.[2]

ومن بيان ماقصده الزبيدي من هذه التوضيحات التفريقية يمكن لي عرض الشكل الآتي:

1. المعاني: الصورة الذهنية

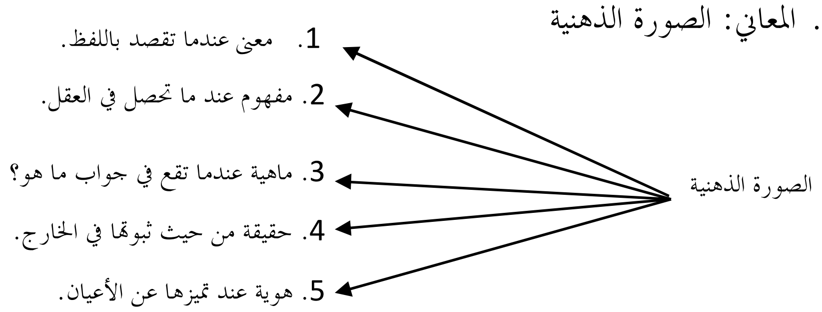

وما أخلص إليه من هذا الشكل، أن كل هذه التفريعات هي ممثلةٌ للصورة الذهنية التي تعني «المعنى» ، ومن هنا صح لنا القول بناءً على ما تقدم ذكره أن علماؤنا القدامى لم يقدموا تعريفاً دقيقاً واضحاً للمعنى.

ويحدد عبد القاهر الجرجاني مفهوماً للمعنى مقتبساً إياه من وظيفة اللفظ ودلالته الوضعية حيث عرفه:« هو المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة»[3]، إذ أعطى المفهوم المعنى صيغةً واضحةً بلا واسطةٍ.

ومن خلال هذه الإشارات المتفرقة في تراثنا العربي، والتي حاولتْ تحديد حَد المعنى هو أنّ المعنى محور وبؤرة الدراسة في علم الدلالة، إلاَّ أنّه يصعب تعريفه، الأمر الذي أدى إلى التباين والإختلاف في الآراء والتوجهات، خصوصاً مع كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال المعرفي، والتي لم يتواضع بعد على معناها.

[1] ينظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى، مصدر سابق، ج1، ص: 62.
[2] ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، مصدر سابق، مج19، ص: 712.
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ، ص: 203.

وفي تركيزي على استعمال مصطلح علم الدلالة، بدلاً من علم المعاني، أو المعنى أو الرمز، فلهذا تعليلاتٌ وعواملٌ كثيرةٌ، لعل أبرزها: شيوعُ مصطلح علم الدلالة في مصنفاتٍ عربيةٍ قديمةٍ متصلةٍ بمجالاتٍ تقترب من ماهية هذا العلم من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإن المصطلحين – الرمز، والمعنى- على اشتقاقاتٍ فرعيةٍ كالتالي يوفرها مصطلح علم الدلالة: «دال الدال، المدلول، الدليل».

بالإضافة إلى أن مصطلح الرمز يخص عِلماً قائماً بذاته، يعرف في المصطلح العربي بعلم السميائية Lasémiqtique ، باعتبار أن هذا الأخير له صلةٌ بكل ما يختص بالأنظمة التواصلية مهما كان مصدرها ونوعها، ويسمى كذلك علم الإشارات، إذاً فهو مهتمٌ بالبحث في دراسة علم الإشارة، بينما علم الدلالة يتناول معاني اللغة البشرية.[1]

وهنا وَجب علينا بيان التفرقة بين علم الدلالة والمعجمية Lexicogrphie ، ويدعى كذلك علم المعجمية، فهذا الأخير ينظر ويهتم بالبحث في نسق ونظام ترتيب الكلمات، وإيراد الألفاظ بعضها خلف بعضٍ ، بعد حصر أكبر كمٍ منها، وحكاية معانيها، كما هي مرويةً أو مسموعةً من العرب دون تعليقٍ عليها، أو تقديم تفسيرٍ أو تعليلٍ لها.

أمَا علم الدلالة فإنه يُعنى بدراسة ما بين معاني الكلمات من وشائج و صِلاتٍ، ويأتي بالمعاني في إطاراتٍ وأبوابٍ وفصائلٍ ،كما ينظر في طبيعة العلاقة بين المعاني وأصوات اللفظ، أوبين المعنى والقالب الصرفي اللفظ، كما يتتبع مراحل تطور المعاني ودلالات الكلمات عبر العصور التاريخية للغة.[2]

ومن هنا نستنتج أن علم الدلالة مختصٌ بوصف معاني الكلمات كما هي مسجلةً ومدونةً في المعاجم، أما علم دلالة المعجم فهو يختص بتثبيت قواعد المعجمية.

6ــ التفرقة بين مصطلحي: «الدلالة والمعنى».

سبق لي وأن أشرت إلى ماهية الدلالة عند علماء العربية القدامى، وبيان موضوع دراستها وأقسامها، والحق أن الدلالة مصطلحٌ قديمٌ لم يقتصر في استعماله عند أهل اللغة فحسب، بل تداوله أهل المنطق والفلسفة

---

[1] ينظر: عبد الغفار حامد هلالي، علم الدلالة اللغوية، دار الكتاب الحديث،ط 2013، ص: 10-25.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 5-10.

والبلاغة والكلام، كمصطلحٍ علميٍ، وما استخدام اللغويين له بكثرةٍ، إلاّ لتحديد القرينة اللفظية أو المعنوية المتمثلة في السياق، ولهذا جعلها النحاة وعدوها عِلةً من العلل الأربع والعشرين في النحو[1].

والباحث في حدود ماهية المصطلحين، يقف بكثرةٍ على تلك الفوارق بين المصطلحين، في كتب المصنفات التراثية العربية، فها هو مثلاً ابن فارس يتطرق إلى دراسة المعاني اللغوية من خلال التعبير عن الماهيات المعرفية ، وأسهم في هذا إسهاماً جلياً في عقده في مؤلفه الصاحبي في فقه اللغة، باباً مفرداً فصَل فيه بين تلك الحدود المعرفية، إذ عنونه بقوله:« بابُ معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء» ، ويقصد بهذا التفرقة بين ما أشار إليه بقوله: «... ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى ،و التفسير، والتأويل، وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة...»[2]، معتبَراً بهذه التصنيفات أن المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجهٍ دون وجهٍ، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد.[3]

يقول ابن فارس موضحاً: « فأمَّا المعنى فهو القصد والمراد،.... وأمَّا التفسير فإنه التفصيل، أمَّا التأويل فآخر الأمر وعاقبته...»[4]. وقد وافقه على هذا الطرح غير واحدٍ من أهل اللغة والبلاغة.[5]

كما أشير هنا أيضاً إلى مسألة تداول النحاة لمصطلح « المعنى» قاصدين به التعبير عن مفهوم الوظيفة، وإن كان اختلافهم في مفهوم الوظيفة، فإن هذا مرده إلى دلالة اللفظ من حيث المعجم، في حين أن جُلَّ النحاة القدامى كانوا في أطروحاتهم وتعليلاتهم محيطين بخصائص الوظيفة النحوية من جهة المضمون، من حيث الاصطلاح، وذلك من خلال لفظ المعنى في أصله.[6]

ومن هنا قد تبرز لنا بعض معالم التفرقة بين المصطلحين، خصوصاً إذا لاحظنا ذلك التقسيم النحوي عندهم للدلالة قاصدين بها المعنى، وإن هذا التقسيم النحوي للدلالة، ما هو إلا دراسةً موسعةً للجملة العربية وقضاياها، وطبيعة دلالتها على المعنى، ويتجلى هذا في اتجاهين وقسمين صادرين عن الدراسة النحوية الدلالية هما:

---

[1] ينظر: مشكور كاظم العوادي، البحث الدلالي عند ابن سينا، دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، دار المعارف، بيروت، 1986، ص: 36،38.

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها،مصدر سابق، ص: 312.

[3] ينظر: أبو هلال العسكري ،كتاب الفروق، تحقيق محمد باسل وعيون السود، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، ط2،2003، ص: 22.

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، مصدر سابق، ص: 314، و ينظر: أبوهلال العسكري، الفروق اللغوية، مصدر سابق، مادتي: "التأويل" ، و"التفسير"، ص: 43.

[5] ينظر: أبو القاسم جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة، ، مصدر سابق، ص: 315.

[6] ينظر: مشكور كاضم العودي ، البحث الدلالي عند ابن سينا دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات ، مرجع سابق، ص: 47.

1. **الدلالة القطعية والاحتمالية:** والتي تتضمن تعبيراً نصياً قاطعاً والأعلى معنىً واحداً ، بالمقابل الدلالة الاحتمالية، فوظيفتها تتضح لنا خلال مسماها، فهي تعبيرٌ دالٌ على أكثر من معنى، وهذا أساسٌ في طبيعة الدلالة العربية للجملة النحوية، ولو ضيقنا واسعاً، وقلنا أن مصطلح الدلالة قد يبرز من جهة الوظيفة النحوية، وفي هذا يقول الأشموني – مُمَثِلاً لما تقدم- في شرحه على ألفية ابن مالك «... النصب في نحو ذنوب ماءً و جُبُ عسلاً ، أولى من الجر، لأن النصب يدل على أن المتكلم أرادَ أن عنده ما يملأُ الوعاء المذكور من الجنس المذكور، وأمّا الجر فيحتمل أن يكون مراده ذلك، وأن يكون مراده بيان أن عنده الوعاء الصالح لذلك....»[1]، فهو بهذا المثال يصنع تفرقةً منهجيةً بين كلا الدلالتين القطعية الثابت نصها، الدالة على معنىً واحدٍ، والإحتمالية المتغير مرادها، والدالة على أكثر من معنى.

2. **الدلالة الظاهرة المعنى، والدلالة الباطنة المعنى:** والتي من خلالهما يعمد النحوي إلى النظر في دلالة اللفظ من حيث قصده، أو اصطلاحه ومواضعته، وهي بمعنى أن الدلالة على المعنى الظاهر تتم بموجب تواضع مستعملي اللغة[2]، ومن جهةٍ أخرى دلت أيضاً على تلك الاعتباطية في العلاقة بين الدال ومدلوله – كما تقدم- من العلامة اللغوية، أي: بمعنى آخر- أنه لا يتم التوصل إلى المراد من اللفظ إلاّ بالرجوع إلى الإفادة والاستعمال والوقوف عندهما، ويرى فريقٌ من الباحثين أن مصطلح الدلالة، مصطلحٌ متصفٌ بالاتساع والشمول، باعتبار دلالة الكلمة المبهمة، والواسعة المعاني واحتوائها للمعاني المتنوعة.[3]

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الدلالة هي ذلك المجموع من المعاني اللغوية التي احتوتها الكلمة، فتكون المفردة الكلامية مكونةً من مجموعة المعاني المترابطة بها في المعجم، والتمثيل الدلالي العائد إلى معانيها، وأما المعنى فهو مرتبطٌ ومتعلقٌ بالإشارة إلى دلالةٍ معينةٍ من ضمن تلك المجموعة من الدلالات المقترنة بالكلمة.

7ـــ دراسة اللفظ و مشكلاته:

من المعلوم أن الدرسات اللغوية في مجال المعنى كانت منصبةً نحو الألفاظ و قضاياها ، وسبق أن بنيت أن الأعمال اللغوية المبكرة لدى العرب، كانت في صميم قضايا الدلالة أيضاً ، إذ تمثلت في علوم الحديث، و شؤون التفسير، و مشكل القرآن، و مجازه، و التآليف في الوجوه و النظائر و الغريب، لكن سرعان ما توزعت هذه القضايا في مجال الدلالة إلى عدة فروع ، قامت جميعها على أساس ثنائية اللفظ و المعنى ، ومن

[1] الأشموني، شرح الأشموني، على ألفية ابن مالك ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، دط، دت، ص: 263.

[2] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص: 173.

[3] ينظر: مشكور كاظم العوادي، البحث الدلالي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: 49.

هذه القضايا؛ الترادف ، و الأضداد ، و المشترك اللفظي، و المعرب و الدخيل، و الاشتقاق، و المولد و النحت، و غير هذا من أقسام المعنى ، و ارتباطاتها باللغة ، وإن كانت عملية ضبط المصحف الشريف، قبل هذه التوزيعات ،هي في حد ذاتها عملية دلالية محضة، وهذا أشرت إليه فيما تقدم من هذا البحث ، باعتبار أن كل مساسٍ بالضبط يؤدي إلى المساس كذلك بوظيفة الكلمة (اللفظة)، و من ثمة حتماً يتغير المعنى ، ثم إن كل هذه الجهود العلمية الرائدة في هذا الحقل، لهي بمثابةِ اللبنة الأولى لقيام صرح نظرية المعنى في التراث العربي.

وفي وقتٍ مبكرٍ كذلك ؛أي: حوالي القرن الثاني الهجري ، ظهرت حركة التأليف المعجمي الموضوعي ، فحرص علماؤنا على جمع تلك الألفاظ ، وسعوا بذلك إلى تصنيفها ، و بيان معانيها ، و هذا شيءٌ بارزٌ في تلك الرسائل الدلالية عندهم، و التي كانت تُعْنَى بجمع ألفاظ الموضوع الواحد، من مفرداتٍ متعلقةٍ مثلاً بحقل النبات، أو الحيوان ،أو الإنسان أو المطر...، وههنا يمكن أن نوزع هذه الأشكال التي صنفوا فيها و ألفوها إلى نوعين :

النوع الأول : جهودٌ اقتصرت على مجالٍ دلاليٍ واحدٍ ، كالرسائل اللغوية الصغيرة ، ولعل أبرز من اشتغلوا على هذا النوع نجد: أبو مالك عمرو بن كركرة ، إذا ألف في خلق الإنسان و الخيل ، و كذا أبو خيرة الأعرابي ، الذي ألّف في الحشرات و السلاح ، والنظر بن شميل و مؤلفه في النخل و الإبل و خلق الإنسان ، وكذا أبي زيدٍ الأنصاري في الزرع ، و اشتغل أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء على عِدة رسائل في الأيام و الليالي و الشهور و المنقوص و الممدود و المؤنث و المذكر، و غير ذلك .

النوع الثاني : وهو عبارة عن جهودٍ اشتملت على أكثر من مجالٍ دلاليٍ، ومنها : كتب الصفات التي تتناول صفات الإنسان الخَلقِية و الخُلُقية ، و كذا كتب الغريب ، و كتب الألفاظ ، وفي هذا النوع نجد كتاب الصفات للنظر بن شميل ،و كذا مؤلف الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، و كذا كتابي: السرج و اللثام و المطر و السحاب لابن دريد [1]، وغير ذلك كثيرٌ.

وفي المرحلة نفسها أيضاً، ظهر ما يعرف عندهم قديماً بالتصنيف الصَرفي ، وهو بابٌ سعى فيه العلماء إلى تأليف الرسائل المتعلقة بمجال الصرف و النحو في اللغة، كرسائل الهمز و الأبنية ، كَفَعِلْتُ ، و أَفْعَلْتَ و غيرها [2]، و بعد هذا اشتغل البعض منهم على ما يعرف بمعاجم الموضوعات ، و التي اشتملت على مجالاتٍ

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1971م ،ص: 203-204

[2] ينظر : أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، بيروت، ط :1 ،1416 هـ 1996 م ص :306 .

دلاليةٍ في كثيرٍ من الحقول ، وتعتبر هذه الوجهة منهم نحو المعجمية، هي من صميم الدرس الدلالي اليوم ، ومن هذه المعاجم أذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمداني، و المخصص لابن سيده ، وفقه اللغة و سر العربية لأبي منصور الثعالبي[1].

و في مرحلةٍ تاليةٍ أعقبت هذه التصانيف ، شهدت فيها حركةُ دراسة الألفاظ توسعاً جدُ هامٍ ، تمثل في تطور المناهج ، وتُوّجت بظهور أصحاب المدارس القاموسية، من خلال معجماتهم اللغوية الجامعة الهادفة إلى جمع الثروة اللفظية و المحافظة عليها ، وما لسان العرب لابن منظور، إلاّ خيرُ دليلٍ على الجهد المبذول في هذه المرحلة ،حيث أضاف إلى العمل المعجمي الاهتمام البالغ بقضايا الألفاظ و استعمالها، و معانيها ، و التمثيل لها .

ثم إنه لمن الواجب ذكره ، وعدم إغفاله، ذلك الجهد الذي قدمه علماء الأصول، ورجالات التفسير، بعد هذه المرحلة المتقدمة، إلحاقاً بها في التوجيه، إذ تمثل عملهم في ضبط تلك المصطلحات الإسلامية مثلاً، و الواردة في القرآن الكريم ، أو الحديث ، وسعوا إلى العمل على شرحها و تفسيرها و تذليلها، وفقاً لمنهج سابقيهم ،وربما كان هذا التوجه من علماء الأصول أو التفسير، هو النواة الأولى لاهتمام العرب وعنايتهم بالألفاظ، خصوصاً على مستوى الاستعمال من حيث تعميم المعنى، أو تخصيصه ،أو توسيعه ، أو تضييقه ،أو مجرد تحويل المعنى إلى معنى آخر، بسبب الاستعمال و العرف .

و تعد معالجة القدامى لمسائل التغير الدلالي، إضافةً نوعيةً إلى محور اللفظ و مشكلاته، باعتبارها مسألةً لحقت العربية في منحاها اللفظي، واشترطوا لها كمبحثٍ دلاليٍ شرطين أساسيين، أحدهما : تمثل عندهم في ذلك الحرص على تحديد الزمان و المكان، و الذي ينتهي عندهم بإمكانية قبول الاستعمال الجديد الذي سموه مُوَلَداً ، واعتبروا أن كل تغييرٍ للمعنى خارج الضابطين الزماني و المكاني لَحْنَاَ، ومن هذا مثلاً :الألفاظ التي استُحْدِثت جراء تطور الحياة الجديدة ، أو الألفاظ التي تطورت دلالتها مع ظهور الإسلام مثل : الصلاة، الزكاة ، الفاسق ، المنافق ، الكافر ....، في حين يرى بعضاً من علماء اللغة، كالزجاجي و غيره ،أن هذه الألفاظ و غيرها، لها أصولٌ قديمة ، وأن كل هذه الأسماء مشتقةٌ في الإسلام، موضوعةٌ على أصولٍ متقدمةٍ لها، وقد عَرَفها من خُوطب بها[2].

---

[1] ينظر : ، الهادي نهر، الأساس في فقه اللغة، دار الفكر، عمان ، ط – 1423 هــ 2002م ،ص: 267 .

[2] ينظر : صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم ، دار مجدلاوي ، عمان ،ط 1 ،2003م، ص: 150 .

و الشرط الثاني عندهم، أنهم عدوا كل تغييرٍ يوافق الاستعمال العربي داخل الحدود الزمانية و المكانية هو من باب المجاز[1]، وبهذين الشرطين حددوا مجالاً اختصاصياً لدراسة اللفظ ومشكلاته، معناه ومبناه.

وانطلاقاً من هذا الأساس ، تنوعت إسهامات قدامى العرب في مجال محور اللفظ و مشكلاته خاصةً، و في حقل الدلالة بوجهٍ عامٍ ، ومن ثمة فإن مسارات البحث الدلالي عند القدامى ، قد تنحصر في اتجاهات عدةٍ ، وقفت على أحدها ، و المتضمن ثلاثة ألوانٍ من دراسة اللفظ و مشكلاته، يمكن بيانها وفق الخطاطة التالية :

أساليب دراسة اللفظ و مشكلاته:

- ـــ أسلوب تمثل في المعجمات وصناعتها و الرسائل و المصنفات .
- ـــ أسلوب تجسد في دراسة المصطلحات الشرعية و الدينية بوجه خاص .
- ـــ أسلوب اهتم بتطور المعنى و التغيرات الدلالية التي تلحق مدلولات الألفاظ.

لكن الأصل في هذه التقسيمات الثلاث، أنها موحدةٌ، وأنها خاضعةٌ لأسلوبٍ واحدٍ في الدرس الدلالي[2]، إلا أن جانباً من التفكير اللساني و الدلالي العربي حينئذٍ، لم يكن مستوعباً طريقة تفكرينا بهذا الأسلوب .

8 ــ قضايا تعدد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ:

من المعهود في اللغة أن يكون للفظ الواحد معنىً واحداً، إلا أنه قد ينشأ عدولٌ عن هذا المعهود، فيتعدد المعنى، ويبقى اللفظ الواحد يحمل دلالة كل هذه المعاني، وهذا ما يُسميه علماء اللغة بالاشتراك اللغوي، وأحياناً قد تتعدد الألفاظ والمعنى فيها واحدٌ، وهذا ما يُعرف عند اللغويين بالمترادف في الألفاظ، وتارةً قد يطلق اللفظ على معنين أو أكثر متضادين، وطبعاً هذا هو التضاد المعروف كذلك عندهم.

---

[1] ينظر : ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، مرجع سابق ،ص:154 .

[2] ينظر : كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الحديث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة،د ت ص 356 – 367 .

ففي كل نوعٍ في هذه الأنواع، إلاَّ واشتملت لغتنا على حيزٍ وقسطٍ وافرٍ منها، من خلال مفرداها ، ومَردُ هذا اتساع وشمولية العربية، ولنا أن نورد هاهنا في هذا المقام، قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: « كلام العرب لا يُحيط به إلاَّ نبيٌّ»[1].

إن هذه الأصناف والأنواع التي سبقت إشارتي لها، هي تحمل دراسةً خالصة عند أهل اللغة على العموم، سواءً القدماء أو حتى المحدثين منهم،حيث اعتنوا بها، وبحثوا فيها و قننوها بقوانين تخضع لها في إطار النفعية التواصلية والإتصالية، فأفرادوا لها كُتباً مستقلةَ، وأعمالاً بارزةً في مصنفاهم ، واصطلحوا على أنها قضايا دلالية متعلقة باللفظ والمعنى، كما عُرِفت لديهم بأنها مباحثٌ دلاليةٌ كذلك، فاهتموا بالبحث في كل مبحثٍ أو ظاهرة من هذه الأنماط اللفظية ذات المعنى المتعلق باللفظ على حدة.

والظاهر أن توصل القدماء إلى إدراك هذه التصنيفات، أو المباحث، تَمَ لهم بعد فراغ اللغويين من جمع مفردات اللغة، وتقسيمهم لهذا الجمع، ومعرفة محتوياته، إذ كان هذا التوصل والتحقيق والجمع في وقتٍ مبكرٍ، مباشرةً بعد عملية التدوين، فألفينا أول من أطلعنا عن كتب الأقدمين المفصلة لهذه المباحث بشكلٍ نظريٍ تطبيقيٍ؛ هو العلامة سيبويه، إِذْ يُشير إلى هذا الأمر بقوله: « إعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»[2]، وفي كلام سيبويه إشارةٌ واضحةٌ إلى هذه التصنيفات، أو المباحث الدلالية المتعلقة باللفظ ومعناه، والمتمثلة في ظاهرة الترادف وظاهرة التضاد، وظاهرة الاشتراك، إذ يفهم هذا من خلال قوله.

فالصنف الأول مما أشار إليه سيبويه فهو موافقٌ للأصل، باعتبار أنه حيث ما اختلف اللفظ اختلف المعنى، خصوصاً إذا سلمنا ببداهة أن لكل لفظٍ معنىً خاصاً به، وهذا هو المألوف والمعهود والوافر في كلام العرب، وقصَدَ سيبويه بهذا القسم صنف المتباين، حيث مَثَلَ له: جَلَسَ، وذهب... أمَّا إشارته إلى الصنف الثاني: وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ، ويُلمح من خلال هذا التقسيم إلى صِنف المترادف، حيث مَثَلَ له كذلك بقوله: وذهب وانطلق... ويبقى من هذه الثلاث صنف اتفاق اللفظين، واختلاف المعنيين، وهذا هو المشترك من المعنى في لفظٍ واحدٍ، ومَثل له بلفظه: وَجَدَ، و جدت عليه من الموجِدة، و وجدت: إذا أردت

[1] محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق:أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى،1939، ص: 26.
[2] سيبويه ،الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص: 24.

وجدِان الضالَّة، وعند تعرضي لهذه الظواهر الدلالية بالدراسة سأعرض أمثلةٍ لكل مبحثٍ، وظاهرة مستقلة بما يقابلها في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم.

الفصل الأول:

هود بن محكم ومنهجه فى تفسير كتاب الله العزيز

1- مفهوم التفسير.
2- الدلالة والتفسير عند المفسرين وأثر المفردة في تفسير النص القرآني.
3- الشيخ هود بن محكم من المهد إلى اللحد.
4- التعريف بالمُؤَلف « تفسير كتاب الله العزيز».
5- مصادر تفسير هود بن محكم ومنهجه في بيان معاني القرآن ومفرداته.
6- التفسير بالمأثور في تفسير الشيخ هود بن محكم.

1- مفهوم التفسير:

أ- التفسير في اللغة:

يرجع علماء اللغة التفسير إلى عدة تأويلاتٍ متباينة الدلالة، أهمها ثلاثة أوجهٍ؛ أجملها فيما يلي:

1- الرأي الأول: يرى أصحابه أن التفسير مأخوذٌ من الفِسر، وهو الإبانة، وكشف المغطى، والفعل منه: «فسر»، كضرب ونصر...[1]، وهذا الرأي اعتمده وقال به الخليل بن أحمد (ت175ه)، والراغب الأصفهاني (ت 400ه)[2]، حيث نحوا به نحو منحى الإبانة، وكشف المغطى.

2- والرأي الثاني: ما ذكره العلامة الزركشي في برهانه، نقلاً عن أبي البركات بن الأنباري (ت577ه، 1181م)، والذي فحواه أن الكلمة مأخوذةٌ من كلام وقول العرب: فسرت الدابة، وفسرتها، إذا ركضتها محصورةً لينطلق حصرها، وهو يؤول في الكشف[3]، وجليٌ أن هذا الكشف قد نُقل من الاستعمال الحسي، إلى الاستعمال المعنوي.

3- والرأي الثالث: قيل فيه أنه مأخوذٌ من التفسِرة، وهي قليل الماء (*)، والتفسرة: « المادة الذي ينظر فيه الأطباء»[4]، وقال ابن منظور:«... وقيل التفسرة البول الذي يُستدل به على المرض، وينظره الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل ...، وكل شيءٍ به تفسير الشيء ومعناه؛ فهو تفسرته»[5]، كما يصح لنا تأويل هذا الأخير وحمله على الحقيقة مثلاً، إذ يكون المقصود به: أن الطبيب ينظر في الماء الذي شربه المريض، ويتحقق أن العلة التي به منه، أو ليست منه.

وانطلاقاً من هذه الأوجه الثلاثة المختصرة، ورد التفسير في اللغة بمعنىً دلاليٍ متمثلٌ في: الإبانة والكشف.

---

[1] ينظر: الفيروز أبادي مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، لبنان بيروت، ط1، (1999م)، ج1، ص:156.

[2] ينظر: الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقق:مهدي المخذوفي، وإبراهيم السمرائي، مكتبة الهلال لبنان بيروت، د ط، (1986م)،ج7 ص: 247، وينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرءان، ، مصدر سابق، مادة:(فسر)، ج2، ص:380.

[3] ينظر: الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرءان،تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج2، ص: 147.

(*) وجدت إجماعاً في كتب اللغة على أن المقصود بالماء هنا هو بول المريض، وإنما كان التعبير عنه بالماء من باب الأدب لا غير.

[4] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 147، و ينظر : الإتقان في علوم القرءان، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان ط1 ،2003،ج2، ص:545.

[5] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ،ج5، ص:55.

وفي التنزيل العزيز قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1]، وتفسير الكلام يقصد به الكشف من مدلوله، وتبيان معنى الألفاظ المكونة له.

يقول العلامة الزركشي في هذا المقام:« ... وقال آخرون:- الفسر- هو مقلوب:« سفر»، ومعناه أيضاً الكشف، يقال: سفرت المرأة سُفوراً، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرةٌ، و أسفر الصبح، أضاء...»[2]، وفي القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3]، فدُل بمقلوب الجذر: «سفر» على دلالة الكشف والإبانة والإضاءة.

ولقد أوضح الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: «التفسير والتأويل في القرءان»، اشتقاقين للتفسير، إذ ذكر اشتقاقاً أصغراً، وقصد به كل التصريفات والتقليبات من الجذر الأصلي «فسر»، وعدد بعضاً منها مثل: فسر، يفسر، فُسْرَان وفسر، يفسر، تفسيراً، والثاني اشتقاقاً أكبراً، وهو متمثلٌ في مشاركة مادةٍ أخرى لمادة« فسر»، في الحروف الثلاثية و ما اعتراها من تقديمٍ أو تأخيرٍ.

ومن هنا يبرز لنا ذلك التقارب اللفظي بين مادتي: «فسر»، و «سفر»، باعتبار اشتقاقهما الأكبر، كما حصل بينهما تقارباً في المعنى، ويضيف صلاح عبد الفتاح الخالدي قوله: ولا أقول: ترادفٌ... ويعلل لذلك قائلاً: لأن أساس معنى الفسر، هو البيان والتوضيح، وأساس معنى السفر، هو الإنكشاف والظهور[4]، فجعل بينهما حدوداً وفروقاً دلالية بين الدلالتين لكلا المفردتين.

والملاحظ على هذا كله؛ ذلك التوحد للمادة: « فسر، سفر»، وأن هذه الأوجه والتصريحات المذكورة سابقاً كلها متقاربةً في المعنى والدلالة، ذلك أنها اتفقت على مضمون معنى واحدٍ، متمثلٌ في بيان المجمل، وكشف المغطى، وإظهار وجلاء الخفي لمعان ألفاظ القرءان الكريم.

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 33.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج2، ص:147، 148.

[3] سورة المدثر، الآية:34.

[4] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي ، التفسير والتأويل في القرءان، مطابع دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ط الأولى:(1416-1996)، ص: 25،26.

ومع هذا أجد العلامة الراغب الأصفهاني قد وضع حدوداً منهجيةً في التفرقة بين المادتين «الفسر،والسفر» في هذا، حيث «...يتقارب معناهما، كتقارب لفظيهما، لكن جُعل التفسير لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسرةً، وتسمى به قارورة الماء، وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل أسفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح...»[1]، فكأنه بهذا الطرح يمايز بين كلا الدلالتين المحددة لاستعمال كل مفردةٍ، وما أُريد بها في وضعها واستعمالها.

ثم إن اشتراك المادتين في المبنى والمعنى، لا يعني بالضرورة أنهما مشتقان من بعضهما البعض، إلا أن عِلة انقلاب الأولى «فسر» من «سفر» مخالفةً للأصل، وأن لكلٍ منهما ترتيبٌ بنيويٌ خاصاً بها، ولا يعدل عن الجذر والأصل إلا لضرورةٍ.

وعند الألوسي (ت 1270ه/ 1853م) قوله:« ... والقول بأنه مقلوب السفر، مما لا يفسر له وجهٌ»[2]، وتعددت أقوالهم في هذا، لكن كان اتفاقهم على تأويل معنى السفر والتفسير على شيءٍ ومسمىً واحداً.

ب- التفسير اصطلاحا:

كثيرةٌ هي تلك التعاريف الواردة في اصطلاح العلماء عند وقوعهم على معنى التفسير، باعتباره لفظةً ممن اتخذوها مجالاً موسعاً من حيث المعنى، خصوصاً عند تحولها إلى عنوانٍ كبيرٍ، وعلمٍ من أهم العلوم والمعارف الإسلامية، وأكثرها أثراً في الفكر والتشريع وشؤون الأمة.

وحين الوقوف على نقاط تقاطع وتشابه المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي، أجد ذلك الكم الهائل من التعاريف الواردة في هذا، وبالرغم من الكثرة المتوفرة في تحديد ماهيتها وتنوعها، أرى أنه لا حاجة إلى تتبع واستقراء كل ما ورد عنهم في هذا، إذ هي في الأصل غير مختلفةٍ في نظر من جعل المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي أمراً واحداً.

يقول جلال الدين السيوطي في اصطلاح تعريف التفسير: « التفسير في الاصطلاح: علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها، ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها

---

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرءان، مصدر سابق، ج2، ص:147-148.

[2] الألوسي محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني، دار الفكر لبنان بيروت، ط1، (1403ه/1983م)، ج1، ص:04.

ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، و وعدها و وعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها...»[1]، ولعل هدا هو أقرب تعريفٍ اصطلاحيٍ إلى الفهم وتحديد المراد.

ويعرفه محمد حسين الذهبي قائلاً:«... علمٌ يُبحَث فيه عن أحوال القرءان المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[2]، وما نستشفه ونستنبطه من قول الذهبي في هذا الاصطلاح التعريفي لعلم التفسير، أنه ليس ببعيدٍ عن المدلول اللغوي لمفردة:(فسر)، والمفيدة للكشف والبيان وإزالة المغطى.

وعند العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور، التفسير باختصارٍ هو:« اسمٌ للعِلم الباحث عن معاني ألفاظ القرءان، وما يستفاد منها باختصارٍ أو توسعٍ»[3]، وعرفه أبو حيان(ت 745هـ، 1344م) بأنه:« علمٌ يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرءان ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك...»[4]، وكل ذلك مما ذُكر عندهم متقاربٌ من حيث المعنى والدلالة المشار إليها آنفاً.

إن المتحمص لكل هذه التعاريف الاصطلاحية الواردة عن العلماء، والتي بينوا بها اصطلاح التفسير، ليدرك ذلك الإتفاق والتوافق في جوهرها، رغم اختلافها وتعددها، فهي متضمنةٌ في قصدها على أن التفسير هو كل ما يتوقف عليه فهم المعنى ، وبيان مراد الله تعالى من خطابه، وهذا ما يبرز لنا جلياً من خلال تعريف العلامة الطاهر بن عاشور حين وقف على معنى التفسير في الاصطلاح.

لكن تبقى مسألة مفهوم التفسير ذلك المفهوم العلمي الدقيق، هي نقطة خلافٍ بين العلماء، وهذا حسب ما فهموه من خلال وقوفهم عند تفسير بعض الآيات من كلام رب العالمين، واستنادهم في هذا على النقل والعقل والمنطق.

وبناءً على الذي تقدم ذكره، نستنتج أن مفهوم التفسير في إطاره العام، غير محددٍ باصطلاحٍ واتفاقٍ، باعتبار ذلك الخلاف الواقع في مسألة التفسير لدى العلماء، ويتأكد هذا؛ إذا ما عرفنا أن بعض المفسرين لا يرون التفسير مقتصراً على بيان المجمل وإيضاح المشكل مثلاً، أو أن التفسير حكرٌ على شرح غريب القرءان

[1] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج2، ص:546.

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار آوند دانش للطباعة والنشر، إيران- طهران- ط الأولى، (1425هـ، 2005م)،ج1، ص:14.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1997م، ج1، ص:12،11.

[4] أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- لبنان-بيروت، ط الثانية (1422هـ/ 2001 م)، ج1، ص:121.

فحسب، بل أنهم ينظرون للتفسير من زاويةٍ أخرى، تشمل ما يمكن استنباطه من مباحث لغويةٍ، و قضايا نحويةٍ أو بلاغيةٍ، أو مسائل فقهيةٍ، وما تعلق بأمور العبادات، وكذا شؤون السلوك والنفس والإعجاز وغير ذلك.

وإني لأجد العلامة الإمام فخر الدين الرازي (ت 606 هـــ/ 1209م)، خير مجسداً لهذا الفهم، ومطبقاً له في تفسيره، حيث أنه أكثر المفسرين تعمقاً وتوسعاً في مجال الاستنباط والتفريع، وفي بيان اللفظ القرآني عموماً، وهذا ما نلمسه ونفهمه من خلال قوله في مقدمة سورة الفاتحة مثلاً: «...اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات، أن هذه السورة الكريمة، يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألةً، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقومٌ من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألقوه من أنفسهم من التعليقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاني والمباني، فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة، لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمرٌ يمكن الحصول، قريب الوصول...»[1]، ثم دقق في هذا أكثر، وتعمق في بيان منهجية وكيفية الاستنباط والتفريع الملازمة لمفهوم التفسير، ووظيفته، إذ يقول في آخر مقدمته:«... واعلم أن من اعتبر هذه المراتب العشرة في كل جزءٍ من جزئيات الموجودات، فقد انفتحت عليه أبواب مباحثٍ لا نهاية لها، ولا يحيط عقله بأقل القليل منها، فظهر بهذا كيفية الاستنباط للعلوم الكثيرة من الألفاظ القليلة...»[2]، فالإمام الرازي بهذا التقديم والطرح العلمي سعى فيه إلى الفصل وبيان إمكانية استنباط المسائل الكثيرة من الألفاظ القليلة.

وإني أرى أن هذا من صميم عمق التفسير، إن لم أقل هو التفسير كله، ومن ثمة فإن الإمام الرازي سعى إلى توسيع مجال علم التفسير توسيعاً علمياً بعيداً عن تلك التعقيدات والاختلافات، ومع هذا فقد غاب لدى بعضٍ من العلماء هذه السمة البارزة عند الإمام الرازي، مضيقين بذلك مفهوم ومجال التفسير، وارتأوا أن كل هذا خارجٌ عن نطاق علم التفسير، كما رأوا فيه جمعاً للأقوال والحكم والفلسفة والمنطق، وهذا مما لا يخدم التفسير عندهم.

يقول صاحب البحر المحيط ناكراً على من توسع في مجال مفهوم التفسير وعمله:... وهكذا جرت عادتنا، إن كل قاعدةٍ في علمٍ من العلوم، يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلمةً من ذلك العلم، ولا نطيل بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقة التفسير، كما فعله أبو عبد الله محمد بن

[1] فخر الدين أبو عبد الله الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، (1401هـــ- 1981م)، ج1، ص:11.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص:20.

عمر الرازي....، فإنه جمع في تفسيره أشياءً كثيرةً طويلةً، لا حاجة إليها في علم التفسير، ولذلك حُكي عن بعضٍ من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير... [1] ، أي: تفسير الرازي، وفي هذا انتقاصٌ و إعابةٌ من أبي حيان على تفسير الرازي، وكثرة تفريعاته واستطراداته واستنباطه.

إن من أهم ما يشد انتباه الباحث عند بحثه في هذه النقطة العلمية، هو ذلك الاختلاف الوارد بين العلماء في تحديد حد التفسير تحديداً علمياً دقيقاً، حيث لم يتفقوا، أو حتى يتقاربوا لجهةٍ وتخريجٍ ربما كان كافٍ لضبط معالم دلالة التفسير، واختلافهم في الغالب مقتصرٌ على المعنى اللغوي للتفسير، أو على تلك الاستنباطات ووجودها من عدمها في التفسير، وهل هي من جنس التفسير وأصوله.

والحق أن هذا الخلاف أتى أكله وأثمر، خصوصاً عندما نكتشف أنه كان سبباً في ظهور ما يعرف أو ما سمي فيما بعد؛ باتجاهات التفسير، وفي الحقيقة لو تصفحنا كتب التفاسير أو جلها، لألفينا التفسير مهما كان، لا يكاد يخلو من تلك الاستنباطات في شتى أنواعها وتغيراتها وتباينها من تفسيرٍ لآخر، إذ نجد مثلاً عند أبي حيان الذي عاب على الرازي كثرة الاستنباطات، أن تفسيره هو أيضاً حافلاً بالتخريجات النحوية، والاستنباطات البلاغية، وكثرة الاستطرادات التي أصبحت علامةً يتسم بها، وفي تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي، هو كذلك لا يخلوا رغم اختصاره وإيجازه من كثرة الأعاريب، والتنبيه على بعض القراءات وأسباب الترول وغير هذا، وكذا في تفسير ابن عطية، والزمخشري، والقرطبي، وما ورد في هذا الأخير من وفرةٍ للاستنباطات الفقهية، ومجال الأحكام.

وفي تفسير الشيخ هود دين محكم الهواري أجد الأمر ذاته من استرساله وإكثاره في ذكر نقل الروايات والإسرائليات، والإكثار من الآراء المذهبية والإنحياز لها.

وفي كتب التفسير بالمأثور، والتي بُنيت منهجيتها في التفسير على اعتماد النقل، قد نجد بعضها أحياناً لا يخلو من بعض تلك الاستنباطات والروايات والتفريعات، حتى وان اعتبره البعض- أي: التفسير بالمأثور- مرجعاً في تحديد نطاق التفسير وضبط معالمه.

وإني لأرى حسب ما استنتجته من طبيعة بعض هذه التفاسير، وما يغلب عليها، أنه راجعاً إلى توجه صاحبه مثلاً، فلا غرابة إن تجد تفسير البلاغي قد غلبت عليه حيثيات البلاغة، أو مصطلحات المعاني، وكذا الأمر

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص:511.

بالنسبة لتفسير النحوي، فإنك تلمس المباحث النحوية ومسائل الإعراب، وفي تفسير الصوفي مثلاً تعدد التأويلات الإشارية، أو الاستدلالات الفقهية كما في تفسير الفقيه، أو تعدد الآراء الفلسفية وعرض جدل المتكلمين عند المتكلم؛ وهكذا .

وفي العصر الحديث؛ أجد ثلةً من المفسرين من تسعى جاهدةً إلى التجديد والنسيج على خلافِ ما عُرف عند السابقين من طرقهم، بعيدين عن مناهجهم وأساليبهم، وهدفهم في ذلك إعطاء بُعداً أو مَفهوماً آخراً للتفسير.

يقول محمد رشيد رضا في تفسيره المنار على لسان أستاذه محمد عبده: «... والتفسير الذي نطلبه، هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابعٌ له، لا وسيلةٌ لتحصيله...»[1]، فربما يتحدد من هذا معالم المفهوم الجديد لمصطلح التفسير لدى المحدثين.

وفي ختام هذا؛ إن مما يمكنني قوله، بأن التفسير مراتبٌ، أعلاها ما استُخدِم فيه النقل، وأُعمل فيه العقل، واستُنبطت منه الفوائد، وأدناها ما كان التفسير فيها مجرد شرحٍ، وتعريفٍ لألفاظ القرءان الكريم، وهذا هو الفرق بين فهم العوام، وفهم الخواص.

وعليه فإن التفسير متعلقٌ بأمرين اثنين: أولهما ما تعلق ببيان وشرح المعاني اللغوية والألفاظ، وثانيها ما كان متعلقاً بالكشف عن أحكام القرءان وما خفي من أسراره، وبهذا نكون قد رجعنا إلى أدق تعريفٍ وتحديد للتفسير، وهو الذي قصده العلامة الطاهر بن عاشور حين قال في تعريفه للتفسير:«... التفسير اسمٌ للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرءان، وما يستفاد منها، باختصارٍ أو توسعٍ»[2]، فكان منه هذا التعريف شاملاً لأدنى مراتب التفسير المتعلق بالشرح اللغوي، ولأعلاه المتعلق بكشف الأسرار وما يُستنبط منها من حكمٍ وفوائدٍ، وبإضافة البعد الغائي الذي سعى بعض المعاصرين إلى ربطه بمفهوم التفسير كان ذلك له أفضل وأكمل.

---

[1] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2003،ج1،ص:7.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1 ص11.

2-الدلالة عند المفسرين وأثر المفردة في تفسير النص القرآني:

ارتبط علم التفسير بعلوم اللغة مند إرهاصاته وأسسه الأولى، لأن هذا الارتباط في أصله وسيلةٌ هامةٌ في تفسير القرءان الكريم ، وبيان حِكَمِه وأحْكَامه ، لذا اعتُبرت جميع أصناف علوم اللغة مما يجب على المفسر معرفته ، والإلمام به، حتى يتمكن له القول في كتاب الله تعالى وفقاً لمراد الله، وما ينور الله به بصيرته[1]، وإلا كان خارجاً عن الفهم السليم ،والبيان الدلالي للخطاب الرباني.

والدلالة في مفهومها العلمي، هي عماد التفسير لدى المفسرين ،باعتبارها تجعل من علوم اللغة كلها، والأصول والفقه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب الترول، محوراً رئيساً للوصول إلى الدلالة ، وكانت مؤلفاتهم حافلة بالإشارات والظواهر الدلالية ،قبل أن يتأسس ذلك في إطاره الحديث.

والمتصفح لمؤلفات تفسير القرءان الكريم لدى المفسرين على إختلافهم ، يدرك إجماعهم على مكونات البحث الدلالي، التي لم تكن منفصلةً عندهم حين تفسيرهم عن مكنونات البحث اللغوي، وهذا يؤكد نظرية القرءان أصلٌ لنشأة كل دراسةٍ عربيةٍ، مهما كانت طبيعتها وموضوعها، إذ أن ذلك كله، إنما وُجِد لخدمته وتسهيلاً وتذليلاً لفهمه ، ولهذا السبب أجد تداخل هذه الدراسات ، وهذا ما نلمسه أيضاً في المفسرين أنفسهم ، إذ نعثر عن اللغوي المفسر فيهم ، ونجد اللغوي الفقيه المفسر المحدث، أو المقرئ، أو النحوي والكلامي ، أو الصرفي ، أو غير ذلك[2]، بل أحيانا تجتمع كل هذه الفنون في شخصية المفسر المتعامل مع كلام الله ، وهو الأصل فيهم، حيث غالبيتهم على هذا النمط.

ولما كان مفسر النص القرءاني مختلفاً عن غيره ، ممن يفسر النصوص الأخرى ،كان لزاماً عليه إدراك مفهوم الدلالة في أصلها ،إذ يتحدد فهمهم لذلك في استنباطهم المعاني من النص القرءاني، إضافة إلى نظمها وتركيبها وسياقها، معتمدين في ذلك على التأويل ، ذلك أن التأويل ألصق بالمفسر من غيره، لأنه يحاول دائماً أن يكشف عن تلك المعاني المتجددة في النص، « ويتطلع إلى دلالات أخرى ، غير تلك التي تعرف بالآلات الثانية في النص»[3]، ولن يتأتى لهم ذلك إلا من خلال الفهم الدقيق لمقتضى الدلالة وما تتسلتزمه ، فبذلك نلمس بصمتهم العلمية في مؤلفاتهم نتيجة ما حصلوه من العلوم والمعارف ، وبالدلالة تتنوع إتجاهاتم ومناهجهم في

[1] ينظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرءان ،مصدر سابق ،ج1،ص:22.

[2] ينظر: محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إلى القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، ط 1980، ص: 78.

[3] ، السيد أحمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، منشورات دار النهضة العربية، ط 1968،ص: 64،65.

التفسير، وما اعتناء الأوائل منهم بالدلالة الصوتية والصرفية والنحوية أكثر مما عندهم ، إلا خير دليلٍ على أدراكهم لعمق ما تؤديه الدلالة في العمل التفسيري، وأهتم من بعد ذلك منهم بكل أصناف الدلالات، بُغيةً منهم في الوصول إلى استنباط الدلالة الفقهية مثلاً ،أو الشرعية ، ويتجلى هذا في أعمال المتأخرين منهم ،كالقرطبي (ت 671هـــ) ، والبيضاوي (ت 791هـــ).

وعلى العموم فإنه كان شغلهم الشاغل تتبع دلالات الألفاظ على معانيها، في سياقاها المتعددة، كما دققوا في أثر النظم وحسن إختيار الألفاظ والفواصل، وأسباب العدول من لفظٍ إلى غيره وأهتموا بدلالات الصيغ ، كما تطرقوا إلى قضيةِ الأبلغ في الدلالة على المعنى المقصود ، وأشاروا إلى أوجه الترابط بين معاني الآيات واشتراكها في المعنى الكلي، وتأكيد الوحدة المعنوية في السورة الواحدة[1]، وكل هذا من صميم علم الدلالة.

ومما يمكن قوله إن الدلالة والبحث الدلالي لدى المفسرين عموماً واضحُ الحدود العلمية، والضوابط المنهجية ، مشتملاً عندهم على أغلب المباحث الدلالية ، والقضايا اللغوية عموماً، وهذا ما تبلور حديثاً في ثنايا الدرس الدلالي المعاصر، غير أنهم كانوا سباقين لإشاراته إشاراتٍ متفرقةٍ في مصنافاهم التفسرية ، وكل ما ذُكر من إشارات الفهم الدلالي لدى المفسرين أحاول السعي إلى بيان إسقاطاته على المفسر الجزائري الشيخ هو بن محكم، كأنموذجٍ من جملتهم ، وفهمه للدلالة وقضاياها في قابل صفحات البحث.

إن من بين أدوات تحليل النص عموماً، والنص القرآني خصوصاً، أداة الفهم، خصوصاً إذا تعلق الأمر بكلام رب العالمين وفي تلك الألفاظ المتعددة المعاني والمعروفة في مباحث اللغة والدلالة بالمشترك اللفظي والتي يبرز فيها اجتهاد المفسر مثلاً بترجيح أحد محتملات اللفظ، وتأثير التأويل الدلالي عند عامة المفسرين، ومذاهب الترجيح للألفاظ المشتركة المعنى عند كل مفسرٍ من المفسرين.

ومعلومٌ أن توظيف القرآن للغة، مختلفٌ اختلافاً كلياً عن التوظيف اللغوي البشري، الأمر الذي يجعل من هذا التوظيف يحمل نصاً ثرياً بالمعجم و الدلالة من خلال المفردات المشكلة له ، وهاته الأخيرة ليست كباقي المفردات الأخرى ، باعتبار خصوصيتها القرآنية ، لذا كانت المفردة القرآنية اللبِنة الأولى في تشكيل النص المرجو منه تحقيق دلالات النص القرآني بوجهٍ خاصٍ ، ومعلومٌ أيضاً أن هذه المفردة إنما تَرِد ضمن نصٍ

[1] ينظر: ابتهال كاصد ياسر الزيدي، البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرءان ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، أطروحة دكتوراه ، إشراف: علي جميل السمرائي، جامعة بغداد، الموسم الجامعي 2004،2005.،ص:74،

لغويٍ له خصوصياته عن باقي النصوص اللغوية ذات الطبيعة البشرية ، وعلى هذا الأساس كان التوظيف فيها للغة بين النمطين من النصوص مغايراً.

ولفهم أي نصٍ لغويٍ ما، أو بالأحرى هاهنا لفهم كلام رب العالمين، وجب علينا التدقيق في ألفاظه، وتتبع دلالته من حيث المعنى وخفي الإشارة ، وهذه العملية هي الخطوة الأولى التي تمسك زمام النص ومفتاحه في التفسير والتأويل ، يقول محمد حسنين أبو موسى: « أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، أي:النص لأنها مفتاح النص ، وزمام ما فيه من دقيق المعاني ، و خفي الإشارات ، وكلما أحسن الدارس هذه الوقفات ، واستشف من المفردات، كلما تعطيه و تلوح به من معنى و وحيٍ و رمزٍ، كان أقدر على الإندماج و المشاركة ، وبهذا يصل نفسه بنفس منشئه، و يُحلّق في آفاقه، ويتابع خطراته، و يملك تجربته كاملة، و حينما يصل المفسر إلى هذه الدرجة، فقد وصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه.. »[1]، إن ما يفهم من خلال قول محمد حسنين، هو أن التعامل مع النصوص تعاملاً سليماً من حيث تحديد دلالتها، وبيان معاني مفرداتها، لا يتأتى إلا إذا ملك المفسر و الدارس من الآليات ما يمكن له به التعايش و التفاعل مع النص، من وحيٍ وإشارةٍ و رمزٍ و معانٍ ، الأمر الذي يضمن له تحقيق الإندماج و المشاركة ، ويعتبر في قوله هذا أن كلما كان المفسر أقدرُ على هذا ، فقد وصل إلى مبتغاه وهدفه ، وتلك هي أعلى درجة التعامل البيّن مع النص ،قصد تحديد دلالة مفرداته، ومن خلال ذلك بيان قصده، وأثر تلك المفردات في توجيه المعنى.

إن هذا الذي سبق ذكره ،هو حال كيفية التعامل مع النصوص الأدبية عموماً ، ويزداد الأمر تأكيداً حين التعامل مع النص القرآني المعجز، إذ أن القرآن كله كنصٍ يُعد وحدةً بنائيةً متكاملةً ، لذا كان النص المكون له عبارة عن وحدةٍ من المفاهيم و الدلالات و المعارف العامة المنبثقة عن نسقه اللغوي ، ومن هنا كان على دارس النص المعجز لِزاماً أن يعي و يفقه هذا النسق اللغوي من كل جهاته ، كما أنه مجبرٌ على معرفة تلك الخصوصيات و المفاهيم، حتى تتأتى له دراسة و تحقيق مفرداته و دلالتها ، وهذا من صميم العلاقة بين المفردة القرآنية ، و بين سياقها، لأن دور المفردة القرآنية محوريٌ في تماسك بنية السياق خصوصاً ،والنص عموماً، على ما تتمع به من حيويةٍ و ديناميكيةٍ دلاليةٍ ، تجعلها مرنةً في سياقها ومعناها ، لكن هذا لا يعني أن دلالتها في كل سياقٍ قد ترد فيه تأتي دائماً مختلفة عن غيرها من السياقات ، بل إنها مساهمة في استجلاء المعنى و توضحيه أكثر، إذ لا تؤثر هذه الحيوية الدلالية ، إلّا بقدر ما تخدم السياق و تساعده.

---

[1] ينظر: محمد حسنين أبو موسى ،البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر،ط2، د ت، ص: 213 .

وفي هذا الصدد يقول مصطفى الدباغ : « المفردة القرآنية ذات مدلولٍ واضحٍ، بحيث تعتبر معه مصطلحاً له شكلٌ و مضمونٌ ثابتان ، و متفقٌ عليهما ، وبالوقت نفسه ، فإن تكرار المفردة القرآنية يجعلها تحمل معنى جديداً بالنسبة للسياق الذي وردت فيه ، وبالتالي فالمفردة القرآنية متعددة المواضع وليست مكررة ، فهي ليست مجرد حجرٍ في مجرد بناءٍ، و إنما خلية حية في بناءٍ عضويٍ ، صاعداً من منطلقٍ إلهيٍ ،و مُنْتَهٍ إلى منطلقٍ إلهيٍ، أي: أن كل مفردةٍ قرآنيةٍ تشكل منطلقاً إلى شيءٍ، بحيث لا يمكن أن يكون التعبير عن حقيقة من الحقائق مفهوماً، إلّا من خلال فهم وضعية هذه المفردة بذاتها أولاً ، وبجدلها مع غيرها ثانياً، وبالتشكيل البنائي كما هو واردٌ في القرآن آخر الأمر»[1] ، و يتضح من هذا بأن مجيئ المفردة القرآنية في النص القرآني يجعلها ذات معانٍ متعددةٍ لسياقها، وهذا الذي يتيح لها الفعالية في عملية التوجيه الدلالي للمعاني القرآنية، ومن هنا ندرك أهمية المفردة القرآنية، و أثرها في تحقيق دلالة النص بشكلٍ عامٍ ،ويتأكد هذا إذا ما سلمنا بتكاملية العلاقة بين المفردة و النص، لأن أي فهمٍ قاصرٍ، أو إدراكٍ خاطئٍ في تحقيق مفردات النص، يؤدي حتماً إلى الخطأ في فهم الدلالة ، و تأويل المعنى، وبالتالي يحدث الميل عن مقصدية الشارع الحكيم، أو صاحب الخطاب .

ولقد حاول عبد الحميد الفراهي في كتابه"مفردات القرآن" التنبيه لهذه الخطورة التي قد تطرأ على الفهم و الدلالة، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالعقيدة والشرع ، فقال في مقدمة كتابه :« و لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة، هي الخطوة الأولى في فهم الكلام ، وبعض الجهل بالجزء ، يفضي إلى الجهل بالمجموع ، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القران، أُغلق عليه باب التدبر، وأُشكل عليه فهم الجملة، وخَفي عنه نظم الآيات و السور»[2]، لذلك اعتُبرت الخطوة الأولى المنوطة بمعرفة ألفاظ المفردة ، هي الركيزة الأساس التي عليها المعتمد و النجاة من خطورة الجهل بها، والحق أن هذه الخطورة لا تقتصر عند حد الجهل بالمعاني والنظم، بل تتجاوزها إلى سوء التقدير و الفهم ،ورداءةِ التأويل ، وهاهنا الضرر أكثر، يقول عبد الحميد الفراهي ثانيةً : « فلو كان الضرر عدم الفهم لكان يسيراً ، ولكنه أكثر و أفظع ، ذلك بأن المرء قلما يقف على جهله ، بل يتجاوز موقفه، فيتوهم من اللفظ ضد ما أُريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة ، ثم إن سوء فهم الكلمة ليس بأمرٍ هينٍ ، فأنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام، وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم »[3]،و طبعاً أن هذا الخطر قد يحدق بتحقيق دلالة المفردة القرآنية تحديقاً قد يتعارض و مقصدية الخطاب القرآني و السياق الوارد

[1] مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2002 ، ص: 28 .

[2] عبدالحميد الفراهي ، مفردات القرآن ، تحقيق: محمد أجمل أيوب الاصلاحي ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 1، 2002 ،ص :95 .

[3] المرجع نفسه ، ص : 97 .

فيه ،« وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمةٍ واحدةٍ، يصرف عن تأويل السورة بأسرها ، فيتوجه المرء إلى سمتٍ، فمن لم يتبين له معنى الكلمة وحدودها، لم يتمثل له شكله، و لا اتضح مفهومه» [1]، ومن ههنا نفهم أن ما قصده الفراهي بقوله هذا ،أن أي خللٍ وزيفٍ وحكرٍ في تحقيق دلالة المفردة القرآنية، ينتج عنه أيضاً الخلل والقصور على مستوى النص القرآني ، وهذا هو القصد من أثر الدلالة المفردية للقرآن في النص، ونجد أن هذا الطرح قد تنبأ له قبله العلامة الراغب الأصفهاني ، من خلال تأكيده المبكر على أهمية الموضوع ، وكان سعيه الأول مجسداً مطبقاً في مؤلفه مفردات غريب القرآن، إذ العناية بالمفردة و تحقيقها عند الراغب الأصفهاني ،هي من يضبط و يذلل جملةً من العلوم قد تتعلق بالقرآن و تحيط به، يقول الراغب الأصفهاني :« إن أول ما يحتاج أن يُشتَغل به من علوم القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه ، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافعٌ في كل علمٍ من علوم الشرع ، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب و زبدته ،و واسطته و كرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء و الحكماء في أحكامهم و حكمهم ،وإليها مفزع الشعراء، والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها ،وعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمشتقات منها هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى، بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة و التبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة»[2]، وإني لأرى العلامة الراغب بهذا التفكير، معتبراً المفردة القرآنية بمثابة العمدة الأولى في فهم كل معنىً ، و كشف ما بطن، و فتحِ ما غُلق ، وتحقيقها بالفهم والدلالة يفضي حتماً إلى تحقيق فهم العلوم المحيطة بها ، و في الوقت ذاته ، أجده مُلحاً على مدى فهم دلالات مفردات القرآن، و أثر هذا الفهم في النص القرآني، مستنبطاً من ذلك إن هذا الفهم الأمثل هو كفيلٌ بضبط مختلف العلوم المتصلة بالقرآن الكريم.

ومما تقدم عرضه وذِكره، حاولت أن أقف على أهمية المفردة القرآنية وأثرها في فهم معنى دلالة نصها و ضبطه ، وهذا من خلال علاقتها بوحدة القرآن المتكاملة، و المرتكزة أساساً على فعالية المفردة في فتح مغاليق النص، و ضبط سياقه، وعلى إثر ذكر السياق هاهنا، لا بد من الإشارة إلى مبحثٍ هامٍ أيضاً، وهو ما يسمى بالمفردة في أصلها بالوحدة البنائية و أثرها في المحافظة عليها ،لأن الجهل بها يفضي بنا إلى عدم الإلمام بهذه الوحدة المتكاملة القرآنية، و إذا كان الجهل بها ، فحتماً إننا نجد أنفسنا في سراديب تعدد الأقوال والتأويلات

[1] المرجع نفسه ،ص:98.

[2] الراغب الإصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، ج1،ص: 06 .

في تفسير كتاب رب العالمين باعتباره النص المنزه ، و هذا دور تحقيق الألفاظ ودلالتها، المساهم في عملية تحقيق دلالة المفردة القرآنية في النصوص عموماً، و النص القرآني خصوصاً، بالمحافظة على وحدة القرآن المعرفية، و يجعلها بعيدةً عن النظرات الجزئية، و التي في غالبها هي مجرد دلالاتٍ قاصرةٍ.

إن مما نستفيده من هذا المنهج اللفظي، قيمة المفردة القرآنية المستندة إلى مرجعية وحدة البناء القرآني ، على الرغم من تلون أشكال موضوعاته، وأن هذا التلون وَلدَ تنوعاً سياقياً ، تبرز المفردة في كل نوعٍ من أنواع السياق بحلةٍ مغايرةٍ لغيرها ، ولا يكون الاقتصار في تتبع دلالة المفردة القرآنية على سياقٍ واحدٍ فحسب ، بل وجب أن يكون النظر إلى كامل تقلباتها السياقية، حتى يتسنى لنا الوقوف على جميع الدلالات لها ضمن وحدة النص القرآني .

والأصل أن اختلاف زوايا النظر إلى المفردة من حيث سياقها، يزيد من قيمة دلالاتها ، وتكون أشد وقعاً ويجعل منها أكثر وجوهاً و نظائراً ، وقد تفسر ظاهرة تعدد الأوجه و النظائر بكثرة التوظيف السياقي المتعددة للمفردة الواحدة ، وهذا الذي سيأتي ذكره في صفحات المباحث الدلالية من هذا البحث.

يقول مساعد الطيار في التفسير اللغوي :« و يبدو من كتب هذا العلم إن البحث فيه، يتعلق بالنص القرآني مباشرةً ، حيث يستنبط المفسر معاني الوجوه و النظائر من الآيات مباشرةً ، و يقتنصها من السياق القرآني الذي وردت فيه اللفظة، ولذا كثرت عندهم الوجوه في بعض الألفاظ بسبب النظر إلى الاستعمال السياقي، دون الاقتصار على أصل المدلول اللغوي»[1]، لكن الأمر الملفت للنظر، إن كل تلك المعاني التي قد يذكرها العلماء مثلاً لمفردةٍ ما، فيها روابط دلاليةٍ و معرفيةٍ جامعةً بين المعنى و لفظه ، أي:(المفردة)،فلو أخذنا على سبيل المثال مفردة «عرباً» الواردة في قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ ﴾[2]، لأكدنا صحة هذا الكلام ، إذ كثرت التأويلات والتفسيرات حول مجمل معناها في سياقها[3]،إلا إن كل هذه الآراء والتأويلات يربطها مرجعٌ دلاليٌ معرفيٌ، يدور حول تلك المعاني التي فُسرت بها مفردة «عربا» في التوظيف القرآني، والتي مفادها دلالة الكمال و الخلو من العيب و النقص.

---

[1] مساعد الطيار، التفسير اللغوي ،دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1422ه، ص: 95.

[2] سورة الواقعة، الآية: 40.

[3] ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1974 ج 7، ص: 124، وينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق، ج 07، ص :534 ، وينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص:255.

ثم إن هذا من بين أهم معاول تبيان و إدراك الفروق الدلالية الدقيقة التي يضعها التوظيف القرآني بين مفرداته ، وذلك من خلال التتبع الدلالي لمفردات القرآن ، ولولاه لما تُنبه إلى كثيرٍ من المباحث اللغوية والدلالية، و مسألة ورودها من عدمه في النص القرآني، كالترادف، و الاشتراك، والتضاد، وغير هذا، مما من شأنه إبراز إعجاز النص القرآني باعتبار أن المنطلق منه، و الرجوع إليه في استجلاء دقائق المفردات ودلالتها ، أصح و أكمل منهجٍ يجب الاعتماد عليه في تفسير كلام رب العالمين، بل أكثر من هذا أنه أول أبواب التفسير، و ضرورة هامة في تحقيق مفردات القرآن ، وأثر ذلك في المحافظة على وحدةٍ معرفيةٍ متكاملةٍ بعيدةٍ عن ما فسد من الآراء و التأويلات.

يقول محمد رشيد رضا:« والأحسن أن يُفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يُجمع ما تكرر في مواضع منه ، ويُنظر فيه، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية ...،وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته...»[1]،وهذا هو أساس المنهج اللفظي القائم على تقصي و تعقب دلالات المفردة القرآنية، و استعمالاتها لما سيق لها من القول في سياقٍ واحدٍ أو متعددٍ ، كما يسعى إلى صيانة المفردة من تلك الأوجه أو الآراء التي لا تعنيها، و التي قد تبعد بالمدقق فيها أحياناً بُعداً تاماً عن قصدها الجوهري، والعلة في ذلك أن مفردات القرآن مثلاً حين لا تُرصد مدلولاتها و تقلباتها السياقية، وحركاتها من داخل القرآن نفسه ، سينفسح المجال واسعاً للتأويلات المضطربة، وذلك أن معاني الألفاظ القرآنية من خارج القرآن يفرض عليها مدلولاتٍ ليست مرادة[2]، وهنا نفهم بعمقٍ ما قصده العلامة ابن قيم الجوزية بعبقريته الفذة ، حينما توصل إلى ما أسماه بـــالعرف القرآني، وأدرك بعمقٍ أنه شيء هام في وحدة القرآن البنائية ، وأكد على ضرورة العودة إليها من خلال مرجعيتها في الكشف عن جملة معاني ألفاظ القرآن ، بُغية الولوج إلى عالم تحليل الخطاب القرآني و تبيان القصد منه[3]، وما ألمسه من خلال ظاهرة العرف القرآني عند ابن قيم الجوزية ، هي تلك الدعوة الى الاعتماد في تفسير مفردات القرآن على القرآن ذاته ، وأن للقرآن نظامه الخاص به في استعمال أساليبه ومفرداته، لذا وجب على المفسر أو المدقق المتبع لدلالة ألفاظ القرآن فقه وفهم ما يسمى بالعرف القرآني ،حتى لا يُدخل في القرآن ما

[1] محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، مصدر سابق ،ج01ص :22 .

[2] ينظر: أحمد عبادي، نظرية الترتيل في القرآن المجيد ، دار أبي رقراق، الرباط المغرب، الطبعة الأولى ،2007 ، ص: 65 .

[3] ينظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد،تحقيق: علي بن محمد العمران ، مجمع الفقه الإسلامي جده ، ط2008، ج 3 ،ص: 537 ، 538 .

ليس منه ، فلربما أوّل تأويلا نحوياً خالصاً أو بلاغياً مثلاً ،ويفسر به المفردة على غير ما أريدت به ،فيكون مخالفاً للعرف القرآني.

يقول ابن قيم الجوزية مفصلا في هذا:«...وينبغي أن يتفطن هاهنا لأمرٍ لا بد منه ، وهو أنه لا يجوز أن يُحمل كلام الله عز وجل و يُفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ،ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقامٌ غلط فيه أكثر المعربين للقرآن ،فإنهم يفسرون الآية، و يعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق...،وإن احتَمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياقٍ آخر، و كلام آخر، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن»[1]، وأرى أن هذا الذي أدلى به ابن قيم الجوزية هاهنا ، لجديرٌ بأن يعرفه كل منتسبٍ للقرآن الكريم وعلومه.

ومما تقدم ذكره أقول بأن المفردة القرآنية هي بمثابة العائد أو المرجع المعرفي ، والذي من خلاله يتم الوصول إلى معاني ودلالات النص القرآني ، وأن التعامل معها يبقى دائماً تحت سِمة القداسة والإعجازية التي تجعل منها ذات تأثيرٍ حيوي دلاليٍ في فهم مغاليق النص، و كشف معانيه ، واستجلاء مقتضيات سياقه ، ومن خلال هذا كله تكمن العلاقة بين المفردة القرآنية، و وحدةِ بناء النص في شكله العام.

[1]ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد ،مصدر سابق، ج 3 ، ص: 538.

3- هود بن محكم من المهد إلى اللحد:

هو العلامة الشيخ المفسر الجزائري هود بن محكم الهواري الأوراسي، علمٌ فَذٌّ، وشخصيةٌ من الشخصيات المغمورة ، والتي لم يردنا من أخبارها سوى النزر القليل ، في المؤلفات والمخطوطات أو التراجم ، لذا سأحاول أن شاء الله جمع شتات كل ما تعلق بالتعريف به، وإيضاح الصورة عن هذا الشيخ المفسر الجزائري ، والذي عُرف بمجال علم تفسير كلام رب العالمين ، وأبدع فيه، وصنع صنعةً للفكر الإنساني، متمثلةً في تفسيرٍ ذي بالٍ، هذا التفسير المعروف به ، لم ير النور إلا في حقبٍ وسنين متأخرةٍ بفضل أناسٍ قيدهم وقيضهم المولى سبحانه وتعالى لكشف المجهول من التراث والفكر، وتحقق ذلك على يد واحدٍ منهم ، وهو صاحب الفضل والمكانة في هذا المقام ، إنه المحقق الأستاذبالحاج سعيد شريفي.

وقبل الدخول في صلب المقصود، أنوه بإشاراتٍ جديرةٍ بالذكر، أشار إليها محقق التفسير في الإخبار عن قصة هذا الزخم العلمي وصاحبه المجهول ، إذ يقول: «... فهذا تفسير العلامة الشيخ هود الهواري... ، وإني أحمد الله تعالى على أن وفقني بمنه وكرمه إلى جمعه وتحقيقه ، والاستفادة منه، وأتشرف اليوم بتقديمه إلى المكتبة الإسلامية...، لقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً منسياً مغموراً ، إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة ، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة ، يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم ، وهي موجودةٌ في وادي ميزاب جنوب الجزائر ، بمدن العطف ، وبني يزقن ، والقرارة ، وفي جزيرة جربة بالبلاد التونسية..»[1]، وعلى إثر هذا المتقدم من الكلام ، قد تتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة والاستفسارات ، لعل أبرزها وأهمها:

من هو الشيخ المفسر هود بن محكم الهواري الأوراسي؟ ، وما هو عصره؟ ، وزمنه؟ ، وما هي مصنفاته؟ ، أو تأليفه؟، ومن هم شيوخه؟ ، وتلامذته ؟، وغير ذلك من الاستفسارات المتطلبة جواباً علمياً وتاريخياً دقيقاً ، من شأنه أن يقدم الأمر الكافي تجاه هذه الشخصية العلمية المغمورة .

وللإجابة على هذه الأسئلة ، سأعرض شيئاً منها في الآتي:

[1] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج،1، ص:5.

ا. اسمه، نسبه، أسرته:

أجمعت كتب التراجم والأعلام، أنه هو: الشيخ العلامة المفسر الجزائري، هود بن محكم بن هود الهواري[1]، واكتفت أغلب كتب التراجم والأعلام والمصادر في هذا المقام ، بذكر اسمه ، واسم أبيه ، واسم قبيلته ، وثمة إشارة نادرة قليلة جداً إلى اسم جده على اختلافٍ بين المصادر التاريخية في هذا الشأن ، وهذا الذي أفادنا به المحقق بالحاج بن سعيد شريفي ،إذ يقول في ذلك معللاً: «... لم أجد فيما بين يدي من المصادر ، اسم هود جَدًاً للمُؤَلِف ، ولكن هذا ما كتب به إليَّ أستاذنا المرحوم الشيخ علي يحي معمر ، في رسالةٍ خاصةٍ من دون أن يذكر لي مصدره ، وعهدي به يستقي معلوماته من مصادر موثوقٌ بها، فإذا ثبت هذا ، فإن محكماً الهواري ، يكون قد سمى ابنه «هوداً» ، باسم أبيه «هود»، وهذا ما لم نجده كثيراً في الأنساب»[2]، و هذا مؤشرٌ علميٌ بحثيٌ من طرف محقق تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري ، متضمناً تعليلاً أكاديمياً للخلاف في ذكر اسم جده.

والحقيقة أن ثمة تضاربٌ في الآراء والتوجهات بشأن القضية السابق ذكرها ، إذ لا يكاد الباحث أن يعثر على رأيٍ يقينيٍ يجزم به هاهنا ، إلا ما وُجد مفرقاً من إشاراتٍ تاريخيةٍ مبثوثةٍ في قليلٍ من كتب التراجم ، وتاريخ الفكر العربي، وغير ذلك ، وهي إشاراتٌ لا تشفي غليل الباحث في مجال الترجمة لشخصٍ مغمورٍ مثلاً.

وأما فيما يخص لقب « الهواري» ، فهو لقبٌ نُسِبَ إلى القبيلة التي ينحدر منها الشيخ هود بن محكم الهواري ، والأصل فيها أنها إحدى قبائل البرانس البربرية ، المتصل نسبها إلى هوارٍ بن أوريغ بن برنس[3] ، والمستوطنة لمواطن عدةٍ من أفريقيا والمغرب ، وجاورت في استوطانها قبيلة نفوسة ، وقبائل زناتة ، ومزاتة[4]، وأن هذه القبائل بمسمياتها ، هي أسماءٌ أيضاً للمناطق التي نزلت بها ، تبعاً ونسبةً لها ، وفي الأغلب أن هذه المناطق ، هي عبارةٌ عن جزءٍ من سلسلة جبال الأطلس التي تعبر الأماكن التي استوطنتها هذه القبائل، والتي لها صيتٌ ذائعٌ في أدب الرحلة، وفي كتب التراجم والسير، إذ يصف الحموي جبال سلسلة الأطلس في معجمه

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج1 ، ص: 8، وينظر: بحاز وآخرون، معجم إعلام الإباضية، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ، 2000م، ج2، ص: 443.

[2] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، ،مصدر سابق، ج1، ص: 8.

[3] ينظر: الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1963، ص:21.

[4] ينظر: ابن نوفل ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، ص: 94.

بقوله:«... جبالٌ في المغرب بعد أفريقية عالية نحو ثلاثة أميالٍ، وجميع أهل هذه البلدة والجبال شُرَاةٌ *، وهيبةٌ**، وإباضيةٌ***، متمردون على طاعة السلاطين »[1].

وهوارةٌ من أهل هذه الأماكن ،حيث تذكر كتب التاريخ، أن دولة هوارة التي عاصمتها مدينة الجبل، كانت في حروبٍ مستمرةٍ مع الدولة الرستمية وأصحابها[2] ، وبحكم موقع وطنها الجغرافي، والمستندة فيه إلى جبل أوراسٍ الذي أشارت إليه كتب الرحلات والجغرافيا، في قول البكري محدثاً :«... ومن "أذنة" إلى مدينة "طبنة" مرحلتان ، ثم تمشي ثلاث مراحلٍ في مساكن العرب ، وهوارة ، ومكانسة، وكبينة و ورقلة، يطل عليها وعلى ما ولاها جبل أوراسٍ ، وهو مسيرة سبعة أيامٍ ، وفيه قلاعٌ كثيرةٌ تسكنها قبائل هوارة... ، وهم على رأي الخوارج الإباضية»[3] ، وفي هذا إشارةٌ واضحةٌ من البكري إلى المذهب المعمول به شرعاً في كل ما ذكره من الأماكن والمواطن ، التي وصفها في هذه المرحلة بأنه المذهب الإباضي ، بما في ذلك قبيلة هوارة المنحدر منها الشيخ هود بن محكم الهواري.

هذا بخصوص ما تعلق بالمكان والحيز الجغرافي ، وتسمية القبيلة ، وهي معلوماتٌ جِدُ شحيحة، ونذرٌ قليلٌ في صفحات التاريخ الذي عاش فيه المفسر الجزائري الشيخ هود بن محكم الهواري ، وأسرته ، والتي لم تُشِر أو تذكر المصادر التاريخية أو الإباضية شيئاً عنها ، سوى إشارة خفيفة عن حديث والد الشيخ هود بن محكم ،المعروف ب: "محكم الهواري" .

يقول عن هذا محقق التفسير الأستاذ سعيد بالحاج شريفي:« إن مُحْكَماً الهواري ، معروفٌ لدينا أكثر من ابنه هودٌ ، ذلك أن ابن الصغير وهو قريب عهده بعصره، قد حفظ لنا نبذةً عن حياته ومواقفه الجريئة في

* يقال في الترجمة لهذا الاسم ، إنهم سموا كذلك ، لأنهم اشتروا الأخرة بالدنيا، ينظر: بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية، ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1985 ص: 73.

** الاسم هذا نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ،ينظر : عمرو خليفة النابي ، دراسات عن الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2001م، ص: 195.

*** نسبة إلى عبد الله بن أباض المري التميمي، ينظر: المصدر نفسه، ص: 43.

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، ج5، ص: 197.

[2] ينظر: عثمان العكاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003م،ص: 121.

[3] أبو عبيد البكري ، المغرب، ص: 145، نقلاً عن هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 09.

القضاء »[1]، وغير هذه الإشارة وما تعلق بها من مسائل القضاء ، في لمحةٍ وجيزةٍ عن الوالد محكم الهواري ، قد لا يعثر الباحث عن سواها ، والله أعلم.

والظاهر لي أنه كثيراً ما قد يقع الخلط بين الدراسات التاريخية المعمقة ، بين الابن وأبيه ، أي: بين الشيخ هود بن محكم الابن صاحب التفسير ، وبين محكم بن هود الهواري الأب صاحب مهمة القضاء ، من حيث ضبط الاسم (محكَّم بن هود الهواري) ، بتشديد الحاء في "محكم"، حيث أدلى هاهنا في هذا المقام ، الأستاذ بالحاج شريفي برأيٍ ،فحواه أنه سأل بعض مشايخه _عن ذلك ، فوجدهم يرونه – أي: في ضبط اسم الأب- بتسكين حرف الحاء ، وتخفيف الكاف المكسورة ، أو المفتوحة ، فيقال: محكَم ، أو محكِم ، على اختلافٍ بينهم[2]، لكن يؤكد لنا الأستاذ المحقق شريفي في حقيقة ذلك ، من خلال تتبعه لهذا في مختلف المصادر اللغوية وغيرها ، بحثاً عن الوجه الصواب ، والضبط السليم للاسم ، فوقف على إجماع رأي أغلب المصادر، أن الكاف في محكم ، وردت بالتشديد المفتوح ، أو المكسور، لا بالتخفيف، ثم رجح الوجه الأول بتشديد الكاف بالفتح ، مستنداً إلى ما ذكره البكري في كتابه « فصل المقال» الذي يرى أنه قيل له: "محكَّم" ، لأنهم جعلوه حكماً ، وحكموه بينهم[3]، وهذا هو المذهب والقول الراجح في أغلب المصادر التاريخية، و عند أصحاب التراجم والأعلام.

فوالد المفسر الجليل محكّم بن هود الهواري ، شخصيةٌ لامعةٌ في صفحات تاريخ قبيلة هوارة ، إذ عُدَّ بأعماله وجهوده من الأعلام البارزين، كيف لا وهو القاضي الذي عينه وكلفه الأمام أفلح بن عبد الوهاب، ثالث أئمة الدولة الرستمية، ما بين الفترة الممتدة من سنة: 208هـــ ، إلى غاية: 258ه، حيث كلفه بمهمة تولي القضاء على مدينة "تيهرت" عاصمة الدولة الرستمية آنذاك ، وهذا خبرٌ تؤكده لنا المصادر الإباضية بجلاءٍ ووضوح ،حيث يصور صاحب أخبار الأئمة الرستميين، محاورة الإمام أفلح بن عبد الوهاب مع الذين طلبوا منه أن يولي القضاء عليهم من يستحق، فكان رأيهم بالأغلبية العظمى على محكم الهواري الأوراسي، والد المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري.

[1] ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص: 11.
[2] ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص: 10.
[3] ينظر: فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، نشر جمعية التراث، القرارة ، غارداية، الجزائر، ط: 1408-1987م، ج1، ص: 144.

ومضمون فحوى ما جاء في الأخبار، أنهم قالوا لأفلح بن عبد الوهاب: «..قد تدافعنا هذا الأمر فيما بيننا ، فلم نرتض أحداً منا ، وقد ارتضينا جميعاً بمحكم الهواري ، الساكن بجبل أوراس ، لخاصتنا وعامتنا ، وديننا ودنيانا...، فقال أفلح راداً عليهم : وَيْحَكُم .؟ دعوه إلى رجلٍ كما وصفتم في ورعه ودينه ، ولكن هو رجلٌ نشأ في باديةٍ ، ولا يعرف لذي القدر قدره ، ولا لذي الشرف شرفه ، وإن كان ليس أحدٌ منكم يجب أن يظلم ولا يظلم ، ولكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقصٍ لأغراضكم ، ولا امتهانٌ لأنفسكم ، فقالوا: فإنا لا نرضى لقضائنا أحداً غيره...»[1]، فكان الأمر كما اصطلحوا وتواضعوا عليه ، فتولى والدُ هودٍ بن محكم مهمة القضاء بينهم ، والنظر والفصل في نزاعاتهم ، فحكم بالعدل و القسطاس ، وساوى بين الناس في الحق ، وهذا الشيء جعل منه المؤرخون أنموذجٌ يحتدى ويقتدى به ،إذ نقلوا عن طرائفه القضائية العدلة[2] ،فمن بين الصور الخالدة من صور عدله المشهود له به ، ما أخبرنا به الشيخ مبارك بن محمد الميلي، في تاريخ الجزائر قائلاً: «... تنازع أبو العباس أخو أفلح، وصهرٍ له على أرضٍ ، وترافعا إلى أفلح ، فردها إلى القاضي ، فسبق أبو العباس ، وجلس حُذاء القاضي، واستسقى جاريته، وبصر الخصم بمنزلة أبي العباس، فجلس خارج الباب ، فلما رآه القاضي سأله من موقفه ، فأخبره الخبر، فغضب من هذا التحليل، و وبخ أبا العباس، واستدعى الخصم، وسقاه ماءً إظهاراً للمساواة »[3]، فالواقف مثلاً على هذا النموذج ، يدرك السر الذي أُحترم به محكم بن هود الهواري بين أظهر قومه وقبيلته.

وفي هذا المقام تحديداً، تجدر بي الإشارة إلى الاختلاف الوارد عند بعض المؤرخين والمؤلفين ،والخلط بين المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري ،و والده محكم الهواري ، فلا عجب إذا وقف الباحث على رأي آراء أصحاب المعجم الواقعين في هذا الإلتباس ، باعتبار أننا نجدهم يوردون في ترجمة الشيخ هود بن محكم الهواري، صاحب التفسير أنه كان قاضياً للإمام عبد الوهاب، وبالمقابل عند ترجمتهم لوالده محكم بن هود ، يقولون إنه كان قاضياً للأمام أفلح[4]، وهذا غير اليقين والصواب ، والله أعلم بالحقيقة والرشد.

---

[1] ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق: محمد ناصر ،و إبراهيم بحاز، مطبوعات الجيلة، الجزائر، د.ط، دت، ص: 49.

[2] ينظر: علي يحى معمر، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة، تصحيح: أحمد عمر أوبكة ، المطبعة العربية ،غرداية الجزائر، 1985، ج1، ص: 138.

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1932، ج2، ص: 20.

[4] ينظر: بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، ج2، ص: 355.

ب ــ مولده، وفاته، نشأته:

لم تزودنا كتب التاريخ التي بين أيدينا، بمعلوماتٍ قطعية الثبوت، أو بمعلوماتٍ واضحةٍ، تزيل اللبس والإبهام عن سنة ميلاد الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي، أو حتى سنة وفاته ، تحديداً وضبطاً ، لذا سأعتمد في بحثي، وفي هذا المقام على جهود المحقق الأستاذ سعيد بالحاج شريفي ، وما حصله من معلوماتٍ، باعتبار أني وجدت اختلافاً كبيراً لدى المؤرخين بخصوص سنة ميلاده، وسنة وفاته، ومن ثمة فإن عدم تحديد المصادر لذلك، تبقي نقطة يمكن الاجتهاد فيها من طرف الدارسين والباحثين، مع لزوم التحفظ والتقدير بعد التتبع والاستقراء.

إن الشيء الوحيد الذي تتفق عليه المصادر، ويذكره المؤرخون ، أن الشيخ هود بن محكم الهواري ، يُعد ويحسب من علماء الطبقة السادسة (250ه-300ه)، أي: يصنف على أنه من علماء القرن الثالث الهجري، والأمر ذاته في تحديد سنة الوفاة له، فلو سلمنا بالافتراض القائل أنه يحسب من علماء الطبقة السادسة (250ه-300ه)، فإنه يُرجح أن تكون سنة وفاته في نهاية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري،[1] والله أعلم.

وهدا ما ذكره الأستاذ المحقق ، في شأن ميلاده بالتقدير، على أنه مقدرٌ في العقد الأول، أو الثاني من القرن الثالث الهجري (210ه-220ه)،

أما صاحب معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض ، فيرجح ويذكر أن الولادة كانت بعد عام (250هـ) ، والذي يبدو لي من حيث الصواب ، هو الرأي الذي اعتمده المحقق للتفسير، كونه استند فيه إلى معلوماتٍ تاريخيةٍ إباضيةٍ، ومعلومٌ ما هو معروفٌ ومعهودٌ من خاصية ميزة التحري والتدقيق عند هذه الطائفة تحديداً.

فإذا تبنيت رأي المحقق ههنا في المسألة، فبناءً عليه أجد من الأنسب في التحديد الزمني لسنة ولادته من حيث كما تقتضيه الإشارات التاريخية في المصادر أن الشيخ هود بن محكم الأوراسي، قد وُلد في عهد إمامة أفلح بن عبد الوهاب، ثالث الأئمة الرستميين (190ه-240هـ) ، دون أن ننسى ما أشرنا إليه سابقاً، من كون أن أفلح بن عبد الوهاب ، هو من كلف محكم بن هود الهواري والد الشيخ هود بن محكم ، بمهمة القضاء والحكم، لهذا فإن احتمال ولادة الشيخ هود بن محكم في عهد الإمام أفلح بن عبدالوهاب واردةٌ وثابتةٌ

[1] ينظر: بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، مرجع سابق، ج2، ص: 355 .

في المنطق والعقل، وبهذا كان الحكم بالسنة المذكورة سابقاً حكماً معللاً، لأن الذي بين أيدينا، ومعلومٌ هو معرفة أهل التاريخ بالفترة الزمنية التي كان الحكم فيها للإمام أفلح بن عبدالوهاب .

كما أنه قد يكون زامن وعاش فترات تعاقب الأئمة على دولة تيهرت ، وذلك بعد عصر الإمام أفلح بن عبدالوهاب، وهم على التوالي: أبو بكر أفلح بن عبد الوهاب (240هـ-241هـ)، ثم محمد بن أفلح بن عبد الوهاب ، المكني أبو اليقضان (241هـ-281هـ) ، ثم مرحلة وفترة حكم يعقوب بن أفلح (282هـ-286هـ)، وبعده اليقضان أبو اليقضان (294هـ-296هـ)[1].

وبناءً على هذا التسلسل الزمني، وانطلاقاً مما تقدم ، فمن الممكن أن يتبادر إلى ذهن الباحث سؤالٌ هو: هل أدرك الشيخ هود بن محكم الهواري نهاية عهد الرستميين أم لم يدرك ذلك؟، فيجيب الأستاذ المحقق بقوله: «... أنا أستبعد ذلك، ولكن لا أستطيع أن أجزم بشيءٍ في الموضوع...»[2]، فإن كان قد أدرك ذلك، سهل الأمر، واتضحت مسألة سنة ولادته تحديداً، و حتى سنة وفاته والتي تبقى عند أهل التراجم مقدرةٌ.

وفي بيان نشأة الشيخ هود بن محكم الهواري ، فالمصادر التاريخية تشير إلى ذلك أنه كان بين أحضان قبيلة هوارة البربرية، والتي اختلف فيها المؤرخون في كون نسبتها إلى هوار بن أوريغ بن برنس[3] ،جد البرانس، ومن المؤرخين من نسبها إلى أمير من أمراء العرب ، يسمى: المُسَوَّر[4]، والذي سكن مع قومه في بلاد الحجاز، فضاعت له إبلٌ ، فخرج يطلبها ويبحث عنها، إلى أن عبر نهر النيل بمصر ، وسار في بلاد المغرب طالباً لها ، فمر بجبال طرابلس ، فقال لغلامه: أين نحن من الأرض؟، فقال له الغلام: نحن بأرض إفريقيا، فقال له: لقد تهورنا، والتهور عند العرب هو الحَمَقُ، فسمي بهذه اللفظة هواراً ، فنزل على قومٍ من زناتة ، فتزوج منهم، وكثر نسله، فَهم الهواريون[5]، وهذ رأي مُعَللٌ وأقرب إلى الصحة في مسألة نسب الهواريين إلى قبيلتهم، والتي نشأ فيها المفسر الجزائري الشيخ هود بن محكم.

---

[1] ينظر: بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية ، مرجع سابق، ص: 121.

[2] هو: هوار بن أوريغ بن برنس بن بُربن بن قيسن بن عيلان ، ولم أقف على تاريخ ميلاده ، ولا وفاته. ينظر: ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ط ، ص: 495.

[3] ينظر: الطاهر الزاري، تاريخ الفتح في ليبيا، مرجع سابق، ص: 10.

[4] هو: المسور بن المثنى بن كلاع بن أيمن بن سعيد بن حمير، ولم أقف على تاريخ ميلاده، أو وفاته. ينظر: الشريف الأدريس ،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط:1994، مج1، ص: 223.

[5] ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص: 223.

يقول الشيخ علي يحي معمر: «...وُلِدَ لمحكم ولداً ،سماه هوداً ، رباه على الإسلام ، وأنشأه على تقوى الله، ودربه على المعارف الإسلامية منذ صغره ، فاستمر في الدراسة حتى أصبح عَلَماً من الإعلام »[1]، وفي هذا القول إشارةٌ إلى عبقرية أبيه في إتقان المعارف الإسلامية ، وتبحره فيها ، وتتلمذ الشيخ هود على يد أبيه حتى صار علماً مفسراً.

ج ـــ رحلاته وشيوخه:

من المتفق عليه لدى كتب السير و التراجم ،أن المفسر الشيخ هود بن محكم ، قد أخذ معظم مواهبه ومهاراته بموطنه أوراس[2]، لكن قد تتبادر إلى الذهن مجموعة من الأسئلة ، ذات الإبهام الواردة في هذا الصدد، بخصوص ترجمة وتعريف الشيخ هود بن محكم ، فمثلاً من بين هذه الاستفسارات أذكر: على يد من تتلمذ الشيخ هود بن محكم ؟ ، أو ما هي المناهل المعرفية التي رحل إليها قصد طلب العلم؟، أو بالأحرى هل خرج من بلده في رحلةٍ لطلب العلم؟ ، والكثير من شاكلة هذه الأسئلة.

إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، قد تحتاج إلى دليلٍ يستند عليه الباحث في بحثه، كشاهدٍ ومدعمٍ، لكن الملفت لنظر الباحث في هذا المقام ، هو شُحُ و ندرة الأدلة، والحقائق العلمية أو التاريخية، بخصوص ماتضمن ترجمة الشيخ هود بن محكم، باعتبار أن جُل المصادر الإباضية قد أغفلت الحديث عن هذا الجانب ،والمتعلق برحلات الشيخ هود بن محكم، أوبشيوخه ، وهذا إذا ما استثنينا بعض الحقائق المبثوثة في كتب الإباضيين ، والمتعلقة بشخص أبيه محكم الهواري، والغريب في هذه القضية، أن المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري، لم ترد عنه إشارةٌ إلى ذلك ، ولم يحدثنا عن شيءٍ من تفاصيل الرحلات، أو الشيوخ من خلال تفسيره، وأكتفى بالإشارة فقط إلى مؤلفين ، ذكرهما في تفسيره؛ أولهما: لصاحب التفسير الأصل ، والثاني في حكم الغامض والمجهول ، الذي لا يُعرف أو نعرف عنه شيئاً، وسنتطرق لهما في بيان مؤلفاته ونسبتهما له من عدمهما،أمَّا ما تعلق ببعض الإيحاءات في تفسيره كقوله:« قول أصحابنا ، أو تفسير أصحابنا»[3] ، فهي إشاراتٌ لا تعني بالضرورة قصده لشيوخه ، كما يخيل إلى بعض المحدثين الباحثين في تصوراتهم ، إذ يقول الأستاذ المحقق بالحاج شريفي معلقاً على ذلك: «... من هم هؤلاء الأصحاب الذين فسروا قبله القرءان تأليفاً ، أو تدريساً ، فنقل

[1] علي يحى بن معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ج1، ص: 138.
[2] علي يحى بن معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج1،ص:139.
[3] المصدر نفسه ،ج1 ،ص: 81.

عنهم آراؤهم وأقوالهم ؟، إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري ، إلاَّ تفسيراً نُسب إلى الإمام عبد الرحمان بن رستم ، وآخر إلى الإمام عبد الوهاب، وليس ببعيدٍ أن يكون الهواري قد إطلع عليها»[1]، فهذه وجهة نظر الأستاذ المحقق ، وفيها ما هو أقرب إلى الصحة والصواب ، إلاَّ إني وجدت بعض ما أشار إليه هذا الأخير، مفاده أنه لا أثر لحديث هود بن محكم عن شيوخه في تفسيره نهائياً، إذ يقول الأستاذ بالحاج شريفي جازماً: «...وحاولت جاهداً أن أجد إشارةً إلى بعض شيوخه في ثناياً تفسيره ، فلم أعثر علي أي واحدٍ منهم...»[2]، ثم يضيف ذات المتحدث حديثاً، يُعنى برحلات هود بن محكم وشأنه ، والذي هو في الأصل محضُ توهمٍ وتخمينٍ لا غير، وفي هذا الحديث يرى الأستاذ المحقق عدم استبعاد كون الشيخ هود بن محكم، قد رحل لطلب العلم، وهذا باعتبار المركزين العظيمين اللذين كانا في ذلك العهد بإفريقية، يَشْعَان بشتى فنون العلم، وبالعلوم الدينية على وجه الخصوص، و يقصد بهذين المركزين: القيروان ، وتيهرت.

وبناءً على ما تقدم ذكره ، من خلال وجود هذين المركزين ، فقد أُرجح باجتهادٍ أن الشيخ هود بن محكم ، قد تتلمذ علي يد الإمام أفلح بن عبدالوهاب، وعلماء تيهرت ، خاصةً بعد أن عرفنا أن وجود أبيه في منصب القضاء ، قد يؤهله إلى أن يطلب العلم من عند أعيان العلم بالمنطقة وعلمائها، وفي هذا يورد لنا كذلك الشيخ الميلي ، ما يمكن للباحث أن يتذرع به هنا في هذا المقام، إذ يقول: « وبهذا يكون شيخه الأول هو، والده محكم الهواري ، ثم مشايخ وعلماء موطنه...»[3]، وينقل الميلي أيضاً عن البكري قوله: « إن هناك مسجداً جامعاً على مقربة من قلعة هوارة»[4]، فيحتمل أن يكون الشيخ هود بن محكم قد تعلم فيه ، بالإضافة إلى كون لواب بن سلام بن عمر اللواتي الإباضي، قد عدَّ أحد عشر عالماً مبرزاً ، وكان من بين هؤلاء عالمان ينتسبان إلى قبيلة هوارة[5]، فيمكن أن يكون هود بن محكم قد تتلمذ عليهما ، وبعد ذلك رحل إلى تيهرت في اعتقاد الأستاذ بالحاج شريفي[6].

---

[1] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ص: 14.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص: 17.

[3] ، مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق،ج2،ص:14

[4] المرجع نفسه،ج2، ص :14.

[5] ينظر: ابن سلام الإباضي، بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: ڤيرنر سڤارتس ، والشيخ سالم بن يعقوب ، دار النشر فرائز ستاينر بڤيسبادن، 1986، ص: 133،134.

[6] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1 ،ص: 16.

وهو نفس الرأي الذي تبناه محمد المختار اسكندر في كتابه: "المفسرون الجزائريون عبر القرون"، وعادل نويهض في "معجم أعلام الجزائر" ، حيث ورد عنهما أن هوداً بن محكم الهواري أول المفسرين الجزائريين، و ذكرا أنه هو مفسرٌ فقيهٌ ، وإباضيٌ من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط، وجاء عنهما أنه نشأ وتعلم بتيهرت[1]، وهذه أول إشارةٍ أعثر عليها في هذا الصدد ، و لم أقف عند غيرها.

ويثبت محقق التفسير انتقال الشيخ هود بن محكم إلى القيروان[2]، إذ تبين للأستاذ شريفي خصوصاً بعد حصوله على مخطوطةٍ موجودةٍ بمكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي، ببني يزقن ، ولاية غرداية الجزائرية ،أن التفسير الذي أنا بصدد دراسة المباحث الدلالية فيه ، هو مختصرٌ لابن سلامٍ البصري، ومن هنا قد يمكن للباحث أن يعثر على الحلقة المفقودة في سند رواية هذا التفسير، إذ يقول المحقق في ذلك موضحاً: ... وأفادتني معلومةٌ جديدةٌ قيمةٌ ، وهي أن الشيخ الهواري، قد تلقى هذا الكتاب عن حفيد المؤلف : يحي بن محمد بن يحي بن سلام ، وزاد عليه، وبهذا ربما قد تتضح رواية هذا التفسير عن مؤلفه، ويتصل سنده بالمفسرين الآوائل من القرنين الأول والثاني للهجرة[3]، ولعل بهذا التصور والتتبع الزمني يكتشف الباحث تلك الحلقة المجهولة بشأن تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي.

ومن هنا أمكنني القول ، أنه من غير المستبعد أن يكون يحي بن محمد بن يحي بن سلام أحد شيوخ المفسر هود بن محكم الهواري ، والذي يمكن أن يكون قد تتلمذ على يده في التفسير، والشيء الثاني أن تفسير ابن سلام قد عُرِف في القيروان ، وذاع صيته بها، والشيخ هود بن محكم قد شد رحاله إلى القيروان[4]، فهي تعليلاتٌ للحكم المتقدم ، من كون أن الشيخ يحي بن محمد بن يحي بن سلام أحد شيوخ هود بن محكم.

وجديرٌ بالإشارة والذكر أن يحي بن محمد بن يحي بن سلام ، أحد رواة هذا التفسير[5]، وهذا الشيء والأمر الذي تمت الإشارة إليه في بداية التفسير ضِمنياً ،مما يلمح ويدل على التواتر والسند.

---

[1] ينظر: محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية، مطبعة دحلب، الجزائر،1991،ج1،ص:54، وينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،1980،ص: 338.

[2] ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ، ص: 16 ــ 33.

[3] ينظر: سعاد زغيشي ،منهج هود بن محكم الهواري في التفسير، إشراف: منصور كافي، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية:2006،2007، ص:61

[4] يحى بن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع ، 1979، ص: 85.

[5] ينظر: المصدر نفسه،ص:85

وبشأن رحلات الشيخ هود بن محكم التي ترويها بعض كتب التراجم إلى الأندلس ، فيرى الباحث سلطان الشيباني عدم استبعاد كون الشيخ هود بن محكم ، أنه قد رحل في أواخر حياته إلى الأندلس، وقرأ على مشايخها ، وتتلمذ على يدهم ، وحجته في هذا ما ذكره قطب الأئمة إذ يقول:... وإن لم تعرف الإباضية ، فقد عرفهم الأندلسيون، إذ قرأ فيهم الشيخ هود الهواري ، وقال له شيخه: لا يقبل الله ديناً يخالف ما أنت عليه[1]، وقد تفرد وانفرد الإمام القطب بهذه المعلومة، وأكتفى بعدم الإشارة إلى مصدرها، و لم أجد هذا وارداً أيضاً في المصادر الإباضية، وأغفلت ذلك.

لكن الباحث هنا قد يجد نفسه في مفترق طرق البحث عن المعلومة الدقيقة ، خصوصاً وإن تصفح معجم أعلام الإباضية ، والذي يذكر فيه أصحابه ما مفاده ،أن الشيخ هود بن محكم الهواري قد رحل إلى بلدان عدة، و ورد عنهم أنه قد أخذ العلم عن والده، وعن غيره، فقيل في الأندلس، وقيل في تيهرت، وقيل في القيروان[2]، و لم أعثر على سوى هذه الإشارات في مواطن طلبه للعلم.

وعليه فإنه ليس ثمة شيءٌ يقينيٌ يمكن الأخذ به ، بصدد الحديث عن شيوخ الشيخ هود بن محكم ، و لا عن رحلاته ، والأصل فيه أنه مجرد تخمينٍ بحثيٍ ، خصوصاً مع الإغفال التام من طرف المصادر عامةً، والإباضية خاصةً، لهذه الشخصية العلمية، ويعلل هذا الواقع الأستاذ بالحاج شريفي بقوله: « وربما يرجع ذلك إلى أن التاريخ لا يحفظ عادةً للعلماء ذِكراً، ولا تعرف آثارُ هؤلاء إلا بعد وفاتهم بعشرات السنين »[3]، فقال لربما أن يكون ذلك تعليلاً في الحكم المتقدم ذكره.

د ــــ مكانته العلمية:

إن الحديث عن منزلة الشيخ هود بن محكم الهواري العلمية، يتطلب منا الحديث عن مكانته بين قومه وعشيرته، ومن ثمة ارتأيت أن أبدأ هنا بقول الأستاذ بالحاج شريفي محقق التفسير، « وسواءً أطالت رحلته العلمية إلى هذين المركزين ، أم إلى أحدهما ، أم قصُرت ، فإن الشيخ هوداً يكون قد عاد إلى موطنه الأول، وقد ملأ وعاءه من العلم النافع ، واتسعت آفاق معارفه، وكثرت تجاربه، وها هو ذا بعد أن ورث علم أبيه وأخلاقه، ولمع اسمه بين العلماء، يستقر في أوراس ، فيصبح بها محط أنظارٍ ، وقبلة آمالٍ لطلبة العلم خاصةً ،

[1] ينظر: مهنا راشد بن حمد السعدي، الدولة الرستمية، مقال من موقع:www.istiqama.info.بتاريخ:20افريل2017.

[2] بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، مصدر سابق، ج2، 443

[3] هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 19.

وللناس عامةً، يقصده الطلاب ليقتبسوا من علمه وأخلاقه وتجاربه، ويقصده سائر الناس ، ليتلقوا منه التوجيهات الرشيدة ، والرأي السديد ، والحل المرضي لمشاكلهم، فيقضي كل من قصد مأربه، وينال بغيته»[1]، ومن خلال هذه يتضح لنا جلياً مكانة وقيمة المفسر الشيخ هود بن محكم العلمية والإجتماعية بين قومه وفي موطنه.

وثمة شيءٌ آخر تذكره المصادر الإباضية، وتجعله خيرُ دليلٍ على مكانة وقيمة الشيخ هود بن محكم التي حظي بها ، هي قصةٌ يرويها الدرجيني، وينقلها لنا، إذ يقول: أن ميموناً بن حمودي هو الراوي عن هود بن محكم، إذ جاءه رجل من العزابة[2] يستعين في إفكاك كتبٍ له مرهونةً عند رجلٍ نكاري في خمسة دنانير، فدعا هوداً رجلاً فقال له: سِرْ مع هذا الرجل إلى أحياء مزاته[3] ، فأعلمهم بما جاء به ، فأعلمهم ، وطفق الرجال والنساء يجمعون ما أمكنهم من الدنانير والدراهم ، حتى أجتمع مالٌ كثير، فجاء به إلى هود، فقال له ياشيخ هذا ما فتح الله على يديك ، فأنت أولى به ، وأحوج إليه، لكثرة مُؤَن من يقصدك، فأخذ من ذلك كله خمسة دنانير، وترك الباقي[4]. ومن خلال ما تقدم ذكره، يمكن القول أن فضل الشيخ هود بن محكم ، ومكانته بين قومه وبين عشيرته وأفراد قبيلته هوارة ، والقبائل المجاورة كـــمزاته وغيرها ، هي منزلةٌ رفيعةٌ ، ومكانةٌ عاليةٌ ذات قدرٍ، باعتبار أنه كان محجاً ومقصداً لأصحاب الحاجات الدينية والدنيوية ، ولطلاب العلم ، وعابري السبيل، وما قول الشاكي الذي أتاه شاكياً في كلامه له، ...فأنت أولى به ، وأحوج إليه ، لكثرة مؤن من يقصدك ... ، إلا إشارةٌ واضحةٌ على أنه ذا فضلٍ على غيره ومكانةٍ.

٥ ـــ مصنفاته:

إن ما ذكرْتُه وأكتفت بذكره المصادر الإباضية خصوصاً، والخزائن التراثية التي احتوت المخطوطات المتعلقة بتاريخ الإباضية ، ورد فيها سوى ذكر مُؤَلفٍ واحدٍ للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي ، ألاَّ وهو التفسير الشهير والمشهور به ، غير أنَّي وقفت عند إشارةٍ لدى أحد المهتمين بتاريخ الإباضية ، وجدتها دالةً

---

[1] المصدر نفسه،ج1،ص: 19.

[2] العزابة: مصطلح دالٌ على هيئةٍ محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً، تقوم على شؤون المجتمع الإباضي، والمراد بها عندهم الإنقطاع إلى خدمة المصلحة العامة، والاعراض عن حظوظ النفس، تتخذ هذه الهيئة من المسجد مقراً لها، ينظر: آية الله الشيخ جعفر السجاني، بحوث في الملل والنحل ،مؤسسة الإمام الصادق، ايران، ط1، ج5، ص:291،301.

[3] مزاته: اسمٌ لقبيلة من قبائل الإباضية الامازيغية بطرابلس، اعتنقت المذهب الإباضي ، وظلت تابعة للدولة الرستمية بتيهرت على عهد الإمام عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، ينظر: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ،تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة ، الجزائر، 1994، ج2، ص: 399.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 399.

على أن الشيخ هود بن محكم قد ألف عدة كتبٍ ، «أشتُهر منها تفسيره للقرءان الكريم على طريقة السلف ،لا يتعرض فيه للناحية اللغوية ، ولكنه يقتصر فيه على بيان معاني الآيات الكريمة، واستخراج ما تتضمنه من حكم وأحكام»[1] ، بيد أني لما تصفحت تفسير الشيخ هود بن محكم ، أستوقفتني تلك الإحالات التي أحال إليها الشيخ هود بن محكم ،أثناء تفسيره ، حيث أشار إلى مؤلفين ينسبهما له، وبالخصوص في تفسيره لآيات الأحكام ، فالأول عُرف عنده بأحاديث الزكاة[2] ، وقد أشار إليه بإشارتين في تفسيره ، إحداها في الجزء الأول من التفسير، والثانية في الجزء الثالث ، أما المؤلف الثاني له ، والمتعلق بموضوع أحكام الصلاة، إذ أطلق عليه سنن الصلاة[3] ، وكليهما في حكم المفقود والمجهول.

ويعلق الأستاذ بالحاج شريفي على قول المفسر ، عند تفسيره قول المولى تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[4]، إذ يقول المفسر الشيخ هود بن محكم: « يعني: الزكاة المفروضة... وما سوى ذلك ، فليس فيه زكاةٌ حتى يباع ، فتكون فيه زكاة الأموال يزكيه مع ماله إذا زكى إن كان له مالٌ، وبعض أصحابنا يجعل الذُرة مع البُر والشعير، وقد فسرنا ذلك في: أحاديث الزكاة»[5] ، وهنا بيت القصيد ، الذي يقول فيه الأستاذ معلقاً: في هذه العبارة إشارة واضحةٌ إلى موُلَّفٍ في فقه الحديث، ولنا أن نتساءل: هل هذه العبارة للشيخ هود الهواري، كما يدل عليه سياقُ الكلام؟ ، أم أنها لابن سلام ؟، قد لا يستطيع أحداً أن يقدم جواباً شافياً ، وبصفةٍ جازمةٍ، ما لم يُعثر على الربع الأول كاملاً من تفسير ابن سلام، فإذا أُثْبَت أن العبارة ليست لابن سلام ، فمعنى ذلك أن للشيخ هوداً مؤلفاً في الحديث لم تشر إليه المصادر الإباضية التي بين أيدينا، ويضيف ذات المتحدث قائلاً: والراجح عندي أن الكتاب هو : الجامع لابن سلام ، والذي ذكره ابن الجزري في غاية النهاية، في جزءه الثاني، ص: 373.[6]، والله أعلم بحقيقة ذلك.

---

[1]علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ج1، ص: 138.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1 ، ص: 82 ، وينظر: ج3 ، ص: 129.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 416.

[4] سورة البقرة الآية: 03.

[5] المصدر نفسه ،ج1،ص: 84.

[6] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:84.

تقول الباحثة زغيشي سعاد في تحقيقها لهذه المسألة: « ولما كان تفسير هود بن محكم الهواري مختصراً لتفسير ابن سلام ، فلا ندري هل هذه الإحالة موجودةٌ في أصل التفسير أم لا ؟»[1]، لذلك فقد أرجعت الباحثة خبر ذلك إلى تفسير ابن سلام ، وتفحصت في تدقيقي للمسألة مواضع الإحالة، فوجدته عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[2]، كما سبق وأن أشرت إلى ذلك، إذ يقول في ذلك ابن سلام: « هما فريضتان واجبتان، أما الصلاة فالصلوات الخمس، يقيمونها على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ، وأما الزكاة فقد فسرناها في أحاديث الزكاة، على ماسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها»[3]،ولم أتبين وجه الصواب في ذلك ، لعدم توافر ما يمكن الجزم به من قرائن وأدلةٍ علمية في مصادر أخرى.

وبناءً على هذا ، فإذا سلمنا من منطلق أن الشيخ هود بن محكم قد اختصر تفسير ابن سلام الذي كان قبله ، صح القول بأن كتاب أحاديث الزكاة ، هو في الأصل يُنسب لابن سلام ، وهذا رأي رجحه الأستاذ المحقق بالحاج شريفي كما تقدم.

وبخصوص نسبة الكتاب الثاني، فتذكر الباحثة هند شلبي ،أن لابن سلام اختياراتٌ في الفقه[4]، وأن أثبتنا العبارة الواردة في متن تفسير الشيخ هود بن محكم على أنها له ، فهذا دالٌ على أن له مؤلفاتً أخرى غير هذا التفسير، إلا أنه لم يصلنا من خبرها، أو عن شأنها شيءٌ ، وبقيت في حكم الضائع المفقود.

يقول الأستاذ المحقق في نسبة هذا الأخير «... وهذا الكتاب للمُؤَلف في الفقه»[5]، فهذا الذي أجد أن المحقق قد جزم بنسبته للشيخ هود بن محكم ، ووقع الاختلاف في نسبة الأول .

وهذا ما جاءت به المصادر التاريخية عموماً ،والإباضية خصوصاً، بَيدَ أنها تتفق اتفاقاً كلياً على نسبة التفسير الذي بين أيدينا لصاحبه الشيخ هود بن محكم ، والموسوم بتفسير كتاب الله العزيز ، والذي حفظته يد القدر من الفقد والضياع.

---

[1] ينظر: سعاد زغيشي، منهج هود بن محكم في التفسير، مرجع سابق، ص: 391.

[2] سورة البقرة الآية 03.

[3] يحى ابن سلام، تفسير يحى بن سلام ، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ط2004،ج1،ص: 391.

[4] ينظر: يحى بن سلام البصري، التصاريف، مصدر سابق ،ص: 83.

[5] ينظر: هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، الهامش (1)، ص: 416.

4 ـــ التعريف بالمؤلَف « تفسير كتاب الله العزيز»:

تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي الجزائري، تفسيرٌ قيمٌ ونادرٌ، من أوائل التفاسير في الإسلام ، وثاني تفسيرٍ في المذهب الإباضي ،باعتبار أن عبد الرحمن بن رستم سبقه في ذلك، وهو إباضيٌ[1]، وأقدم تفسيرٍ جزائريٍ حفظه الزمن لنا.

لقد ظل تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم أكثر من أحد عشر قرناً منسياً مغموراً، إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، والموجودة في مدن وادي ميزاب، وجزيرة جربة بتونس[2]، فيسر الله بذلك اكتشاف أمره بعد ما أتى عليه حيناً من الدهر لم يكن معروفاً.

فحاولت أن أقف على تلك الإشارات المتعلقة بهذا التفسير في المصادر الإباضية ، التي ذكرت التفسير، إذ تحدث الدرجيني عن أهمية الكتاب وقيمته، و وصف فضله وصفاً حسناً[3]، وأشار إليه الشماخي بقوله: «...ومنهم هودٌ بن محكم الهواري، وهو صاحب التفسير المعروف »[4]، كما نوّه بمترلته بين التفاسير، الشيخ أبو زكريا في سيره[5]، وهي إشاراتٌ مبثوثةٌ في كتب التراجم والمصادر التاريخية، مشيدةً بقيمة تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم ، ولولا هذا الاشارات ما تم التنبؤ به، ولا كشف أمره ، ولا معرفة قيمته أو مترلته ، وبها عرف المؤلف الشيخ ،ومؤلفه التفسيري.

وابتداءً من تلك الإشارات ، حاول الكثيرون من المهتمين بالعلم ، وبأهله، أكثر من مرةٍ، جمع وطباعة هذا التفسير القيم النادر ، وأذكر هنا مثلاً لا حصراً، ما قام به ثلةٌ من العلماء و المشائخ، من جهودٍ متميزةٍ، مثل الشيخ أبو إسحاق أطفيش ، والشيخ سليمان بن يوسف[6]، في لَمِ وجمع شتات هذا الإرث العلمي النفيس ، إلاَّ أن هذا المحاولات اليسيرة الطيبة، لم يُقدر لها الله سبحانه النجاح والإبراز ،إلى أن خرج التفسير إلى النور على يد الأستاذ الباحث المحقق بالحاج شريفي، والذي عكف على تمحصه، ولازم تدقيقه وقراءته

[1] ينظر: علي يحى معمر ،الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ج1، ص: 138.
[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 5.
[3] ينظر: الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر سابق ، ج2، ص: 345.
[4] ينظر: بحاز بكير، الدولة الرستمية، مرجع سابق، ص: 301.
[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 19.
[6] صالح باجية، الاباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972م،ص: 55.

بالتحقيق أكثر من عشرين سنة[1]، فكانت أول طبعة له صادرة عن دار الغرب الإسلامي، ببيروت لبنان ، عام 1990، وطُبع بعد ذلك طبعةً ثانية بأربع مجلدات، صادرة عن دار البصائر بالجزائر العاصمة ، سنة 2006 ، وهذه الطبعة الأخيرة من دار البصائر الجزائرية ، هي الطبعة المعتمدة في بحثي، كونها أُجْريت عليها تعديلاتٍ وتنقيحاتٍ غير موجودةٍ في الطبعة الأولى الصادرة عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، ولكونها طبعةً جميلة في غاية الإخراج والتصنيف، ولكونها توفرت لي بشكلٍ ورقيٍ متمثلةً في أربعة أجزاءٍ، عكس الأولى الموجودة التي لم أعثر عليها إلا في الشكل الإلكتروني.

وفي هذا المقام، أشير إلى أن أقدم نسخةٍ مخطوطةٍ له قبل أن يُطبع التفسير ، ترجع إلى القرن الحادي عشر الهجري «11ه»، وهذا ما دلنا عليه الإمام قطب الإئمة: (1392هــ-1914م) ، من خلال مؤلفاته: هيمان الزاد، وتيسير التفسير ، وفي شرح النبيل ، كما ذكر هذا الشيخ أبو إسحاق أطفيش ، في عرضه لتقديم كتاب الوضع ، للشيخ الجناوني[2]، وأورد هذا الخبر أيضاً، صاحب كتاب الإباضية في موكب التاريخ[3]، والذهبي في كتابه التفسير والمفسرون[4] ، وباحثون كُثرٌ أشاروا إلى أن الجذور الأولى، وأقدمية النسخ المخطوطة لتفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم، ترجع إلى القرن 11ه تحديداً زمنياً.

ومما قيل في حق مُؤَلَفِ المفسر هود بن محكم، الكثير ولا زال يقال، إلا أنه ما يثير أنتباه الباحث في مجال التعريف بالكتاب، هي تلك النقطة والفكرة الدقيقة التي صدرت من الشيخ محمد حسين الذهبي مفادها أن التفسير الذي هو متداول بين أيدي الناس لم يكمله الشيخ هود بن محكم، حيث يقول محمد حسين الذهبي: « إن ما وجدناه من تفسير هود بن محكم، لم يتسر لنا الاطلاع الكافي الذي يعطينا فكرةً واضحةً عنه وعن مؤلفه، وذلك راجعٌ إلى رداءةِ خطه، وضياع بعض أوراقه وتآكل بعضها»[5]، والرأي الأجدر بالذكر هنا ما أعتمده الأستاذ بالحاج شريفي، إذ اعتبر أن تفسير الشيخ هود بن محكم كاملاً غير ناقصٍ ، وإنما الشيء الناقص

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص:25.

[2] ينظر: أبي زكرياء الجناوي ، الوضع، مطبعة الفجالة الجديدة، دط، د.ت، ص: 10.

[3] ينظر:علي يحى معمر، الإباضية في موكب التاريخ ،مرجع سابق، مج1، ص: 138.

[4] ينظر:محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون، ، مصدر سابق، ص: 235.

[5] المصدر نفسه،ج2،ص: 235.

، هي الحاشية التي وضعها الشيخ أبو ستة محمد بن عمر و لم يتممها[1]، فهذا توهم الكثيرين من الدارسين والباحثين على حد قول المحقق ، من كون أن التفسير وصلنا ناقصٌ ، وهو غير الصواب.

5- مصادر تفسير الشيخ هود بن محكم، ومنهجه في بيان معاني القرءان ومفرداته:

إنه لمن مستلزمات البحث و التدقيق في أي مُؤَلَفٍ كان، معرفة الأصل فيه و المصدر،ذلك أن معرفة المصدر من أهم ما يساعد الباحث على تحقيق ما يصبو إليه من أهداف الدراسة، و لهذا ارتأيت أن أقدم نظرةً عامةً عن مصادر الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، وفي كل ما استعان به، اعتماداً منه عليه في صناعة مؤلفه.

وعليه فإن الشيخ هود بن محكم قد أعد تفسيره مستنداً إلى مصادر متعددةٍ ومتنوعةٍ، وظفها خدمةً وتسهيلاً له في عملية تفسيره لآيات الله عز وجل ، ومرد هذا كله عنده، المنهج الذي سار عليه في التفسير،قوامه التفسير بالأثر، وإسهامات المفسر في ذلك جليةٌ واضحةٌ.

ومن ثمة جاءت مصادر تفسيره متعددة متنوعة، تمثلت في الآتي:

1 أجد الشيخ هود بن محكم قد اعتمد اعتماداً كلياً في تفسيره أولاً،على القرآن الكريم ، فكان حريصاً أشد الحرص على تبيان معنى كل مفردةٍ ، وبيان دلالتها، انطلاقاً من القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك ، إذا سلمنا بأن القرآن الكريم أول مصدرٍ للتفسير، ولهذا الاعتبار كان القرآن الكريم الآلية الأولى في التفسير عند الشيخ هود بن محكم أثناء العملية التفسيرية ، وكثيرةٌ هي الآليات التي فسر بها الشيخ هود بن محكم القرآن الكريم، دون عدٍ أو حصر، و هذا يعكس اهتمامه البالغ في ذلك ،وأمثلة هذا كثيرة في تفسير كتاب الله العزيز

<u>**مثلاً**</u> : يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[2]، حيث قال في تفسيرها «.. وهم الملائكة عليهم السلام، الحفظة الذين كتبوا عليهم، وهو قوله: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ، يشهدون نسخه في الدنيا، ويشهدون على العبد يوم القيامة أنه عمله، وهو قوله في سورة ق ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ ، أي: الملك الذي يكتب عمله، ﴿ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، أي: عندي ، أي ما كتبته حاضراً »[3]، حيث نجد الشيخ هود بن محكم، ههنا يعرض بيان دلالة «الشهداء» من خلال إيراده آيتين من القرآن الكريم، موضحاً بهما ومقوياً تفسيره.

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق،ج1، ص: 21.

[2] سورة: الزمر، الآية: 69.

[3]: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج4،ص: 43.

2 المصدر الثاني من مصادره في التفسير، هو اعتماده اعتماداً لا يقل أهمية عن سابقه ، والمتمثل في السنة النبوية، و الحديث الشريف، فجعل لهذا المصدر في تفسيره أوفر نصيبٍ وحيزٍ، وهو بالنسبة له مادةً أساسية، وآلية من آليات المفسر حين تفسيره ،ولقد جمع الشيخ هود بن محكم في ذلك كل ما يتعلق بهذا المصدر،أقصد السنة النبوية الفعلية، و القولية، و التقريرية، إسناداً أم بغير إسناد، وهو الغالب عنده.

فلقد وظف السنة النبوية احتجاجاً، وشرحاً، وبياناً، وتعليلاً، واستشهاداً، والأمثلة في ذلك كثيرة متعددة حافلٌ بها تفسيره.

ولقد وقفت على إحصائيات بحثية قدمتها الباحثة سعاد زغيشي في بحثها منهج الشيخ هود بن محكم في التفسير، تحدثت فيها عن مجمل الروايات عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الشيخ هود بن محكم، فَوَجَدَتْهَا ألفاً وست (1006) رواية، خمسمائة وواحد وتسعون (591) ارتبطت بالراوي ، وأربعمائة و خمسة عشر (415) مرفوعةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إسنادٍ، أو يأتي إسنادها مبهماً[1]،وهذا يدل على تنويعه في ذكر روايات الحديث النبوي الشريف.

أمثلة :يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]،« ذكروا عن سعيد بن جبير عن علي، قال: كل شيء بقدرٍ حتى هذه، ووضع أصبعه السبابة عند طرف لسانه، ثم وضعها على طرف إبهامه اليسرى ...»، ومحل الشاهد هنا ، اعتماد الشيخ هود بن محكم في بيان ما ترمي إليه الآية على أحاديث ستة ذكرها متتابعة بإسنادها ، وهو الموطن الوحيد الذي ألفيته سرد فيه أحاديث ستةٍ دون انقطاع في موطن آية واحدة، فذكر حديث سيدنا على رضي الله عنه ،عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربعة : يشهد أن لا اله إلا الله ،وإني رسول الله بعثني بالحق، و يؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر »[3]، فهذا الحديث الذي سبق أن افتتح به هنا في هذا الموطن ، ثم إلى ذكر البقية[4]، وكلها بإسنادٍ، وأجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [5]، حيث ذكر استشهاداً بحديثٍ نبوي دون إسنادٍ، ووجدت الحديث مذكوراً عند

[1]ينظر ، سعاد زغيشي ،منهج الشيخ هود بن محكم في التفسير، مرجع سابق، ص:145.

[2] سورة القمر،الآية: 49 .

[3] حديث صحيح، أخرجه الترمذي في باب القدر ، رقم:(2146) وغيره ، وكلهم يرويه من حديث سيدنا علي بن أبي طالب، سنن الترمذي، الترمد محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى اليابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية،1975، ج2،ص:247.

[4]ينظر: هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 235

[5]سورة يوسف، الآية: 92 .

السيوطي في الدر المنثور، والبيهقي في السنن الكبرى، إذ يقول الشيخ هود بن محكم: « وفيها يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أظهره الله على مكة، وأظفره بها أنه قام على باب الكعبة، فأخذ بعضادتي الباب، وقد اجتمعت قريش أجمعها، فحمد الله ، وأثنى عليه، وصلى على نفسه وعلى الأنبياء، ثم قال: يا معشر قريش، ما تقولون، وما تظنون؟، قالوا: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ ٌكريم، وابن أخٍ كريمٍ، وقد قدرت ما تقول؟، قال أقول كما قال أخي يوسف، صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ﴾، وأنتم اذهبوا، فأنتم عتقاء الله وطلقاؤه»[1]، هذا ما تعلق بقول النبي صلى الله عليه وسلم (سنة قولية).

و كذلك أجد في تفسير الشيخ هود بن محكم، كثرة الأمثلة المستدل بها على فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كثيرٌ عنده[2]، وهذا إلمامٌ منه، وسعة اطلاع، ومعرفة لسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3 يضم تفسير الشيخ هود بن محكم كمّاً هائلاً من أقوال المفسرين ومذاهبهم، في بيان معنى ودلالة الآيات، لذلك يعد تفسير الشيخ هود بن محكم من التفاسير ذات القيمة العلمية البالغة الأثر، باعتبار احتوائه لكثيرٍ من آراء المفسرين، ولهذا فإن المصدر الثالث بعد القرآن الكريم، والسنة المطهرة، في تفسير الشيخ هود بن محكم، وجدته متمثلاً في الآراء والأقوال التفسيرية لدى المفسرين، وشمولية تفسير الشيخ هود بن محكم رغم اختصاره، تنم عن سعة اطلاعه وتبحره في هذا الشأن والصنعة.

ولقد اعتمد المفسر الشيخ هود بن محكم على هذا المصدر في تفسيره انطلاقاً من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، و أقوال التابعين، وتابع التابعين، الأمر الذي مكّن لتفسير الشيخ هود بن محكم أن يتسم بسمة التفسير الأثري كما سبق بيان ذلك، ومن ثمة كان تفسير الشيخ هود بن محكم حافلاً بأسماء الأعلام العلمية.

ولما كان تفسير الشيخ هود بن محكم حافلاً بالأعلام والألقاب، فإنه يستصعب على الدارس و المتمحص فيها إجمال ذلك وإعطائها حقها، غير إني ههنا حسب ما يستلزمه البحث، يجب أن أشير إلى أكثرهم وروداً وتداولاً عند الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره، في حين أني سأكتفي بذكر اسم العلم فقط، لكثرة الأسماء في التفسير.

ولأن المحقق للتفسير قد ترجم لهم في هوامش التفسير، فإننا نجد في صدارة و مقدمة من اعتمد عليهم الشيخ هود بن محكم في سرد رأيهم، الحسن البصري رضي الله عنه، حيث كانت أقواله في التفسير ذخيرةً

[1] ينظر:هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 285 ، و ينظر: البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الحديث في سنن البيهقي، باب فتح مكة، رقم: 118/9 ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة،2003،ج9،ص:458.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3،ص:112،وينظر:ج4، ص:227.

هائلةً لدى الشيخ هود بن محكم في بناء تفسيره، يليه في المرتبة بعده مجاهد[1]، ثم الكلبي[2]، ثم ابن عباس رضي الله عنه[3] وابن مسعود[4]، ثم عبد الله بن عمر[5]، وغيرهم كثيرٌ[6]، مما لا يمكن سرد ذكرهم في هذا المقام.

ولقد قامت الباحثة سعاد زغيشي بعملية إحصاءٍ وجردٍ شاملٍ في ذلك ، اشتملت على جميع الأعلام المذكورين في تفسير الشيخ هود بن محكم ، وعدد المرات التي استدل بأقوالهم في تفسيره[7]، وعليه فإن الشيخ هود بن محكم، قد شكّل مؤلفه في التفسير الأثري بناءً على أقوال الصحابة ،و التابعين، وأهل التأويل .

وإنه لمن الملفت للأنظار في هذا كله،أن جُلّ من نقل عليهم الشيخ هود بن محكم ،أو روى عنهم، أو استدل بأقوالهم،هم من البصرة، و في طليعتهم الحسن البصري رضي الله عنه، وهذا بإشارة المحقق في مقدمة تحقيقه على تفسير كتاب الله العزيز[8]، ثم إن الشيخ هود بن محكم من خلال اعتماده على مصدر آراء المفسرين، أجده غالباً قد لا يكتفي بذكر الراوي، أو القول لصاحبه فحسب، بل يجب أن يضع بصمته من خلال إبداء رأيه، و نقده وتحليله لذلك القول، أو التفسير، وقلما يسكت عن ذلك، و لربما كان سكوته أحياناً تفادياً و تجنباً للتكرار الممل، لكن الأصل عنده في كثيرٍ من الأقوال التي استدل بها ، أن يعطي وجهة نظره، إما مرجّحاً ، أو معللاً، أو مخالفاً، وذلك يفهم مثلاً من خلال عبارات كثيراً ما يكررها مثل قوله : وهو أحب إلينا،...أو في تفسير غيره من أصحابنا..[9].

ولا غرابة في كثير من آرائه أن يرجح ما يراه جديراً بالذكر، خصوصاً إذا كان الرأي ينسب لأهل الإباضية و مذهبهم، فتراه يؤكد على ذلك، باعتباره أنه شديد التمسك بذلك ، وأمثلة هذا كثيرةٌ متعددة، فمن ذلك قوله مثلاً: ... و به يأخذ أصحابنا ، أو وهو قول أصحابنا، أو عليه نعتمد، أو به نأخذ...[10] وغير ذلك.

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج1،ص: 74 ، وينظر: 24 ،ص: 296،وينظر: ج 2،ص:144.
[2] ينظر: المصدر نفسه،ج2،ص :86 ،وينظر: ج1،ص: 94.
[3] :ينظر: المصدر نفسه، ج4،ص: 201. وينظر: ج1،ص :92.
[4]:ينظر: المصدر نفسه ،ج1،ص :91.
[5]ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 1،ص :139.
[6]ينظر: المصدر نفسه، ج1،ص :174.
[7] كمثل : سعيد بن جبير ، وجابر بن عبد الله، و ابي هريرة ، وعمر بن الخطاب، و أنس ابن مالك، وغيرهم. ينظر: المصدر نفسه، ج1،ص :174.
[8] ينظر :المصدر نفسه ،مقدمة المحقق،ج1،ص:22.
[9] ينظر: المصدر نفسه ،ج1،ص :87 .
[10]ينظر: المصدر نفسه: ج4،ص 376، و ج4،ص: 374 و ج4،ص :305

ومن هنا صح القول بأن كثرة الإعلام و الروايات، و المرويات في تفسير الشيخ هود بن محكم، مؤشرٌ علميٌ قيمٌ على رفعة المُؤَلَفِ، ودليلٌ على مكانة المُؤَلِف له، وغزارة علمه ، و تبحره في ذلك.

4 وعلى ذكر الراويات و المروايات، فإن ثمة مصدرٌ آخر يضاف إلى ما سبق ، قد اعتمد عليه الشيخ هود بن محكم في صناعته ، ذلك المتمثل في الراوية، وكل ما بلغه من أخبار، وآثار، وأحاديث، إذ أني أجد الشيخ هود بن محكم غالباً ما يستعين بها في عمله التفسيري، غير أنه أحياناً يورد سياقاً يوهم به القارئ أن القول له، أو أنه يتحدث عن نفسه، و أمثلة هذا كثيرة في تفسيره ، وذلك حينما تجد عبارة: « بلغنا أنّ » [1]، أو «حدثني فلان، أو فيما يؤثر»[2]، و أجده غالباً، أو قُلْ قلما يذكر في ذلك الراوي، أو طريق الخبر، أو الأثر، أو الحديث، و يدع الأمر مبهماً

5 ثم أنه من بين المصادر التي يجب أن لا أغفلها في بحثي، مصدرٌ يضاف إلى ما تقدم، مما اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، إلا وهو الشعر العربي ، وإن كانت تلك الإشارات المتضمنة له في أجزاء التفسير، تعد على الأصابع، غير أنه لا يمكن تجاوزها دون عَدِ هذا من المصادر، خصوصاً و أن بعض تلك الأبيات الشعرية التي أوردها الشيخ هود بن محكم أتى بها لبيان مدلول مفردة قرآنية، و هذا الغالب عنده في جميع تلك المواطن التي ذكر فيها بيتاً أو بيتين من الشعر، ولقد قمت بتتبع ذلك في ثنايا تفسيره، فوجدت الأمر لا يتجاوز السبع أبياتٍ شعريةٍ في مجلدات التفسير الأربعة كلها، وهو بهذا مُقِلٌ، قياساً مع تفاسير أخرى.

فهو حين يستشهد ببيت من الشعر، إما لبيان معنى لغويٍ محضٍ، كما هو الأمر في قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ ﴾[3]،حيث قال: « والدسر: المسامير في تفسير بعضهم، وذلك قول الشاعر :

« ودسرها نوحٌ وأيقن أنها وأعلم أن الله قد كان عالما ».[4]

وورد ذكر هذا البيت من الشعر أيضاً عند أبي عبيدة في المجاز، وذكره الفراء في معاني القرآن[5].

[1] المصدر نفسه ، ج2،ص: 466

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص 227

[3] سورة القمر، الآية:13.

[4] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4، ص: 231 .

[5] ينظر: أبو عبيدة ، مجاز القران، تحقيق فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت ،لبنان،الطبعة الأولى، دت، ج 2، ص: 240 ،وينظر: الفراء، مشكل إعراب القرءان ومعانيه، تحقيق : محمد بن عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث ، طنطا، مصر، الطبعة1،2006،ج 3،ص: 106

وأحياناً أجد الشيخ هود بن محكم يورد بيت الشعر زيادةً ،أي دون قصد البيان، و الإيضاح منه، بل يذكره استئناساً، وذلك في مثل قوله في تفسيره قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾[1]،حيث قال : ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حرق نخل بني النضير، و ترك العجوة ،ثم يورد هذا البيت قائلاً :

وهي التي يقول فيها الشاعر[2] :

« وهان على سراة بني لؤي   حريق بالبويرة مستطير» .[3]

والبويرة هنا قيل : أنها تصغير بئرٍ، وقيل تصغير بورٍ، وهي الحفرة ، والراجح عند المحقق أنها عَلَمٌ لموضعٍ به نخل ببني النضير، ومنازلهم يقع قبلة مسجد قباء لجهة الغرب[4]، ومهما يكن الأمر فإن الشيخ هود بن محكم، أورد ذكر هذا البيت استئناساً ،دون بيان معنى، والملاحظ من خلال البيتين السابقين، والبقية المذكورة في تفسيره، أنها دون نسبةٍ لأحد، بمعنى أنه يذكرها دون قائلها، بل يكتفي بقوله: قال الشاعر، سوى مكانٍ واحدٍ من مواضع ذكر الأبيات أجده يذكر صاحب البيت الشعري، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ ﴾[5]، حينما أورد ذِكراً بقوله : ذكروا عن ابن العطّار أو غيره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال: قاتل الله طرفة[6]حيث يقول:

«ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً   ويأتيك من لم تزود بالأخبار» .

فقيل له: أنه قال: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، فقال هذا وذاك سواء، وقال بعضهم : هو شعر لعباس بن مرداس[7]، تمثل ببيتٍ منه فلم يقمه، وهو قوله :

« أتجعل نهبي و نهب العُبـــــــــ   ــيد بين عُيينة والأقرع ».[8]

---

[1] سورة الحشر، الآية: 05

[2] و هو حسان بن ثابت رض الله عنه .

[3] عبد الرحمان البرقوقي ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، نشر دار الأندلس ، بيروت ، 1386 هـــ ، 1966 م، ص: 212.

[4] ينظر : هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 4 ص: 291 ،و ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مصدر سابق، مادة: (بور)، ص:245.

[5] سورة يس،الآية:69 .

[6] ينظر : ،هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج3 ،ص: 387.

[7] ينظر: ترجمة، المصدر نفسه، ج3 ، ص :387.

[8] ينظر: المصدر نفسه، ج3،ص : 387.

فهذا الذي ذكر له الشيخ هود بن محكم نسباً، وصاحباً، بينما كل تلك المواطن المتبقية من السبعة [1] لم يورد لها ذلك ، و لهذا الشأن صنفت الشعر كمصدر خامسٍ من مصادر تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري.

6 إن المتصفح والمتمعن جيداً في تفسير كتاب الله العزيز، يدرك أن مؤلفه لم يقتصر فحسب على ما سبق ذكره من المصادر، شأنه شأن بقية المفسرين الآخرين، حيث جاءت تفاسيرهم حافلة بشتى المصادر، والآثار، والأخبار، وغيرذلك ، من الكتب المشار إليها، أو المنقول منها، أو عنها، وهذا لا يقل أهميةً من حيث درجة المصدر عند غالبية المفسرين لكلام الله عز وجل، إذ الأمر لا يقتصر على مصدر أو مصدرين، كالقرآن و السنة، بل قد يتعداه إلى غيره توسعاً، و استزادةً ،و توضيحاً ، وعمقاً للدلالة.

وإني ألفيت الشيخ هود بن محكم في تفسيره، قد سلك المسلك نفسه في التفسير، وذلك باعتماده على مصادر أخرى، غير ما ذكرته ؛ أي: أني أقصد بذلك، أنه أحال القارئ و الباحث إلى كتبٍ أخرى ، أوردها في متن تفسيره ، ولقد تقدمت الإشارة إلى هذا في أول البحث ، حيث أَوْرَدتُ إشارة الشيخ هود بن محكم إلى مؤلفين ،بغض النظر ههنا عن نسبتهما، وصاحبهما، وهما:الأول أحاديث الزكاة[2]، وأما الثاني: سنن الصلاة[3]،و لم يرد من الكتب و المؤلفات في تفسير كتاب الله العزيز غير هذين المؤلفين، أو لربما وردت أقوالاً من كتبٍ أخرى، غير أن منهج الشيخ هود بن محكم جعله لا يصرح بذلك، إلاّ نادراً، أو يذكر صاحب الكتاب فقط مثلاً، لكن هذين ذُكِرا صراحةً، وبمسماهما دون ذكر اسم صاحبهما .

إن ما يمكن قوله بناءً على ما تقدم بسطه في هذا المقام،أن الشيخ هود بن محكم قد بنى وألف صنعته، وتفسيره، على مصادر عديدة متنوعة، ذات الأهمية البالغة في عُرف المفسرين خصوصاً، وعند أهل اللغة عامةً، الأمر الذي جعل تفسيره يحظى بمكانةٍ ساميةٍ، و رفعة عاليةٍ، و يكسبه وفرة في المادة العلمية ،و يشرف به الحال أن يصنف ضمن التفسير الأثري الخالص، رغم اختصاره ومنهجية تأليفه.

أما ما تعلق بخصوص منهجيته والمناهج التي اتبعها في بيان مفردات ألفاظ القرءان الكريم، فإنه هاهنا في البداية لا يمكنني جمع كل تلك السمات العامة لمنهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، باعتبار أن التفسير يقع في أربع مجلداتٍ، وباعتبار ثانٍ أن الشيخ هود بن محكم لم يوضح بدقةٍ منهجه في التفسير، ولا في

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص:، 252-528

[2] ينظر :هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ،ص: 82 ، و ج3، ص: 124.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج1 ،ص :212- 419.

كيفية التعامل مع منهاج التفسير، و لم يتطرق إلى بيان سبب وعلة اختصار التفسير الأصلي لابن سلام البصري[1] ، غير أنني أجده في بداية خطبة المختصر، يذكر الطريقة التي وصله بها تفسير ابن سلام، حيث صرح أنه تلقاه عن طريق حفيد ابن سلام، ثم اختصره، و لم يصرح كذلك بعمله في المختصر أيضاً، و قد أرجعت الباحثة سعاد زغيشى دافع اختصار الشيخ هود بن محكم الهواري تفسير ابن سلام إلى ثلاث احتمالاتٍ هي :

1- إما أن تكون الأوراق الأولى من المخطوطات قد ضاعت وفُقِدت، وبالتالي لم تذكر هذه الأخبار المتعلقة بدافعية الاختصار، علماً أن المحقق ــ جزاه الله خيراًــ اعتمد في عمله على ستة مخطوطاتٍ للتفسير، في تحقيقه للتفسير[2]، مبالغةً منه في الدقة والأمانة العلمية.

2- وإما أن النُساخ والرواة تركوا ذكر ذلك عمداً، وهذا الذي أراه مستبعداً واحتمالاً ضعيفاً ، باعتبار أننا على علمٍ بثقل مسؤولية النقل و الرواية و النسخ ، و مقتضى الأمانة و الصدق فيها، ويتأكد الأمر أكثر في التعامل مع كلام رب العالمين.

3- وإما أن يكون المفسر الشيخ هود بن محكم تعمد ترك ذكر الدافع لذلك ، و أميل إلى هذا الأخير، نظراً لما توفر لدي من معلومات متواضعة، و لما وجدته من الشيخ هود بن محكم يحذف الإسناد، كلما كان تفسيراً في السياق يرجع بسنده ليحي بن سلام، و هو الأكثر، فمثلاً عنده في معرض حديثه في تفسير قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[3] حيث فسر الآية هنا اعتماداً على تفسير ابن سلام الأصل، مع عدم ذكر ذلك ،ولقد تنبه المحقق إلى ذلك، فأشار في هامشه إلى الأصل [4]، وفي السورة نفسها، أجده يعزي قول ابن سلام إلى البعض بقوله: قال بعضهم: كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[5]، حيث ذكر القول دون نسبه إلى قائله فقال : قال بعضهم :بلغنا أن ذلك

هو يحي بن محمد بن سلام البصري، ولد سنة: 198 هــ ، لم تذكر المصادر مكان ولادته، وُصِف بأنه ثقة، صادقٌ، صاحب علمٍ، و فقيه، توفي سنة :280 هــ، عن عمر ناهز 82 سنة ،و لم تذكر المصادر كدلك مكان وفاته. ينظر: ، محمد بن تميم القيراواني، طبقات علماء إفريقيا و تونس ،تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس ،و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 1985 ص: 113،112

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، المقدمة، مصدر سابق، ج1،ص: 9.

[3] سورة البقرة، الآية:74.

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص:116.

[5] سورة البقرة، الآية:59

العذاب كان الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً[1]، والأمر واضحٌ أكثر عند تفسيره كذلك لقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، حيث ذكر قوله دون إلحاق القول بصاحبه، حيث أجد المحقق معلقاً بقوله: هذه زيادةٌ لا بد منها، لأن هذه الفقرة من رواية يحي بن سلام[3]، و أجده أحياناً يذكر في تفسير غالب آيات القرآن قوله: بلغني كذا، أو أخبرني، أو حدثني[4]، فيقف القارئ للتفسير متوهماً من قوله كذلك، و لربما فهم منها أنها له ، ولكن الأصل ما أثبته المحقق، أنها في الأصل لابن سلام.

ويتأكد لنا ذلك من خلال هذه الإشارات الواردة في تفسير الشيخ هود بن محكم، والتي لم يرجع بها إلى أصحابها أنها ليست له ، و ذلك كثيرٌ في التفسير، يقول المحقق بالحاج بن سعيد شريفي في مقدمة تحقيقه تأكيدا للفكرة: « وبينما كنت ذات يومٍ أنسخُ تفسير الشيخ هود الهواري، إذ استعصت علي عبارةٌ في تفسير آيةٍ في سورة النمل، فبدا لي أن أرجع إلى مخطوطة ابن سلام لعلها تسعفني بإيضاح ما أشكل علي، و كم كانت دهشتي عظيمةٌ حين وجدتني أقرأ تفسير ابن سلام كلاماً لم يكن غريباً عني، و كأنني أعرف عباراته من قبل ، وما إن قارنت في صفحةٍ، أو صفحتين بين التفسيرين، حتى تبين لي أن هناك علاقةٌ ظاهرةٌ بينهما ، ثم تأكد ذلك عندي على مر الأيام، وعلى توالي السور، و هكذا وجهت عنايتي نحو دراسة تفسير ابن سلام، والبحث عن مخطوطاته، لأستعين بها على عملي في التحقيق ...، واليوم و بعد أكثر من عشر سنواتٍ من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد: أن الشيخ هوداً الهواري اعتمد اعتماداً كثيراً ، إن لم أقل اعتماداً كلياً على تفسير ابن سلام البصري، ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي وجدته في المخطوطات، لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ هود الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري»[5]، وهذه هي عين الحقيقة و الصواب، والأمانة العلمية تقتضي أن أُجْلِي هذا ،وأبينه في تقديمي للكتاب .

وانطلاقاً من هذا القول، و اعتماداً عليه يمكن تبني ما أورده المحقق، بناءً على نتيجة سنواتٍ من البحث، و المقارنة و التحقيق، ثم أنه لا يجب إغفال السؤال الذي قد يتبادر للأذهان، و المتمثل في قول السائل

[1] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:109.

[2] سورة الحج، الآية:29.

[3] ينظر: المصدر نفسه،ج3،ص:104 .

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج3،ص:100،ج3،'،ص:202، و ج4،ص:206،ج4،ص:399.

[5] ينظر: المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص:27،26.

مثلاً : إذا كان الأمر هكذا، فلماذا أُغْفِلَت مخطوطات تفسير هود بن محكم الهواري، و التي توافرت بين يدي المحقق هذه العلاقة بين التفسيرين ؟.

وهو في الحقيقة أنه سؤالٌ تصعب الإجابة عليه ، و لا يكاد يجزم بالحقيقة لجهةٍ ما، باعتبار أنه لم يصلنا كل شيءٍ متعلقٌ بكلا التفسيرين، وعليه فإن كل الدراسات التي أجريت على التفسيرين تبقى نتائجها محض آراءٍ تسجل، ولا يجزم بها، لعدم امتلاكنا الوثائق التاريخية، أو الأدلة الموضوعية الكافية التي تسمح بتقديم جوابٍ كافٍ ،شافٍ، عن سؤالنا هذا .

وأضاف المحقق إجابةً على السؤال،... أنه من العسير تقديم جواباً شافياً على ذلك، ما دمنا لا نعرف شيئاً عن إسناد رواية هذا التفسير، و ذكر احتمالية استبعاد الشيخ هود الهواري كتم العلاقة بين التفسيرين، أو تجاهلهما، و طرح تساؤلاً ثانٍ ،متعلقٌ ببعض تلاميذ الشيخ هود الهواري، الذين رووا التفسير، هم ربما من أهملوا ذكر ابن سلام عن قصدٍ أو عن غير قصدٍ[1] ، ولكن مع هذا يبقى مجرد احتمالٍ ضعيفٍ، و مستبعدٍ، نظراً لما تقتضيه الأمانة العلمية ، لكن على الباحث في هذا المقام أن يرجح الكفة و الميل لجهةٍ ما، فلربما كانت أقرب للمنطق و الواقع ، ومن ثمة فإني أميل إلى ما اعتمده المحقق ــ جزاه الله خيراًــ في كون الشيخ هود الهواري، ربما قد أشار في طليعة تفسيره إلى أنه اعتمد تفسير ابن سلام، ثم اختصره، لكن الوريقات الأولى من المخطوطات ربما قد ضاعت، و فقدت في القرن الثالث هجري ،أو الرابع، و لم تصل لأيدي المحققين الباحثين .

ومهما يكن الأمر، فإن لكلٍ منهما قيمته وأثره، ولكلٍ منهما بصمته في التفسير، أو في المختصر، وأن كليهما متوفرٌ بين أيدينا، ويبقى فارق سنة الوفاة بين كلا المفسرين ربما هو الفاصل في القضية، إذا اعتبرنا أن المتأخر هو من بإمكانه النقل عن المتقدم ، حيث أن ابن سلام متوفى بإجماعٍ سنة: 243هـــ، على القول المشهور ، وبعده الشيخ هود بن محكم الهواري بقرابة الثمانين سنة .

ومن ثمة فإني أرى كل ما قدمته في إثبات نسبة الكتاب مما تقدم من أولويات بحثي، و أمرٌ مقدمٌ على القراءة المنهجية لعمل الشيخ هود الهواري في تفسيره.

والآن سأبين بعض النقاط التي تم لي جمعها كمرتكزاتٍ رئيسيةٍ بارزةٍ في عمل و منهج الشيخ هود الهواري الذي سار عليه في عمله التفسيري، و سأحاول ذكرها في نقاطٍ مع أمثلةٍ بيانية لكل نقطةٍ من تفسيره.

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ص:28

أولاً : إن أول ما شد انتباهي في منهج الشيخ هود بن محكم الهواري، أنه يقف عند دلالة المفردة القرآنية ، فيحيلها إلى مقصدها الشرعي، و يوضح فيها ما يقتضيه المقام، ولو كان ذلك منه مختصراً.

مثال : نلاحظ مضمون ذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾[1] ، حيث أجد الشيخ هود الهواري قد وقف في الآية على بيان الدلالة القرآنية لجل مفردات الآية، ثم يوجهها إلى غايتها الشرعية، فقال في دلالة مفردة الخشوع مثلاً:« و الخشوع هو الخوف الثابت في القلب»[2]، ثم ينحو بعد بيان الدلالة اللغوية نحو المقصد الشرعي من ذلك فقال: « وذكر لنا أن أحدهم كان يرفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية غضوا أبصارهم، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده»[3]، ثم بين كذلك دلالة مفردة :اللغو الواردة في الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾،فقال :« اللغو هو الباطل، ويقال الكذب ، وهو واحدٌ»[4]،فتراه حسب منهجه يسعى إلى الوقوف أولاً على دلالة المفردة القرآنية ، و أوضح العلاقة الدلالية بينهما، وختم تفسيره في طليعة هذه السورة بالتوجيه الشرعي، في تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾، أي: يؤدون الزكاة المفروضة.[5]

ثانياً : إن منهج المفسر الشيخ هود الهواري في التفسير، مبنٌي على تفسير المفردة الواحدة في الآية في حد ذاتها، صرفاً عما قبلها أو بعدها ، وهذا مما تفرد به، خلافاً لبعض المفسرين الذين يفسرون الآيات مرتبطةً أحياناً بما قبلها، وتارةً بما بعدها، حسب ما تكونه من جزءٍ تامٍ، أو وحدةٍ تفسيريةٍ متكاملةٍ، حيث نجده لا يقف في الوحدة، أو الجزء، إلا بما يخدم فهم السياق، من خلال ما يراه هو جديرٌ بالتفسير، بمعنى أنه لا يشتغل على تفسير الكل، بل الجزء، وهذا من مستحدثات علم دلالة مفردات القرآن حديثاً، والمعروف بالبؤرة الدلالية للمفردة القراءنية[6]، وهذا إنما يدل على سعة ملكة علم الدلالة لديه، و إحكامه لذلك عنده.

---

[1] سورة المؤمنون، الآية:1.4.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص:114.
[3] المصدر نفسه،ج3،ص:114.
[4] المصدر نفسه ،ص:114.
[5] ينظر: المصدر نفسه، ج3،ص:114.
[6] ينظر: المغيلي حدير، علم دلالة مفردات القرءان نحو نظرية مفرداتية قرءانية، دار الكفاية،الجزائر، الطبعة الأولى،2015، مرجع سابق،ص: 64.

إضافةً إلى ما تقدم ذكره أجد الشيخ المفسر هود بن محكم الهواري أحياناً يعمد إلى تفسير ظاهر النص القرآني ،أو سياق الآية بما يكمل المعنى في ذلك ، بمعنى أنه يورد المقصود من الآية، أو المفردة، دون تفسيره، وإني به أحياناً، ـــــ بل غالباً ـــــ قلما يستعمل الأسلوب المباشر الواضح حينما يتعرض لكثيرٍ من الآيات والمفردات القرآنية بالتفسير، والإيضاح، بل يتجاوزها دون تعمقٍ، و أرجح أن يكون هذا من صميم الاختصار عنده، خصوصاً إذا كانت المفردة أو الآية سبق و أن أشار إليها، فيكتفي مثلاً بذكر عبارة: « وقد فسرناه في غير هذا الموضع»[1]، أو« سنفسرها»[2]، وسأمثل لذلك بأمثلةٍ توضيحيةٍ من تفسيره .

مثال : نلاحظ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ ﴾[3]، حيث أجده واقفاً على دلالة مفردة الكلالة بمعزلٍ عما قبلها وما بعدها، والأصل أنها تقتضي فهم السياق العام الكلي للآيات المتعلقة بالميراث، والواردة قبل ذكر هذا، فقال:« ذكر بعض المفسرين: الكلالة ، الذي لا ولد له، ولا والد، ولا جد»[4]، و هو الأمر ذاته حينما يفسر قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٥ ﴾[5]، حيث يرى أن الجزء الأجدر بالتفسير في الآية كلها، هو مفردة العنت، فوقف عند مدلولها لوحدها، دون ربطها بما قبلها، ولا بما بعدها، واستكمالاً للتفسير و الإيضاح قال: « و العنت : الضيق».[6]، أما مثال ما فسره بتكملة المعنى ،أو ما قصد به من الآية، فكثيرٌ في تفسيره، لكن سأذكر شيئاً منه .

مثال: نلاحظ ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ ﴾[7]، حيث انصرف في تفسيره مباشرة إلى تكملة المعنى، و بيان ما المقصود بالخطاب فقال: «يعني أهل الكتاب».[8]، وفي قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ

[1] ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص:568، ج1، ص:323، ج4،ص:202.

[2] ينظر: المصدر نفسه:ج3،ص:182،ج3،ص:458.

[3] سورة النساء، الآية:25.

[4] المصدر نفسه ،ج1،ص:323.

[5] سورة النساء، الآية:25.

[6] المصدر نفسه،ج1،ص:335.

[7] سورة الأنبياء، الآية:93.

[8] المصدر نفسه، ج3،ص:79.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] ، فنجد الشيخ هود بن محكم مكتفياً بتكملة المعنى من خلال قوله: « أي: أنهم مبعوثون »[2]، دون ربطٍ لما سبق ذكره، مما قد يوهم القارئ أحياناً باللبس في الآية وتفسيرها، متسائلاً أ انهيت أم ليس بعد؟.

ثالثاً: أجد الشيخ هود بن محكم الهواري في منهج تفسيره لمفردات القرآن الكريم، يستحضر آلية الاستعانة على الفهم و التفسير بأسباب الترول للآية في حد ذاتها، وهذا شرطٌ من أهم الشروط الواجبة عنده، والتي يجب توافرها في المفسر لتفسير كلام الله تعالى، ولقد سبقت الإشارة إلى ذلك على أنها من العلوم التي يجب على المفسر الإلمام بها قبل الشروع في عملية التفسير، لذلك ألفيت الشيخ هود بن محكم الهواري يذكر سبب الترول للآية تارةً قبل تفسيرها، وأخرى بعدها، أو لربما جعل من سبب نزول الآية تفسيراً عاماً لها، وغالباً ما أجده يتركه اطلاقاً، و يهتم ببيان مدلول المفردة فحسب.

مثال : نلاحظ ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[3] ، فكان تفسيره للآية عنده مقروناً مباشرةً بذكر سبب نزولها، وموضحاً لها ، فقال : أي: لكي ترحموا ، قال بعضهم: ذلك في الصلاة، وهو قول الحسن، وقال الحسن : كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية، قال : وصارت سنةٌ بعدها في غير الصلاة، أن ينصت القوم إذا جلسوا لمن يقرأ عليهم القرآن ... ،قال الكلبي : بلغنا أنهم كانوا قبل أن تنزل هذه الآية يتكلم الرجل بالحاجة وهو في صلاته، فيجئ الرجل إلى القوم وهم يصلون، فيقول كم صليتم ؟ فيقولون كذا، و كذا، يسألهم عما فاته، فأنزل الله هذه الآية.[4] ومن ثمة أجده موضحاً للمعنى العام الخاص بالآية من خلال ذكره سبب الترول، لهذا اهتم به كثيراً في بيان معظم الآيات القرءانية، وعده أمراً لابد منه، وارتكز عليه منهجه في التفسير، و الأمثلة في ذلك كثيرةٌ متعددةٌ من تفسيره ، لا يتأتى لي سردها كلها هنا، لكن اكتفيت فيم ذكرته آنفاً بالتمثيل بالبعض منها على جهة البيان .

رابعاً : أجد كذلك من مقتضيات منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، اهتمامه البالغ الأثر بعلم القراءات القرآنية و أثرها، و توجيهاتها في الفهم، و بيان الدلالة ، غير أن الملاحظ في سمة منهجه، أن ذلك

[1] سورة لقمان،الآية:25.
[2] المصدر نفسه،ج3،ص:299.
[3] سورة الاعراف، الآية:204.
[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص:71.

الاهتمام الكبير بالقراءات ليس لذاتها كعلمٍ مستقلٍ، بل تراه موجهاً القراءة و أوجهها لتوضيح مدلول استعمالات المفردة القرآنية ومعانيها ،غير أنه مما شد انتباهي أيضاً في اهتمامه هذا، أنه لا يعزو و يرجع بالقراءة لصاحبها، أو يذكر ذلك إلا نادراً، و الأمثلة الموضحة لهذا كثيرةٌ في تفسيره، وهذا أراه حقيقةً مؤشراً على تلك الرفعة والمكانة العلمية العالية الممكنة إياه من الإلمام بمعرفة علوم القرآن معرفةً تامةً عامةً.

أمثلة : أجد ذلك مثلاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1] حيث أراه لم يتطرق إطلاقاً إلى تفسير الآية، أو بيان معاني مفرداتها، بل اتجه مباشرةً إلى بيان أوجه القراءة القرءانية الواردة في الآية عند جمهور القراء، ولكنه لم ينسب كل قراءةٍ لصاحبها، فقال :« وهي تقرأ على ثلاثة أوجهٍ ، بالتاء جميعاً ، تردون و تعلمون ، و الوجه الآخر بالياء، يقول للنبي :يردون و يعلمون ، والوجه الثالث بقوله لهم : فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب و ما الله بغافل عما تعملون جميعاً »[2]، غير أن الملفت للانتباه ثانيةً، أنه قلما يوجه المراد اللغوي من القراءة القرآنية للمفردة توجيهاً دلالياً دقيقاً مثلاً الى المعنى المراد بها في سياق الآية، إلا يسيراً في تفسيره ،أكاد أجد ذلك في موضعين أو أكثر، غير أن الإيجابي في عمله التفسيري، لما تتعدد عنده أوجه القراءة مثلاً، تراه يفاضل، و يرجح قراءةً على أخرى.

ففي تفسيره مثلاً لقوله تعالى : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾[3]، حيث قال في ذلك مبيناً معنى كل وجهٍ من أوجه القراءة في الآية:« فمن قرأ لَنُحَرِقَنهُ، فهو يريد : لنبردنه، ومن قرأها : لَنَحْرِقَنَهُ، فهو يريد لَنَحرِقنه بالنار، وهي أعجب القراءتين إلي ، لأن الحريق للذهب الذي لا تحرقه النار آيةٌ عجيبةٌ لموسى »[4]، فنرى أن الشيخ هود بن محكم الهواري سعى إلى بيان مدلول المفردة لنحرقنه الواردة في الآية، و ووضح المقصود منها بحسب كل وجهٍ من القراءات القرءانية في ذلك.

---

[1] سورة البقرة، الآية:85.

[2] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:120.

[3] سورة طه، الأية:98.

[4] المصدر نفسه،ج3،ص:43،و ينظر: ج1،ص:106.

قال الفراء: « لنحرقنه؛ لنبردنه بالحديد برداً ، من حرقته أحرقه، و أحرقه لغتان»[1]، وفيه عن الكلبي عن أبي صالحٍ، أن علياً بن أبي طالبٍ قال: لنحرقنه ، لنبردنه[2]، فوافق وجه القراءة التي اعتمدها الشيخ هود بن محكم الهواري أوجه الدلالة المبثوثة في كتب أهل اللغة، و هذا مؤشرٌ ثانٍ على امتلاكه زمام علم القراءات القرءانية بوجهٍ عامٍ.

وأجد ذلك أيضاً في تفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3]،حيث أجده كذلك يُعرض عن بيان مدلول مفردات الآية، وينحو مباشرةً نحو بيان المعنى بأوجه القراءات القرآنية فقال: وهي تقرأ على وجهين بالياء و النون، فمن قرأها بالياء فهو يعني يوسف، يقول: يرتع و يلعب، و من قرأها بالنون فهو يعني جماعتهم، وفي هذا الموطن من التفسير أجده ينسب كل قراءة لصاحبها، فقال: وقراءة الحسن بالياء ، وقراءة مجاهد بالنون[4].

وذكر ذلك أيضاً في سورة النحل، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[5]، فقال عندها : « وهي تقرأ على وجهٍ آخر: (لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ)،أي: من أضله الله، وقد حقت عليه الضلالة بفعله»[6]، ويفهم من ظاهر قوله هذا، أنه يوجه المفردة المراد بيانها إلى معنى حسب سياقها وحركتها، وبذلك فهي عنده من خلال ما أورده بأوجه القراءة لها، حمالة معانٍ عدةٍ.

قال الفراء: و قرأها أهل الحجاز:(لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ)، وهو وجهٌ جيدٌ ، لأنها في قراءة أُبَي :(لا هادى لمن أضل الله)، و(من) في الوجهين جميعاً في موضع رفعٍ، و من قال:(يهدى) كانت رفعاً إذا لم يسم فاعلها...[7]، ولعلي استنتج أمراً هاماً، من خلال ما تعقبته من إشارات القرآءات القرانية في تفسير المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري، وهي إشاراتٌ متواضعة العدد، حيث إنه كلما أراد أن يشير إلى وجهٍ ما، في القراءات، لا يتطرق إلى بيان مدلول المفردات القرآنية، بل يكتفي بالقراءة و سردها فقط ، وأحمل ذلك استنتاجاً مني على

[1] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق ،ج2،ص:191.
[2] ينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، دار سزكين للطباعة والنشر،ط1986، ج2،ص:58.
[3] سورة يوسف،الآية:12.
[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص:265.
[5] سورة النحل،الآية:27.
[6] المصدر نفسه،ج2،ص:366.
[7] ينظر: الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج2،ص:998

خصوصية منهجه في التفسير، وطبيعة عمله المختصر، و الأمثلة في هذا كثيرةٌ متعددةٌ مثل ما أشرت إلى بعض منها سابقاً.

خامساً : أجد أيضاً من بين ما أهتم به الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، إضافةً إلى ما تقدم، أمرٌ جد هامٍ، متمثلاً عنده في معرفة الناسخ و المنسوخ في آيات الله عز و جل، فتراه يؤكد ذلك التأكيد البالغ حين تعرضه لكل آيةٍ متعلقٌ بها هذا الأمر، وهذا إيماناً منه بأن معرفة الناسخ و المنسوخ آليةً من آليات التفسير، و جب على المفسر إحكام زمامها قبل أن يشرع في عمله التفسيري، فغالباً ما كنت أجد تلك المواطن التي تحدث فيها الشيخ هود بن محكم الهواري، قد أشار إليها بإسهابٍ، على أن الآية المفسرة ناسخة أو منسوخة، دون التعمق في أمرها كثيراً.

أمثلة : أجد ذلك مثلاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٨٠ ﴾[1]، حيث ذكر الشيخ هود بن محكم الهواري ما رءاه جديراً بالتفسير في الآية، وبين حكم الآية بقوله : و كان بعضهم يقول الخير ألفٌ فما فوق ذلك ، فأمر الله في هذه الآية أن يوصى لوالديه و أقربيه ، ثم نسخ ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ ﴾ ، وجعل لكل ذي ميراثٍ نصيبه في الميراث، وصارت الوصية لمن لا يرث من قريب أو غير قريب...[2]، وأجده يؤكد على نسخ الآية، بإيراده عبارةٍ قلما يذكرها، وهي :« والعامة من الفقهاء على أنها منسوخة»[3]،و كذلك عبارة:« وغيره من أصحابنا »[4]، وأحببت أن أشير في هذا المقام إلى ما ذكره المحقق بالحاج سعيد معلقاً على هذين القولين السابقين للشيخ هود بن محكم الهواري، حيث وضح القضية أكثر و المعنى بالعبارتين فقال: « إذا وردت كلمة أصحابنا من الشيخ الهواري، فإنما يقصد بها علماء الإباضية، وسيذكرهم بأسمائهم عند تفسير بعض آيات الأحكام خاصة ... ، و يزيد أحياناً و العامة من فقهائنا »[5]،وربما يفهم من هذا تعصبه لمذهبه، واتجاهه العقائدي ،والمنتسب للإباضية.

---

[1] سورة البقرة،الآية:180.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص:162، وينظر: الجصاص، أحكام القرءان، الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1952،ج2،ص:202،207.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:162.

[4] المصدر نفسه:ص:84.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ج1،ص:84، وينظر: الهامش،ص:84.

إن الإشارة إلى أمر الناسخ و المنسوخ من طرف الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، شمل أكثر من موضعٍ و آيةٍ، الأمر الذي يؤكد شدة إهتمامه بأمر الناسخ و المنسوخ في كلام الله عز و جل.

وأجد ذلك عنده أيضاً في سورة الأعراف، حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠ ﴾[1]، فبين كذلك حكم مفردة قرآنية في الآية (ذروا)، فقال: « وذروا في هذا الموضع منسوخٌ، نسخه القتال»[2]، وكذا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾[3]، إذ قال في بيان ذلك: « أي: عن المشركين الجاهلين، والجاهلون ههنا المشركون ، قال بعضهم: نسخها القتال» [4]،غير أني بهذا القول للشيخ هود بن محكم الهواري، حيث أراه واحداً من المفسرين الذين انفردوا بالقول بنسخ الآية دون سواه من جمهور المفسرين[5]، وعلق المحقق بالحاج سعيد بقوله :« و أقول أنه لا نسخ في الآية، فإن هذه الآية عامةً فيما أدب الله به نبيه، وأدبنا به بالتبع من الأدب العالي و السلوك الحسن»[6]، وعليه صح القول من خلال ما تقدم ، بأن الشيخ هود بن محكم الهواري كان على قدرٍ عالٍ من الإلمام بحكم الناسخ و المنسوخ في كلام الله عز و جل.

سادساً: كذلك من بين ما شد انتباهي، و يشد انتباه كل باحثٍ و متصفحٍ لتفسير الشيخ هود بن محكم الهواري، تلك الصبغة الغالبة على منهجه العام في عمله، والمتمثلة في الاختصار الشديد في التفسير، فهو يتناول الآية و المفردة عن ظاهرها، ثم لا يفسر إلا ما يراه جديراً بالتفسير، دون التعمق أكثر، كغيره من المفسرين و مناهجهم في ذلك، حتى أني لأجده في المواطن البارزة عند تفسير كثيرٍ من الآيات المشهورة بخصوصيةٍ ما في كتب المفسرين، و المطولة بالإيضاح والبيان عندهم، يمر عليها مراً، أو لربما تجاهلها عامداً، أو ناسياً، غير أني بهذا المقام استبعد فكرة التجاهل العمد، استناداً لما ذكره المحقق في المقدمة بخصوص ضياع بعض الأوراق، و الصحائف من مخطوط تفسير كتاب الله العزيز، أو إغفال بعض الكلمات من طرف النُساخ، أو لربما من طرف

[1] سورة الاعراف،الآية:180.
[2] المصدر نفسه،ج2،ص:62.
[3] سورة الأعراف، الآية:199.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:68.
[5] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق ،ج2،ص:357،359.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،،ج2،ص:68، وينظر: الهامش،ص:68.

من نقلوا ، وكل ذلك واردٌ و محتملٌ، ولا يمكن للباحث إطلاقاً الجزم في مثل هكذا حقائق علميةٍ، طالما أن الأمر تاريخيٌّ، و يحتاج منا الدقة و الأمانة العلمية.

ومهما يكن الأمر فإن من أهم مميزات منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، والطابع العام الذي يستنتجه كل باحثٍ، هو ذلك الاختصار الشديد و التلخيص، غير أن هذا الاختصار أحياناً أجده مطولاً عنده في سرد بعض الأحاديث الواردة في تفسير بعض الآيات عنده، ويفصل فيها ،أو يذكر سبب النزول[1]، حتى لا يفهم القارئ ذلك الاختصار بمفهومه الواسع، في حين أني أفهم من خلال هذه النقطة بالذات، أن الشيخ هود بن محكم الهواري، يميل إلى التبسيط في التفسير، وبيان المعنى العام للمفردة والآية، ولكنه لا يميل إلى التكرار، وهذا الذي فهمته من خلال تجربتي البسيطة في قراءة تفسيره، وذلك أمرٌ جليٌّ لما يورد لنا مثلاً عبارة: سنفسرها [2]، أو سبق تفسيره[3]، أو فسرناه[4]، أو تقدم في غير هذا الموضع[5]، أو هي مثل الأولى[6]..،فكل هذا إشارةٌ منه إلى عدم التكرار، ولكنني أجده في مواضع قليلةٍ محدودةٍ يكرر و يعيد مخالفاً منهجه المبني على الاختصار، و رفض التكرار.

ونلحظه كذلك من خلال سمات منهجه العام في طبيعة التعامل مع القصص القرآني، مختلفٌ عن غيره من المفسرين في هذا، فهو بذلك قلما يذكر القصة المتضمنة للآية، بل يكاد أن يكون منه ذلك منعدماً ، حتى وإن ذكر ذلك فعلى عجلٍ منه، ولا يكررها، أي القصة، في قابل الآيات، الحاملة للقصة نفسها، والسياق نفسه، بل تراه أحياناً يصرح بعدم العودة في إيراد القصة أصلاً، كما ورد منه ذلك صراحةً في نص قوله عبارة :« ثم انقضت قصة آدم و حواء ههنا» ، وقال قبلها :« انقضت قصة آدم وحواء من هذا الموضع »[7]، فهذا القول يفهم منه أنه لن يعيد الحديث عن قصة سيدنا آدم و حواء ، ولقد تتبعت كل الآيات الواردة بعد قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[8]، فما وجدته تطرق إلى

---

[1] ينظر: تفسير آية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾، سورة النجم، وينظر: الآية 33، المصدر نفسه،ج4،ص:221-224

[2] ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج3،ص:358.

[3] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:568، وينظر: ج4،ص:202.

[4] ينظر: المصدر نفسه،ج3،ص:182.ج3،ص:458.

[5] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:568،ج4،ص:202.

[6] ينظر: المصدر تفسه،ج4،ص:231.

[7] ينظر: المصدر نفسه،ج3،ص:22.

[8] سورة الأعراف، الآية: 190 .

قصتهما بعد هذا إطلاقاً، وهذا مؤشرٌ منه على رفضه للتكرار الرفض التام، و لربما كان ذلك مؤكداً سبب اختصار مؤلف ابن سلام كما تقدم في البحث، و الله أعلم.

وبناءً على ما تقدم ذكره ، هذا ما أمكنني جمعه من إشاراتٍ متواضعةٍ من مستلزمات منهج الشيخ هود الهواري عبر تفسيره، و إلا فهي كثيرةٌ لا تعد ولا تحصى، مبثوثة في مجلدات تفسيره ، غير أن ما ذكرته كان عندي الأهم ، في حين أنها تتجلى لكل قارئ وباحثٍ إشاراتٌ أخرى بالتمحيص و الغوص أكثر ، وهي في الأصل نقاطٌ مميزةٌ لتفسيره، زادت من قيمته، و رتبته، و مكانته العلمية بين التفاسير المأثورة ، إلا أنه وبالرغم من ذلك فثمة العديد من الجوانب المنهجية التي كان من الأجدر أن لا يوردها الشيخ هود بن محكم الهواري، أو حتى يذكرها في تفسيره، استناداً للتوثيق و المنهجية، و مع هذا لا تضر بالقيمة العلمية له، ولا تنقص من قدره، و أذكر ههنا على سبيل المثال بعضاً من تلك الجوانب المنهجية في تفسيره منها:

1ــ أجد الشيخ هود بن محكم الهواري في غالب تفسيره، إن لم نقل كله قد استشهد بالأحاديث الشريفة، والآثار، أو الأخبار دون إحالةٍ أو إشارةٍ إلى ذلك، بعد ذكره أو تهميشه ، بل أنه لا يذكر السند للحديث، و قلما يذكر رواية الحديث، أو مخرجه ،ولا يذكر صاحب الأثر أو الخبر ، و أحياناً يذكر سلسلة السند للحديث الشريف، غير أنه يوردها ناقصةً ، فتراه يورد ذكر الصحابي مثلاً، أو التابعي، و يغفل البقية في السلسلة السندية ، و كل الأحاديث المبثوثة في تفسيره تجده يذكر قبلها قوله:« ذكروا عن كذا ...، أو قال بعضهم:، أو أخبرنا فلانٌ..»، دون ذكر السند بتوثيقٍ علميٍ منه لذلك ، و الأمثلة كثيرةٌ متعددةٌ في مجلدات تفسيره، أذكر منها مثلاً :

مثال: يقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]، حيث أجده قد أشار إلى ما تقدمه ذكره دون توثيقٍ فقال :« ذكروا عن الحسن: قال حق الرحم ألا تحرمها، ولا تهجرها ، قال بعضهم: إن لم يكن لك مالٌ تعطيه، فامش إليه برجلك، ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن الرحم معلقةٌ بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، و لكن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها »[2]، و أوردت هذا المثال ههنا تعمداً لاحتوائه أمثلة

[1] سورة النحل،الآية:82.

[2] الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الآداب ، باب ليس الواصل بالمكافئ، عن سيدنا عبد الله بن عمر، رقم: 4902، محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق:محمد زهير بن ناصر الناصر،المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة1،1422ه،ج8،ص:458

ما ذكرته سابقاً من عباراته: ذكروا، قال بعضهم ، ذكروا أن رسول الله...[1]، فهو جامعٌ لها، وغير ذلك من الكثير المشابه لهذا في تفسيره ، وفي تفسيره أيضاً لقوله تعالى : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[2]، قوله في ذلك مثل ما تقدم: « ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما من ذنبٍ أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، من البغي و قطيعه الرحم »[3]، حيث ذكر المفسر ههنا الحديث دون سندٍ فقال: «بلغنا أنه لما نزلت هذه الآية، قال بعض المشركين: أن هذا الرجل يعنون محمداً ، ليأمر بمحاسن الأخلاق»[4]،فلم يذكر لذلك سنداً، أو روايةً، ولا إخراجاً، وإني لأفهم من هذا أنه ربما عد ذلك من صميم الاختصار المؤسس عليه تفسيره، والله أعلم.

2 أجد كذلك مما عد من النقائص المنهجية، أن الشيخ هود بن محكم الهواري يستشهد بالأحاديث الإسرائيلية، بل الموضوعة أحياناً، دون أن يتحرى في ذلك صحة الحديث و صدقه، و نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بل تراه يذكر الحديث الذي يرى أنه يخدم تفسيره فقط، ولا يهمه في ذلك أن وافق الكتاب، أو خالفه ،وأعتمد أحياناً على بعض الأحاديث المنقولة عن غير الثقاة، أو المشهورين بالتدليس ، و المتصفح لكتب التفاسير غير تفسير كتاب الله العزيز، يدرك ذلك بجلاءٍ ووضوحٍ تامٍ، خصوصاً عندما تلاقي حديثاً تقرأه للمرة الأولى، ولم يكد يعثر له على أثرٍ عند المفسرين في تفاسيرهم ،أو عند المُحَدِثين في كتبهم، والأمثلة في هذا الصدد المنهجي في تفسير كتاب الله العزيز متفرقةٌ فيه .

مثال: نلاحظ ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5]، حيث أورد الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيرها قصةً و كلاماً

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:379.
[2] سورة النحل،الآية:82.
[3] الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب النهي عن البغي،رقم:4902، البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج8،ص:458 .
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:380.
[5] سورة البقرة ، الآية:102.

مطولاً، اشتمل على نصيبٍ من قصة سيدنا سليمان عليه السلام، غير أن فيها زيادةً وحشواً يتره أنبياء الله عن ذلك[1]، فذكر الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيرها قولاً نسبه هو لمجاهد فقال :« ذكر مجاهد أن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم ، وقد جاءهم الرسل بالكتب، فقال لهم ربهم اختاروا فيكم اثنين أنزلهما يحكمان في الأرض، فكان هاروت و ماروت فحكما، فعدلا، حتى نزلت عليهم الزهرة في صورة أحسن امرأةٍ تخاصم، فقالا لها : ائتينا في البيت فكشفا لهما عن عورتهما، وافتتنا بها ، فطارت الزهرة، فرجعت حيث كانت، و رجعا إلى السماء فزُجِرَا، فاستشفعا برجلٍ من آدم، فقالا له: سمعنا ربك يذكرك بخيرٍ، فاشفع لنا، فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء ؟، ثم واعدهما يوماً يدعو لهما فيه، فدعا لهما، فخُيِرا بين عذاب الدنيا، و عذاب الآخرة ، فنظر أحدهما إلى الآخر، فقال : ألم تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا، و كذا، وفي الخلد أيضاً ؟، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذبان ببابل...»[2]، ولقد وجدت تعليقاً للمحقق مفصلاً في ذلك بقوله:« قصة هاروت و ماروت و الزهرة، رواها الكثير من المفسرين باختلافٍ في بعضها، وأغلبها إن لم أقل كلها أباطيلٌ من القول وزورٌ»[3]،كما أجد المفسر ابن كثير ملخصاً كل أقوالهم بقوله :« و حاصلها راجعٌ في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم ، الذي لا ينطق عن الهوى، و ظاهر سياق القرآن، إجمال القصة من غير بسطٍ، ولا إطنابٍ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، و الله أعلم بحقيقة الحال»[4]، ومن ثمة أرى ابن كثير ينحو بنا منحى الإيمان والتسليم المطلق لكل ما ورد ذكره في القران، مفصلاً أو مجملاً لحاصل ما جاء ذكره في الإسرائيليات.

قال محمد أبو شهبة في الجزم بأن هذا موضوعٌ غير صادقٍ، وزورٌ و بهتانٌ، وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج بن الجوزي، ونَصَ الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت و ماروت أنها ملكان يعذبان على خطيئتهما، فهو كافرٌ بالله العظيم [5]، ويفهم هذا الحكم عند الشهاب العراقي استناداً منه إلى أحاديثٍ نصت على حقيقة ذلك، تفصيلاً و إجمالاً، ومن خلال تفاسير دقيقةٍ للآية المتضمنة لهذه القصة.

[1] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:126.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص:128.

[3] المصدر نفسه،ج1،ص:129،وينظر: الهامش 1،ص:129.

[4] ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق،ج1،ص:248.

[5] ينظر: محمد أبو شهبة، الإسرائليات والموضوعات في كتب التفسير،مكتبة السنة، ط الرابعة، دت ،ص:162.

و مما تقدم ذكره؛ أجد الشيخ هود بن محكم الهواري في هذا الذي ذكرته مثلاً، قد اعتمد اعتماداً كلياً في تفسير الآية و مفرداتها، على أحاديث إسرائيليةٍ موضوعةٍ لا أساس لها، وليس لها سندٌ و اتصالٌ عند المحدثين، فقد يكون هذا عيبٌ منهجيٌ ما كان ليقع في تفسير كلام الله عز و جل .

3 أجد كذلك من الأمور التي كان من الأولى اجتنابها من طرف الشيخ هود بن محكم الهواري، أمراً متمثلاً في غياب عامل الأمانة العلمية، و التحري في ذلك ، من خلال الإحالة، و الإشارة ، وذلك في غالبية وجل أقواله، أو ما رواه ،أو استشهد به، وهذا غير وارد في المنهجية، بل ربما عُدَ في التأليف و التصنيف نقصاً، و من باب أحرى في تفسير كلام الله عز وجل، و لم أجد له في تصفحي لمجلدات تفسيره الأربع، سوى احالتين أحال إليهما حين تفسيره لآيات الأحكام، وهما:

1* مؤلف بعنوان: أحاديث الزكاة، و الذي صرح به ،في قوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[1]،إذ أشار في تفسير ذلك إلى مذهب أصحابه، ونلاحظ هنا أنه عبر بما يفيد ذلك، وهذا الذي سبقت الإشارة له[2]، و ذكر بعد ذلك إشارة إلى هذا المؤلف المحال إليه بقوله :« وقد فسرنا ذلك في أحاديث الزكاة »[3]، قال المحقق: في هذه العبارة إشارةٌ واضحةٌ إلى مُؤَلَفٍ في فقه الحديث، ونتساءل هل هي لابن سلام ؟، أم للشيخ هود بن محكم الهواري؟، وقال بعد ذلك، فإذا ثبتت أن العبارة ليست لابن سلام، فمعنى ذلك أن للشيخ هود بن محكم الهواري مؤلفاً في الحديث، لم تشير إليه المصادر الإباضية التي بين أيدينا،... غير أني أجد المحقق يرجح نسبة الكتاب لابن سلام [4]،إستناداً للعملية التحقيقية بين مؤلف ابن سلام، و مختصر هود بن محكم الهواري.

2* أما الإحالة الثانية فهي متمثلةٌ في مُؤَلَفٍ بعنوان :«سنن الصلاة» [5]،غير أن هذا بقي أمره مبهماً، ولا يكاد يجزم به على أنه لابن سلام، كما ألحق المحقق الكتاب الأول به، باعتبار أن الربع الأول من تفسير ابن

[1]سورة البقرة، الآية:3.
[2]ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق،ج1،ص:84، وينظر: الهامش:ص:84.
[3]المصدر نفسه،ج1،ص:84.
[4]ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:84، ينظر: الهامش 3،ص:84.
[5]المصدر نفسه،ج4،ص:416.

سلام مفقودٌ[1]، ولهذه العلة فهمت سبب حكم المحقق بهذا الحكم، إضافةً إلى عامل غياب ذكر ذلك في تفسير هود بن محكم الهواري، والله أعلم بالحقيقة والصواب.

ولقد حدث علي يحي معمر بقولٍ مفاده: أن للشيخ هود الهواري مؤلفاتٌ غير هذا التفسير، إلا أنها ضاعت كغيرها من المؤلفات الثمينة التي بقيت مجرد عناوين في مصادر الإباضية[2]، وعليه فإني لم أجد من الاحالات عنده ، سوى هذين الإحالتين لهذين المصنفين المذكورين آنفاً، في حين أن كل الأقوال التي ذكرها الشيخ هود بن محكم الهواري، غير ما نقله عن مجاهدٍ مثلاً، أو الكلبي، أو السدي، أو الحسن،... فهي غير موثقةٍ، و مشارٌ إليها من طرفه ، وعُدَ هذا نقصٌ في منهجه التأليفي .

4 أجد الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره يتعرض بشكلٍ مختصرٍ لبيان الآية، ومفرداتها ، وهذا مرده طبعاً خصوصية منهجه في التفسير القائم على الاختصار، غير أني به أحياناً يكسر هذا القيد الذي رسم عليه منهجه في التفسير، فتراه يكثر أحياناً من الإيضاح و البيان ، بل و لربما وقع في التكرار أكثر من مرةٍ ، وأجده تارةً أخرى يفسر الآية، و يوضح معنى مفرداتها، ثم يرجع بالقارئ إلى ما قبل الآية المُفَسرة، وما في ذلك مدعاةٌ إلى العودة، أو شبه السياق، أو توحد المناسبة، و الأمثلة في هذا المجال كثيرةٌ عنده أيضاً منها:

مثال : نلاحظ منه تكراراً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[3]،حيث نجده في تفسير هذه الآية و بيان معناها و مقصودها، قد جزأها إلى مقاطع، وفسر كل مقطعٍ على حدة، وفصل في ذلك، وعند تفسيره لآخر الآية : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾، قال: فيها تقديمٌ، يسألونك عنها، يعني الساعة متى قيامها، ثم ذكر استشهاداتٍ فيها قول الكلبي لما قال: كأنك بينك وبينهم صداقةٌ، وهو واحدٌ، و ذكر أيضاً قول مجاهد، و فصل في ذلك تفصيلاً، ثم راح يفسر الآية من جديدٍ، لما قال: قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ

---

[1] المصدر نفسه،ج1،ص:82.

[2] علي يحى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق،ج1،ص:138.

[3] سورة الأعراف، الآية:187.

أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾، أي: كأنك حفيٌ بهم، قال: وهي في هذا التفسير مقدمةٌ، يسألونك عنها كأنك حفي بهم...[1]، وبالتالي ندرك من خلال هذا أنه خالف شرط منهجه المبني على الاختصار في مواطن عدة، وتوسع ههنا بالتكرار و التفصيل.

وهو الأمر نفسه حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2]،حيث تراه قد فسر كل جزءٍ من الآية تفسيراً، وبين أحكام الحلف و اليمين، وأنواع اليمين، وأقسامها، وحكم كل قسمٍ، وكيف تكون الكفارة، وترتيبها، و حكم التخيير بين الصيام، والإطعام، والعتق في كفارة الحلف، وما إلى ذلك مما ذكره مطولاً، ثم استأنف تفسير كل جزءٍ من جديدٍ بكلامٍ يكون بالمضمون نفسه، لما قد قاله سابقاً[3]، ولقد وردت هذه الملاحظة المنهجية في تفسيره في أكثر من موضعٍ ، الأمر الذي قد يطرح تساؤلاً قائماً بين الاختصار، و الإطناب عنده في منهج تفسيره لكلام الله عز و جل.

5ـــ مما شد انتباهي و استرعاه، في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري، هو إغفاله لتفسير بعض الآيات في كلام الله، فتجده يذكر الآية مثلاً ، بعدها ينتقل مباشرةً إلى ما بعدها، و يسقطها، غير أني أرجح أن يكون ذلك ليس صادراً منه، بل من الرواة، أو النُساخ ، ولقد أشار المحقق ـــ جزاه الله خيراً ـــ إلى تلك المواطن التي سقط تفسيرها عنده، إما عمداً، أو نسياناً، حيث ألفيته؛ (أي :المحقق) في موطنين بالتفسير قد حددهما بتعليقٍ هامشيٍ، فمن ذلك مثلاً : تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾[4]،حيث اكتفى الشيخ هود بن محكم الهواري بالحديث عن بيان و إيضاح قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ بقوله : أي السعداء، وهم أهل الجنة[5]، ولم يرد في التفسير بيان ما سبق قبلها

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، هود بن محكم، ج2،ص:64.

[2] سورة المائدة، الآية:89.

[3] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:443،444.

[4] سورة الأعراف، الآية:08.

[5] ينظر: المصدر نفسه،ج2، ص:7.

من قوله تعالى:﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ ﴾[1] قال المحقق: م تذكر المخطوطات الأربع تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ ﴾[2]، وهو الأمر ذاته عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾[3]،فهي دون تفسيرٍ و بيانٍ في موضعها بالتفسير، ولقد أشار في هذا الموضع الثاني المحقق لذلك بقوله :« لم يرد في أي مخطوطةٍ ذكرٌ لهذه الآية، ولا تفسيرها، ومن المستبعد أن يكون المؤلف ترك تفسيرها»[4]، وفي قول المحقق هذا تخريجٌ سليمٌ ومنطقيٌ في سقوط الآية من تفسيره، في حين ذُكِر غيرها.

وخلاصة القول في هذا كله؛ ما أورده المحقق في مقدمة تحقيقه، بخصوص ما تعلق بالجوانب الإيجابية، و السلبية، في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري، وركز على الجانبين ، حيث قال: « ... من الإنصاف أن نقول أن حذف المؤلف لأسانيد الرواة هو جانبٌ من جوانب النقص فيه ... ،وكان الهواري يبدأ الكلام أحياناً بقوله: قال بعضهم، ذكر بعضهم، ثم يأتي بالخبر، وربما قال أحياناً: بلغني كذا، و كذا، فيظن القارئ أن العبارة من قوله .. ،لكن عند المقارنة يتبين أن العبارة لابن سلام ،... هذا خطأٌ منهجيٌ ما كان ينبغي أن يقع فيه الهواري، خاصةً وهو يؤلف في عهدٍ كان فيه الإسناد، و الرواية، من العلوم التي يُعنى بها عنايةً بالغةً ...، وهناك جانب نقصٍ آخر، هو التكرار الممل أحياناً ، أو وجود بعض عباراتٍ في التفسير بلغت من البساطة حداً لا يليق بمستوى تفسير كتاب الله ...»[5]، وهذه كلها مؤشراتٌ و معطياتٌ سبق وأن مثلت لها بأمثلةٍ بيانيةٍ من تفسير كتاب الله العزيز، والحق أنها إشاراتٌ لا تنقص من قدر التفسير، بقدر ما تؤكد تصنيفه في مراتب عليا لكتب التفاسير ذات القيمة العلمية الكبيرة ، و يكفيه فضلاً و رفعةً أنه أول مختصرٍ لتفسير ابن سلام البصري ، ولو لم تكن له من مزيةٍ سوى حفظه لنا تفسير ابن سلام في صورة كاملةً لكفى .

6ـــ التفسير بالمأثور في تفسير الشيخ هود بن محكم.

يعد تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم، تفسيراً أثرياً، حيث استمدادا ته من القرءان و السنة، و أقوال الصحابة و التابعين ، ولا غرابة في ذلك، إذا سلمنا بأن عصر التفسير كان القرن الثالث

---

[1]سورة الأعراف، الآية:8.

[2]المصدر نفسه،ج2،ص:7.

[3]سورة الفاتحة، الآية:05.

[4]المصدر نفسه، ج1،ص:80.

[5] المصدر نفسه ، مقدمة المحقق،ج1،ص:38 39.

هجري، السائد فيه هذا النوع و الصنف من التفاسير ذات الأهمية والبال ، ثم أن الشيخ هود بن محكم سار على نهج من سبقه من المفسرين ،بإتباع الأثر لهم، وتبنى فكرة الإيضاح و البيان و الدلالة اعتماداً على الأثر، وهذا أفهمه من ظاهر قوله في مقدمة تفسيره، حيث أورد أقوالاً و أحاديث وآثاراً عدة، تؤكد على بيان منهجه في التفسير أولاً، ثم حرصاً منه على تحديد طريقة الأثر في تفسيره ثانياً، إذ كان اعتماده الكلي على القرآن و السنة، يقول الشيخ هود بن محكم :« ذكروا عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ، من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[1]، وذكر أيضاً عن ابن عباس قوله: « الجريء من قال في الكتاب برأيه، و ذكر أيضاً: قوله: قال بعض أهل العلم : بلغني أنه من فسر القرآن برأيه، فإن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ أَثِمَ...، ثم يواصل قوله ،... وأنه لا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثني عشر خصلة ، المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ ،و التقديم والتأخير، والمقطوع و الموصول، والخاص والعام ، والإضمار والعربية» [2]، ولقد سبقت الإشارة إلى هذه الخصال الاثني عشر فيما تقدم من البحث ، ثم أن الشيخ هود بن محكم يسرد و يذكر أقوالاً و أحاديث وأخباراً عدة في ذات الصدد، وهذا إن دل على شيء ، إنما يبين على حرصه الشديد على تفسيره القرآن بما أُثِرَ و ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، وعن التابعين ،وتابعي التابعين، وغيرهم من أهل الدراية والفهم لكلام الله عز وجل، وليس برأيه.

وعليه استنتج من كل تلك المسرودات للشيخ هود بن محكم، ميله إلى هذا النهج والمنهج، وشغفه الجم بالتفسير المأثور.

ولهذا الأمر بالذات نجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره قد تدرج في منهجية التفسير بالمأثور، وذلك واضحٌ جليٌ حينما يعمد إلى بيان معنى الآية بالآية، فإن تعذر الأمر وتعدى ذلك كان بالسنة ، فإن لم يتأت ذلك البيان الذي أراده كان أحيانا بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وتارةً بأقوال وآراء التابعين، وسأبين ذلك لاحقاً.

وعليه فإني ألمس في منهجية الشيخ هود بن محكم في التفسير بالمأثور تدرجاً واضحاً، ينطلق من الهرم إلى القاعدة، ثم إن هذا التدرج مستمدٌ عنده من ركائز ومراحل مر بها التفسير بالمأثور[3]،كما هو معلومٌ عند كل من يشتغل بالتفسير بالمأثور ، وعليه ،فهي مراحل معهودة ومعروفة عند أهل الاختصاص في تفسير كلام الله

[1] رواه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: 2950، الترمذي، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج5،ص:183.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، المقدمة، ج1،ص:75.

[3] ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، مصدر سابق ،ج1، ص : 145.

عز وجل، وقبل استطراد الحديث في بيان ماهية التفسير بالمأثور عند الشيخ هود بن محكم، لابد من الوقوف على حيثيات لها صلة وطيدة بذلك.

5ـــ1. مفهوم التفسير بالمأثور :

قبل الحديث عن بيان مدلول التفسير بالمأثور عند الشيخ هود بن محكم، وجب علي حسب متطلبات البحث ضبط المصطلح وحده في اللغة والاصطلاح .

1 – **الأثر لغةً** : عرّفه ابن فارس في المعجم بقوله : الأثر له ثلاثة أصول : تقديم الشيء، وذكر الشيء، و رسم الشيء الباقي ...، و أما حديث عمر: ما حلفت بها آثراً ولا ذاكراً [1]، فإنه يعني بقوله آثراً : مخبراً عن غيري أنه حلف به ...، قال الخليل : الأثر : الاستقفاء ،و الإتباع ، .. و الإثارة البقية من الشيء .[2] ، وإني لأجد هذا المعنى المفهومي متطابقاً مع رأي الشيخ هود بن محكم، و ذلك حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ ﴾ [3]، حيث أورد هذا الوجه الذي أشار إليه ابن فارس في قوله المتقدم ،قال الشيخ هود بن محكم : « ... وهي تقرأ على وجهين : (آثَارَة) و (أَثَرَةً)، فمن قرأها: (آثَارَةً) فهي: البقية ، ومن قرأ (أَثَرَةً) فهو يقول : خاصة من علم ...» [4]،وكأني بالشيخ هود بن محكم ههنا قد جمع بين الأمرين ،جاعلاً من مفهوميهما بياناً لدلالة المفردة من جهة لغويةٍ موافقة لما ذكره وحدده أهل اللغة.

وعند ابن منظور : أثرت الحديث ،إذا ذكرته عن غيرك، ومنه قيل حديث مأثور، أي: يخبر الناس به بعضهم بعضاً، أي ينقله خلفٌ عن سلفٌ، يقال منه: آثرت الحديث فهو مأثور، وأنا آثره [5]، ومن هذا يتبن حداً ثانٍ لهذا الأثر أدلى به ابن منظور، وكل الذي ورد في تعريفه محتمل وثابت.

5ـــ2. المأثور اصطلاحاً (التفسير بالمأثور).

---

[1] ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، كتاب الإيمان والنذر، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه و سلم، رقم: 6271 ،ج 11،ص:533 .

[2] ابن فارس ، مقاييس اللغة، مصدر سابق ،مادة: "اثر"،ج1 ص: 53،54

[3] سورة:الأحقاف،الآية:04.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص:132.

[5] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: "أثر"، ج1، ص: 19.

تعددت تعاريف التفسير بالمأثور عند أهل الضبط و الاصطلاح، واختلفوا في المعايير التي بها يسمى التفسير تفسيراً بالمأثور، لكنني أجد أشمل تعريفٍ وأدق حد له، على أنه هو المنقول المتواتر، أو الغير متواتر، ويتضمن ذلك المنقول عن المولى عزو جل في كتابه الكريم، أو عن نبيه العظيم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم ، أوعن التابعين[1]، وهذا صميم التفسير الأثري ،إذ لا يخلو أن يكون أحد هذه الأربع من أنواع النقل، باعتبار التدرج المتضمن له بداية من تفسير القرآن بعضه بعضاً، حيث أنك تجد المجمل في مكانٍ مفسرٍ له في آخر، والمختصر مبسوط في آخر و هكذا[2]، وتفسير القرآن بالسنة ، ثم بقول الصحابة، و التابعين بعدهم، وعلى ذكر التابعين وجبت الإشارة إلى إلحاق تفسيرهم بالمأثور الخالص، كونهم عايشوا صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، و رووا ونقلوا ما صدر عنه، وجعلوه خالصاً مصفى للدارسين والمتأملين في كلام الله عز وجل، وقد تجسدت معالم هذه الأربع من أنواع النقل في مناهج سلكها الشيخ هود بن محكم في بيانه معاني مفردات القرءان الكريم، وإيضاح دلالاته ، أبينها في الآتي:

أولاً: منهج تفسير القرآن بالقرآن عند الشيخ هود بن محكم:

يمثل تفسير القرآن بالقرآن لدى الشيخ هود بن محكم الذخيرة، و العدة الأمثل لتفسيره، لارتكازه عليه ارتكازاً كلياً، شأنه شأن غيره من المفسرين في ذلك ، حيث إنهم قد قَدَمُوا تفسير الآية بالآية ،أو القرآن بالقرآن عما سواه من كل تفسير، مهما كانت صفته ،وهذا من الضروري، والأهم عندهم معرفة المعنى الأصلي للآيات ،أو المفردات والألفاظ.

لذلك أجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره يسلك هذا المسلك ، راسماً منهجاً خاصاً به في التعامل مع تفسيره الآيات بالآيات مثلها، توضيحاً و بياناً، فلما تجده مثلاً قد أحالك وأرشدك في تفسير آية إلى آية أخرى ، تارةً يذكرها، و تارة يتجاوزها دون ذكر، فأفهم أن ثمة قاسماً مشتركاً في المعنى و الدلالة بين الآيتين ،أو لربما لم يذكر الآية في بيان الآية ،بل ذكر آيات عديدةٍ معززاً بها المعنى ،و سأمثل لذلك ببعض النماذج .

كذلك أجده يورد عبارات أكثر من تكرارها تأكيداً على أهمية تفسير القرآن بالقرآن عنده، وهذه العبارات هي : وهو قوله، أو كقوله ، أو مثل قوله ، أو قد فسرناه ، أو نظيرها قوله تعالى ...[4]، وغيرها من الألفاظ و العبارات ذات المدلول الواحد ، لكن أجد الغالب المكرر بكثرة عنده عبارة:... كقوله، و مثل قوله

[1] ينظر: خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير و قواعده، دار النفائس ،ط 2 ،1986 ،ص :111.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القران العظيم، مصدر سابق، المقدمة،ج1، ص :7 .

[3] ينظر: خالد عبد الرحمان العك ، أصول التفسير وقواعده، مرجع سابق، ص:111.

[4] ينظر: مثلا : التفسير،هود بن محكم، ج1، ص: 196، و ج1 ،ص: 189، وص: 261 ،و ص: 309، و ج3 ،ص :18 ،وج4، ص: 328.

، وأحياناً أجده قد استدل على معنى مفردة أو آية بأكملها، مجملة في مكان مفصلة في آخر، أو يعزز معنى آية وردت بآية أخرى، و ذلك حينما يوجه القارئ إلى دلالة الآية المتقدمة في التفسير، أو التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

أمثلة :

أقف في هذا العنصر على تفسير آيات قرآنية، من تفسير الشيخ هود بن محكم متضمنة لتعامله في تفسيره القرآن بالقرآن، ومن ذلك مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ ﴾[1]،حيث نجد الشيخ هود بن محكم ههنا يفسر آية بآية أخرى، مشتركتين في المعنى ،إذ قال :«... والسيئات هاهنا؛ الشرك، جزاء سيئة بمثلها، أي: جزاء الشرك النار، وهو مثل قوله: ومن جاء بالسيئة،إي: الشرك ، فلا يجزى إلا مثلها، الأنعام 160 – أي: النار »[2]، فجعل الشيخ هود بن محكم من خلال ماذكره من التفسيرين، القاسم المشترك في ذلك بيان معنى مفردة:« السيئة » عنده، على إنـــــــها الشرك، فدعـــــم وعزز الآية الأولى بالثانية .

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[3]،حيث أجد الشيخ هود بن محكم في هذه الآية، قدم جملة من الأحاديث المتضمنة لموضوع بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة و السلام، و ختم ذلك بإحالة مبينة ومفسرة لمعنى الآية، فذكر قوله : ... و مثل ذلك في الآية الأخرى في سورة الأنبياء،﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾ الأنبياء 07 [4] ، وكثيرة هي تلك الإحالات المباشرة ،و الغير مباشرة عنده في تفسيره، و غالباً ما يستعمل ذلك اختصاراً و اقتصاراً، ثم إن الإحالات عنده أحياناً بذكر موضع الآية المحال عليها، و تارةً دون ذكرٍ لها [5]،

[1] سورة يونس ،الآية: 26.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2، ص: 190.
[3] سورة يوسف، الآية: 109.
[4] المصدر نفسه،ج2،ص: 286.
[5] المصدر نفسه،ج3، ص :132.

و الأمثلة في هذا العنصر كثيرة، وردت في التفسير عنده ،لا يسعني المقام لذكرها كلها ،بل اكتفيت ببعضها في التمثيل لمنهجه.

ثانياً: منهج تفسير القرءان بالسنة النبوية عند هود بن محكم:

سبق وأن بينت اعتماد الشيخ هود بن محكم في تفسيره ،على المصدر الثاني من مصادر التفسير، و المتمثل في السنة النبوية،والحديث الشريف، و لقد سبقت كذلك الإشارة إلى نماذج من ذلك عند الشيخ هود بن محكم عبر تفسيره ، ثم إن كثرة الأحاديث و الرواة في متن تفسير كتاب الله العزيز، ليعكس مدى اهتمام و حرص الشيخ هود بن محكم على تفسير القرآن بالسنة الشريفة، قصد خدمة النص ، و المفردة القرآنية، ولهذا الأمر أجد الشيخ هود بن محكم قد رسم معالم سار عليها في كيفية التعامل مع الحديث الشريف، و السنة المطهرة، وهذه المعالم متجسدة عنده في منهج تبناه، أجمله في نقاط مركزة رغم كثرتها و تعددها :

أولاً : إن الشيخ هود بن محكم في منهج تعامله بالسنة المطهرة في تفسير القرآن، يذكر الحديث برواية واحدة ، أو بروايات من طرق مختلفة، قصد دعم وتقوية تفسير آية في كتاب الله، لهذا فسياقه و ذكره الحديث، إنما يأتي منه تعزيزاً، وهذا أول ما يلفت النظر لمنهجه في ذلك، ومن أمثلة هذا ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى مثلاً: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ ﴾[1]، حيث أجد الشيخ هود بن محكم، قد فسر الآية تفسيراً جامعاً ،و عزز بيان معنى الآية بحديث[2] وهو قوله: « ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ،من آمن بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر، والعبد إذا أطاع الله، و أطاع سيده ، والرجل إذا أعتق أمته ، ثم تزوجها »[3]، والأمثلة في هذه النقطة كثيرة في تفسير الشيخ هود بن محكم، حيث تراه يسوق فيها الحديث مدعماً، و معززاً للآية، وإنما اقتصرت على ذكر هذا تمثيلاً فقط .

ثانياً : يختار الشيخ هود بن محكم عند تعدد المعاني الحديث الصحيح فقط ،ولا يخوض في التفاصيل، بل تراه يرجح أحياناً، لكن في تعامله مع تفسير القرآن بالسنة ،والأمر يتعدى أكثر من معنى عنده، فيقتصر على حديث واحدٍ، موافقاً لما يراه مناسباً له، و أحياناً لما يخدم توجهه العقائدي المذهبي، و سيأتي الكلام عن هذا إن شاء الله.

[1] سورة القصص ،الآية:54.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 251.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 251. .

ومثال هذا ذلك الحديث الذي ساقه مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾[1] ،حيث فسر الشيخ هود بن محكم هذه الآية بحديث واحدٍ، لا أكثر، و لم يذكر شيئاً، إضافةً أو توسعاً، فقال:« ذكروا عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه»[2]، وهذا موطن عنده من مواطن ذكر حديث واحدٍ، ويتأكد من خلال عمله هذا بناء تفسيره على منهج الاختصار.

ثالثاً : أجد الشيخ هود بن محكم أحياناً يفسر القرآن بالسنة، استدلالاً وبياناً لحكمٍ فقهيٍ محضٍ ، وهذا أيضاً عنصر مهم عنده في منهجية تعامله مع آلية تفسير القرآن بالسنة ، ومن أمثلة هذا عنده ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[3]، حيث أورد حديث أبي حمزة الأسلمي ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الصوم في السفر، فقال : « إن شئت صمت ، و إن شئت أفطرت »[4]، وذكر في سياق آخر حديث عبد الله بن أبي أوفي ،أنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في شهر رمضان في سفر فغابت الشمس، فقال: أنزل فاجدح لنا ، فقلت :إن عليك النهار، فقال : أنزل فاجدح لنا ، قلت : لو أمسيت ،قال: فانزل فاجدح لنا ،فترلت فجدحت له، فشرب ،ثم قال : إذا جاء الليل من هاهنا ،و أومأ بيده إلى المشرق، فقد أفطر الصائم [5]، و المراد بلفظة :"الجدح" الواردة في الحديث، هي عملية خلط السويق بالماء ،ثم تحريكه حتى يستوي[6]، وهاهنا أجد الشيخ هود بن محكم يفسر الآية مباشرة بذلك الحديث، لبيان المسألة الفقهية المقصود بيانها من سوق الحديث و إيراده .

---

[1] سورة البقرة، الآية: 217.

[2] حديث صحيح ،أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين و المعاندين، باب حكم المرتد و المرتدة ،عن ابن عباس رضي الله عنه، وينظر: التفسير، هود بن محكم،ج1،ص:192.

[3] سورة البقرة، الآية: 184.

[4] حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم ،رقم: 1121، مصدر سابق، ص:457.، وينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص :165.

[5] حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الصوم في السفر و الإفطار، رقم: (1101) ، مصدر سابق، ص: 457،وينظر: المصدر نفسه،ج1، ص: 168.

[6] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(جدح) ،ج2،ص:234.

رابعاً : يتعامل الشيخ هود بن محكم كذلك في منهج تفسيره القرآن بالسنة، بذكر المقصود من الآية بحديث يوضح سبب نزولها، وهذا هو الغالب عنده في كثيرٍ من المواطن التي يعتمد فيها على بيان سبب نزول الآيات .

ومثال هذا عنده تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[1]، حيث أجد الشيخ هود بن محكم يبين معنى مضمون الآية اعتماداً على حديث سبب نزولها، فيقول في ذلك : « ذكروا أن أناساً من عرينة قدموا على النبي المدينة، فأسلموا، فاستوخموا المدينة ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا في إبل الصدقة، فيشربوا من ألبانها، ففعلوا حتى صحوا، فقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه و سلم، وساقوا الإبل ، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فجيء بهم ،فقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف، و سمر أعينهم و تركهم في الحرة حتى ماتوا »[2]، ثم يواصل قوله في ذلك مبيناً علة ذكر الحديث من ذلك ،وسبب الترول، حيث قال : ذكر أبو هريرة أنهم لما جيء بهم ، فقطع أيـــــديهم وأرجلهم من خلاف، و سمر أعينهم، نزلت هذه الآية: إنما جزاء الدين يحاربون إلى آخر الآية، فترك سمر الأعين[3]، ومن هنا نفهم بأن الشيخ هود بن محكم، قد ذكر هذا من قبيل بيان سبب نزول الآية ،إضافة إلى بيان سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم في المحاربين، والساعين بالفساد في الأرض.

خامساً : كذلك من بين نقاط منهج الشيخ هود بن محكم في تعامله مع تفسير القرآن بالسنة، ما تمثل عنده في تفسير المجمل والمبهم بالسنة ،والأصل في ذلك أن يبدأ تفسيره بالقرآن، فإن تعذر ذلك بحثنا في السنة المطهرة، غير أني أجد الشيخ هود بن محكم قد أحكم ذلك، وأجاد زمام الانتقال بينهما لضرورة أو لغير ضرورة، وهذا مؤشرٌ على سعة علمه، و نضج عقله، و سداد رأيه، في كلام رب العالمين.

ومن أمثلة هذا، ذلك الحديث الذي أورده ،وساقه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٨٦ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧ ﴾[4]، حيث أجد تفسير الشيخ هود بن محكم للآية عن ظاهرها، وفيها مجملٌ، حيث ساق حديثا يوضح به هذا المجمل، فقال:.. ذكروا أن رسول الله صلى

[1] سورة المائدة، الآية: 33.

[2] الحديث رواه البخاري في كتاب الوضوء،باب أبوال الإبل و الدواب و الغنم ومرابضها ،رقم: 233، مصدر سابق،ص:245.

[3] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1، ص :420.

[4] سورة النمل، الآية: 87.

الله عليه و سلم قال :إلا من شاء الله، يعني: الشهداء، فإنهم قالوا: ما أحسن هذا الصوت، كأنّه الآذان في الدنيا، فلم يفزعوا و لم يموتوا[1]، وغير هذا من الأمثلة الكثيرة عنده في التفسير، لا يسع المقام سردها كلها، وإنما اخترت هذا تمثيلاً عن لمنهجه في ذلك فقط.

ومن ثمة فإن هذه نقاط أساسية بارزة في منهجية الشيخ هود بن محكم في تفسيره القرآن بالسنة، والحديث الشريف، سنحت لي فرصة البحث بالوقوف عند بعضها، و إلّا فهي كثيرة لا حصر لها، متناثرة مبثوتة في مجلدات تفسير الشيخ هود بن محكم، وإنما الذي لا يدرك كله، يذكر شيء من جله حسب المقام، وحسب المقال، لذلك مثلت لبعضها إشارة و بياناً لا غير.

ثالثاً : منهج تفسير القرءان بأقوال الصحابة عند الشيخ هود بن محكم:

تبوأ صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانةً خاصةً عند المفسرين، باعتبار شرف صحبتهم لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، والمفسر الشيخ هود بن محكم شأنه شأن بقية المفسرين الأثريين، حيث اعتنى بآراء الصحابة في تفسيره، وأولى شخصهم المكانة اللائقة بهم ، واعتمد على أقوالهم وتصريحاتهم ، وجعلها مصدراً من مصادر تفسيره ، كيف لا والصحابة هم أكثر الناس فهماً للقرءان والسنة ، ولقد أشار الشيخ هود بن محكم إلى هذه المكانة الخاصة بالصحابة مطلع تفسيره في المقدمة، حيث سرد بعض أقوال كبار الصحابة في التفسير، وفي بيان خطورة التفسير عن غير علم وإدراك[2]، وفي الوقت ذاته أشار إشارة خاطفة إلى من أكثر من نقل أقوالهم، وأرائهم في تفسير كتاب الله عز وجل فقال مثلا:« ... ذكروا أن جملة التفسير جاء عن ابن عباس، والحسن ،وأن تفسير مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم الكلبي عن أبي صالح كله عن ابن عباس، وكل المفسرين إنما يدورون على ابن عباس والحسن ...»[3].

لذلك أجده يشيد إشادة صريحة واضحة بأقوال الصحابة المتعرضين لآيات الله بالتفسير والإيضاح، فتراه في منهجه يسردها أحياناً كاملةً، وأحياناً يورد جزءًا منها ، ثم يرجح إن اقتضى الأمر الترجيح الموافق عنده ، أو يوافق بينها، وهذا إيمانا منه أن صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعملهم ،وقولهم واجتهادهم، في حد ذاته مصدراً ضمن مصادر التفسير، مهما كانت درجة التفسير العلمية، وعلو مكانته صاحبه.

[1] ينظر: المصدر نفسه ،ج3، ص :236.
[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص:75 .
[3] ينظر: المصدر نفسه،ج1 ،ج1،ص: 76.

والمتمعن في تفسير كتاب الله العزيز، يجد الشيخ هود بن محكم، قد أكثر من نقل أراء الصحابة، و التابعين بعدهم، الميزة التي تمكنه من تصنيفه كتفسير ضمن خانة التفسير الأثري.

ثم أنه لا يخفى على المدقق في تفسير الشيخ هود بن محكم ،إكثاره البالغ في النقل والرواية عن سيدنا ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و مجاهد، وفي ذلك إشارة منه إلى اعتماده قول الصحابة، ثم قول التابعين بعدهم في بيان مقصود الآية، أو المفردة مثلاً ، أما عن البقية من الصحابة و التابعيين غير ما سبقت إشارة الكثرة إليه، فلم ينقل أو يروي عنهم إلّا قليلاً و نادراً، كروايته عن الخلفاء الراشدين، و زوجات النبي صلى الله عليه و سلم، وسيدنا عبد الله بن عمر، و أبي بن كعب، وأنس بن مالك، ... وغيرهم مما ذكره نادراً في تفسيره.

ومما لا يخفى على الباحث أيضاً هنا في هذا المقام، اعتماد الشيخ هود بن محكم على أقوال الصحابة كثيراً؛ اعتماداً علمياً متمثلاً في:

1 إما أن يكون ذكر قول الصحابي مثلاً لبيان معنى خالص، و تفسير تامٍ للآية، أو المفردة، وهذا كثير عنده بلا حصر[1]، فهو بهذا الاستعمال والإيراد، إنما هدفه وقصده التأسيس العلمي لأمر ما مثلاً، أو لبيان مدلول لغوي، أو تفصيل حكم شرعي، وغير ذلك من مصوغات توظيفه لذلك.

2 وإما أن يكون ذكر قول ورأي الصحابي في قراءته لوجه من أوجه القراءات القرآنية، والغالب عنده أنه لما يعمد إلى مثل هذا، إنما سعيه الاستعانة بقراءة بعض الصحابة على توجيه تفسيرٍ ما، أو التركيز على معنى مفردة ما، أو ما شابه ذلك، وهذا أيضاً عنده كثير متعدد في تفسيره[2]، وههنا يجب أن أبين أمراً متمثلاً عنده في هذا الصدد، أنه قلما ينسب القراءة لصاحبها، وقلما يبين ويوضح الوجه الدلالي، أو اللغوي من استشهاده بالقراءات القرءانية.

3 وإما أن يذكر قول الصحابي ورأيه لعلة حكم فقهي محض، متضمن في الآية المراد تفسيرها، وهذا أيضاً لا يقل أهمية عن سابقيه مما ذُكر آنفاً، لكن الغالب عنده أن يورد ههنا في هذا الصدد أكثر من رأي لجمع من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم يفاضل، أو يمايز بين ذلك، و تارةً يوافق ،أو يخالف ،أو يرجح، وأخرى يعتمد

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص: 277.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص: 256.

ويتبنى، و لربما لم يفعل ولا شيء مما ذُكر[1] .بمعنى أن يلتزم الحياد، فيتجاوز بعد ذكره الأقوال المتعلقة بذلك الحكم الفقهي إلى الآية الواقعة بعد ذلك، فيتناولها بالتفسير.

وعليه من خلال ما تقدم ذكره، أجد منهجية الشيخ هود بن محكم في التعامل مع أقوال الصحابة، و آرائهم، وتوظيف ذلك خدمة لتفسير القرآن بقولهم ، أجدها تنحصر أساساً فيما تقدم ذكره من هذه النقاط الثلاث ،ولربما وُجِدَت غيرها في تفسيره، لكن هذا الذي وقفت عنده، واستنتجته بفهمٍ بحثي من تصفح مجلدات تفسيره، ـــ والله أعلم ـــ .

رابعاً: منهج تفسير القرآن بأقوال التابعين عند الشيخ هود بن محكم :

لقد سلك التابعون رضوان الله عليهم ، مسلك سادتنا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في تفسير القرآن الكريم، وبيان معانيه، وايضاح دلالة تراكيبه ومفرداته، وقام منهجهم على معالم منهج الصحابة كذلك.

ولقد حظي التابعون بمنزلة رفيعة القدر في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم ، حيث جعل من أقوالهم، وتوجهاتهم أحد أهم مصادره في التفسير، وعليها اعتمد في كثيرٍ من تفسيره، وإليها يرجع في كل ما أُشكل عليه في الفهم، و لم يتبين حقيقته في القرآن، أو السنة، أو عند الصحابة الكرام، فيجد ضالته في ذلك عند التابعين رضوان الله عليهم ،إذ أفهم هذا من خلال خطته في تفسير كلام الله عز و جل المصرح بها في طليعة تفسيره.

غير أن ما يلاحظ بدقةٍ عالية في هذا كله ، أن الشيخ هود بن محكم غالباً لما يذكر قولاً أو رأياً من أراء التابعين، فإنه لا يعزوه لصاحبه، و بنسبه إليه، بل يذكر هذا ذكراً مبهماً غامضاً، وهذا لا يعني أن ينفي كل نسبة بعض الأقوال لأصحابها، وهي نقولات صريحة لدى الشيخ هود بن محكم، نقلها عن الحسن، ومجاهد، و سعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم، وسعيد بن المسيب، وغير ذلك ممن نقل عنهم، ويأتي الحسن ، في المرتبة الأولى عنده في النقل، ثم بعده في المرتبة مجاهد بن جبر المكي ، وعكرمة مولى ابن عباس [2]، وغيرهم ممن أخذ برأيهم .

ثم يجب علي ههنا الإشارة إلى أن منهج التابعين في تفسير القرآن، هو المنهج نفسه عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،سواءً تعلق الأمر بالمجمل والمفصل ،أو المبهم، أو المعاني و القراءات ، أو ببيان الأحكام، أو الأخبار، وغير ذلك، فمنهجهم لا يكاد يختلف؛ باعتبار استمداداتهم من أقوال الصحابة الكرام.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص: 375 ،،376.

[2] ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2،ج10، ص:38 ـــ 42.

و أما عن أمثلة هذا فكثيرٌ في تفسير كتاب الله العزيز، لدى الشيخ هود بن محكم، لكن سأكتفي بالتمثيل لا الحصر من باب البيان فقط، حيث أجد هذا في تفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]، قال الشيخ هود بن محكم في ذلك :« أي: أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبه شيئاً، في تفسير الحسن، وقال مجاهد :لا يتساءلون، أي: بالأنساب، وفي تفسير بعضهم: أنه لا يسأل قريبٌ قريبه ...»[2]، والملاحظ ههنا أن الشيخ هود بن محكم في الغالب، إنما يذكر أقوالاً في موطنٍ واحدٍ، كأن يذكر قول الحسن بعده مجاهد، بعده قتادة ،أو الضحاك ...غير أن الغالب أيضاً عنده عبارة: قال بعضهم ،أو قول بعضهم، أو ذكروا عن... ولقد سبقت الإشارة إلى هذا فيما تقدم ذكره.

ثم إن هذا الكم الهائل من النقولات، والأقوال، والأخبار عن التابعين الوارد ذكرهم في التفسير، ليعكس حقيقة ذلك المنهج الأثري الخالص في التفسير، فالمنهج الذي تبناه الشيخ هود بن محكم في تفسيره، ويبين مكانة التابعين وقيمتهم عنده، وفي تفسيره أيضاً.

وعليه فإن خلاصة ما يمكن قوله جمعاً مما بُسِطَ سابقاً، أن الشيخ هود بن محكم قد اعتمد منهج التفسير الأثري في تفسيره لكلام الله عز وجل، وفي بيان مدلول كل آية ، وكل مفردة من مفردات القرءان الكريم ،ضمن تفسيره نصوصاً موضحة من القرآن، و أخرى من السنة، أو يبين بأقوال الصحابة و التابعين رضي الله عنهم، وكل هذا من أساسيات منهج التفسير الأثري لدى كل مفسر لكلام الله عز وجل .

---

[1] سورة القصص، الآية: 66.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص: 254.

الفصل الثانى:

المباحث الدلالية فى تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم

1- مفهوم المشترك اللفظي ووقوعه بين الإثبات والإنكار.

2- المشترك اللفظي عند المفسرين.

3- أمثلة المشترك اللفظي في تفسير الشيخ هود بن محكم.

4- مفهوم الترادف ووقعه بين الإثبات والإنكار.

5- أمثلة الترادف في تفسير الشيخ هود بن محكم.

6- مفهوم التضاد ووقوعه بين الإثبات والإنكار.

7- أسباب التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم.

8- أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم

9- مفهوم المعرب ووقوعه بين الإثبات والانكار.

10-أمثلة المعرب في تفسير الشيخ هود بن محكم.

1ـــ مفهوم المشترك اللفظي ووقوعه بين الإثبات و الإنكار:

المشترك اللفظي ظاهرة لغوية قديمة ذات مدلولات متعددة، وأثر مختلف، وقعت في كلام العرب وشعرهم ، ولقد تمت دراستها والتطرق إليها من طرف علماء اللغة ، دراسات مستفيضة عُرِفت بالاشتراك والوجوه تارة ، والنظائر تارة أخرى، وقد أفرد جلال الدين السيوطي لدراسة هذه الظاهرة كتاباً مستقلاً أسماه: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، وخص الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجاز ألفاظه المشتركة[1]، إذ يقول السيوطي في هذا: الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ: «الأمة» ، وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته : معترك الأقران في مشترك القرآن والنظائر ،كالألفاظ المتواطئة ، وأشاروا إلى أن المقصود بالنظائر في الألفاظ ، والوجوه في المعاني، وتعرف هذه النظائر والألفاظ عند المناطقة بالمشترك المعنوي[2].

ويرى العلامة السيوطي في كتابه : «معترك الأقران» حول قضية المشترك اللفظي بأن:« الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»[3]، وبهذا التصور كان المشترك اللفظي أحد أبرز الظواهر الدالة على تعددية المعنى ، وتوافق هذا عندهم دليل على اتفاقٍ بينهم في إمكانية وقوعه ووجوده في الكلام العربي، لكنهم اختلفوا بين مُضَيِقٍ ومُؤيدٍ له، ولنأخذ مثلاً ما أشار إليه العلامة الغزالي حيث اعتبر أن الاشتراك اللفظي يقع في الألفاظ المتباينة التي اختلف مفهومها من حيث الدلالة ، وإنما الألفاظ المتضادة هي الدالة على معنى يخالف غيره وينافيه ، مثل : (الأسود والأبيض) [4]، ولو عُدنا إلى تعريف السيوطي ، وتحديد الماهية له ، حيث قال:« وقد حَدَّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[5]،وهنا وَجَبت التفرقة بين نوعين من الدلالة ، فالدلالة اللغوية لهذا اللفظ تعد دلالة حقيقية في حين أن النوع الثاني دلالة مجازية ملازمة للفظ ، وكأنها دلالة حقيقية ، وهذا الوجه كله يُحْسَبُ من المشترك اللفظي، ويؤكد لنا هذا التوجه الدلالي ما نَبَّهَ عليه العلامة الراغب الأصفهاني في رَده على أبي عبيدة حين تعرض هذا الأخير بالتفسير لقوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى

[1] ينظر: جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ،تحق:أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1998، ج 1، ص:514.

[2] ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ،ج2،ص:102.

[3] المصدر نفسه، ج2،ص:514.

[4] محمود عكاشة ، الدلالة اللفظية ، مرجع سابق ، ص: 62.

[5] جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1998،ج1 ص: 285.

ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾[1]، إذ جعل أبو عبيدة المعنى المجازي « للصبر » بصورة حقيقية دَلَّ عليها «الصبر» ، وَعَدَه من المشترك اللفظي، فَعَقَبَ على ذلك الراغب موضحا بقوله: قال أبو عبيدة: « إنَّ ذلك لغة بمعنى الجرأة ، وعلل هذا الحكم ، واحتج بقول أعرابي؛ قال لخصمه : ما أصبرك على الله ، وفي هذا تصور مجازٍ بصورة حقيقية، وهذا هو القصد من النوع الثاني مما أشرت إليه في التفرقة آنفاً ، لأن ذلك معناه : ما أصبرك على عذاب الله في تقديرك ؛ إذا اجترأت على ارتكاب ذلك ، وذلك أنه قد يوصف بالصبر من لا صبر له في الحقيقة اعتباراً بحالِ الناظر إليه »[2]، وما أخلص إليه من خلال هذا القول ، أن الراغب قد لا ينفي وقوع و وجود المشترك اللفظي ، لكنه في تيار المضيقين لمجاله في القرءان الكريم.

وفي مسألة وقوعه كظاهرة في القرآن الكريم ، وعند المفسرين ، فثمة جدل كبير بين مثبتٍ ونافٍ، وبين منكرٍ ومضيقٍ ، وموسع لدائرته ،وعليه اختلف الدارسون قديما وحديثا حول وقوعه ، ولو عدنا وتصفحنا مصنفات القدامى من العرب ، لأدركنا ذلك الجدل بينهم ، إذ أنكر وقوعه بعضٌ من المعتزلة ،وتبعهم فريق من ذلك، وعللوا سبب إنكار وقوعه بناءً على فكرهم في الحسن والقبح الذاتي العقلي ، وقالوا بمعارضته للحكمة المرادة من البيان الآلهي، فرأوا أنه من الواجب اللازم تنزيه كلام الله تعالى عنه وعن كل ما ينافي الحكمة فيه[3].

ويتحدث الأستاذ نورالدين المنجد عن الاشتراك في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ،ذاهبا مذهب بعض المحدثين الداعي إلى خلو كلام الله من الألفاظ المشتركة ، باعتبارها أنها معيقة لخصوصية الفصاحة بما تثيره من غموض ، خصوصا وأن كلام الله هو أفصح كلام ، لذا قالوا بوجوب تنزيه لغة القرآن منه[4]، وقالت طائفة أخرى بإمكانية جواز وقوعه ، لكن مع التضييق ، وأني لأجد هذا جليا عند المحدثين مثل إبراهيم أنيس في معرض حديثه عن وقوع الاشتراك في ألفاظ القرآن ،حيث قال:« ... وأما ما وقع في القرآن من ذلك المشترك فقليل جدا ،وجله إن لم يكن كله مما نلحظ فيه الصلة المجازية ، كالعين الباصرة ، وعيون الأرض...»[5]،في حين

[1] سورة البقرة، الآية: 175.

[2] الراغب الاصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ، مصدر سابق ، مادة: "صبر"، ص: 277،

[3] ينظر : طاهر حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، دار الجميل للنشر والتوزيع،مصر، الطبعة1، 2001، ص: 85.

[4] نورالدين المنجد ، الاشتراك في القرآن بين النظرية والتطبيق ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999 ،ص:272.

[5] ابراهيم انيس ، دلالة الألفاظ ، مرجع سابق ،ص: 215.

ما أكثر تلك المواطن التي استعملت فيها كلمة واحدة بمعان متعددة، الأمر الذي قد يؤشر به الجواز بوقوع الاشتراك في القرآن الكريم .

وإني لأجد الشيخ هود بن محكم من بينهم ، استناداً لتفسيره الكلمة الواحدة بمعان متعددة في مواطن شتى ، وكثيرٌ هذا في تفسيره ، فمثلا مفردة : «أمة» ،الواردة في القرآن الكريم في مواضع شتى ،وفي سياقات متنوعة ،كان الشيخ هود بن محكم يتعرض لها في كل موضوع بما يناسبها من تفسير ، غير التفسير الذي قد يذكره في المواضع السابقة ، فأجده يعلق عليها مثلا في قوله تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾[1]، مفسرا أياها بدلالة: إدكر بعد حين ، ويذكر بعد تفسيره هذا تلك المعاني المختلفة للكلمة عند المفسرين فيقول : وقال الكلبي : بعد سبع سنين، وقال بعضهم : بعد أمة ، أي : بعد سنين ،وذكر عكرمة أن ابن عباس كان يقرأها : ﴿ بَعۡدَ أَمَةٍ﴾- بالهاء- ، أي: بعد نسيان[2]، فكل هذه المعاني أشار إليها الشيخ هود بن محكم على أنها مقترنة بلفظة:« أمة»، وفي آية أخرى ، وهي قوله تعالى :﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[3]، يذكر معنى آخر غير ما سبق ، إذ يقول: إن إبراهيم كان أمة: والأمة: السيد في الخير ، يعلم الخير ويفقه الناس ويبصرهم معالم دينهم ، وسبل رشادهم ،أي: أنه كان في الخير إماما[4].

فهو بهذا يضيف معنين ثانين لما سبق وهما:

← الأمة = السيد.

← الأمة = الإمام في الخير.

وأجده كذلك في نفس المفردة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، مضيفاً معنى آخر لهذه اللفظة ، فيقول :« أي: على ملةٍ ، وهي ملة الشرك »[6]، والملة هاهنا بمعنى : الدين.

1 سورة يوسف، الآية:45.

2ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج2 ،ص: 279.

3 سورة النحل، الآية: 120.

4 ينظر : هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج2 ،ص:389.

5 سورة الزخرف، الآية: 23.

6 هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج4 ،ص: 103.

وعليه فإن هذه المفردة مثالٌ واحدٌ من بين الكثير مما ذكره الشيخ هود بن محكم من إمكانية وقوع المشترك في القرآن.

إن ما يلاحظ عموماً في أدلة كلا الفريقين المتعلقة باختلافهم حول ظاهرة الاشتراك ، مرجعه أساساً إلى مفهوم الاشتراك ، وتعريفه الاصطلاحي، سواءً كانت المعاني متقاربة أو متباعدة[1]، والمدقق في أراء وأقوال المفسرين المتعلقة بالمشترك اللفظي، حتماً يستنتج منهم ذلك الإقرار بإمكانية جواز وقوعه في القرآن الكريم كظاهرة تزيد من جمالية وبلاغة أسلوبه وفصاحة تركيبه ، وهذا الذي نجده مبثوثاً في تصانيفهم من خلال إشاراتهم لذلك العدد من الألفاظ التي احتوتها تفاسيرهم ، قاصدين بها المشترك اللفظي أحيانا ، أو قد يفهم من ظاهر قولهم فيها أنها معدودة منه أحيانا أخرى.

ولقد ارتبطت البنية الصوتية مثلاً لمفردة : «أمة» بمفهوم عامٍ دل على الجماعة، وفيما بعد تطور هذا اللفظ دلاليا في ظل المعنى العام له، كما وسع الاستعمال الفعلي للكلام في المجال اللغوي نطاقه الدلالي يشمل معنى «الدين» ، يقال: فلان لا أمة له ، أي: لا دين له.

يقول ابن قتيبة :« أصل الأمة الصنف من الناس والجماعة ، ثم تصير الملة ، ثم الحين ...، ثم تصير الأمة الإمام والرباني...»[2]، ولي أن اذكر هاهنا من باب التمثيل ما أورده الشيخ هود بن محكم في تعليقه على قوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[3]، إذ أورد معنيين للفظة : «الدين» ، يفهمان من ظاهر قوله في تفسيره ،حيث قال :« ويوم الدين هو يوم الحساب...، وقال بعضهم: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم ،وقولهم جميعا في هذا واحدٌ»[4]، فتصريحه بقوله : «قولهم في هذا جميعا واحد » ، لهو دليل على إقراره بالاشتراك في هذا اللفظ المتعدد المعنى .

وفي تفسير العلامة القرطبي أيضاً ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ، «الدين: الجزاء عن الأعمال ، والحساب بها ، وقيل القضاء ، والدين الطاعة ...، فعلى هذا هو لفظ مشترك»[5]، فأجد المفسر القرطبي قد عدد للفظة :«الدين» عدة معاني أشار إليها في تفسيره ، وأعقبها بقوله: «هو لفظ مشترك».

1ينظر: سالم مكرم ، المشترك اللفظي في الحقل القرآني ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ط1 1996 ،ص: 17.

2 عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرءان ، تحقيق سيد صقر، المكتبة العلمية بروت، الطبعة الأولى،1973 ،ص: 445، وينظر: الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 80.

3سورة الفاتحة، الآية: 04

4 هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج1،ص: 80 .

5القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط5 :1996،ج1، ص:101.

2ــ المشترك اللفظي عند المفسرين :

2ــ 1 التفسير والمشترك اللفظي:

تقدم في البحث تعريف العلامة الزركشي التفسير بقوله :« هو علم يفهم به كتاب الله المترل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه »[1]، وانطلاقا من قول الزركشي فإن التفسير هو بيان كلام الله كما تقدم ذلك بتناول معاني ألفاظ القرآن وتحقيق دلالتها وفهم مقصودها ، وعلى هذا الأساس اهتم رجال التفسير بالدراسات الدلالية ، واقترانها عندهم بعلم التفسير وشؤونه ، ويبرز ذلك جليا في أعمالهم من خلال اجتهاداتهم في نوعين من أقسام التفسير هما:

1– التفسير بالمأثور : والذي يتقيد فيه المفسر على ركيزة النقل ، والنقل هاهنا يشمل القرءان والسنة وقول الصحابة عليهم الرضوان أو التابعين[2]، ولقد سبقت الإشارة لهذا.

2– التفسير بالرأي : ويقصد به عند أهل التفسير، تفسير القرءان وفق الاجتهاد ، أو هو كما يقول محمد حسين الذهبي ، هو تفسير القرآن بالاجتهاد ، وبعد إحاطة المفسر بعلوم هي أدوات للتفسير وشروط للمفسر[3].

إن من بين أدوات تحليل النص عموماً، والنص القرآني خصوصاً، أداة الفهم ، خصوصا إذا تعلق الأمر بكلام رب العالمين، وفي تلك الألفاظ المتعددة المعاني، والمعروفة في مباحث اللغة والدلالة بالمشترك اللفظي ، والتي يبرز فيها اجتهاد المفسر بترجيح أحد محتملات اللفظ، وتأثير التأويل الدلالي عند عامة المفسرين، ومذاهب الترجيح للألفاظ المشتركة المعنى عند كل مفسرٍ من المفسرين.

فمفهوم المشترك اللفظي عند أهل التفسير قد يتحقق في بعض نقاط ماهيته عند أهل اللغة أيضا، والمراد به عند المفسرين إتقان اللفظ واختلاف المعنى ، سواءً كان الاستعمال في ذلك استعمالا حقيقيا أم مجازيا، أو قد يكون استعمال المعنى للفظ في اللغة شيءٌ ، وفي الشرع أمرٌ ثانٍ .

يقول الجصاص في تعليق ذكره على لفظ السفيه مثلا : «... لأنه قد ثبت أن السفيه لفظ مشترك، ينطوي تحته معاني مختلفة. »[4]، فالجصاص بهذا القول يذهب إلى أن المشترك اللفظي هو ما اتفق لفظه ، وانطوت تحته معاني مختلفة ، من حيث اللغة ، ويضيف قائلا مبينا أن المشترك اللفظي قد لا يقتصر على هذا ، وإنما فد تكون هذه المعاني المختلفة بتوظيف الشرع مثلاً ، ليست هي الموظفة في اللغة: «... فالإحصان في الشرع اسم يقع على معان مختلفة غير ما كان لها في اللغة »[5] ، فيمثل هاهنا

---

[1] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، ج1، ص: 13.

[2] ينظر: محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، مرجع سابق، ج1،ص: 154.

[3] ينظر: المرجع نفسه ، ج1، ص: 246.

[4] الجصاص ، أحكام القرآن ،مصدر سابق ،ج2،ص:215.

[5] المصدر نفسه ، ج3 ، ص: 93.

بلفظة : « الإحصان» المتعددة المعاني، ويرمز إلى تلك المعاني المستعملة مثلا في الشرع دون اللغة، كما أننا نجد كما سبق وأن أشرت إلى أن هذا الاستعمال قد يكون مجازيا أو حقيقيا.

يقول صاحب روح المعاني في حديثه عن لفظة :« النكاح» مثلاً : «... فمدعي الاشتراك يقول تحقق الاستعمال ، والأصل الحقيقية والثاني يقول كونه مجازاً في أحدهما حقيقة في الآخر أولى من الاشتراك.»[1]

وأجد الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره قد أشار في مواطن الألفاظ المشتركة المعاني إلى هذه التصنيفات التي وضعها المفسرون، وسأبين بعضا من هذه المواطن في تفسيرٍ له لاحقاً.

وذهب بعض من المفسرين إلى التوسعة في مفهوم الاشتراك عندهم، إذ يكون اللفظ المشترك ، إما بين حقيقتين ، أو حقيقة ومجازاً[2]، وفصلوا المشترك إلى نوعين متمايزين هما:

إما أن يكون المشترك اللفظي ← مشتركاً في أصل وضعه.
إما أن يكون المشترك اللفظي ← مشتركاً بالاستعمال

وهذا الذي ذكره ابن رشد حين وقوفه على تفسير قوله تعالى :﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾[3]، إذ يقول في ذلك : «...فإن اليد وإن كانت اسماً مشتركاً، فهي في الكف حقيقة، وفيما فوق الكف مجاز، وليس كل مشترك هو مجمل ، وإنما المشترك المجمل الذي وضع من أول أمره مشتركاً....»[4]، وانطلاقا من هذا ؛ أجد العلامة ابن رشد يميز بين نوعين من المشترك، موضحاً إمكانية كون اللفظ مشتركاً في أصل وضعه، أو إمكانية اشتراكه في الاستعمال.

وفي المجال ذاته راح ابن رشد يفصل في تلك التوسعة الاستعمالية للغة ، مبينا أن اللفظ الواحدة لتدل على معانٍ متعددة، يقول ابن رشد: «..والسبب في اختلافهم اشراك اسم اليد في لسان العرب، وذلك أن اليد في كلام العرب، يقال على ثلاثة معانٍ ؛ على الكف فقط، وهو أظهر استعمالاً، ويقال على الكف والذراع ، ويقال على الكف والساعد والعضد...»[5]،كذلك نجد تلك التفرقة المقسمة لأقسام المشترك عندهم إلى قسمين:

المشترك
← مشترك لفظي
← مشترك معنوي

فميز الجصاص مثلاً المشترك اللفظي عن المشترك المعنوي ، بذكره مثالاً عن لفظة : « الذكر» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[6]،

[1] محمود شكريالألوسي ، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 1،دت، ج3، ص:384.
[2]ينظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ،مصدر سابق ، ج2،ص: 207، 208
[3]سورة المائدة ، الآية :06
[4] ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الشريفة ، الجزائر، ط1989:1 ،ج1،ص:33.
[5] المصدرنفسه،ص:33.
[6] سورة البقرة، الآية: 152.

إذ أن لفظ : « الذكر» قد يحتمل جميع المعاني، كالذكر باللسان، أو العمل بالجارحة ، أو قد يكون بالاعتقاد، أو إعمال الفكر والتدبر...

يقول الجصاص في تفسيره لهذه الآية:« اللفظ محتمل لهذه المعاني، وجميعها مراد الله لشمول اللفظ، واحتماله إياه، فإن قيل لا يجوز أن يكون الجميع مراد الله بلفظ واحد، لأنه لفظ مشترك لمعانٍ مختلفة ، قيل له ليس كذلك، لأن جميع وجوه الذكر على اختلافها راجعة إلى معنى واحد، فهو في حكم الإنسان يتناول الأنثى والذكر، وإن وقع على معانٍ مختلفة ،فإن الوجه الذي يسمى به الجميع معنى واحد».[1]

فبهذا التقديم والطرح ،ألفيت الجصاص يمايز بين أقسام المشترك، مشيرا بهذا إلى أن معاني المشترك اللفظي مطلوبة على جهة التفرد لا من جهة القدر المشترك، وهذا هو عين حقيقة القسم الثاني، المشترك المعنوي.

2ـــ2 أوجه الاشتراك عند المفسرين:

اعتبر علماء التفسير الإشتراك المتعدد الدلالي في الخطاب القرآني قيمة إعجازية، حيث ألفينا للكلمة الواحدة ما يقارب العشرين وجهاً أو أكثر ، أو أقل، وهذه خاصية امتاز بها كلام رب العالمين ، ولا توجد في كلام البشر[2]، ولقد سبق البيان إلى معنى «الوجوه»، إذ تطلق هاهنا وتصرف إلى تلك المعاني للفظة الواحدة و هي وجهاً من الوجوه.

يعرف العلامة ابن الجوزي الوجوه في القرآن بقوله: «وأعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة ، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، وتفسير كل كلمة في موضوع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذن النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر...»[3]، فنجد ابن الجوزي في قوله هذا موضحاً ماهية الوجه في ألفاظ القرآن الكريم، واضعا تفرقة منهجية علمية بين الوجه والنظير، وأجد السيوطي في تفسيره وعمله فيه ، يشير إلى ذلك التعدد الدلالي لألفاظ القرآن، ويطلق تسمية « الوجوه» على اللفظ المشترك من طريقة مؤلفي الوجوه والنظائر[4].

ويفهم من هذا، أن اهتمام أسلافنا من أهل التفسير وغيرهم ، بالتعدد الدلالي، قد استوى وتطور، حتى أصبح فرعاً مستقلاً بذاته ، ولبنةً أساسيةً في صرح الدراسات القرآنية ، إتخذ من الوجوه والنظائر أرضية لها.

---

[1] ، الجصاص ، أحكام القرآن ، مصدر سابق،ج1، ص:114.

[2] ينظر: ، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مصدر سابق،ج1، ص:141.

[3] ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت ، 1987،ص:49.

[4] ينظر: ، السيوطي، الإتقان في علوم القرءان ، مصدر سابق، ج1 ،ص:142.

وهاهنا جدير بنا الإشارة إلى ما أشار إليه كاظم الراضي في مقدمة تحقيقه لكتاب : «نزهة الأعين»، إذ ذكر بعضاً عن تلك المؤلفات التي اهتمت بهذا النمط من التفسير: ككتاب الوجوه والنظائر للدامغاني (ت 478 ه)، وكتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان (ت 150 ه)[1]،حيث كان الاهتمام بهذا الفن يومها اهتماماً بليغاً.

ويؤكد كثيرٌ من المفسرين على أهمية هذا التعدد والاشتراك الدلالي في نص كلام رب العالمين، معتبرين إياه قيمةً إعجازيةً بيانية، في حين يفتقد هذا في كلام البشر[2]، ولقد ذكر العلامة الزركشي ما ورد عن أبي الدرداء مبيناً درجة فقه الرجل ، وسعة تفسيره لكلام الله، وربط ذلك بشمولية المفسر بالوجوه المتعددة للفظ الواحد من الخطاب القرآني، حيث قال مروياً عنه:« لا يفقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة، أي: اللفظ الواحد يحتمل معان متعددة، ولا يقتصر به على ذلك المعنى، بل يعلم أنه يصلح لهذا وذاك»[3]، وهذا عد عندهم من الأولويات في العمل التفسيري، ومما يجب على المفسر أن يعلمه قبل مباشرة التفسير، والكلام في هذا المقام يطول خصوصاً في بيان أهمية التعدد الدلالي عند المفسرين بوجه خاص ، وعند غيرهم عموماً وفي اهتمامهم به.

وقبل أن أنتقل إلى بيان أوجه المشترك عند المفسرين وصوره، أنوه إلى عمل المفسرين في عرضهم للوجوه المختلفة للفظ مثلاً، فنجدهم يعمدون إلى ربط اللفظ وتعدد معانيه بالأصل اللغوي له ، وبالعوامل التي أدت إلى الاشتراك في هذا اللفظ واحتمال تأويله، وهذا ينتج عنه تحديد أنواع العلاقة بين المعاني المختلفة للفظ الواحد، ومن أبرز هذه الأوجه ما يلي:

1- التعدد في المعنى من أصل عام:

معلومٌ أن اطار المعنى للفظ يلحقه التطور الدلالي، كما سيأتي بيانه، ليشكل لنا في الأخير عدة معانٍ جديدة متباينة فيما بينها، وهذه المعاني قد احتوت على رابط من المعنى العام للفظ المنظم لتلك المعاني، ومن أمثلة هذا:

1- لفظ «الزنيم» الواردة في قوله تعالى: ﴿ عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾[4]، إذ نجد أن هذه اللفظة قد لحقها التغير الدلالي، لتتفرع منها معاني متعددة، وكل معنى من هذه المعاني ينطوي على شيء من المعنى العام، وعند هذا

[1] ينظر: ابن الجوزي ، نزهة الأعين ، مصدر سابق، المقدمة، ص: 49 .

[2] ينظر: السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ، ج1 ،ص:141.

[3] الزركشي ، البرهان في علوم القرءان، مصدر سابق،ج2،ص: 108.

[4] سورة القلم ، الآية: 13.

يقول الشيخ هود بن محكم وقد عدد في تفسيره لهذه اللفظة أكثر من بيان لغوي عند استقصائه لأقوال المفسرين فيها ، معتبراً إياها مما فيه اشتراك وتعدّدٌ، يقول الشيخ هود بن محكم :« .... والزنيم في تفسير الحسن، اللئيم الضريبة، يعني: الطبيعة، وعن عكرمة عن ابن عباس قال: الزنيم، الدعيي، وفي تفسير مجاهد، الزنيم: الملحق في النسب، وعن أبي الدرداء قال: العقل الزنيم، رحب الجوف، وثيق الخلق، أكول شروب غشوم ظلوم»[1]،فنجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره قد ذكر كل هذه المعاني لأهل اللغة في لفظة:« زنيم» بياناً منه أن ذلك التعدد في المعنى من أصل عام.

2- لفظ: «الصريم» الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾[2]، إذ تعدد المعاني فيها، فلقد دل لنا هذا اللفظ على معنين، فيقال فيه: الصريم هو: الليل ،كقول الفراء: كالليل المظلم من حيث اسودت جنتهم، ويقال أيضا: الصريم، هو: النهار، كقول المبرد: كالنهار فلا شيء فيها[3]، ويقول الشيخ هود بن محكم في تفسير قوله تعالى:﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾، «الصريم» :«بمعنى المصروم ، أي: الذاهب الهالك، فأهلك تلك الجنان وذلك الحرث»[4]، فهو بهذا يظيف معنى آخر فيه ارتباط بالتعدد في المعنى من الأصل العام «صرم».

وفي عرف ومفهوم اللغة اقترنت البنية الصوتية للمفردة «صرم» بدلالة القطع[5]، وأجد ابن الأنباري في دلالة « الصريم » مبيناً إمكانية وقوع الحرف على معنين متضادين أصلها واحد، وإن كانت المفردة قد عدها كثير منهم من التضاد،إلا أن التوسع فيها جعلها تشرك مع المشترك ، وهذا مضمون قول ابن الأنباري: «... إذا وقع الحرف على معنين متضادين، فالأصل بمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع، من ذلك الصريم، يطلق على الليل والنهار، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل.»[6]،فنفهم أن كلاً من المعنيين أصلها واحد، وإنما اعتراهما الاشتراك من تداخلهما على جهة الاتساع، ولما كانت صفة القطع جامعة لهما وشاملة لكليهما، تنوع الاستعمال في نص الآية الكريمة بالمعنيين الإثنين، ولقد علق العلامة الطاهر بن عاشور

---

[1]هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج4،ص: 395.

[2]سورة القلم، الآية:42.

[3]ينظر: القرطبي ، الجامع الأحكام القرآن، مصدر سابق ،ج 18،ص: 158، وينظر: الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق ، ج29،ص: 51.

[4] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز،ج4 ، ص: 359.

[5] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة:(صرم)، ج12،ص:334.

[6] ابن الأنباري، الأضداد ، المكتبة العصرية، لبنان، طبعة 1987،ص:89.

على هذه اللفظة قائلا: «وإيثار هذه الكلمة هنا، لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية.»[1]،فكان التوسع ههنا في المفردة كفيل باشتراك المعنيين في المفردة.

3 لفظ: «مولى» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[2]، إذ أجد كذلك هذه اللفظة مما عده المفسرون من المشترك الذي يتعدد معناه بالاتساع من أصل عام، وأرجع عامة أهل التفسير معاني مفردة: «مولى» إلى أهل ومفهوم عامٍ دالٍ على القرب[3]، يقول الشيخ هود بن محكم في تفسير هذه الآية:« ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾، بنو الأم، وقال بعضهم: هم بنو العصبة»[4] ، ويضيف محقق التفسير قوله معلقاً: لم أرى وجهاً لتخصيص بني الأم هنا، وذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود بالموالي هنا العصبة[5]، وعند قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[6]، يذكر الشيخ هود بن محكم معنى ثان:﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾، أي: نعم المولى الذي يتولى[7]، وأورد الشيخ هود بن محكم معنى آخر للفظة: «مولى» بمعنى: «المعين» عنده، وذلك عند تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾[8]، أي: تعاونا عليه، أي: على النبي عليه السلام ،(فإن الله هو مولاه)،أي: وليه في العون له ومعين[9]، فهو بهذا مدرك لدلالة معنى لفظة : «المولى» المتعدد معناها بالاتساع من أصل عام.

يقول القرطبي:« اعلم أن المولى مشترك يطلق على وجوه، فيسمى المعتِق مولىً، والمعتَق مولى، ويقال المولى الأسفل، والمولى الأعلى، ونسمي الناصر مولى، وابن العم مولى، والجار مولى»[10]،وعليه يفهم من معناه العام: القرب المختلف درجاته وأسبابه.

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج29،ص: 82.

[2]سورة النساء، الآية: 33.

[3]ينظر: ، ابن فارس، معجم مقايس اللغة، مصدر سابق، مادة: (ولي) ،ج6، ص:141.

[4]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج1،ص:340.

[5] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص:340.

[6] سورة الأنفال،الآية:40.

[7]ينظر: المصدر نفسه ،ج2،ص:91.

[8]سورة التحريم، الآية:04.

[9]ينظر: المصدر نفسه ، ج4،ص:345.

[10] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق ،ج5،ص: 109.

ولقد بين ابن قتيبة والطبري بعضاً من هذا القرب، إذ اعتبرا أن المولى حليف، لأن المحالف يلي أمره بعقد اليمين، والمولى الولي، لأنه يلي النصرة، والمولى ابن العم، لأنه يليه بالنصرة والقرابة التي بينهما[1]، وغير ذلك مما يفيد التعدد في المعنى العام للمولى.

وأجد النابغة الجعدي يورد لفظ الموالي في شعره قاصدا بها "الحلفاء" دون غيرهم من العصبة أو أبناء العمومة، حيث قال:

موالي حلف لا موالي قرابة .... ولكن قطيباً يسألون الأتاويا[2]

وجدير بنا أن نذكر ما أورده الجصاص في معرض تعليقه على لفظ «المولى» ،إذ قال في ذلك: « ... فهو اسم مشترك لا يصح اعتبار عمومه، ولذلك قال أصحابنا فيمن أوصى لمواليه، وله موال أعلى وأسفل، أن الوصية باطلة لامتناع دخولهما تحت لفظ واحد في حالة واحدة، وليس أحدهما أولى بالآخر، فبطلت الوصية.»[3]، فهو بهذا من المفسرين الحريصين على أنه لفظ مشترك ، واشتراكه في معناه لا في عمومه، وأن هذه المعاني التي أشار إليها المفسرون كلها محتملة في استعمال لفظ «مولى».

وبما أن التطور الدلالي ظاهرة لاحقة بالمعنى العام، صرفت اللفظة إلى معان متعددة ، اجتمعت في اشتمالها على رابط من ذلك المعني العام، مع المفارقة والاختلاف فيما بينهما في معناها الخاص[4]، ومن ثمة كانت للفظة هذه المعاني المحتملة المشتركة فيها.

2 تعدد المعنى بالتداخل اللهجي:

الظاهر أن الوجه من أوجه الاشتراك في القرآن الكريم، من خلال إشارتهم إلى تلك الدلالات والمعاني المتعددة للفظة الواحدة، وبينوا درجة انتمائها إلى بيئاتها المتنوعة، والأصل الغالب في تلك اللفظة المتعددة المعنى بالتداخل اللهجي أن يكون فيها الالتباس من جهة الدلالة في تفسيرها ومن ذلك مثلا لفظة:

-« الرجاء» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾[5]،فالرجاء ههنا وحدة معجمية يقع الالتباس الدلالي في تحديد معناها، أو معانيها، وبالخصوص في تفسير النص القرآني.

---

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج15،ص: 409، وينظر: ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص: 456.

1 النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، طبعة 1986 ،ص: 81.

[3] الجصاص ، أحكام القرآن، مصدر سابق، ج3 ،ص: 144.

[4] ينظر: ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى،1994، ص: 197،198.

[5] سورة الفرقان،الآية:21.

يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيرها ومعناها: «﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾، وهم المشركون، لايقرون بالبعث.»[1]، فجعل من معناها: «الإقرار»، والجزم والتصديق، وأجده في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ ﴾[2]،يذكر لها معنى غير ما ذكره سابقا في الآية ، حيث قال:« لا ترجون لله وقاراً» ،أي: لا تخافون لله عظمة، وذكر إضافة لمعنى جزئي آخر قائلا: وفي تفسير مجاهد، لا ترجون، لا تبالون لله عظمة..[3]، وهنا أشار إلى معنى مقتضى الرجاء في الآية، وهو الخوف، إذ قيل: يرجون بمعنى: يخافون، وقيل أيضا: يرجون بمعنى يطعمون[4]،فكان منه ههنا هذا التحديد الدلالي لمعنى المفردة.

ولأبي عبيدة تأويل مماثل لذلك، قال أبو عبيدة في المجاز:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾« مجازه: لا يخافون ولا يخشون»[5]، ورجح ابن جرير الطبري الرجاء بمعنى الخوف في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ ﴾، فقال:« وأولى الأقوال بالصواب من قال: مالكم لا تخافون، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرُجَ لسعها • وخالفها في بيت نوب عواسل[6]

أي: لم يخف»[7]،وانطلاقا من هذا صح القول بأن لفظة: «الرجاء» ،دل على معان ، كما دل على معنيين بالتضاد وهما: «الخوف » و « الطمع »، ودلالة الخوف فيه لغة أهل الحجاز، وهذيل ومضر، يقولون: لم أَرْجَ ، لم أبال[8]، وإلى هذه الأخيرة استند الشيخ هود بن محكم في ذكر المعني الثاني لقوله تعالى :﴿ لَا تَرۡجُونَ ﴾ تبعاً لتفسير مجاهد، فيفهم من هذا كله أن لفظة:« الرجاء» اعتراها تداخل لهجي، جعل منها متعدداً للدلالات، وأن الأصل في بعض المعاني المتعددة للفظ الواحد، مرده واحدٌ لدى المفسرين، وإنما التعدد فيه واقع على جهة الاتساع، فالرجاء مثلاً: ظنٌ يستلزم حصول ما فيه غبطةٌ وسرورٌ، والراجي ليس بمستيقن، وشاب رجاه بطرف من الخوف والخشية[9]، إلا أن التداخل اللهجي الحاصل فيها أكسبها ذلك الاشتراك ذو المعاني المتعددة.

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3 ،ص: 181.

[2] سورة نوح، الآية: 13.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج4 ،ص: 378.

[4] ينظر: الألوسي ، روح المعاني، مصدر سابق، ج19،ص:4، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القران، مصدر سابق، ج13 ،ص: 15.

[5] أبو عبيدة، مجاز القرآن، مصدر سابق، ج2 ،ص: 83.

[6] البيت له عند ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة: "رجىا"،ج14 ،ص: 310.

[7] ابن جرير الطبري ، جامع البيان، مصدر سابق، ج12 ،ص: 249.

[8] ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: "رجا" ج2،ص: 494.

[9] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص: 191.

3 تعدد المعنى بالنقل اصطلاحيا:

قد يرتبط المعنى الاصطلاحي لبعض الألفاظ بالدلالة المعجمية لأصلها، ومن ثمة قد ينشأ الاشتراك في اللفظ بين اصطلاح ومعجم، ويتولد عن ذلك تعدد المعنى، ولهذا لا يعدو أن ينتقل المعنى بين مجاز واصطلاح، وربما تبادر إلى الذهن معنىً بالتوظيف الاصطلاحي للفظ أو بالمجاز، فيحتمل اللفظ قبول معنيين، وهذا الذي تنبه له بعض الدارسين المحدثين، وأشاروا إلى أن تعدد الأصل أو اختلاف ملمحه قد يكون سبباً في تعدد المعنى وتنوعه[1]، وفي هذا الوجه من أوجه الاشتراك قد نجد دلالة اللفظ بوضع جديد ، حسب عرف الشرع مثلاً، فينتج عن هذا اجتماع المعنيين للفظ الواحد ، ومن هذا مثلاً لفظ:

1- لفظ «الزكاة » الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾[2]، فنجد أن لفظ «زكاة» ترد كثيراً عند أهل اللغة والتفسير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، يقول ابن منظور في هذا اللفظ:« ... وهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فيطلق على العين، وهي الطائفة من المال المزكى، وعلى المعنى وهي التزكية.»[3]، وعليه فالزكاة بمعنى فعل حدث الزكاة مأخوذة من التزكية، وأجد في معناها الاصطلاحي أيضا أنها المقدار من المال، ويعلق ابن كثير في تفسيره على معنى هذا اللفظ بقوله: «وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هنا زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(الشمس :9-10)، وكقوله: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (فصلت:6، 7)، على أحد القولين في تفسيرها، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ، فإنه من جملة زكاة النفوس»[4]،وأجد المفسر الشيخ هود بن هود بن محكم قد أشار إلى كلا المعنيين المتعلقين بالاشتراك في لفظ الزكاة، وهذا في موطنين عنده، إذ نادراً ما يتعرض لبيان معناها اللغوي أو الاصطلاحي ، ويكتفي بقوله:« يعني: الزكاة المفروضة»[5]، وذاك طبعه ومنهجه في التفسير، إلا أني به قد أشار إلى المعنى الأول في قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[6]، حيث قال:« يعني: الزكاة المفروضة على ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والبر والشعير، وما سوى ذلك فليس فيه زكاة،

---

[1]ينظر: توفيق شاهين ، المشترك اللغوي في القرآن، مكتبة وهبة،القاهرة، الطبعة الأولى،1980، ص: 53،56.

[2]سورة المؤمنون، الآية: 04.

[3]ا بن منظور،لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (زكى) ،ج14 ،ص :358.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج3،ص: 312.

[5]ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ،ص:64، ج3 ،ص: 114، ج4 ،ص: 221.

[6] سورة البقرة، الآية: 3.

حتى يباع، فتكون فيه زكاة الأموال، يزكيه مع ماله إذا زكى.»[1]، فيفهم من تناوله هكذا معاني، أنه يقصد بالزكاة: الطائفة، أو الجزء المخرج من المال بغية تطهيره، و ما أشار في ذات اللفظة إلى المعنى الثاني الدال على «هداية النفس وتزكيتها من بالشوائب» ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾[2]، والسياق دالٌ على تأكيد أن المعنى الذي قصده الله في خطابه ، هو النفس ،فقال الشيخ هود بن محكم: « ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾، أي: من زكى الله نفسه فهداها»[3]، وهذا وجه من وجوه تأويل الآية، وقيل معناه: من زكى نفسه بعمل البر واصطناع المعروف كما جاء في بعض التفاسير[4]، ولهذا حُمِلَ تأويلها الدلالي على المعنيين، زكاة النفس من الشرك، وبمعنى المال المخرج[5]، كما حمل بعضهم اللفظة« زكاة» على مراد المعنين معاً بالعموم، فزكاة الأموال من جملة زكاة النفس[6]، فحصل بين هذين ما يعرف بتعدد المعنى بالنقل الاصطلاحي.

2 لفظة « آية » الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ۝١٠٥ ﴾[7] ، إذ يفهم من خلال البنية اللغوية للفظة « آية» ، على أنه بمعنى العلامة والسمة، لكن بالتعمق والتدقيق في هذا اللفظ، ندرك أنه قد اعتراه نقل اصطلاحي، فنقلت المفردة بين معنيين نقلاً اصطلاحياً، كما أن هذا اللفظ قد يطلق على معنى «الجماعة»، يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم[8]، وفي المعنى الثاني للفظة:« آية »، فهو دالٌ على الجزء من القرآن الكريم، وهذا الذي تحدث عنه جمهور المفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ ﴾[9]، ففسرت عندهم على أنها الجزء من القرآن المتلو في الكتب المترلة الشاهدة على صحة دين الإسلام، وقيل: إنها بالمعنى الأول المشار إليه سابقاً، وهي العلامة أو الدلائل[10] ، ويفسر علي الصابوني لفظة «الآية» في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ

---

[1] المصدر نفسه،ج1،ص:84.

[2] سورة الشمس، الآية: 09.

[3] المصدر نفسه ، ج4،ص: 461.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ج4،ص: 461.

[5] ينظر: الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج18،ص: 7،8.

[6] ينظر: البغوي، معالم التتريل ، دار المعرفة، بيروت، ط2 ،1987، ج5 ،ص:303.

[7] سورة يوسف، الآية: 105.

[8] ينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القران، مصدر سابق،ص:40، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:"آية"،ج14،ص:61.

[9] سورة البقرة،الآية:211.

[10] ينظر: الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية،1993،ج1،ص:353.

لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾[1]،بمعنى العلامات والدلائل الكونية الواضحات الدلالة على وحدانية الله تعالى[2]، في حين أجد المفسر الشيخ هود بن محكم قد أغفل ذكر هذه المعاني عند تعرضه للمواطن القرآنية الواردة فيها لفظة «آية»، عدا إشارتين منه خفيفتين لمعنى الآية بدلالة «العلامة» ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾[3]، فقال فيها: وكان قوم صالح سألوه أن يأتيهم بآية فأتاهم بالناقة ...، فقالوا آية ذلك ماذا ؟ ،فنعلم أنك صادق؟،قال آية ذلك وعلامته: أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة[4]، ففهمنا أن مدلول لفظة: «آية»، عنده أنها «العلامة» ، والمواطن الثاني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[5]،إذ قال: «﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ ﴾، أي: وكم من آية ودليل»[6]، وانطلاقا من هذا، فإن لفظة: «آية»، دل على معنى «العلامة»، وعلى «الجزء من القرآن» ،والملاحظ ههنا أن هذا المعنى الاصطلاحي للفظة «آية» ،قد ارتبط بالقراءة المعجمية الدالة على: علامة أو جماعة، فلا يعدوا أن يكون انتقل مجازاً، يبادر معه إلى الذهن ذلك الاستعمال الاصطلاحي، ومن ثمة صح احتمال المعنيين اللغوي والاصطلاحي، وهذا أمرٌ مهمٌ قد نبه إليه بعض الدارسين المحدثين، مفاده أن تعدد الأصل قد يكون سبباً في تعدد المعنى[7]، وعليه قد نجد أن تعدد المعاني للألفاظ المشتركة في تفسير المفسرين مردها ذلك التوسع المعجمي الوارد في سياقات متنوعة.

4 تعدد المعنى بشيوع الاستعمال المجازي:

إن القراءات الدلالية المتعددة المعنى للفظ الواحد شيء محتمل، قد ينبأ عنها ذلك التوظيف المجازي للفظ الشائع في هذه المعاني، ثم إن المجاز بانتشاره وشيوعه يعرض المعنى العام للفظ إلى توسع دائم من خلال تلك التعميمات في شتى الحقول الدلالية المتنوعة، بحيث تصبح متداولة موروثة لا وجود لأثر جمالي في استعمال المجاز[8] ، ومن ذلك مثلا:

---

[1] سورة النور، الآية: 01.

[2] ينظر: علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مكتبة الرحاب، الجزائر، ط الرابعة، 1990 ،ج2 ،ص:8.

[3] سورة هود، الآية:64.

[4] ينظر: هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج2،ص:233.

[5] سورة يوسف، الآية:105.

[6] المصدر نفسه ،ج2،ص:285.

[7] ينظر: توفيق شاهين ، المشترك اللغوي، مرجع سابق، ص:52،53.

[8] ينظر: الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، ، منشورات عويدات ، بيروت، ط1، 1986 ،ص:378.

1- لفظة: «الظن» الوارد في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[1]،فاستعملت العرب «الظن»، دلالة على الشك وضده اليقين، فالعرب تسمي اليقين ظناً، والشك ظناً نظير تسميتهم الظلمة سدفة، والضياء سدفة، والمغيث صارخاً، والمستغيث صارخاً، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده[2]، وعليه اطلق كلا المعنين المتضادين في معنى «الظن»، وهذا الذي أجده عند الشيخ هود بن محكم حين وقوفه على تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾[3]، حيث أشار إلى مدلول « الظن» في الآية الكريمة على أنه «العلم واليقين والجزم»، فقال: «وظنوا، أي: وظن الرسل، أي: وعلموا أنهم قد عذبوا التعذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبدا»[4]،وكذا عنده حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ الله ﴾[5]، «وظنوا، أي: علموا»[6]، ويشير إلى المدلول الثاني لــ « الظن»، بمعنى الشك والريب في كلامه معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾[7] ،فقال: «ذكروا أنهم تدخلهم خلجات شك، وقال بعضهم: إن نشك إلا شكاً»[8]، ولم يتطرق إلى معنى آخر غير ما ذُكر في ما سواه من المواطن القرآنية التي اشتملت على لفظ « ظن» فهو بهذا اعتبر « الظن» بأحد المعنين الذين أشار إليهما.

5 تعدد المعنى بالتصريف:

التصريف في حده ومدلوله يعني التغير من حاله لحالة ، وفي مفهوم تعدد المعنى بالتصريف أنه ألفاظ قد تتفق في مبناها على صورة صيغة واحدة، لكن بتصريفها وتغيرها في حركاتها ينشأ عن ذلك تعدد في معنى تلك الصورة، حيث يكون بين المعنيين علاقة صرفية دلالية، قد تكون بين الفعل وموضعه مثلاً ،مثل المعنى المتعدد في:

---

[1] سورة التوبة، الآية: 118.

[2] ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج1 ،ص: 300.

[3] سورة يوسف، الآية :110.

[4] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2 ،ص: 288.

[5] سورة التوبة ، الآية:118.

[6] ينظر: المصدر نفسه ،ج2 ،ص: 174.

[7] سورة الجاثية، الآية: 33.

[8] المصدر نفسه ، ج4 ،ص: 131.

1 لفظة: «مناسك» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ ﴾[1]، حيث إن لفظة

« مناسك» هي صيغة تحتمل الجمع بين معنيين، دلالة اسم المكان، أو دلالة المصدر، والمنسِك بالكسر هو الموضع الذي تذبح فيه النسيكة، وهي الذبيحة، والمنسك بالفتح النسك نفسه، والنسك العبادة[2]، وقال الفراء: وقوله:« (مَنْسَكاً، ومَنْسِكاً) قد قُرئ بهما جميعاً، والمنسك لأهل الحجاز، والمنسَك لبني أسد، والمنسِك في كلام العرب: الموضع الذي تعتاده وتألفه، ويقال: إن لفلان منسَكاً يعتاده، في خير كان أو غيره »[3]، وكذا عند الراغب الاصفهاني، المنْسَك في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه[4]، يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيره لهذه اللفظة في الآية الكريمة: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾،« أي: مذابحنا، قال بعضهم: أراهم مناسكهم، وهي الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات، والإفاضة منها.»[5]، فأجد ههنا الشيخ هود بن محكم من خلال تطرقه للفظة: «مناسك» قد أشار إلى الذي احتملته هذه اللفظة من جمعٍ للمعاني، فهو بذلك يحيل على النُسُك بمعنى العبادة بدلالة المصدر، ويحيل إلى موضع الذبح بدلالة اسم المكان، وهذا الذي يتأكد لنا جلياً عند وقوفه على ذات اللفظة في موطن آخر عند قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾[6]، حيث قال فيها، أي: حجاً وذبحاً[7]،وقصد بذلك العبادة والموضع، وبالتالي نشأت بين المعنيين علاقة صرفية دلالية قائمة بين الفعل وموضعه كما في هذه اللفظة[8]، ومن هنا صح القول أن اللفظة تعدد معناها بالتصريف والتغير.

2ـــ3ـــ عناصر التأويل الدلالي للمشترك عند المفسرين:

يرى محمد حسين الذهبي أن تأويل المشترك اللفظي عند المفسرين ترجيح لأحد محتملات اللفظ، بدليل يعتمد فيه المفسر على درجة اجتهاده وفهمه[9]، فعملُ أي مفسر من المفسرين عند عملية التأويل والترجيح، هو

---

[1]سورة البقرة، الآية: 128.

[2]ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(نسك)، ج10، ص:499.

[3] الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق،ج2،ص:230.

[4]ينظر: الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق،ص:546.

[5] هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:143.

[6]سورة الحج، الآية: 67.

[7]ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3 ،ص: 109.

[8]ينظر: محمد عاليم، التوليد الدلالي ، دار توبقال للنشر ، المغرب، الطبعة الأولى،2007 ،ص:180.

[9]ينظر: محمد حسين الدهبي ،التفسير والمفسرون، مصدر سابق، ج1،ص: 23.

إسناد القراءة الدلالية للوحدة المعجمية أولا، ثم إن هذه الوحدة المعجمية لتجدها تختلف عن غيرها بخصائص معرفية في أساسها على السياق وفهم بؤرته.

والمفسر حين تفسيره لابد له من اعتماده على منهج يسلكه، وصولاً به إلى المعنى المراد والفهم السليم، ولقد رسم الباحث أديب صالح بعضاً من معالم هذا المنهج المتعلق بتأويل المشترك، وإسقاطاته التفسيرية لدى المفسرين، وذلك من خلال إلزامية إزالة الغموض والإبهام فيه، أي: المشترك وإبراز أحد المعنيين المحتملين، أو المعاني التي وضع لها اللفظ من اجتهاد بالرجوع إلى مجموعة النصوص، وتحديد مدلولات اللفظ عند العرب كافة، وقد يستعان في ذلك بعرف الشارع ومقاصد الشريعة[1]، فهذه إشارة عامة لمنهج المفسرين في تأويل المشترك اللفظي، وأبرز سمات هذا المنهج والآلية المعتمدة من طرف المفسرين أثناء عملية التأويل الدلالي للمشترك، ومن أبرز هذه العناصر الـــتأويلية عندهم ما يلي:

1- التوظيف القرآني للفظة وأثر السياق: فمن خلال هذا العنصر يعمد المفسر لكلام الله إلى مراعاة توزيع الوحدة اللغوية المشتركة المعنى بجمع وحصر جميع تلك السياقات والمواطن الواردة فيها من كلام رب العالمين، كي تسهل عملية التدقيق والترجيح والفهم السليم، ذلك أنها خطوة كفيلة بتحديد جميع معاني الوحدة اللغوية، اللفظ المشترك المتعددة، وهو الأمر الذي يوفر لهم تحديد المعنى العام، ويعمل على كشف تلك العلاقات الكامنة بين جميع المعاني المتعددة، وأمثلة هذا العنصر كثيرة عند المفسرين، وعند الشيخ هود بن محكم في تفسيره ،حيث فهم في عمله التفسيري ما يقتضيه ويستلزمه هدا العنصر.

إن عمل وجهد المفسرين من خلال عنصر الاستعمال القرآني في التأويل الدلالي للمشترك، يكشف حرصهم البالغ على الدقة في تقصي الحقائق اللغوية، موظفين في تتبعهم لذلك مسألة الجمع بين البحث السياقي، والبحث المعجمي، واستنجدوا بذلك جوهر العلاقة بين المعاني، وكل هذا سعياً منهم إلى الوصول العلاقة المعنى النواة «البؤرة » ، ومدى ارتباطه بالمعنى في اطار السياق (المعنى السياقي)، وهذا كفيلٌ برفع كثيرٍ من الغموض والإبهام في التأويل الدلالي.

2 المعنى اللغوي العام: من بين أولى اهتمامات المفسر لكتاب الله تعالى، معرفة استعمال اللفظ في بيئته اللغوية، ومعرفة أوضاع اللغة عموماً، وأثر ذلك في تحديد دلالة اللفظ المشترك، فبمعرفة الاستعمالات في البيئة اللغوية يهتدي المفسر حتماً إلى تخصيص وجه دلالي صائب للفظٍ مشتركٍ ما.

---

[1] ينظر: أديب صالح ، تفسير النصوص، مصدر سابق ،ج1،ص: 83.

ومن أمثلة هذا لفظ: «الدين» المشترك، والوارد في كثير من الآيات، يقول ابن جرير الطبري في معرض حديثه عن تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾[1]،«وأولى القولين بالصواب الدين في هذا الموضع الجزاء بالحساب، وذلك أن أحد معاني "الدين" في كلام العرب، الجزاء والحساب، ومنه قولهم كما تدين تدان.»[2]، وقد نجد المفسر الشيخ هود بن محكم نفسه أشار إلى ما ذكره الطبري، وغيره من المفسرين في تفسير هذا اللفظ المشترك المعاني[3]،كما أنه قد يفضي بنا أحيانا المعنى اللغوي العام في بعض الحالات إلى معان ودلالات ممكنة في التأويل الدلالي، وتبقى مسألة الأخذ بأحد محتملات معنى اللفظ لبيان مدلوله أمر ضروري، أو الجمع بينهما، ومن أمثلة هذا قول المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾[4]، فعُرِفَ عند أهل اللغة أن:«البس» يطلق على معنى عام، وهو التفتت[5]، وفي هدا يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيرها: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾، أي: كما يُبسُ السويق، وبَسَ السويق يَبَسه بَسَاً؛ إذا خلطه بسمنٍ أو زيتٍ، والبَسُ يكون للسويق وللدقيق ، أو الإقط الطحون، والبَسُ أشد من اللَتِ بللاً[6]، ومنه أُخِذت البَسِيسَة من أسماء أحد أنواع السويق.

فقد يطلق «البَسُ» بمعنى: التفتت ، وعليه يحتمل أن يكون تأويل الآية، وفُتِتَتْ الجبال وانتثرت، وقد يكون « البَسُ» بمدلول آخر يطلق على السوق للماشية، يقال: بَسَ الغنم إذا ساقها واقتادها، وعليه قد يكون «البَسُ» محتمل في هذه الآية، ويكون تأويلها: وسيقت الجبال[7]، وأجد المفسر الشيخ هود بن محكم يميل إلى القول أو المعنى الأول ،باستعماله ل:«البَسُ» من خلال بؤرته السياقية عنده الدالة على التفتت أكثر مما أجده يميل إلى المعنى الثاني، ويفهم هذا من خلال قوله في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[8]، إذ قال:« أي: ساكنة، وتكون الجبال كالعهن، أي: كالصوف المنفوش، وتكون كثيباً مهيلاً ،وتُبَسُ كما يُبسُ السويق، وتكون سراباً، ثم تكون هباءً منثوراً، فذلك حين تذهب من أصولها، فلا يرى منها شيئا، فتصير الأرض كلها مستوية.»[9].

---

[1] سورة التين، الآية: 07.

[2] ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج12،ص:48 ، و ج4 ،ص: 642.

[3] هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص:80،وج4،ص:480،وج4،ص:435.

[4]سورة الواقعة، الآية: 05.

[5]ينظر: ابن منظور ،لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (بسس)،ج6 ،ص: 27.

[6]ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4،ص:250.

[7]ينظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق،ج17،ص: 128.

[8]سورة النمل، الآية: 88.

[9] هود بن محكم، تفسيركتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3،ص: 237.

ومن خلال ما تقدم ، يفهم أن معرفة أوضاع اللغة، والاستعمال الكلامي للبيئة اللغوية، أمرٌ هام في تحديد الـــتأويل الدلالي للمشترك.

3ــ أمثلة المشترك اللفظي في تفسير الشيخ هود بن محكم.

1ــ مفردة :« أبٌ».

أجد في تفسير الشيخ هود بن محكم هذه اللفظة ضمن ألفاظ المشترك اللفظي ، حيث أورد لها أكثر من معنى ، وذلك حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾[1]، فقال في تفسير و بيان مدلول لفظة: « أباً »: « وهذا الذي ذُكر من الفاكهة ، قال الحسن: الفاكهة ما تأكلون ، و الأبُ ما تأكل أنعامكم، و تفسير الكلبي: الأبُ الكلأ »[2] ،فاعتبرت اللفظة بهذين التفسيرين من المشترك اللفظي، بإيراده معنيين ،من خلال قول الحسن، والثاني في قول الكلبي ، ومن ثمة فإن اللفظة تدل عنده على ما ترعاه الأنعام من عشبٍ وغيره ، ودلت أيضا على ما يأكله الناس من الفاكهة.

يقول ابن فارس :« اعلم أن للهمزة و الباء في المضاعف أصلين ، أحدهما المرعى ، و الآخر القصد و التهيؤ، ، فأما الأول فقول الله عز وجل :﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾، قال أبو إسحاق الزَّجاج : الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية، و أما الثاني فقال الخليل وابن دريد :الأبُ مصدر أبَّ فلانٌ إلى سَيفه، إذا رد يده إليه ليتسله ، والأبُ في قول ابن دريد : التراع إلى الوطن ، والأَبُ في روايتهما التهيؤ للمسير»[3]، فهذه كلها معاني مشتركة للفظة «أب » ، لذلك أجد ههنا الشيخ هود بن محكم أقرَّ بذكر اثنتين منها ، إشارة منه إلى أن اللفظة من المشترك اللفظي .

وفي قول الراغب الأصفهاني : « قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾، الأَبُ : المرعى المتهيئ للرعي والجز ، من قولهم: أبَ لكذا، أي :تهيأ ، أباًّ ، و أبابة، و أباباً ، وأب إلى وطنه : إذا نزع إلى وطنه ..تهيأ لقصده» [4]،

وعليه فإن ما جاء به أهل اللغة في بيان دلالة المفردة ،موافقاً لما اعتمده الشيخ هود ن محكم في تحقيق المفردة: «أبا» ، مقراً بوجود علاقة دلالية متمثلة في اشتراك معانٍ دلالية فيها.

[1] سورة عبس ،الآية : 21 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4، ص: 427 .

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق، مادة: (أب)،ج2 ،ص: 6.

[4] الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القران، مصدر سابق، مادة: (أب) ، ص :59 ،.

2 مفردة: «اِبل »

يورد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة القرآنية معنيين مختلفين ، دلالة منه على أنها من المشترك اللفظي ، وهذا الذي يقرٌ به في تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾[1]، حيث ذكر في تفسيرها قوله :« قال بعضهم: هي السحاب »[2]،فجعل من لفظة « الإبل» ههنا دالة على «السحاب» ، في حين أجده يذكر معنى ثان يدل على أن الإبل هي من «جنس الأنعام» ،أي: بمعنى «الجِمَالُ»، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾[3]، فساق في بيان هذا قولًا للكلبي متضمن معنى الآية بقوله: إنما الأنعام ثمانية أزواج[4] ، ومن ههنا يفهم بإنه يقرُ بوجود اشتراك في المعنى، اذ خصص مدلول الإبل بالسحاب تارة، و بالجمال التي هي جزء من الأنعام تارة أخرى .

يقول ابن فارس في هذا: « الهمزة و الباء و اللام، بناء على أصول ثلاثة على الإبل ، وعلى الأجزاء، و على الثقل ، وعلى الغلبة ، قال الخليل الإبل معروفة ...»[5]، و في قول الراغب الأصفهاني : « قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ ﴾، الإبل يقع على البُعْرَان الكثيرة، و لا واحد له من لفظه، وقوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾، قيل أريد بها :السحاب »[6]، وفي لسان العرب عن الأصمعي،« قال أبو عمر وابن العلاء، ومن قرأها :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾ بالتخفيف ، يعني به البعير، لأنه من ذوات الأربع، يبرك فيحمل عليه الحمولة ، ومن قرأها بالتثقيل قال: الإبل السحاب التي تحمل الماء للمطر »[7] .

ولهذا الاعتبار الدلالي، و استناداً لما تقدم ذكره، ألفيت الشيخ هود بن محكم، قد عـــــدّ هذا عنده من المشترك ، باعتبار إنها لفظة بمعنيين مختلفين.

[1] سورة الغاشية ،الآية :17 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق،ج4 ص: 452.

[3] سورة الأنعام، الآية: 144 .

[4] ينظر: المصدر نفسه ج1 ،ص: 511 .

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق، مادة : (ابل)،ج12 ص: 39، 40 .

[6] الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن ، مصدر سابق، مادة: (ابل)،ج 12 ،ص:60.

[7] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ابل) ، ج1،ص: 1.

3مفردة: « أتى».

يحدد الشيخ هود بن محكم مدلول المفردة القرآنية :(أتى) في أربعة معانٍ مختلفة ، يفهم المعنى الأول من المواطن الأربعة من خلال تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾[1]، حيث فسرها بدلالة «القرب» فقال :« ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾، أي: أن العذاب قريب»[2] ، هذا المعنى الأول للفظة من جهة.

والثاني في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[3] ، فذكر في بيان مدلول ذلك قوله :« كان المشركون إذا أحرموا، لم يدخل أحدهم بيتاً من بابه، إلا أن يتسور من الحائط ، فأنزل الله هذه الآية ،فجعل الشيخ هود بن محكم المعنى الثاني للمفردة، بمدلول «الدخول» ، وهذا الذي يفهم من ظاهر قوله.

أمّا الثالث عنده في تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾[4]، فبين مدلول ذلك على أن المقصود بالإيتاء ههنا: «الجماع» ، حيث قال في ذلك: ....فلا تأتوهن في الفرج[5]، فيفهم من ذلك بمفهوم دلالة المخالفة أن المراد بالمفردة ههنا بسياق الآية دلالة: الجماع.

يقول الراغب الاصفهاني: « الإتيان مجيء بسهولة ، و الإتيان يقال للمجيء بالذات بالأمر و بالتدبير »[6] ، و الرابع عنده بمعنى :«كان»، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[7]، حيث ذكر في بيان ذلك قوله :«أي: حيث كان ، وقال بعضهم :حيث جاء »[8]، فاقترنت دلالة المفردة ههنا بمعنى: «كان، أو جاء».

ومن ثمة وانطلاقاً من ذكره للمعاني الأربع، صنف الشيخ هود بن محكم مفردة: «اتى» ضمن المشترك اللفظي.

---

[1] سورة النحل، الآية: 1

[2] ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 2،ص: 355 .

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ج 1،ص: 170.

[4] سورة البقرة، الآية:222.

[5] ينظر: المصدر نفسه ،ج1،ص: 197.

[6] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق،مادة :اتى، ص :60 .

[7] سورة طه،الآية:69.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3،ص: 37 .

وفي لسان العرب ، « الإتيان المجيء، وفي تفسير: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾، قالوا معناه : حيث كان يجب أن يقتل، وقوله عز وجل :﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾، أي: قرُب ودنا إتيانه »[1] ، كما أني أجد معاني كثيرة للفظة :(أتى) ذكرها الراغب وابن منظور، وذكر ابن فارس بعضاً منها ، ووجدت الشيخ هود بن محكم قد اعتمد شيئاً منها، كمعانٍ متعددة للمفردة مشيراً إلى علاقة الاشتراك فيها .

4 مفردة: «أَذِنَ».

يذكر الشيخ هود بن محكم في تفسيره معنيين مختلفين للمفردة : (أَذِنَ) ،مما يجعلنا نلمس شيئاً من الاشتراك عنده بينهما ، فأما المعنى الأول فيذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2]، حيث عبّر عن مدلول المفردة بدلالة «الإعلام»، فقال : «تأذن ربكم : أعلمكم ربكم »[3]،فجعل من دلالة المفردة في هذا السياق، أن المراد بها الإعلام.

والمعنى الثاني الذي جعله للمفردة واردٌ عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[4]، إذ فسرها ههنا على أنها «السمع و الطاعة»، فقال : « أي: سمعت لربها فأطاعت »[5] ، ومن ههنا نفهم بأن اللفظة عنده من المشترك باعتبار اشتراكها في المعنيين :(الإعلام، و السمع و الطاعة).

يقول ابن فارس :« الهمزة و الذال و النون، أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما: أذن كل ذي أذن ، والآخر العلم ، تقول العرب: قد أذنت بهذا الأمر، أي: علمت »[6]، وحدد هذا المعنى الراغب في مفرداته بقوله : « وأُذِنَ ، استمع ، نحو قوله: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾، ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع نحو قوله: ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾،{ البقرة ، 279 }»[7]،فكان ما اعتمده الشيخ هود بن محكم من معان مشتركة في المفردة، موافقاً لما ذكر عندهم.

---

1 ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق،مادة: اتى، ج1، ص: 23 .

2 سورة إبراهيم، الآية :7 .

3 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2، ص: 316 .

4 سورة الانشقاق، الآية: 02 .

5 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 4، ص: 441 .

6 ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق ،مادة: (أَذِنَ)،ج1، ص:77.

7 الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ،مادة (أذن)،ص:70.

وإني لأجد المعنى الذي اعتمده الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة مفردة :« أذن» متصدراً عند ابن منظور متمثلاً في قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾، فينقل قول ابن سيده : و أَذِنَ إليه أُذْناً، استمع ، و في الحديث : ما أذن الله لشيء، كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، قال أبو عُبيد : يعني، ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ،وقوله عز وجل ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ ﴾، أي: استمعت [1]، وعلى هذا الأساس المتقدم ذكره ،أجد الشيخ هود بن محكم يقرُ باشتراك المعنى لمفردة :(أذن)، وأن لها معانٍ كثيرة في تفسيره.

5 مفردة:« أصر» .

يسوق الشيخ هود بن محكم معنيين مختلفين لهذه المفردة في تفسيره، بحيث أننا نجد تقاطعاً دلالياً بين المعنيين المذكورين .

فأما المعنى الأول متمثلٌ عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾[2]، ففسرها أي المفردة بقوله :« أي: ميثاقي ، وقال مجاهد وغيره: عهدي » [3]، وهذا المدلول الأول للمفردة .

و في المعنى الثاني يسوق معنى مغايراً للمفردة ، يفهم من ظاهر قوله فيه ، أنه بمعنى : «الشدة في العمل و الأمر» ، وههنا نلمس ذلك التقارب الدلالي بين المعنيين، باعتبار أن العهد والميثاق من خصائصهما الشدة و الثقل ، فرجحت أن يكون كل هذا من دلالة مفردة: "الإصر" عنده، والله أعلم.

يقول الشيخ هود بن محكم في بيان المعنى الثاني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾[4]،«يعني ما كان شدّد به على بني إسرائيل »[5]، و أجده في هذا الموطن يذكر المعنيين السابقين ، فهو يضيف إلى هذا المتقدم قوله:« و الإصر: العهد» [6]، ليفهم من هذا أنه يشير إلى اشتراك المعنى في مفردة واحدة .

يقول ابن فارس :« الهمزة والصاد و الراء، أصلٌ واحد يتفرع منه أشياء متقاربة ..، وتفسير ذلك إن العهد يقال له إصر»[7]، و لم أجد رأي الراغب في مفرداته موافقاً لما اعتمده الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ،مادة (أذن)،ج1، ص:52.
[2] سورة آل عمران، الآية : 81 .
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 1،ص: 272 .
[4] سورة البقرة ،الآية: 286 .
[5] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج1 ،ص: 244 .
[6] المصدر نفسه،ج،1 ص: 244.
[7] ينظر: ابن فارس، مقياس اللغة ، مصدر سابق، مادة: (أصر)،ج1،ص:110.

مفردة : «أصر»،بل خصص دلالة «الإصر» بالأمر المؤكد، حيث قال :«والإصر العهد المؤكد »[1] ،وفي لسان العرب لابن منظور، « قال الفراء: الإصر: العهد ، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾، أي: أمراً يثقل علينا ، وأصل الإصر ، الثقل و الشدة، لأنها أثقل الإيمان و أضيقها مخرجاً »[2]،فاتضحت بهذا التحديد اللغوي معالم دلالة المفردة، وما أريد لها من معانٍ لتدل عليها.

فنفهم من هذا أن ابن منظور كذلك رأيه موافقٌ لما قدمه الشيخ هود بن محكم في دلالة المفردة ، وهذا متمثلٌ عنده من خلال سرده لكلا المعنيين: (العهد و الشدة) ، ومن ثمة فإن المفردة من المشترك عندهم .

6 مفردة :«أمْت».

أجد الشيخ هود بن محكم يقر بوجود شيء من الاشتراك في المعنى بالنسبة لهذه المفردة القرآنية: «أمْت»، إذ ذكر لها معنيين في سياق واحد ، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾[3] ، حيث قال في بيان ذلك : لا ترى فيها عوجاً : قال مجاهد: انخفاضاً ولا أَمْتاً ، ولا ارتفاعاً ، وقال ابن عباس: العوج الوادي ، (ولا أمتاً) قال بعضهم: الأَمْتُ : الحدب[4] ، فذكر في معنى مفردة: «الأمت» أنه الارتفاع ، و المعنى الثاني أنه الحدب .

و لقد عبر أبو عبيدة على المعنى الثاني المذكور عند الشيخ هود بن محكم بقوله:« وهو أدق تعبيراً ، و أكثر فائدةً ، ولا أمتاً مجازه : لا رُبىً ولا وطئاً ، أي لا ارتفاع و لا هبوط ، يقال: مـــــدّ حبله حتى ما ترك فيه أمْتاً ، أي : استرخاء، و ملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمْتاً، أي: انثناءً »[5]،فجعل من التوظيف للمفردة في هذا السياق أكثر فائدة، وأبلغ خطاب من المولى عز وجل.

وحد ذلك ابن فارس في أصل واحد ،فقال :« الهمزة و الميم و التاء، أصلٌ واحدٌ لا يقاس عليه، و هو الأمْتُ ، قال تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾، قال الخليل :العوج و الأمت بمعنى واحد، وقال آخرون: وهو ذلك المعنى أن الأمْتَ أن يغلُظ مكان، ويرِقَ مكان »[6]،فنفهم من قول الخليل، أنه ساوى في الدلالة بين مفردتي:"العوج، والأمت".

---

[1] الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرءان، مصدر سابق،مادة :(أصر)،ص:78.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (أصر)،ج1،ص:87.

[3] سورة طه ، الآية :106.

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج 3 ،ص: 45 .

[5] أبو عبيدة ، مجاز القرءان ، مصدر سابق ،مادة (أمت)،ج1،ص:123.

[6] ابن فارس، مقايس اللغة ،مصدر سابق،ج1 ، مادة: (أمت)،ص:137 .

يقول ابن منظور في دلالتها: «... و الأَمْتُ المكان المرتفع ، والأَمْتُ الانخفاض و الارتفاع، و الاختلاف في الشيء » [1]، ومن ههنا قد أقر الشيخ هود بن محكم استناداً لما سبق أن مفردة: « أمت» من المشترك ، حيث أورد لها معنيين دالين عليها ، ممثلين في :الارتفاع و الحدب.

7 مفردتي: «أول» ،و «تأويل».

يحدد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة معنيين مختلفين في سياقين متعددين ، إذ أجده يذكر معنى مفردة:« أول» في تفسيره على أنها «التعبير و التفسير»، وهذا في قوله عند تفسيره قول المولى تعالى : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾[2]، حيث اعتبر أن المقصود بتأويل الأحاديث هو «تعبير الرؤيا» و «تفسيرها»، فقال في ذلك :﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾، «قال مجاهد: تفسير الرؤيا ، وفي قوله :﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ قال مجاهد : تعبير الرؤيا » [3]، فهي إشارة منه إلى أنه يبين دلالة المفردة بالتعبير، و التفسير، و البيان ، وكل ذلك بمدلول دلالي متقارب .

و المعنى الثاني للمفردة متمثل عنده في :«الثواب و الجزاء» ، حيث ذكر هذا في تفسير قوله تعالى :﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ﴾[4]،«أي : ثوابه في تفسير الحسن و غيره ، وقال مجاهد :جزاؤه ،وهو واحدٌ ، قال: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾، أي: ثـــــوابه ، و الجزاء به في الآخرة » [5]، وعليه فإن هذا يؤكد لنا إقراره بوجود الاشتراك في ذلك .

يقول ابن فارس : « الهمزة و الواو و اللام، أصلان ابتداء الأول وانتهاؤه، ومن هذا الباب تأويل الكلام ، و هو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ﴾[6]» فذكر ابن فارس معنى من معان كثيرة للمفردة ، حيث عـــــدّ التأويل «عاقبة الشيء»، و ما يرجع إليه بالعلم و التفسير ، وهذا المعنى ذاته عند الراغب بقوله : « التأويل من الأول ، أي الرجوع إلى الأصل ، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علماً كان أو فعلاً ، ففي العلم نحو: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾،{

[1] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (أمت)،ج1،ص: 124.

[2] سورة يوسف :الآية، 21 .

[3] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 2 ،ص: 255 ـــ 259 .

[4] سورة الأعراف، الآية: 53 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ،ص: 23 .

[6] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (أوّل)، ج1،،ص:162.

آل عمران .7 } ، وفي قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾،{النساء 59} ،قيل أحسن معنى وترجمة ، وقيل أحسن ثواباً في الاخرة »[1]، فاعتمد ههنا الراغب في قوله المعنيين السابقين المذكورين في تفسير الشيخ هود بن محكم في بيان مدلول المفردة ، وبالتالي فهو موافقٌ له في الرأي والإقرار .

وعند ابن منظور قوله:« وأوّل الكلام ،وتأوله: دبّره وقدره ، وأوّله وتأوله :فسره، وروي عن مجاهد: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ﴾، قال :جزاؤه ، و قال أبو عبيدة في قوله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، قال التأويل: المرجع و المصير»[2]، وهنا يمكن القول بأن ما ذكره الشيخ هود بن محكم من المعنيين متوافرٌ عند أهل اللغة بمعانٍ كثيرة ،الأمر الذي يجعل المفردة ضمن المشترك اللفظي عنده .

8 مفردة :« بروج»

يحدد الشيخ هو د بن محكم في بيان هذه المفردة: «بروج» معنيين لها ، مشيراً بذلك إلى اشتراك المعنيين فيها ، حيث أجده يذكر المعنى الأول المتمثل عنده في :« النجوم»، حيث صرح بدلالة مفردة:«بروج» على أنها : النجوم ، وهذا في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾[3]، فقال في تفسيرها :« ذكروا عن ابن عباس قال : ذات النجوم »[4]،أي: يقصد هذا قوله تعالى : ذات البروج ،أي: ذات النجوم، فاعتمد ههنا معنى البروج للدلالة على النجوم .

والمعنى الثاني قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[5]، إذ قال في بيان دلالة المفردة :« قال بعضهم :في قصور محصنة» [6]،ومن هنا نفهم بأنه قد أورد لهذه المفردة معنيين هما:(النجوم، ثم القصور المحصنة) .

فأما المعنى الأول و الثاني عنده، فهو موافق لما بينه الراغب في مفرداته ، إذ عبر عن دلالة ذلك قائلا :«البروج : القصور الواحد : برج ، وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها ، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾، وقوله تعالى :﴿ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾، يصح أن يراد بها بروج في الأرض ، وأن يراد بها بروج

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني ،مفردات غريب القرءان، مصدر سابق، مادة :(أوّل) ،ص:99.
[2] ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة:(أوّل)، ج1،ص:172 .
[3] سورة البروج ، الآية :1.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4 ،ص :444 .
[5] سورة النساء، الآية:78 .
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:362.

النجم ، ويكون استعمال لفظ: المشيدة فيها على سبيل الاستعارة ، وتكون الاشارة بالمعنى »[1]،وعلى إثر هذا نفهم أن بين معنيي المفردة تقارباً دلالياً من حيث الاستعمال المجازي.

غير أني أجد الشيخ هود بن محكم قد مايز بين المعنيين عند تفسيره لكل آية وردت فيها مفردة:(بروج)، وذلك في مثل تفسيره أيضا لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[2] ،فقال :«والبروج النجوم »[3]، فذكر ههنا في معناها على أنها النجوم .

وفي الثاني فسرت عنده بالحصون ، وهذا أيضا موافقٌ لقول ابن منظور :«البروج : ههنا الحصون ، قال الزجاج: البروج ، الكواكب العظام »[4]، ولهذا الأساس عــــــدّ الشيخ هود ابن محكم في تفسيره مفردة «بروج» من المشترك ، لعلة احتمالها معنيين مختلفين .

9 مفردة :«يبسط».

إن المتأمل في معاني هذه المفردة وجذرها ، ليجدها كثيرة متعددة في كتب أهل اللغة ، و تعدد معناها عندهم مؤشر على وجود اشتراك في لفظها، و المدقق في دلالتها عند الشيخ هود بن محكم، وفي تفسيره لها عند كل سياق وردت فيه ، يتجلى له إيراد معان متعددة لها.

فأجد الشيخ هود بن محكم قد حصر دلالتها عنده في أكثر من معنى، أذكر ثلاثة منها :

فأما الأول: فجعل من معنى «البسط» دلالة التوسعة في الزرق ، وهذا ظاهر عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5]، حيث قال :« أي : يوسع عليه »[6]،هذا من جهة.

وأما الثاني فجعل من معنى «البسط»: الإسراف في النفقة، وهذا يفهم من قوله في تفسيره لقول المولى عز وجل :﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩ ﴾[7]، فذكر في بيان ذلك قوله :« لا تمسكها عن طاعة الله و لا عن حقه ، ولا تبسطها كل البسط ،أي : لا تنفقها في معصية الله، وفيما لا يصلح ، وهو الإسراف » [8]

---

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القران، مصدر سابق ،مادة (بروج)، ص :115.

[2] سورة الفرقان ، الآية :61.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 3 ،ص :190.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (برج)، ج1، ص :244 .

[5] سورة الرعد ، الآية : 26 .

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص :303 .

[7]سورة الإسراء ،الآية: 29

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 2 ،ص :413

وأما الثالث فتمثل عنده ضمنياً في: «مد اليد بالقتل و الإيذاء» ، إذ وقفت على هذا المعنى وفهمته من خلال تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾[1]، فحدد دلالة ذلك بقوله :... وذكر لنا أن رجلاً انتدب لقتله-أي: سيدنا النبي— ،فأتى نبي الله و سيفه موضوع ، فقال :آخذه ، قال خذه ، قال أسُلّه ؟ قال سَلَهُ ، فلما انتضاه ، قال ما يمنعك ؟[2]، ومحل الشاهد هنا أن دلالة :« يبسطوا إليكم أيدهم » ،على أنها يمدوا أيدهم إليك بالقتل.

وعليه: فإنه توافرت للشيخ هود بن محكم في دلالة هذه المفردة ثلاثة معانٍ مختلفة ، كل منها في سياق مغاير لغيره .

وفي هذا الصدد يقول ابن فاس : « الباء و السين و الطاء، أصلٌ واحدٌ ،وهو امتداد الشيء في عرض ، أو غير عرض ، ويد فلان بسطٌ ، إذا كان مِنفَاقاً ، و البسطة في كل شيء: السّعة »[3]، ومن خلال هذا نجد ابن فارس يقر بأن من معاني البسط عنده : السعة ،و التوسعة ، و المبالغة في الإنفاق ، و هو الذي حدده الشيخ هود ابن محكم بقوله الإسراف كما تقدم ، وهو بمدلول متقاربٍ جدا .

ولقد حدد الراغب في المفردات و أقر بكل هذه المعاني المتقدمة عندما قال :« بسط الشيء: نشره و توسعته ،وبسط اليد: مدها ، قال عز وجل :﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾{الكهف ،18}»[4]، أي: ممداً دراعيه، فيضيف الراغب هنا إشارة الى ما تقدم ذكره في قول الشيخ هود بن محكم، أن «بَسَطَ» بمدلول مد اليد بالقتل ، أو الضرب و غير ذلك ، ويقر بذلك ، ومن ثمة يفهم بأن للمفردة معانٍ عدة، أهلتها للتصنيف ضمن مفردات المشترك اللفظي .

10 مفردة :« بعل ».

يسوق الشيخ هود بن محكم مدلولين لهذه المفردة القرآنية ، جاعلاً منهما نقطتا اشتراك فيها، وذلك متمثلٌ في معنى أول ، أجده في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ ﴾[5]، فبين الشيخ هود بن محكم في دلالة المفردة القرآنية

[1] سورة المائدة، الآية : 11 .
[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1 ،ص :410 .
[3] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ،مادة :(بسط)، ج1 ،ص:247.
[4] ينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القران، مصدر سابق ،مادة:(بسط) ،ص:123 .
[5] سورة النساء، الآية :128.

على أنها: «الزوج» ،فقال في تفسير الآية :﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا ﴾، «أي :علمت من زوجها نشوزاً »[1]، فأجده في هذا المقام يحدد معنى البعل بالزوج .

وأما المعنى الثاني فجاء به في تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ﴾[2]، فقال: إن المراد بالبعل في الآية ،هو« اسم الصنم » ، ومن هنا يفهم بأنه يقر بإشتراك المعنيين في لفظة ومفردة واحدة ، يقول في تفسير الآية: ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴾، « أي : أتدعون رباً غير الله ، وتفسير الحسن :كان اسم صنمهم بعلا »[3]، فخصص دلالة المفردة بذلك.

يقول ابن فارس في أصل ذلك :« الباء و العين و اللام، أصولٌ ثلاثةٌ ، فالأول الصاحب ، يقال للزوج بعلاً ، وكانوا يسمون بعض الأصنام بعلاً »[4]، فأجد ابن فارس يؤكد ما جاء به الشيخ هود بن محكم من المعنيين المذكورين في تفسيره ،دلالة على اشتراكهما في مفردة:(بعل).

وأرى الراغب أيضاً يوافق ذلك بقوله :« البعل هو الذكر من الزوجين ، قال الله عز وجل :﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴾{ هود 72} ، وجمعه: بعولة، نحو : فحلٌ و فحولة ، قال تعالى :﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾،{ البقرة 228 }، ولما تصور من الرجال الاستعلاء على المرأة ، فجُعِل سائسها و القائم عليها ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾{ النساء 34 } ، سُمي باسمه كل مستعل على غيره ، فسمى العرب معبودهم الذين يتقربون به إلى الله بعلاً »[5]، وفي قول الراغب هذا إجماع دلالي للمعنيين المتقدمين ، حيث وضح في ذلك علة اتخاذ العرب هذا الاسم لصنمهم المستعلي وبينه ، ومن هنا جاءت هذه المفردة من المشترك عندهم .

11 مفردة :«بنان» .

يجعل الشيخ هود بن محكم لمفردة «بنان» أكثر من معنى ، بذكره معاني متعددة لها ، معتبراً ذلك من المشترك اللفظي ، و أجد هذا متطابقاً مع ما ذُكر في كتب أهل اللغة ، لذا ذكر الشيخ هود بن محكم المعنى

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1 ،ص: 386 .
[2] سورة الصافات، الآية: 125 .
[3] المصدر نفسه ،ج 3، ص :403 .
[4] ابن فارس، مقاييس اللغة ،مصدر سابق ،مادة: (بعل)،ج1،ص:264.
[5] الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القران، مصدر سابق، مادة: (بعل)،ص:135.

الأول لها في تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢ ﴾[1]، حيث ذكر عدة معاني في سياق واحد لهذه المفردة، وذلك في قوله :« أي : كل عضوٍ ، وقال الكلبي: أطراف الأيدي و الأرجل ، وقال بعضهم : كل (بنان) ،أي : كل مفصلٍ » [2] ، فأجده ههنا يذكر كلاً من : الأعضاء ، إضافة إلى أطراف الأيدي و الأرجل ، ويذكر كذلك المفصل، على أن كل هذه من مداليل لفظة: (بنان) .

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾[3] ، فسر مفردة بنانه بالمفاصل ، ثم توسع مضيفاً قولاً آخر بقوله : قال بعضهم : ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾، أي : أصابعه ، فيجعلها مثل خف البعير، أو كحافر الدابة [4] ،فدل بها في هذا السياق على معنى :الأصابع .

قال الراغب في مفردة :«بنان» : « أسنان الأصابع ، قيل سميت بذلك ، لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يــبّن بها ، أي يقيم بها ، ولذلك خص في قوله تعالى :﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾» [5] .

أما ابن منظور فأجده يحدد ذلك في كل ما ذكره الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة مفردة :«بنان» ، إذ اعتبر أن المفردة تحتمل الأصابع ، وقال :« قيل : أطرافها » [6] ، و ذكر في قوله عز وجل : ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢ ﴾، قول أبو إسحاق : البنان ههنا جميع أعضاء البدن [7] ، فنتج لنا بهذا معنى آخر، دل به أبو اسحاق بالمفردة على معنى سائر أعضاء البدن.

واعتماداً على ما أدلى به الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، وتلك الاشارات المبثوثة في كتب أهل اللغة، فإن المفردة من المشترك اللفظي.

12 مفردة :«بهتان» .

أجد الشيخ هود بن محكم يسوق لهذه المفردة ثلاثة معان مختلفة ، بحسب سياق كل واحدة منها، فيفهم من إيراده المعاني الثلاثة أن المفردة عنده من المشترك اللفظي.

---

[1] سورة الأنفال ،الآية: 12 .

[2] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ، ص: 79 .

[3] سورة القيامة ، الآية: 04 .

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 4 ،ص: 398 .

[5] الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرءان، مصدر سابق، مادة: " بنان"، ص: 147.

[6] ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة: (بنان) ، ج1،ص: 361 .

[7] ينظر: المصدر نفسه، مادة: (بنان)،ص: 362 .

فذكر من معانيها: «الكذب» ، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[1]، حيث أشار إلى ذلك مباشرة بقوله: « هو ما قذفوا به مريم، و البهتان العظيم : الكذب ،و هم اليهود» [2] ، و ذكر أيضا لها معنى ثان في السورة ذاتها في مكان قبل هذه الآية، و ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا ﴾[3]، حيث اعتبر «البهتان» ههنا بدلالة :«الظلم» ، إذ عبر عنه بقوله : « فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتاخذونه على الاستفهام (بهتانا)،أي : ظلما » [4] ، وذلك في بيان عدم جواز أخذ الزوج مما أعطى زوجته من مهر في عقد نكاحها وغيره.

وخص المعنى الثالث بدلالة إلحاق الزوجة بزوجها ولدا ليس له ، حيث جاء هذا المعنى المتضمن عنده لمعنى :« الزنى» وارداً في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾[5] ، فقال في بيان ذلك : « أي :لا تلحق بزوجها ولداً ليس له »[6] ، وهو المعنى الذي أشرت إليه آنفاً .

يقول ابن فارس : « فأما البهتان ، فالكذب »[7] ، فذكر ابن فارس معنى واحد لمفردة:(بهتان)، على أنها بمدلول الكذب ، و أما المعاني المتبقية ، فذكرها ابن منظور في بيان دلالة مفردة:(بهت) و ذلك في معرض حديثه عن مادة:(بهت) فقال : « وبهت فلان فلاناً ، إذا كذب عليه ، وقوله عز وجل :﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ ﴾ ، أي :لا يأتين بولدٍ عن معارضة من غير أزواجهن ، فينسبنـــه إلى الزوج »[8] ، وأجد الراغب يصرح بهذا المعنى الأخير عند ابن منظور، و الذي فسره الشيخ هود بن محكم في سورة الممتحنة بقوله: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ ﴾ كناية عن :الزنا »[9]، ومن ثمة فإن كل ما ذكره الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة هذه المفردة من معان متعددة ، واردٌ ذكره عند أهل اللغة ، مجمعين باشتراكها في المعاني الموضوعة لها.

---

[1] سورة النساء، الآية: 156 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1،ص: 393 .

[3] سورة النساء،الآية:20 .

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1 ،ص :327 .

[5] سورة الممتحنة، الآية:12.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص :312 .

[7] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ،مادة:(بهت)، ج1،ص:307.

[8] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(بهت) ص :367 .

[9] الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرءان، مصدر سابق ،مادة:(بهت) ،ص: 148.

13 مفردة :«تنور» .

ورد ذكر هذه المفردة، في سياق قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وغرق قومه العصاة ، إذ هو سياق واحد ، ولم ترد في موطن سواه ، ومع هذا أجد الشيخ هود بن محكم قد عدد معانيها بقوله، أو بقول البعض ممن أعتمدهم في آية واحدة ، وهي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[1]، فذكر هذه المعاني على النحو الآتي[2]:

- التنور : الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة .
- التنور : عين ماء كانت بالجزيرة يقال لها التنور .
- التنور : أقصى الدار .
- التنور : أعلى الدار وأشرفها .

فكل هذه المعاني ساقها متوالية في موطن واحد ، وهذا قليل عنده، إذ غالباً ما أجده يذكر معنى مفردة ما في بيان تفسير آية ، ثم يذكر المعاني الأخرى لها إن وجدت في مواطن آيات متعددة .

و في كتب اللغة أجد ابن منظور قد تفرد بما لم يتفرد به كثير من اللغويين، وذلك بإيراده جميع معاني الكلمة ، والتي قد ساق الشيخ هود بن محكم بعضاً منها في بيان دلالتها .

إذ يعتبر ابن منظور «التنور» نوع من الكوانين ، ورأى الجوهري التنور الذي يُخبز فيه، وفي التزيل قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾، قال علي كرم الله وجهه :هو وجه الأرض ، وكل مفجر ماء تنور ، ثم يذكر ابن منظور جميع تلك المعاني في قوله: وقيل في التنور وجه الأرض ، ويقال :أراد أن الماء إذا فار من ناحية مسجد الكوفة ، وقيل أن الماء فار من تنور الخابزة ، وقيل أيضاً : أن التنور تنوير الصبح ، وروي عن ابن عباس : التنور الذي بالجزيرة وهي عين الورد ، والله أعلم بما أراد[3].

وعليه فإني أجد الشيخ هود بمعانيه المذكورة في المفردة «تنور» ، موافقاً لابن منظور في البعض منها ، ويستنتج من أقوال ابن منظور والشيخ هود بن محكم أن الكلمة من المشترك .

---

[1] سورة هود ،الآية :40 .

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 2 ،ص :224 .

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(تنور)، ج1، ص:450.

14 مفردة: « مثبورا» .

يشير المفسر الشيخ هود بن محكم في تفسيره بخصوص هذه المفردة: «مثبورا» ، ذات الجذر: «ثبر»، إلى معانٍ ثلاثة ذكرها في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، حيث ذكر أن من معانيها: «مسحور» ، ثم ذكر معنى « الهلاك» ، ثم بعدها «ملعون» ، اذ حدد مدلولها فيما قاله بقوله :﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾، « أي: مسحوراً في تفسير مجاهد وغيره ، أي : يدعو بالحسرة و الثبور في النار ، والثبور: الدعاء بالويل و الهلاك ، وقال الكلبـــــــــي:(مثبورا) أي : ملعوناً »[2] ، فالملاحظ ههنا أن المفسر الشيخ هود بن محكم سرد هذه المعاني مشيراً بذلك إلى القول بإشتراك المعاني المذكورة عنده في هذه المفردة.

فأما معنى «الهلاك» الوارد عند الشيخ هود بن محكم ، فلقد أقره الراغب في مفرداته حينما عبر عن ذلك المدلول بقوله : « الثبور : الهلاك و الفساد ،... وقوله تعالى :﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾، { الاسراء ، 102}، قال ابن عباس رضي الله عنه : يعني ناقص العقل ،و نقصان العقل أعظم هُلكٍ »[3]، وذكر ابن منظور بقية المعاني الواردة في دلالة المفردة في لسانه، معتمداً في تفسيره لها قول ابن الأعرابي الذي قال: « المثبور» : الملعون المطرود المعذب ، و قال الزجاج في قوله تعالى :﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ ،بمعنى :هلاكا [4]، ومن ههنا نفهم بأن هذه المعاني الواردة في تفسير المفردة عند الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، كلها معاني تحدث بها أهل اللغة لدلالة مفردة :«مثبورا» و اعتبروها من الألفاظ ذات الاشتراك في المعنى .

15 مفردة: «ثقال» .

أجد المفسر الشيخ هود بن محكم يذكر أكثر من معنى لمفردة:« ثقال» ، إذ سرد ذلك في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[5]،حيث قال :«ذكروا أن أبا طلحة و أبا أيوب قالا : استنفرنا الله على كل حالٍ ، شباباً وشيوخاً ، وهو تفسير الحسن ، وقال الخفاف : الشباب ، والثقال : الشيوخ ، وقال بعضهم :﴿

[1] سورة الإسراء ، الآية: 102 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2، ص: 441 .

[3] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ، مادة :(ثبر)، ص:172.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (ثبر)، ج2،ص:469.

[5] سورة التوبة ، الآية:41 .

ﭐنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، نشاطاً وغير نشاط، وقال بعضهم : فقراء و أغنياء» [1]، و من هذا نفهم بأنه يحدد للمفردة أكثر من مدلولٍ تمثل عنده في :(ثقال : شيوخاً ، و ثقال : أغنياء ، و ثقال: انعدام النشاط). و لقد عدد الراغب الأصفهاني في كل ما ذكره المفسر الشيخ هود بن محكم في معاني مبينة لهذه المفردة ، إذ تمثل ذلك في قوله : « وقوله عز وجل :﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾،{ التوبة ، 41 } ، قيل: شباناً و شيوخاً ، وقيل : فقراء و أغنياء ، وقيل غرباء و مستوطنين ، وقيل نشاطاً وكسالى ، وكل ذلك يدخل في عمومها ، فإن القصد بالآية الحث على النفر على كل حال تصعّب أو تسهّل »[2]، وعليه يفهم من قول الراغب أن كل هذه المعاني مشتركة في بيان مراد الله في قوله :« ثِقالاً» ، وذلك من تعداده الألفاظ المشتركة فيها ، متوصلاً بذلك إلى بيان المقصود من النفر و الحث عليه على أي وجه وحال كان .

لذلك أجد المفسر الشيخ هود قد عــــــــدّ هذه المفردة في باب المشترك عنده ، بإيراده لها أكثر من معنى.

16 مفردة: «جاث» .

يسوق المفسر الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة مفردة :«جثى» معنيين لها ، مقراً باشتراكها ، وذلك حين تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ﴾[3] فذكر المعنيين ههنا بقوله :« أي : على ركبهم ، وهذا قبل دخولهم النار ، وقال بعضهم :(جثياً)، أي : جماعة جماعة ، و قال الكلبي : جميعاً ، كل أمة على حدتها » [4]، ويتضح لي من هذا أنه يورد معنى :الجثو على الركب ، و يورد دلالة الجماعة على أنها هي معنى لمفردة :«جثيا» .

وأجد ذلك أيضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾[5]، حيث اعتمد المعنيين المذكورين في الآية السابقة حيث قال :« أي :على ركبها في تفسير بعضهم ، وقال مجاهد : أي على الركاب مستوفزين ، وقال الكلبي :جاثية جميعاً يعني : جثى ، والجثوة عنده جماعة » [6]، وقول مجاهد ههنا : « على الركب مستوفزين » بمعنى : أنهم قعدوا قعوداً لم يُطمئن إليه ، وكأنهم متهيئون للوثوب [7].

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ،ص :134 .
[2] الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة:(ثقل) ،ص:174.
[3] سورة مريم ، الآية : 68 .
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3 ،ص:20 .
[5] سورة الجاثية ، الآية:28 .
[6] المصدر نفسه ، ج 4 ،ص: 130 .
[7] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (وفز) ج7، ص:231.

وذكر الفراء في المعاني معلقاً على المفردة بقوله :﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾، يريد كل أهل دين ،(جاثية)يقول : مجتمعة للحساب[1] ، فيفهم من هذا أن مفردة :«جثى» و «جاثية» ، لها ما تقدم ذكره من المعاني عندهم .

يقول الراغب مؤيدا لما تقدم ذكره :« وقوله: ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾،{ مريم ، 72 } ، يصح أن يكون جمعاً نحو : بِكّيَ ، وأن يكون مصدراً موصوفاً به ، والجاثية في قوله عز وجل :﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ { الجاثية ، 28 }، فموضوع موضع الجمع كقولك : جماعة قائمة وقاعدة »[2] ، و من هذا يتبين لي أن الراغب قد أورد المعنيين المعتمدين لدى المفسر الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردة .

17 مفردة :« جمل» .

أجد المفسر الشيخ هود بن محكم يحدد معنيين لمفردة:« جمل» باشتراكهما في المفردة في سورة الأعراف بموطن واحد ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] ،حيث بين دلالة المفردة القرآنية:« جمل» بذكره معنيين لها : قوله « ذكروا عن ابن مسعود أنه قال : هو الجمل زوج الناقة ، وقال مجاهد : هو حبل السفينة »[4] ، فيفهم من قوله إشارته لهذين المعنيين : البعير زوج الناقة، و حبل السفينة .

وأجد أن المفردة «الجمل » تقرأ عند الجمهور بقراءتين، المشهورة بفتح الجيم و الميم المخففة ، و الثانية بضم و تشديد الميم ، وذلك في قراءة ابن عباس و سعيد بن جبير ، وكلا القراءتين بمعنى الحبال المجموعة المكونة للحبل الغليظ من حبال السفينة ، ويسمى أيضا : القلس [5] ، و لم يذكر المفسر الشيخ هود بن محكم المعنى الثالث هذا.

ولقد بين الراغب في مفرداته حقيقة ذلك حينما قال : ...وحقيقة المجمل هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة ، و الجمل يقال للبعير إذا نزل (بمعنى :فطر نابه) ، أي: انشق ، وجمعه جمال [6] ، فأما قوله : الجمل المشتمل على جملة أشياء كثيرة ،فأرى قصده بذلك مثل حبال السفينة ، وقوله الثاني:(الجمل يقال للبعير) فهو تصريح يفهم من ظاهره الدلالة المذكورة آنفا.

[1] ينظر: الفراء، معاني القرآن ، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 48 .
[2] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ،مادة:(جثى) ،ص:186.
[3] سورة الأعراف،الآية:40 .
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2،ص :17 .
[5] ينظر : ابن جني، المحتسب، مصدر سابق،ج 1 ،ص: 249 .
[6] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(جمل) ،ص:203.

أما ابن منظور ألفيته مستطرداً لكل ما ذكره أهل القراءة ،و اللغة ،في بيان دلالة مفردة :«جمل» ، حيث ذكر أوجه عديدة في تفسير الآية :﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾، تفسيراً ظاهراً ، ثم بيان القصد اللغوي من المفردة .

قال الفراء : الجمل هو زوج الناقة ، وقد ذكر ابن عباس أنه قرأ :الجمل بتشديد الميم ، يعني الحبال المجموعة ، وحُكِي عن ابن عباس : الجُمَل بالتثقيل و التخفيف أيضاً ، فأما الجمل بالتخفيف فهو الحبل الغليظ ، وكذلك الجمل[1] ، ويتأكد قول المفسر الشيخ هود بن محكم بإشتراك المفردة في المعنيين المذكورين، اعتماداً على ما ذكره ابن منظور وغيره.

17 مفردة : « حِجْرٌ» .

يذكر الشيخ المفسر ضمن المفردات ذات الاشتراك في المعنى، مفردة: «حجر» ، على أنها بدلالة معنيين متابينين ، حيث ذكر المعنى الأول لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾[2]، فاعتبر ههنا مفردة: «حجر» ، بدلالة «الحرام» ، كما ذكر ذلك في تفسيره لها بقوله :« وقالوا هذه أنعام وحرث حجر : أي حرام » [3] ، هذا من جهة، و المعنى الثاني الذي حدده لها، أورده في تفسيره لقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾[4]، فذكر الدلالة الثانية على أن المقصود بالحجر، ذو العقل و اللب[5] ، و من هذين الموضعين فهمت قصده من إيراده للمفردة معنين « الحرام ، و العقل».

و إني بالراغب في مفرداته أكثر تفصيلاً و بياناً لمدلولها حين ذكره علة تسمية العقل «حِجْرا»، حيث ذكر ذلك في قوله : ... و تُصوِر من الحجر معنى المنع لما يحصل فيه، فقيل: للعقل حِجْرٌ لكون الإنسان في منعٍ منه مما تدعو إليه نفسه، ثم راح يبين المعنى الثاني الدال على الممنوع و التحريم ، فقال: و الحجر : الممنوع منه بتحريمه [6]، ولذلك أعتمد الراغب علة تسمية العقل حِجْرًا ،باعتبار ما في الحِجر من معنى متضمن للمنع ، وعلى هذا الأساس الذي أدلى به الراغب في بيان دلالة هذه المفردة ، أجد المفسر الشيخ هود بن محكم، قد أقر باشتراك المفردة في المعاني المتعددة ، وذكر اثنين منها.

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ،مادة:(جمل)،ج 2،ص: 68 .
[2] سورة الأنعام، الآية:138 .
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 1 ،ص: 507 .
[4] سورة الفجر، الآية: 05 .
[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص: 454 .
[6] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: "حجر"، ص: 220 .

18 مفردة : « محاريب».

يتعامل المفسر هود بن محكم في بيان دلالة المفردة:« محاريب» مع معنين لها، مشيراً بذلك إلى أن المفردة من المشترك اللفظي عنده، فذكر في معناها ما يدل على:« المساجد» ، وذكر أيضاً ما يدل على: «القصور» ، ووردت المفردة في قول المولى عز و جل :﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾[1]، يقول الشيخ هود بن محكم في بيانها :« و المحاريب في تفسير الحسن : المساجد، وفي تفسير مجاهد: بنيانٌ دون القصور »[2] ، حيث نرى أن المفسر ههنا أعتمد رأي الحسن القائل على أن دلالتها «المساجد» ، ورأيُ مجاهد الدال على أنها «القصور» ، ومن ثمة نفهم بأنه يخصها بالاشتراك.

19 مفردة: «حسبان » .

يذكر المفسر لهذه المفردة القرآنية : «حسبان» معنيين يستفاد منهما دلالة اشتراكهما في المفردة ، وإني لأجد الشيخ هود بن محكم قد ذكر المعنى الأول لها ، و المتمثل عنده في : «الصاعقة النارية» ، حيث أورد هذا المعنى الأول للمفردة في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]، فقال : « أي نارٌ من السماء ، يقول عذاباً من السماء ، وهي النار»[4] ، فجعل من دلالة مفردة «حسبانا» في سياق الآية دالة على « النار».

والمعنى الثاني الوارد عنده، جاء به في تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾[5]، إذ تمثل عنده المعنى الثاني للمفردة في «الحساب الدقيق» ، فقال : « بحسبان ، أي : بحساب و منازل معدودة ، كل يوم مترل »[6] ، و يفهم من هذا الأخير عنده أن لها معنيان مذكوران في التفسير، الأمر الذي جعله يصنفها ضمن مفردات المشترك.

ولقد أشار الراغب إلى ذلك المعنى الوارد عند الشيخ هود بن محكم ، و المتضمن معنى « العد و الحساب» ، لما قال : الحساب استعمال العدد ، يقال : حَسِبْتُ أحسُبُ حِسَاباً و حُسبَاناً ، وذكر المعنى الثاني المذكور آنفاً في تفسير الشيخ هود، و الدال على : النار و العذاب بقوله : وقال عز وجل: ﴿ وَيُرْسِلَ

[1] سورة سبأ ،الآية: 13 .
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 343 .
[3] سورة الكهف، الآية:40 .
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 2،ص: 458 .
[5] سورة الرحمان ، الآية :05 .
[6] المصدر نفسه ، ج 4 ،ص :238 .

عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا ﴾، قيل معناه : ناراً وعذاباً [1] ، وعليه: أجد الراغب قد بين المعنيين للمفردة ، كما بينهما الشيخ هود بن محكم آنفا .

وأجد ابن منظور في مادة :«حسب» ، يذكر قول الزجاج الدال على «العد و الحساب» حيث ذكر قائلا: قال الزجاج :(بحسبان)، يدل على عدد الشهور و السنين، و جميع الأوقات ،ثم راح يفصل في ذلك ، فوقف على المعنى الثاني المذكور في التفسير، والدال على «الصاعقة النارية» فقال : ... و يرسل عليها حسباناً من السماء ، و الحسبان : الصاعقة من عذاب النار[2] ، ومن ثمة فإننا نكاد أن نعثر عن تلك التقاطعات الدلالية ، خصوصاً فيما أشار إليه ابن منظور، واعتمده في المعنى الثاني الدال على أن معنى «حسبان» مفيدة «للصاعقة النارية»، وأجد المفسر الشيخ هود بن محكم قد لمح إليها اختصاراً بقوله : (النار) فحسب ، و لا يعدو أن يكون ذلك من مشكاة واحدة في المعنى .

ولهذا الاعتماد اللغوي في كتب اللغويين أجد المفسر الشيخ هود بن محكم يعتمد المعنيين لدلالة المفردة، مقراً بوجود حكم الاشتراك بينهما .

20 مفردة :« أحصر» .

يحدد المفسر الشيخ هود بن محكم في تفسيره الآيات المتضمنة لهذه المفردة القرآنية :«حصر » ، أكثر من معنى ، وذلك في مواطن متعددة من القرآن بحسب سياقها ودلالتها، وإني لأقف على أحد هذه المعاني الواردة في تفسيرالشيخ هود بن محكم ، حيث أعتبر أن دلالة مفردة :« حصر» مفيدة لمعنى: «الحبس و المنع» ، وهذا واردٌ عنده في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾[3]، حيث قال في ذلك مبيناً أولاً معنى «الإحصار»، ثم فسر بعدها الآية :« الإحصار أن يعرض للرجل ما يحول بينه و بين الحج من مرض أو عدو ، إذا أهلّ بالحج ، ثم أحصر حبسه مرض ، أو ضلت راحلته ، وكل ما حبسه ...» [4] ، فيفهم من خلال ما قاله أنه يدل بلفظة: الإحصار على معنى : « المنع و الحبس» ، هذا من جهة ، وذكر أيضاً معنى ثان يكاد أن يكون متقاطعاً بالدلالة في بعض الحدود مع هذا المذكور آنفا ، حيث أفادنا بمدلول ثانٍ للمفردة: « حصر » على أنه بمعنى : «سجن» ، وذلك في قوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا

[1] ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق ، مادة: (حسب) ،ص:232.
[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(حسب)، ج2، ،ص:316.
[3] سورة البقرة، الآية: 196.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 1 ،ص :174 .

جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [1]، فقال « أي : سجناً، أي : يحصرهم فيه »[2]، وقد رجح الطبري في تفسيره هذا المعنى و التأويل، مخالفاً لمن قال غير ذلك ، وقال عنه هو وجه حسنٌ ، وتأويلٌ صحيحٌ [3]، ومن هذا أضيف المعنى الثاني عنده للمفردة: «حصر»

وفي قول الله عز وجل في سورة آل عمران :﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[4] قوله : «الحصور الذي لا يأتي النساء ،يقول :حُصِرَ عنهن فلا يستطِعُهن »[5]، وقال أبو عبيدة في المجاز : « الحصور الذي لا يخرج سراً أبدا» [6] ، وعليه صح القول بأنه توافر لنا من تفسير الشيخ هود بن محكم ثلاثة معانٍ للمفردة ، وهي مختلفة الدلالة تربطها علاقة الاشتراك .

كما أجد الراغب في مفرداته قد حدد تلك الحدود الدلالية للمفردة بحسب سياقها في كلام الله عز وجل، فجعل منها بعض هذه المعاني الواردة عند الشيخ هود بن محكم وغير ذلك [7] ، و من هنا صح القول بأن اللفظة من المشترك اللفظي .

21 مفردة:« أحصن» .

يذكر المفسر الشيخ هود بن محكم في هذا المقام عند بيانه لدلالة المفردة :« أحصن» معنيين متفاوتين في الدلالة مشتركين في المفردة .

قال في تفسير قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[8]، محدداً دلالة:« يحصنكم » بقوله :« أي: لِـيُجِـنَكُم » [9]،وقوله: ليجنكم، مأخوذ من :الجنة، بمعنى: الوقاية والحفظ والصون ،فهذا معنى أول أورده في دلالة هذه المفردة .

ويتأكد هذا المعنى في سياق الآية الموالية بعدها بالسورة نفسها ، و هي قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1] ، حيث أشار في تفسير دلالة

[1] سورة الاسراء، الآية :08 .
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 2 ،ص :406 .
[3] ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري ، مصدر سابق، ج 15 ،ص: 45 ، 46 .
[4] سورة آل عمران ،الآية :39 .
[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1، ص: 259 .
[6] أبو عبيدة، مجاز القرآن ، مصدر سابق، ج 1 ،ص :92 .
[7] ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مفردة: (حصر) ،ص:238.
[8] سورة الأنبياء ،الآية : 80 .
[9] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 72 .

هذه المفردة إلى ما سبقت الإشارة إليه، فقال : « أي : أحصنت جيب درعها ، أي :عن الفواحش »[2] ، فيفهم من ظاهر التفسير أنه يقصد الحفظ و العفة و الصون للعرض عن الوقوع في الفاحشة .

ومن جهة ثانية أجده يحدد معنى ثانٍ للمفردة متمثلاً عنده في : « أحصن = اذخر وأحرز» ، وذلك قوله في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3] ، وبهذا الأخير يتأكد أنه يقصد أن للمفردة دلالتين ، إحداهما متمثلة في الحفظ و الصون، والأخرى في الإذخار و الإحراز .

ولقد ذكر الراغب في مفرداته مشيراً إلى هذين المعنيين الواردين في تفسير الشيخ هود بن محكم ، لما ذكر قوله تعالى :﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾، أي: تحرزون في المواضع الحصينة الجارية مجرى الحصن ، وذكر المحصنة إما بعفتها ، أو تزوجها ، أو بمانع من شرفها و حريتها ، بمعنى صانت نفسها وحفظتها[4]،وغير ذلك.

وبناءً على ما تقدم ذكره ، واعتماداً على قول الراغب في تفصيله لذلك ، نستنتج أن المفردة «أحصن» من المشترك اللفظي .

22 مفردة: «حفدة» .

يشير المفسر الشيخ هود بن محكم إلى معنيين متباينين في الدلالة المفيدة لمعنى المفردة القرآنية : « حفدة» ، وذكر ذلك في تفسيره للآية المتضمنة لهذه المفردة، وهي قوله عز وجل :﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[5]، حيث ذكر المعنى الأول للمفردة على أنها بدلالة: « الخدم » ،و المعنى الثاني، على أنه : «ولد الولد» ، وعقب على ذلك بقول لابن مسعود رضي الله عنه، على أنها بمعنى : «الأختان و الأصهار» ، حيث قال : « و الحفدة الخدم ، يعني ولداً يخدمونه ، وولد ولده ، ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال : الحفدة : الأختان »[6]، وقد وردت في اللغة معاني كثيرة للحفدة ، وأصلها في اللغة راجع إلى

---

[1] سورة الأنبياء، الآية :91 .
[2] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 78 .
[3] سورة يوسف، الآية: 48 .
[4] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (حصن) ص:239.
[5] سورة النحل ،الآية: 72 .
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ،ص: 375 .

الخدمة والسرعة في العمل ، وجاء في دعاء القنوت: « وإليك نسعى ونحفد» ،أي :نسرع إلى العمل بطاعتك[1] ، فحدد بذلك دلالة السرعة في عمل الطاعات.

ومهما يكن الأمر فإن للمفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم معنيين مختلفين ، و لقد وقف الراغب مبيناً دلالة ذلك بالمعنى نفسه الذي أشار إليه المفسر الشيخ هود في تفسيره ، فقال الراغب : قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾، وجمع حافدٍ ، وهو المتحرك المتبرع بالخدمة ، أقارباً كانوا أو أجانباً ، قال المفسرون :هم الأسباط ونحوهم .... ،وقيل : هم الأختان و الأصهار [2] ، ومن ثمة فإن ما ذكره الشيخ هود بن محكم في تفسيره موافقاً لما اعتمده الراغب في بيان معاني مفردة: «حفد» ،الأمر الذي يؤكد اشتراكها في اللفظ .

23 مفردة: « أحلام» .

يذكر المفسر هود بن محكم لبيان دلالة هذه المفردة :« أحلام» معنيين متمايزين في الدلالة، مشتركين في اللفظ ، حيث جعل من معناها الأول على أنها دالة على : «العقل» ، وذلك يفهم من معرض حديثه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3] ، فقال في تفسير الآية : أي : بالتكذيب ، أي : ليست لهم أحلام بمعنى : العقول[4]، وهذا الذي اعتمده الفراء بقوله : « الأحلام في هذا الموضع : العقول و الألباب» [5] ، هذا في دلالة المعنى الأول.

و المعنى الثاني للمفردة واردٌ عنده في تفسيره لقوله تعالى :﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾[6] ، فجعل ههنا من المفردة دلالة بمعنى : «المنام و الرؤيا الكاذبة حال النوم» ، فقال :« أي : أخلاط أحلام ، وقال الحسن : ألوان أحلام ، وقال بعضهم : فُعِل أحلام ، وقال الأضغاث الأحلام الكاذبة » [7] ، ومن ثمة أجده يقر من خلال تفسيره الموطنين، بأن للمفردة معنيين : « العقل ، والرؤيا الكاذبة)، مشيراً بذلك الى اشتراك المفردة : (أحلام) .

---

[1] ينظر: هذه المعاني في تفسير الطبري ،ج 14 ،ص :143 ، وينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة:(حفد)، ج2، ص:113 .

[2] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ،مادة:(حفد)،ص:244 .

[3] سورة الطور، الآية ،32 .

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج4، ص: 211 .

[5] الفراء، مجاز القرآن ، مصدر سابق، ج 3، ص :95 .

[6] سورة يوسف ،الآية :44 .

[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 2 ،ص: 268 .

يقول الراغب في مادة: (حَلَمَ) :... ضبط النفس و الطبع عن هيجان الغضب ، وجمعه أحلام ، قال الله تعالى: ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم ﴾ ، قيل معناه : عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل ، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل ، وذكر المعنى الآخر للمفردة ، و الذي أشار إليه المفسر الشيخ هود بن محكم بقوله : ... وحلمت به في نومي ، أي : رأيته في المنام[1] ، ومن هنا صح القول بأن الشيخ هود بن محكم يرى أن المفردة: « أحلام» من المشترك ، لذا قدم لها معنيين في تفسيره .

24 مفردة: « خمر» .

يحدد المفسر الشيخ هود بن محكم في تفسيره لهذه المفردة القرآنية معنيين متباينيين بالدلالة ، مشتركين في اللفظ ، فأما الأول عنده ، فهو ما دل على: «كل شراب مسكر» ، و الثاني أريد به دلالة : «العنب»، ولقد وردت المفردة في أماكن متفرقة من القرءان ، ففي قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ ﴾ [2] ، أجده محدداً دلالة المفردة: «خمر » على أنها مفيدة للشراب المسكر، حيث قال في تفسير الآية :«...كانوا إذا شربوا الخمر فسكروا ،عدا بعضهم على بعض ، وكانوا يتقامرون حتى لا يبقى لأحدهم شيء ، فكانوا يتوارثون العداوة. ..» [3]، ومحل الشاهد ههنا قوله : إذا شربوا فسكروا ، وهذا نصٌ ظاهرٌ تفهم دلالته من قوله ، فهذا متمثل عنده معنى أول في بيان دلالة هذه المفردة .

و أما المعنى الثاني فدل به على أنه هو «العنب» ، وذلك الذي أجده مفسراً به أياه المفردة عند قول الله تعالى :﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ [4] ، فقال في تفسيرها : أعصر خمراً ، أعصر عنباً[5] ، وذكر ذلك أيضاً في قراءة ابن مسعود كاستشهادٍ منه على ذلك الاستنتاج الجلي من وجود علاقة الاشتراك في المفردة .

يقول ابن فارس في أصل مادة: « خمر» : « الخاء و الميم و الراء ، أصلٌ واحد يدل على التغطية و المخالطة في ستر ، فالخمر : الشراب المعروف، قال الخليل : الخمر معروفة » [6]، فيفهم من هذا الأصل عند ابن فارس أنه يحدد أصل تعريفها اللغوي ، أي :الخمر ، وبين أحد ما تدل عليه اشتقاقاً من اسمها:« الخمر » الدالة على التغطية و الخمرة .

---

[1] ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ،مادة: (حلم)،ص:253 .

[2] سورة البقرة، الآية: 219 .

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 1،ص :193 .

[4] سورة يوسف ،الآية :36 .

[5] ينظر: المصدر نفسه ،ج2،ص:86.

[6] ينظر : ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: "خمر" ،ج2، ص: 196.

وعند الراغب في مفرداته قوله : «... و الخمر سميت لكونها خامرة لمقر العقل ، و هو عند بعض الناس اسم لكل مسكر، وعند بعضهم: اسم للمتخذ من العنب و التمر »[1] ، و عليه فإن الراغب بقوله هذا ،قد حدد سبب التسمية و دلالة المعنى ، واقفاً على حدود كلٍ منهما ، موافقاً رأيه لما ذكره المفسر الشيخ هود بن محكم من معانٍ للمفردة: « خمر» في تفسيره ، وقوله عند بعض الناس ، وعند بعضهم ، إشارة واضحة إلى اشتراك المفردة خمر في معان عدة لدى جمهرة من أهل اللغة ، لذا صنفها المفسر الشيخ هود بن محكم ضمن ما يقبل اشتراكه .

25ــ مفردة: «خير» .

عدد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة القرآنية أكثر من معنى ، بحسب السياق الواردة فيه ، ودلالتها المتعددة ، فمن بين هذه المعاني المذكورة لها في التفسير ، ما دل به على «العافية و السعة» ، وذلك حين تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[2]، إذ ذكر مدلول المفردة في تفسيره لها بقوله : « وإن يردك بخير ، أي : بعافية أو سعة »[3] ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، أجده يورد معنى آخر للمفردة ، على أنها بمعنى: «الرخاء» ، وذلك واردٌ عنده في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾[4]، حيث قال في بيان ذلك : ...هذا المنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً و طمأنينة، طابت نفسه لما يصيبه من ذلك الرخاء ، وقال إنا منكم ، و معكم ، وإذا رأى في الإسلام شدةً أو بليةً لم يصبر على بليتها[5]، فقصد بالمفردة ههنا دلالة «الرخاء».

ثم إني به يحدد معنى غير ما ذكر سابقاً على أن المفردة بمدلول« المال أو الصدق و الأمانة» ، حيث جاء هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾[6] ، فذكر قوله :« أي : إن

[1] الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق ،مادة: (خمر) ،ص:299.
[2] سورة يونس،الآية
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج 2 ،ص :210 .
[4] سورة الحج ، الآية :11 .
[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج 3 ،ص :89 .
[6] سورة النور، الآية :33.

علمتم عندهم مالاً ، و قال بعضهم : إن علمتم منهم صدقاً ووفاءً و أمانةً ، وقال ابن عباس : إن علمتم عندهم حرفةً أو عملاً » [1] ، وعليه فإني أجده في هذا الموطن يورد معاني متمثلة فيما تقدم ذكره .

ثم ذكر معنى آخر خلافاً لما سبق ، فذكر على أن مدلولها أيضا : «الأجر» ، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾[2]، فذكر ههنا في تفسير المفردة قوله : « أي: أجر في نحرها » [3]، و في آية القصص يورد معنى آخر متمثلا عنده في « الطعام» ، حين تفسيره لقوله تعالى :﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾[4] ، إذ حدد دلالتها بقوله : « يعني: الطعام »[5]، وعلى إثر ذلك أجده يحدد و يذكر كل هذه المعاني المسرودة في تفسيره ، دالة على مفردة: «خير» ، و يؤكد هذا كله ما أورده أهل اللغة من معانٍ لها مبينة لعلاقة الاشتراك فيها .

فذكر ابن فارس مثلاً: « الخاء و الياء و الراء ، أصله العطف و الميل ، ثم يحمل عليه ، فالخير خلاف الشر ، لأن كل أحد يميل إليه ، و يعطف على صاحبه، والخيرة الخيار ،والخير الكرم ...» [6] ، فيرى ابن فارس في أصل هذه المادة، أنها العطف و الميل وما حمل عليه من معانٍ أخرى .

و حد الراغب ماهية القول في مادة «الخير» بتفصيلٍ شاملٍ في ذلك، حيث يرى أن الخير ما يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلاً ، والعدل و الفضل و الشيء النافع ...، وذكر كل معانيه الواردة في كلام الله عز وجل، وفي كلام العرب ، وحدث بتلك المعاني المذكورة هود بن محكم في تفسيره .

كما أجد الراغب ههنا في لطيفة متعلقة بسبب تسمية المال خيراً ، وهي إحدى المعاني المذكورة في دلالتها ، فذكر قولاً لبعض العلماء مفاده: إنه لا يقال للمال «خير» حتى يكون كثيراً ، ومن مكان طيبٍ طيبٍ ... ، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ ﴾{ العاديات ، 8 } ، أي : المال الكثير، وقال بعض العلماء : إنما سمي المال ههنا خيراً، تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو أن الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من المال من وجه محمود ...[7] ، ومن ثمة فكأني بالراغب في قوله هذا يشير ضمنياً الى أن

---

[1] المصدر نفسه ، ج 3 ،ص :156 .

[2] سورة الحج، الآية :36 .

[3] المصدر نفسه ، ج3 ،ص: 100 .

[4] سورة القصص، الآية :24 .

[5] المصدر نفسه ، ج 3 ،ص: 244 .

[6] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة:(خير)،ج 2 ، ص :232 .

[7] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (خير)، ص: 300 .

المفردة من المشترك اللفظي ، باعتبار معانيها المختلفة ، المتعددة الدلالة ، و هذا الذي يمكن استنتاجه مما تقدم ذكره ، على أن الشيخ هود بن محكم بذكره هذه المعاني المتنوعة لهذه المفردة دل على إقراره باشتراكها.

26 مفردة: «دهان» .

يشير الشيخ هود بن محكم في بيانه لدلالة المفردة القرآنية :« دهان»، إلى معان متباينة في المعنى، مُقراً بتصنيفها ضمن ألفاظ المشترك اللفظي ، حيث أشار إلى هذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ ﴾[1] ، فقال: « فكانت وردةً أي: محمرة كالدهان ، أي : كعكر الزيت في تفسير بعضهم، وقال الحسن : أي ، مثل الدهان ، إذا صُب بعضه على بعض ، رأيت لها حمرة ، وقال مجاهد : كألوان الدهان ، وبعضهم يقول: أُدمٌ تكون في اليمين يقال لها : الدهان »[2]، وقوله : " أُدْمٌ " ، من الإدام .

فنجد أن الشيخ هود بن محكم في تفسيره قد حددها على أنها بدلالة : «الحمرة» ، ثم «عكر الزيت »،و «الألوان» و الأُدْم ،أي : ما يدهن به ، وكل هذه معاني واردةٌ في دلالتها .

قال أبو عبيدة في المجاز :« ﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ ﴾ من لونها ، جمع دهن تمور كالدهن صافية ، وردة لونها كلون الورد ،و هو: الجلُّ »[3] ، فحدد أبو عبيدة معناها دالاً بها على : اللون.

وقد أورد الفراء معنى آخر فقال : أراد بالوردة الفرس الوردة ، تكون في الربيع وردة إلى الصفرة ، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء ، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة ، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل ... ، و يقال إن الدهان : الأديم الأحمر ..[4] ، إن الفراء في معانيه يذهب مذهب تشبيه الوردة في اختلاف لونها كأنها الدهن ، ثم يذكر استئناساً القول الثاني في قول بعضهم :على أن الدهان هو الأديم الأحمر .

وقد ذكر الطبري في تفسيره اختلاف المفسرين في تأويلهم للآية، و للمفردة أيضاً ، حيث اعتمد في ذلك القول على أنها الدهان هو الدهن في إشراق لونه[5]، معللاً اختياره لهذا المذهب بمعرفة ذلك في كلام العرب .

---

[1] سورة الرحمان ، الآية : 37 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 4 ،ص :243 .

[3] أبو عبيدة، مجاز القران ،مصدر سابق ، ج 2 ، ص: 245 .

[4] ينظر : الفراء، معاني القرآن ، مصدر سابق ،ج 3،ص: 117 .

[5] ينظر : ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القران ، مصدر سابق، ج 17 ،ص: 142 .

يقول ابن فارس : « الدال ، والهاء ، والنون، أصلٌ واحدٌ يدل على لين وسهولة وقلة ، من ذلك الدهن ، ويقال دهنته أدهنه دهناً ... ، قال الله عز وجل : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ قالوا : هو دردي الزيت »[1]، ويفسر مفردة: (دهان) الواردة في الآية، بدردي الزيت ، فابن فارس في قوله هذا، يحدد أصل جذر: «دهن» بالليونة والسهولة ، ويفسر مفردة: «دهان» الواردة في الآية بدردي الزيت ،والمقصود ب :« دردي الزيت» : مصدر «دَرَدَ» ، وهو ما رسب أسفل العسل و الزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة و الإدهان ، وقول العرب: دردي اللون ، يقصدون أحمر بنفسجي [2] ، ومن ثمة فإن ابن فارس يورد معنى الليونة والسهولة ثم الحمرة لهذه المفردة : دهان .

وإلى هذا المعنى نفسه أشار الراغب في مفرداته بقوله: ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ قيل:« هو دردي الزيت...»[3]، فهو بهذا موافقاً لما ذكره ابن فارس في بيان أصل هذا الجذر .

إن ما يمكن استخلاصه من تلك المعاني المتعددة لهذه المفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم ، وفي كتب أهل اللغة ، كفيلٌ بأن تصنف المفردة ضمن المشترك .

27- مفردة :« رجع».

يحدد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة معنيين متباينين في تفسيره، وذلك حينما وقف على دلالتها في الموطن الأول لها عند قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ ﴾4، فأورد معنى مفردة :«رجع» على أنه يفيد :« البعث» ، قال في تفسيرها :« إنه ، أي : أن الله على رجعه ، أي : على أن يبعثه بعد موته لقادر»5، فجعل من معناها ههنا «البعث» ، وفي السورة ذاتها أورد معنى ثانٍ للمفردة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ ﴾6 ، فذكر في دلالته على أن المعنى الثاني دال على:« المطر» ، حيث قال في تفسيرها :« ثم أقسم فقال: و السماء ذات الرجع ، أي: المطر »7، فاعتمد ههنا على إبراز معناها و دلالتها المتعلقة بالمطر، و لذا عدت مفردة : «رجع» عنده من المشترك اللفظي، كونها وُسِمَت بدلالتين في المعنى متمايزتين .

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة ،مصدر سابق ،مادة: (دهن)، ج 2 ،ص :308 .

[2] ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم المعاني الجامع ، ، مكتبة الشروق الدولية، ط :2004 ، مادة: "دهن"، ص: 461 .

[3] الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة: (دهن)، ص: 31 .

[4] سورة الطارق ، الآية :08 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص: 447 .

[6] سورة الطارق ،الآية: 11 .

[7] المصدر نفسه ، ج 4، ص: 448 .

وعند تحقيق المفردة مثلاً في مدونة أهل اللغة، أجد الراغب في مفرداته يحدد ذلك المعنى المعتمد في بيان مدلول المفردة من طرف الشيخ هود بن محكم في تفسيره، حينما أورد ما يفيد اشتراك المفردة عند أهل اللغة .

يقول الراغب : «الرجوع » ، العود إلى ما كان منه البدء ، أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً ، أو قولاً، ... و الرجع : الإعادة ، ثم راح يستطرد كل تلك المعاني الدالة على مفردة :«رجع» ، و ربطها بسياقاتها من خلال ورود ذكرها في كلام الله تعالى، إلى أن وقف على قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ ﴾ ، فأشار إلى ذات المعنى الوارد في تفسير الشيخ هود بن محكم بقوله :﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ ﴾، أي : المطر، و علل سبب اتخاذ هذا الاسم للمطر بقوله : وسمي رجعاً لرد الهواء ما تناوله الماء ، وسمي الغدير رجعاً، إما لتسميته بالمطر الذي فيه ، وإما لتراجع أمواجه وتردده في مكانه[1]، فمضمون قول الراغب في بيان المفردة يؤكد اشتراكها عندهم ،وهذا الذي أقره الشيخ هود بن محكم في تفسيره من خلال إيراده المعنيين لها.

28- مفردة : « رجم».

تعد مفردة «رجم» عند الشيخ هود بن محكم في تفسيره من المشترك اللفظي ، باعتبار معانيها المتعددة ، فساق لها الشيخ هود بن محكم أكثر من معنى عبر تفسيره ، جاعلاً منها ما يدل على دلالة :«مطلق القتل» ، وهذا الذي أجده عنده في تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾[2] ، فقال :يرجموكم : « أي يقتلوكم »[3] ، وجاعلاً منها في الوقت ذاته معنى دلالياً آخراً متمثلاً في : «الشتم» ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ ﴾[4]، فقال : أي، عن شتمها و سبها، و اهجرني حيناً[5]،و بهذا توافر عنده للمفردة مدلولان متمثلان في : « القتل» ،و «الشتم» ، الشيء الذي يبرهن الاشتراك بها .

وما يعضد المعنى الذي ذهب إليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره، و المتمثل في دلالة : «الشتم» ، ما ذكره الراغب في مفرداته، حينما وقف على قوله تعالى :﴿ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ ﴾، بقوله: أي: لأقولن

---

[1] ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة: (رجع) ،ج 2 ،ص :343 .

[2] سورة الكهف ،الآية : 20 .

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ،ج 2 ،ص :449 .

[4] سورة مريم ،الآية : 46 .

[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ،ج 3، ص: 15 .

فيك ما تكره[1] ، وهذا القول يحمل على ظاهره بأنه قول ما يكره في الإنسان، سبه وشتمه ، ثم وقف عند المعنى الدال على «القتل» أيضاً ، وأجد الشيخ هود بن محكم قد وافقه كذلك في آية سورة هود ، و هي قوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ﴾[2]، فقال ثانيةً ما أورده في السابقة من معنى :« أي، بالحجارة فقتلناك بها »[3]، و في تفسيره لآية الحجر ذكر معنى دلالياً ثالثاً دالاً على «اللعنة و الطرد من رحمة الله» ، فقال في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، « أي : ملعون »[5]، وأشار إلى هذا المعنى أيضا الراغب بقوله :« والشيطان الرجيم : المطرود عن الخيرات ، وعن منازل الملا الأعلى »[6] ، وبهذا يفهم من خلال تلك المعاني المتعلقة بمفردة: «رجم» المذكورة في مواطن تفسير الآيات المتضمنة لها في تفسير كتاب الله العزيز ، وعند أهل اللغة ، على أنها من المشترك اللفظي .

29- مفردة : «رحيق» .

ورد ذكر هذه المفردة في قوله تعالى :﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾[7]، فأشار إليها الشيخ هود بن محكم عند تفسيره لها بمعنيين مختلفين في الدلالة ، فأما الأول فدل به على أنها تعني :«الشراب الخالص» ،و أما الثاني فيراد به عنده «مطلق الخمر» ، حيث قال في ذلك :« يسقون من رحيق يعني : الشراب أو الخمر»[8] ، وإلى هذا المعنى أشار أبو عبيدة في المجاز قائلا :« الرحيق الذي ليس فيه غش ، رحيق معرق من مسك أو خمر »[9]، ومن ثمة فإن ذكره المعنيين لإشارة على قوله بالاشتراك فيها .

ويرى الراغب في دلالة المفردة معنى واحداً، وهذا ما اعتمده في تحقيقه لمفردة :«رحق» ، فقال : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ ،« أي : خمر»[10]، ولم يورد غير هذا المعنى ، غير أن صاحب الصحاح ذكر المعنى الثاني الذي ذكره الشيخ هود بن محكم ، و المفيد ل : « الشراب الصافي» ، إذ قال الجوهري :«الرحيق: صفوة

---

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة :(رجم)، ص :345.

[2] سورة هود ، الآية: 91 .

[3] هود بن محكم،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق :ج2 ،ص :244 .

[4] سورة الحجر، الآية: 34 .

7 المصدر نفسه ج2 ،ص : 343.

[6] المصدر نفسه ،ج2 ،ص: 343 .

[7] الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة : (رجم) ،ج 2 ،ص :345 .

[8] سورة المطففين ، الآية: 25 .

[9] ينظر: هود بن محكم ،تفسيركتاب الله العزيز ، مصدر سابق ، ج 4 ،ص :348 .

[10] المفردات ، الراغب الاصفهاني، مادة : (رحق)،ج 2 ،ص :346 .

الخمر»[1]، فأجد ههنا الجوهري قد لمح إلى معنى الصفاء والنقاء و الشراب الخالص بقوله :«صفوة الخمر» ، و يدعم هذا القول ما ذكره ابن سيده قائلا : « وهو من اعتقها و أفضلها » [2] ، أي الخمر ، و استناداً لما ذكره الجوهري و ابن سيده ، أجد الشيخ هود بن محكم قد اعتمد المعنيين بدلالة مختلفة الأمر الذي يؤكد اشتراك اللفظة عنده .

30 مفردة :«مرسلات».

يحدد المفسر الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة القرآنية معنيين متباينين في الدلالة، مقراً باشتراكها في المعاني الواردة و المذكورة فيها ، حيث أجده مشيراً لهذين المعنيين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ ﴾[3]، بقوله :«يعني الملائكة ترسل بالمعروف إلى الرسل ، فتبلغ العباد ،وتفسير الحسن أنها: الرياح »[4] فإيراده المعنيين لها أي: «الملائكة و الرياح» ، تأكيداً منه على اشتراكها ، وهو الأمر كذلك عند أهل اللغة ، إذ حدد الفراء في المعاني ذلك بقوله :« يقال هي: الملائكة ، وأما قوله :﴿ عُرْفًا ۝١ ﴾ ، فيقال أرسلت بالمعروف ، ويقال: تتابعت كعرف الفرس ، والعرب تقول : تركت الناس إلى فلان عرفاً واحداً، اذا توجهوا إليه فأكثروا »[5] ،و بهذا يتضح من قول الفراء مفهوم دلالة مفردة :«المرسلات»، على أنها: الملائكة المرسلة بالمعروف ، المتتابعة في الإرسال ، يتبع بعضها بعضاً كما ذكر ذلك أبو عبيدة في المجاز[6] ، وأجد ذات المعنيين مُشاراً إليهما من طرف الإمام الحافظ السجستاني في غريب القرآن ، حينما وقف على دلالة المفردة ، موافقاً بذلك ما اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، حيث قال :﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ ﴾ ،« الملائكة تنزل بالمعروف ، ويقال: المرسلات ، تعني: الرياح ، وعرفاً: متتابعة» [7] ، ومن ثمة يفهم بأن ما ذكره و اعتمده الشيخ هود بن محكم من معان متعددة للمفردة، يصب في باب الاشتراك اللفظي .

---

[1] الجوهري، الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط 4 ، 1990 ،ج3،ص:168.

[2] أبو الحسن على بن سيده ، المخصص ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط2 ،ج 2 ،ص: 372 .

[3] سورة المرسلات، الآية :01 .

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص :411 .

[5] الفراء، معاني القرآن ، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 221 .

[6] ينظر : أبو عبيدة، مجاز القرآن ،مصدر سابق ،ج2 ، ص: 281 .

[7] الإمام الحافظ ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، غريب القرآن ، دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى، 1995، ص :139.

23 مفردة : « مرسى».

يورد الشيخ هود بن محكم في تفسيره لهذه المفردة القرآنية معنيين مختلفين ، مجمعاً بإيراده ذلك على تصنيف المفردة ضمن مبحث الاشتراك اللفظي ، إذ أجده يفسرها مرة بما يدل على مصدر: « الرسو و الاستقرار» ، وذلك في بيان قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[1] ، فذكر ما يفيد الراكب اذا ركب مركبه من الدعاء الذي ورد ذكره ، وأعقب ذلك بقول الحسن معتمداً إياه في بيان دلالة المفردة، فقال : وتفسير الحسن أن الله علمهم يومئذ بسم الله مجراها و مرساها ، يقول بسم الله تجري ، وبسم الله ترسى، أي: تستقر[2] ، ويذكر لها دلالة و معنى آخر في قوله تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾[3] ،على أنها «اسم زمان» دل بها على الوقت و الحين، فقال :« أي متى قيامها ،ومتى مجيئها »[4]، و بهذين المعنيين حصل الاشتراك في المفردة عنده.

والمدقق في دلالة هذه المفردة عند أهل اللغة ، يدرك ذلك التوافق بين ما ذُكِر فيها عندهم ، وبين ما اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره، إذ يجد مثلاً أبو عبيدة في المجاز دلالتها على أنها: منتهى السفينة ، و حيث تنتهي [5] ،أي : مكان استقرارها ، وأورد الدلالة الثانية في تفسير آية الأعراف على أنها : المقصود بها متى وقتها ، فقال :﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ ، أي: متى خروجها [6] ،وفي غريب القرآن للسجستاني، أجد المعنى ذاته حينما عبر عن دلالة المفردة بقوله :« أي متى الوقت الذي تقوم عنده »[7] ، ومن ثمة أوردت ذكر المفردة مصنفة ضمن المشترك اللفظي عند الشيخ هود بن محكم .

32مفردة: « زكاة» .

يحدد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة القرآنية معنيين في موطنٍ واحدٍ من مواطن ذكرها في الآيات ، وذلك في قوله :﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ﴾[8]، حيث أشار إلى معنى: التعطف الصادر من المولى عز وجل على

---

[1] سورة هود، الآية: 41 .
[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ،ص: 227 .
[3] سورة الأعراف ،الآية: 187 .
[4] المصدر نفسه ، ج 2 ،ص: 63 .
[5] ينظر : أبو عبيدة، مجاز القرآن ، مصدر سابق، ج 2 ،ص: 186 .
[6] ينظر: المصدر نفسه،ج 1، ص :57 .
[7] أبو بكر السجستاني ، غريب القرآن، مصدر سابق ، ص: 142 .
[8] سورة مريم ،الآية : 13 .

سيدنا عيسى عليه السلام ، وذكر المعنى الآخر الدال عنده على الصدقة مطلقاً ، فقال في بيان ذلك ، :﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ﴾ تعطفا عليه من ربه ،و قال الحسن و قتادة : الحنان الرحمة ، وهو واحد ... ، و الزكاة الصدقة[1] ، ومن هذا يتضح لدى الشيخ هود بن محكم أن المفردة من المشترك ، و لقد استقصيت متتبعاً تلك المواطن الواردة فيها مفردة :" زكاة" ، فلم أجد تفسيرها عنده إلا بما يدل على مدلول «فرض الصدقة»، إذ قصد بها الركن الثالث من أركان الاسلام ، باستثناء الآية الواردة في سورة مريم، فإنه ذكر المعنيين للمفردة فيها، ولقد تحدث الراغب عنها في مادة : «زكا» مشيراً الى أن من معانيها أنها تأتي بمعنى :«النمو والبركة»، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾، وذكر أيضا ما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء...،وتعني كذلك : تطهير النفس، وفي الدراسة الإحصائية لألفاظ المشترك اللفظي في القرءان لدى أحمد مختار عمر، أجد من معانيها عنده، «زكاة المال» ،ومدلول «التعطف»، كما سبق بيانه ،ومن ثمة أدرجت المفردة في اللغة ضمن المشترك اللفظي كما بين ذلك الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره.

33 مفردة :«سجين».

يذكر الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة معنيين متباينين في الدلالة، مقراً باشتراكهما فيها ، إذ أشار إلى المعنى الأول على أنه بمدلول الأسفل نقيض الأعلى، و ذكر الثاني على أنه بمدلول الحجر الأسود تحت الأرض السابعة، وهذين المعنيين في قوله تعالى :﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾[2]، إذ قال في بيان دلالتها :﴿ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾، « قال الحسن : لفي سفال ، وقال كعب : حجر أسود تحت الأرض السابعة لا يصعد »[3]، فذكره ههنا القولين جامعاً بينهما في بيان مدلول المفردة، تعليلاً منه على أن مفردة :«سجين» ،من المشترك، والسفال المذكور عنده يراد به السفل نقيض العلو و العلاء ، وقال أبو عبيدة في المجاز لما وقف على المفردة :﴿ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾، في حبس ، فِعيل من السجن ، كما يقال فسيق من الفسق [4]، كما أجد أحد المعنيين المشار إليهما من طرف الشيخ هود بن محكم موافقاً لما ذكره السجستاني بقوله :« ويقال سجين صخرة تحت الأرض السابعة، يعني أن أعمالهم لا تصعد إلى السماء»[5]، وهذا الذي أعتمده الراغب بقوله: وقيل هو اسم

---

[1] ينظر: هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج 3 ،ص: 07 .

[2] سورة المطففين ، الآية: 07 .

[3] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص: 436 .

[4] ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن ،مصدر سابق ،ج 2 ،ص: 289 .

[5] السجستاني ، غريب القرآن، مصدر سابق ،ص: 143 .

للأرض السابعة [1]، ولم أقف عند المعنى الذي ذكره الشيخ هود بن محكم ،و المتمثل في دلالة: السفل ،و الأسفل ضد العلو ، إذ تفرد به لوحده بذكره في هذا الموطن للمفردة كمعنىً ثانٍ لها ، وبهذا جاءت عنده مفردة «سجين» من المشترك اللفظي.

34 مفردة :«سوق».

يورد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة القرآنية ثلاثة معانٍ مختلفة مشتركة فيها، معتبراً إياها ضمن المشترك، بذكره للمعاني الثلاثة ، إذ فسرها تارة على أنها: أصل الشيء ، وهذا في تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[2]، حيث عبر عنها بدلالة :« أي :على قصبة ،و قال بعضهم :على أصوله »[3] ، و المراد عنده بقوله : « قصبة» ، أي: جذع النبات وجذره ،وهذا يفهم ضمنياً من ظاهر قوله ، ثم حدد الأصل في قول بعضهم ، على أنه يضاف دلالة على مفردة:« السوق» .

و أما المعنى الثاني عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾[4]، فدل به ههنا بهذا الموطن على عراقيب الخيل، إذ قال : « فضرب أعناقها و عراقيبها »[5]، ويفهم من قوله : «عراقيبها ،أي :القوائم بمعنى: الأرجل للخيل و قوائمها »[6] ،و يفسرها تارة بجذر: (ساق) على أنها الشدة في الأمر ، وذلك في مثل قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[7] ،فذكر قول الحسن في بيان ذلك بقوله :« قال الحسن : عن ساق الآخرة ، و قال مجاهد عن شدة الأمر و جده ، أي عن الأمر الشديد»[8] ،و بهذا يستجمع لنا في هذه المفردة لديه ثلاثة معان متباينة ، متمثلة في "أصل الشيء" ،و في "قصب وجذوع النبات" ، و المعنى الآخر "عراقيب الخيل" .

---

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات ،مصدر سابق، مادة: (سجين)،ص: 398 .
[2] سورة الفتح ، الآية: 29 .
[3] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، ج 4 ص: 166 .
[4] سورة ص، الآية: 33 .
[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق،ج 4،ص: 15 .
[6] ينظر : مختار عمر، الاشتراك و التضاد في القرآن الكريم ، دراسة إحصائية ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ص: 45 .
[7] سورة القلم ،الآية: 42 .
[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ،ج 4 ،ص: 361 .

يقول السجستاني في بيان أصل هذا الجذر: و الساق من كل شيء ، أصله الذي يقوم عليه [1] ، و من خلال هذا أجده موافقاً لما ذُكِرَ عند أهل اللغة ، وفي غريب القرآن ، و في المفردات قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[2]، من قولهم : كشفت الحرب عن ساقها ، وقال بعضهم في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ أنه إشارة إلى الشدة [3] ، و هذا أحد المعاني الوارد ذكره عند الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردة ، واعتماداً على ما سبق ، جاءت المفردة :« سوق» عنده ضمن علاقات المشترك من المباحث الدلالية.

35 مفردة: « مصباح».

يورد الشيخ هود بن محكم في ثنايا تفسيره لهذه المفردة معنيين دالين على تصنيفها ضمن المشترك ، إذ تمثل المعنى الأول عنده في دلالة المفردة على "النجوم" ، أي الكواكب ، وهذا الذي أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢ ﴾[4] بقوله :«يعني النجوم »[5]، فدل بها على دلالة النجوم المضيئة .

وأجده يحدد لنا المعنى الثاني لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾[6]، على أن المراد به : النور ،وهذا في قوله :« فيها مصباح ، وهو النور الذي في قلب المؤمن »[7] ،ومن ثمة فإن للمفردة معنيين عنده في تفسيره (النجوم ،و النور)، ولربما كان بين المعنيين تقارباً دلالياً من حيث الاستعمال ، إذ النجم في أصله منير، غير إن ذكره المعنيين لمفردة واحدة في موطنين مختلفين يوحيان بذلك إلى ظاهرة الاشتراك ، و يحدد السجستاني دلالة "المصباح" الواردة في الآية على أنها بمعنى:«السراج»[8]، إذ يفهم من ذلك الاستعمال للمفردة معانيها المتعددة الدالة عليها ،إذ لو اعتبرنا النور بمثابة السراج، أو السراج لا يحصل النفع به إلا عبر نوره، لوقع ذلك الفهم الجلي للمفردة .

---

[1] ينظر: السجستاني، غريب القرآن، مصدر سابق، ص: 117 .

[2] سورة القلم، الآية:42.

[3] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (ساق)، ج2، ص: 436 .

[4] سورة فصلت، الآية: 12 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 4،ص: 68 .

[6] سورة النور، الآية:35.

[7] المصدر نفسه، ج 3،ص: 158 .

[8] السجستاني، غريب القرآن ، مصدر، ص: 92 .

36 مفردة : « صَلِّ» .

يتعرض الشيخ هود بن محكم في ثنايا تفسيره عند موطن مفردة:« صَلِّ» بذكره لدلالتين متنوعتين مشتركتين فيها ، إذ فسرها في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾[1]، على أنها: فعل عبادة الصلاة ، بمعنى ههنا حسب سياقها صلاة العيد[2] ، ثم يفسرها بمدلول آخر عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ﴾[3]، بأنها مفيدة لمعنى: "الشي"، فقال : أي أجعلوه يصلي يصلي ،صلوه أي : أشووه [4] ، وبهذا يتجلى كلا المعنيين : فعل عبادة الصلاة، و الشوي، في بيان دلالة مفردة:«صَلِّ» عند الشيخ هود بن محكم ، وأصل الصلي الإيقاد بالنار فيها، و صليت الشاة : شويتها وهي مصلية ، وقيل: صلى النار ،دخل فيها، و "الصلاء" يقال: للوقود و للشواء ، والصلاة كما قال كثيرٌ من أهل اللغة هي: الدعاء ،و التبريك ،والتمجيد[5] ،وكل هذا سأتعرض له في ذكر المفردة الموالية:« صلوات » .

ومهما يكن من أمر المعاني المتعددة لهذه المفردة، فإن الشيخ هود بن محكم قد استند إلى قرائن أهل اللغة في بيان معانيها المتنوعة ،مُقراً بأنها ضمن المشترك .

38 مفردة: « صلوات» .

يشير الشيخ هود بن محكم حينما يفسر هاته المفردة لدلالتين متباينتين ،وخصها عن سابقتها، أي مفردة: «صلِّ» بشيء من الإيضاح و البيان، فذكر لها معاني مختلفة، مبرهناً لها على اشتراكها ، إذ يتجلى المعنى الأول عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾[6]، فهي ههنا بصيغة الجمع في الآية ، فدل بها على دلالة "الرحمة و الدعاء"، فقال : «... و صلاة الله على العباد الرحمة ، وقال بعضهم: صلاة الله على العباد: الثناء ،و المدح ،و التزكية للأعمال » [7]، فيلاحظ من قوله هذا، ذكره لأربعة معانٍ متعددة لموطن واحد ،وهي كالتالي: (الدعاء ، الرحمة ، الثناء المدح ، التزكية للأعمال) هذا من جهة، وبالمقابل يورد لنا دلالة أخرى حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ

[1] سورة الكوثر، الآية: 02 .

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم ،ج 4 ،ص: 488 .

[3] سورة الحاقة، الآية: 31 .

[4] ينظر : المصدر نفسه ، ج 4 ،ص: 368 ، وينظر: الهامش ،ص:368..

[5] ينظر : الراغب الاصفهاني ، المفردات ، مصدر سابق، مادة: (صلى)، ص: 491 .

[6] سورة البقرة، الآية: 157.

[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ، ج 1 ،ص: 153 .

صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾[1]، على أن مفردة: «صلوات» ههنا بمدلول :الكنائس، و المراد منها : المعبد أو بيت الصلاة [2]، فحدد ذلك بقوله :« و صلوات : أي صلوات اليهود، أي: كنائسهم ، ومساجد، يعني: مساجد المسلمين »[3]، وبهذا تتجلى علاقة الاشتراك عنده بذكره المعاني المتعددة الدالة على المفردة ، وفي المجاز قول أبي عبيدة: ﴿ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾، «مجازها: مصليات»[4] ، فدل بقوله مصليات على المكان المخصص لذلك ، وأجد الأمر ذاته من حيث دلالة المفردة على أنها : الكنائس عند السجستاني في غريبه،حيث قوله : صلوات يعني: «كناس اليهود ، وهي بالعبرانية صلونا »[5]، ويتوسع الراغب في بيان كل تلك الدلالات الدالة على معنى المفردة بقوله : وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تزكيته إياهم ... ،ويسمى موضع العبادة الصلاة، ولذلك سميت الكنائس صلوات [6] ، فأشار إلى تلك المعاني المذكورة في تفسير الشيخ هود بن محكم على أن المفردة ضمن مفردات المشترك اللفظي .

39 مفردة : مصانع .

يذكر الشيخ هود بن محكم في موطن هذه المفردة: «مصانع» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ ﴾[7]، ثلاثة معان مشتركة بها في الدلالة، جاعلاً بينها فرقاً دلالياً بيناً ، إذ جاءت دلالتها عند تارة بمدلول : القصور، وأخرى بدلالة : مصانع للماء ، و لعله قصد بمصانع الماء: السدود المستعملة في حفظ الماء و الله أعلم ، إذ عملية البناء تستلزم ذلك ، و المعنى الثالث أطلقه على البناء، فقال في تفسيرها :« أي: البناء في تفسير الحسن ، وقال الكلبي : القصور ،ويقال مصانع للماء »[8]، ويرجح الطبري في تفسيره لها قول قتادة على أنها تعني: « مآخذ للماء»[9]، و قال أبو عبيدة في المجاز :« و كل بناء مصنعة »[10]،

---

[1] سورة الحج، الآية:40 .

[2] ينظر : أحمد مختار، الاشتراك و التضاد في القرآن ، دراسة إحصائية ، مرجع سابق ، ص: 49 .

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ،مصدر سابق ، ج 3 ،ص: 104 .

[4] أبو عبيدة، مجاز القرآن ، مصدر سابق ،ج 2،ص: 116 .

[5] السجستاني، غريب القرآن ، مصدر سابق ، ص: 88 .

[6] ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات ، مادة: (صلى)،ج2، ص :491 .

[7] سورة الشعراء، الآية: 129.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج 3 ،ص: 206 .

[9] ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ،ج19،ص:95.

[10] ينظر : أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 95 .

وعليه فإن كل ما أشير إليه من معان دالة على:« مصانع » عند أهل اللغة لدليل على اشتراكها ، و تفرد السجستاني عن غيره بذكره معنى واحد مما اعتمده الشيخ هود بن محكم ،حيث قال : « مصانع :أبنية، واحدها مصنعة »[1] ، ومن ثمة يتأكد لدى الشيخ هود بن محكم اشتراك المفردة .

40 مفردة :«طائر».

يذكر الشيخ هود بن محكم معنيين متعددين لهذه المفردة: «طائر » ، على أساس إنها ضمن المشترك اللفظي ، فجاء بدلالة العمل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[2]، حيث عبر عن بيانها بقوله : « طائره : عمله »[3]، وهذا التأويل الذي ذهب إليه الجمهور من المفسرين ، ويعبر بها تارة أخرى على دلالة : الشؤم و التطير ، كما ذكر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾[4] فقال : « أي: لئن ذكرناكم بالله، تطيرتم بنا ، على الاستفهام »[5]، و بهذا يحدد للمفردة عنده معنيان متباينان في الدلالة و الاستعمال ، وأجد هذا التفسير الأخير الدال به على معنى الشؤم ، معتمداً لدى أبو عبيدة في المجاز بقوله :« طائركم معكم »، أي: حظكم من الخير و الشر[6]، فيشير بها إلى الحظ دون العمل ، ويراد بذلك النصيب من الخير الذي يستبشر به صاحبه أو يتشائم منه ، ويقول الفراء في المعاني :« يريد طائركم معكم، حيثما كنتم ، والطائر هاهنا الأعمال والرزق ،يقول هو في أعناقكم »[7]، وهذا الذي يفهم من سياق آية الإسراء بقوله تعالى: ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾، بمعنى لا يفارقكم ،وعليه فإن كلا المعنيين المذكورين عند العلماء ، أدلى بهما الشيخ هود بن محكم في بيان معاني المفردة المتعددة الدلالة، مشيراً بذلك إلى اشتراكها.

41 مفردة: «يظاهر».

أجد في تفسير الشيخ هود بن محكم عند بيانه معنى هذه المفردة القرآنية دلالتين دالتين عنها، فأما الدلالة الأولى المتمثلة عنده بدلالة مفهوم الإعانة و النصرة ، الواردة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟

---

[1] السجستاني ، غريب القران، مصدر سابق ، ص: 71.

[2] سورة الإسراء، الآية: 13 .

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 2،ص: 407 .

[4] سورة يس، الآية:19 .

[5] المصدر نفسه ،ج 3 ،ص: 377 .

[6] ينظر : أبو عبيدة، مجاز القران ، مصدر سابق، ج 1،ص: 372 .

[7] الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق،ج2،ص:374.

عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا ﴾[1] بقوله: « لم يظاهروا، أي: لم يعاونوا » [2]، و في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ ﴾[3]، يذكر دلالة أخرى متعلقة ببيان حكم شرعي، دل بها على معنى: التحريم ، فقال مؤكداً لذلك : «... حيث يقول: أنت عليَّ كظهر أمي ، يحرم ما أحل الله»[4]، فهو بهذا يشير ضمنياً إلى مبحث فقهي معنون ب:الظهار و أحكامه ، ومهما يكن الأمر، فإنه اعتمد معنيين للمفردة :« يظاهر » مقراً باشتراكهما .

و يرى السجستاني معنى دلالة التحريم الدال بها على مفردة :« يظاهر» ما قال به الشيخ في تفسيره للمفردة بهذا الموطن ، فقال: « يحرموهن تحريم ظهور الأمهات »[5]، و في التوبة أورد المعنى ذاته الدال به الشيخ هود بن محكم على مدلول الإعانة و النصرة ، حيث اعتبر ﴿ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بمعنى: يعينوا عليكم [6]، و بهذا يتأكد تصنيف تصنيف المفردة لدى الشيخ هود بن محكم، على أنها من المشترك المحتمل لأكثر من معنى دلالي .

42مفردة: « عصف».

في مواطن ذكر هذه المفردة من كلام الله عز وجل، أجد الشيخ هود بن محكم يحدد لها من حيث دلالتها معنيين مشتركين فيها ، فيذكر تارة على أن المراد منها :شدة هبوب الريح ، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾[7]، إذ يذكر قائلا :« ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾، أي: الرياح إذا عصفت ، أي: اشتدت » [8]، فهذا هو المعنى الأول المذكور عنده لها ، ويتجلى الثاني في دلالته إياه على: الحبوب و الزرع وسوقه ، وذلك قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾[9]، و من ثمة فإن إيراده المعنى الثاني للمفردة ،دلالة منه على اشتراكها ، فقال: « العصف : سوق الزرع ،و المأكول : الذي خرقه الدود» [10]،و بذلك حدد لنا معنيين في الدلالة للمفردة، و كلا المعنيين متطابقين و رأي أهل اللغة .

---

[1] سورة التوبة، الآية: 04 .
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز،مصدر سابق ،ج 2 ،ص: 113 .
[3] سورة المجادلة، الآية:02 .
[4] المصدر نفسه،ج 4 ،ص: 277 .
[5] السجستاني، غريب ا لقرءان، مصدر سابق، ص: 128 .
[6] ينظر: المصدر نفسه، ص: 55 .
[7] سورة المرسلات ، الآية: 02 .
[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ، ج4 ،ص: 411 .
[9] سورة الفيل، الآية: 05 .
[10] المصدر نفسه، ج 4 ،ص: 485 .

حيث أجمعوا على أن العصف يراد به الذي يعصف من الزرع ، وقد يطلق ذلك على حطام النبات المتكسر ، وريح عاصفٌ شديدة تكسر الشيء فتجمعه كعصف [1]، هذا الذي أجده بارزاً مثلاً في غريب القرءان للسجستاني حين وقوفه في غريبه عند دلالة تكاد تتشابه و قول الشيخ هود بن محكم حينما عبر عن معنى دلالة العصف في قوله عز وجل: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾[2]، بدلالة: ورق الزرع، ثم يصير إذا جف و يبس تبنا[3]، فاجتمعت تلك المعاني المشتركة في المفردة.

ثم إن مما يفهم من قولهم ذلك في إيضاح دلالة مفردة: «عصف» في المعاجم اللغوية ، وما تحمله من حمولة دلاليه، و الذي يفهم مما اعتمده الشيخ هود بن محكم لها من معان في تفسيره لها، يؤكد اشتراكها .

43 مفردة:« فتن» .

تحمل هذه المفردة القرآنية معاني عدة، بحسب ورودها في سياقات مختلفة في كلام الله عز وجل ، وأجد الشيخ هود بن محكم في تبيانه لمعناها قد وقف عند البعض من تلك المعاني لها، حسب دلالة سياقها في مواطن مختلفة من آيات كثيرة، و لعل أبرز معنى وقف عند دلالته المفسر ما عبر عنه بدلالة: الاختبار ،و التحميص ،و الابتلاء ، وذلك في تفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، فحدد دلالة المفردة قائلاً :« أي: ابتلينا سليمان »[5]، هذا من جهة أولى ، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾[6]، أجده يوضح دلالتها بما يفيد: الحرق بالنار ، وهذا ظاهرٌ مما وصلنا في الآثار من قصة أصحاب الأخدود فقال في تفسير الآية :« يعني: أحرقوهم بالنار» [7]، فكان منه الدلالة الثانية للمفردة.

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات ،مصدر سابق ، مادة:(عصف)،ج3، ص: 568 .

[2] سورة الرحمان، الآية:12.

[3] ينظر : السجستاني، غريب القرءان، مصدر سابق، ص: 123 .

[4] سورة ص، الآية: 34 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ،مصدر سابق ،ج 4،ص: 16 .

[6] سورة البروج، الآية: 10.

[7] المصدر نفسه،ج 4،ص: 445 .

ومن هذين أفهم لديه أنها دلت على المعاني المختلفة ، وإن كنت أضفت سابقا في إيراد المعنى الأول عنده دلالة: الاختبار ، فما ذلك إلا قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾[1] بقوله :« أي: اختبار و بلية، لينظر كيف تعملون »[2]، وهذا في نفس الدلالة المشار إليها آنفاً.

ثم أجده محدداً دلالةً مغايرةً للمفردة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾[3]، على أنها بمعنى: الشرك ، إذ صرح بذلك تصريحا بقوله :« و الفتنة ههنا: الشرك» [4]، وتارةً يحدد دلالتها على أنها: العذاب، كما ذكر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ ﴾[5]،فقال في تفسيرها: « أي: من بعد ما عذبوا »[6]،وفي تفسيره ثانية لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ ﴾[7]، يورد المعنى الآخر لها، على أنها المقصود منها: القتل، فقال : « أي: أن يقتلكم »[8]، ثم أجده واقفاً على أحد معانيها الدالة عنده على مدلول: الضلال ، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ ﴾[9]، إذ ذكره قوله :« بأيكم المفتون أي: أيكم الضال؟ » [10] ،وبهذا أجد أنه توافرت لي معاني عدة دالة على الاشتراك بالمفردة لدى الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره ، والأمر ذاته عند أهل اللغة حيث وردت كل تلك المداليل لها.

ففي قول الأزهري مثلاً : جِماعُ معنى الفتنة في كلام العرب : الابتلاء و الامتحان ، و أصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة و الذهب ، أذبتهما بالنار[11]، بمعنى اختبرتهما، ليتميز الردئ من الجيد .

ويذكر ذلك ابن فارس أيضا في تحديد أصل : " الفاء و التاء و النون" ، على ما يدل على: الابتلاء، و الاختبار [12] ، وأجد بقية المعاني المذكورة للمفردة قد سردها ابن الأثير، حينما بين كثرة استعمال المفردة،

---

[1] سورة التغابن، الآية: 15.

[2] المصدر نفسه ، ج 4 ،ص: 329 .

[3] سورة البقرة، الآية: 191 .

[4] المصدر نفسه ،ج 1 ،ص: 171 .

[5] سورة النحل، الآية: 110 .

[6] المصدر نفسه ،ج 2،ص: 386 .

[7] سورة النساء، الآية: 101 .

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1 ،ص: 375 .

[9] سورة القلم، الآية: 06 .

[10] المصدر نفسه ،ج 4 ،ص: 356 .

[11] ينظر : الأزهري، تهذيب اللغة ،تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى،2001، ج 8، ص: 296 .

[12] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق، مادة: (فتن)، ج 4، ص: 472 .

لتخرج إلى معانٍ أخرى بمعنى: الإثم، و الكفر، و القتال، و الإحراق، و الإزالة ، و الصرف عن الشيء[1]، وغير ذلك مما ذكر عندهم.

ولعل الباحث في معانيها يسهل عليه بحثه عند تلخيص ابن الاعرابي معاني مفردة: «الفتنة» بقوله : الفتنة الاختبار، و الفتنة المحنة، و الفتنة المال ، و الفتنة الأولاد ، و الفتنة الكفر ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء ، و الفتنة الإحراق بالنار... [2]، و أجد من بين من حدد لها هذه المعاني المتعددة متفرداً بمعنى لم يذكر عندهم ،الفراء في المعاني ، وابن الأنباري في كتابه: البيان في إعراب غريب القرآن، متمثلاً هذا في دلالتهما على الجنون[3] ، ولي أن أقف هاهنا على لطيفة من لطائف الدلالة المتعلقة بهذه المفردة إذا أضيفت لله سبحانه و تعالى، أو لرسله عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[4]، فهي ههنا بهذا السياق دالة على اختبار الله عز وجل لعباده المؤمنين ، ولقد أشار إلى ذلك الشيخ هود بن محكم في قوله :« أي: ابتلى بعضهم ببعض ، ابتلى الله المؤمنين بالمشركين، و المشركين بالمؤمنين » [5] ، أو كالتي أضيفت إلى قول سيدنا موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾[6]، إذ المقصود بها أيضاً: الابتلاء[7]، لتكون المفردة بتلك الإضافه لها خصوصيتها الدلالية.

و عليه فإن إضافة مفردة «الفتنة» للمولى عز وجل ،أو لرسله عليهم السلام ،لا ينصرف بتلك الإضافة في القرآن إلا إلى معنى: الابتلاء و الاختبار [8]، حتى لا يتم تأويلها بغير ما حدده أهل التفسير فيها .

وبناءً على ما تقدم ذكره، سواءً كان الأمر عند الشيخ هود بن محكم، أم عند أهل اللغة، فإن هذه المعاني المسرودة المذكورة للمفردة، تأكد قطعاً باشتراكها ، ولم أجد مفردة خصها الشيخ هود بن محكم في تفسيره بكثير المعاني سوى هذه المفردة .

---

[1] ينظر : ابن الأثير، النهاية ،المكتبة العلمية ، بيروت، طبعة: 1979، ج 3 ص: 410 .

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة: (فتن) ، ج 5 ،ص: 314 .

[3] ينظر : ابن الأنباري ، البيان في إعراب غريب القرآن ، تحقيق: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1980، ج 2 ، ص: 453 .

[4] سورة الأنعام، الآية: 53 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1 ، ص :475 .

[6] سورة الأعراف ، الآية: 155 .

[7] ينظر : هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2 ، ص: 49 .

[8] ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ،مؤسسة الرسالة، بيروت ،الطبعة27،ج 3، ص: 170 .

44 مفردة: « قسورة».

ورد ذكر هذه المفردة في كلام الله عزّ وجل مرة واحدة ، في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾[1]، وهي تحمل معنيين متباينين في تفسير الشيخ هود بن محكم، إذ ذكر ما يدل على أن المراد منها في الآية السابقة دلالة: الرماة، وذكر المعنى الثاني قاصداً به دلالتها على: الأسد، فقال: القسورة الرماة، وقال بعضهم: القسورة: الأسد، ثم أجده يرجح هاهنا في معناها على أنه يذهب للمذهب الأول بقوله: و العامة على أنها الرماة[2]، وبهذا توافر للمفردة في تفسير الشيخ معنيان مختلفان ،دلالة بذلك على اشتراكها.

وفي الصحَاح قول الرازي : قسورة من قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره ، وبابه ضَربَ، والقسورَة، و القسورُ الأسدُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾، وقيل هم الرماة من الصيادين[3]، وهو المعنى ذاته بالإجماع عند كثيرٍ من أهل اللغة[4] الأمر الذي يؤكد اشتراك مفردة: « قسورة» عندهم بين تلك المعاني المذكورة آنفاً.

45 مفردة:« قصر».

يُشير الشيخ المفسر في تفسيره بموطن هذه المفردة إلى معنيين مختلفين، دالاً بهما على علاقة الاشتراك بالمفردة، إذ ورد ذكر المفردة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ ﴾[5] ،إذ اعتبر الدلالة الأولى لها متمثلة بمعنى: أصول النخل و الشجر فقال:« وهي تقرأ على وجهين: كالقصْر خفيفة، و القصَر مثقَّلة، فمن قرأها كالقصر خفيفة فهو يعني قصراً من القصور، ومن قرأها مثقلة فهو يعني أصل الشجر » [6]، والمعنى الثاني عنده الدال به عليها متجسداً في ماهية القصر ،أي: البناء الفخم الواسع[7] ، ومن ثمة فإن إشارة الشيخ هود بن محكم لموطن تفسير هذه المفردة بدلالتين مختلفتين دالاً بذلك على اشتراك المفردة.

وأجد ذات المعنى عند السجستاني بقوله في المفردة: «قَصْر» واحد القصور، ومن قرأ كالقَصَر أراد اعناق النخلَ، ويقال أصول النخل المقطوعة[8]، ويري الراغب في ذلك تفصيلاً دلالياً، حين دلَّ عليه بضم للشيء بعضه

---

[1] سورة المدثر ، الآية:510

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4،ص:397.

[3] ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 2003، مادة: قسر، ص:326.

[4] ينظر: أبي عبيدة، مجاز القرآن، مصدر سابق،ج2،ص:416، و ينظر: السجستاني، غريب القرآن، مصدر سابق،ص:136.

[5] سورة المرسلات، الآية:32.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4،ص:413.

[7] ينظر: مختار عمر، الاشتراك والتضاد في القرآن، مرجع سابق،ص:52.

[8] ينظر: السجستاني، غريب القرءان، مصدر سابق، ص139

إلى بعض ، على أنه القصر، ومنه سمي القصر، وجمعه قصور...، وقوله أنها ترمي بشرر كالقصر، قيل: القَصَر أصول الشجر، الواحدة منها "قَصْرَة"[1]، وبهذا يتأكد قول أهل اللغة في المعاني المذكورة للمفردة: «قصر»، وكونها معاني مختلفة واردة في بيان دلالتها، تُثبتها على أنها ضمن مفرادت المشترك اللفظي.

46 مفردة: «مقام».

وردَ ذكر هذه المفردة في غير ما آية من كلام الله عزّ وجل، غير أني أجد الشيخ هود بن محكم مفسراً لها بموطنين عنده تفسيراً دالاً به على معنيين مختلفين ، مقراً باشتراكها، فأما المعنى الأول ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ ﴾[2]، إذ حدد دلالة مفردة : «مقام» على أنها بدلالة: "المجلس"، فقال: «أنا ءاتيك به، أي: بالسرير، قبل أن تقوم من مقامك، ومقامه: مجلسه الذي يقضي فيه»[3]، ومن هذا يفهم بأنه يريد بالمجلس حسب سياق قوله هذا ، مَكان القضاء والفصل بين المتخاصمين .

والمعنى الثاني الوارد في قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ ﴾[4]، إذ ذكر ما يدل على المقام في نص الآية على أن المراد به هو: المسكن والمترل، فقال: « ﴿وَمَقَامٖ كَرِيمٖ٥٨﴾، أي: ومترل حسن»[5]، وغير هذين الموطنين قلما يتعرض الشيخ للمفردة بذكره معنىً مستقلاً لها، متعلقاً بالمفردة، واعتماداً على هذين يتأكد لنا أن ذكره المعنيين المختلفين قاصداً بها سبيل الاشتراك في المفردة، ويورد مختار عمر للمفردة معاني أخرى غير ما ذكره الشيخ هود بن محكم متمثلةً عنده في: المترلة و العظمة و المكان و موضع القيام[6]، وخص كل معنىً من هذه المعاني المذكورة بشاهد قرءاني موضح لذلك.

وفي قول أهل اللغة يورد صاحب المعجم الوسيط عدة معاني للمفردة، دالاً بها على: موضع القدمين، و المجلس، و الجماعة من الناس ، و الدرجة و المترلة[7]، مما يؤكد اشتراك اللفظة عنده.

---

[1] ينظر:الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(قصر)، ص:672

[2] سورة النمل، الآية:39.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ،ج3،ص:244.

[4] سورة الدخان، الآية: 25،26.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4،ص:120.

[6] ينظر: مختار عمر، الاشتراك و التضاد في القرآن، مرجع سابق، ،ص:60.

[7] ينظر:إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،1379ه، مادة:" مقام"، ص:371.

47 مفردة: «كتاب».

أجد في التعرض لأصل هذا الجذر عند الشيخ هود بن محكم، حديثا مشتركا بين مبحثي الترادف والاشتراك، تحت مفردة: «إمام»، غير إني أجده مضيفاً معاني أخرى غير ما اعتمده في إشارة ترادف المفردة سابقاً، حيث يذكر معنيين متباينين بالدلالة ، مقراً باشتراك المفردة من جهة، و معترفاً فيما سبق بترادفها من جهة أخرى، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤ ﴾[1]، يورد ذكر معنى: الوقت ، دالاً به على مدلول مفردة «كتاب» الواردة في سياق الآية فقال: « يعني الوقت الذي يهلكون فيه، ويعني من أهلك من الأمم السابقة بتكذيبهم رسلهم»[2]، فحُملت هاهنا المفردة حسب بيان قوله دلالة: الأجل و الوقت، وأجده ذاكراً للمعنى الثاني المؤكد به لاشتراك المفردة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧ ﴾[3]، مشيراً إلى القصد من المفردة المذكورة في نص الآية ، على أن المراد منها: مطلق الحجة و البرهان، وذلك ظاهر جلي في قوله:« أي: الذي فيه حجتكم إن كنتم صادقين، أي: إن الملائكة بنات الله ليس لكم بذلك حجة»[4]، وبهذا تتحقق لنا دلالتان متمايزتان، دالتان على اشتراك المفردة، وأجد في بيان دلالة مفردة: «كتاب» عند أهل اللغة وجمع كثير من المفسرين دلالات عدة.

48 مفردة: «كَتَبَ».

يذكر الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة في تفسيره خَمْسة معان متمايزة، مشتركة في مفردة: «كتب»، وهو بهذا يقرر علاقة دلالية اشتراكية فيها، إذ أجده يحدد تلك العلاقة الدلالية المتعلقة بالاشتراك بذكره لدلالات المفردة على أنها مفيدة لدلالة:(أحل، فرض، جعل، حكم، قضى)، وهي دلالات مختلفة، فأما المعنى الأول الذي أشار به إلى تفسير دلالة: «كتب» ، فذكره في بيان الدلالة العامة لقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾[5]، حيث يساوي المفردة هاهنا بدلالة: أَحَلَ بمعنى: أباح، وذلك في تفسيره للآية بقوله: « وابتغوا ما كتب الله لكم، أي: ما أحل الله لكم »[6]، فخص العلاقة بين اللفظ و معناه هاهنا بدلالة: أحل،

---

[1] سورة الحجر، الآية: 04.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:337.

[3] سورة الصافات، الآية: 157.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص:408.

[5] سورة البقرة، الآية: 187.

[6] المصدر نفسه ،ج1،ص:164.

وهذا المعنى الأول ، و أما المعنى الثاني الوارد عنده في تفسيره لها ،يتجلى لنا بدلالة: جعل، و هذا ما ذكره لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾[1]، إذ نجده مقارناً إياها بتلك الدلالة بقوله: « أولئك كتب، أي: جعل في قلوبهم الإيمان»[2]، وهذا المعنى الثاني ،كما أجد في السورة ذاتها، دلالة أخرى ذكرها للمفردة متمثلة في دلالة اللفظة: (كتب- فرض)، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾[3]، فقال في بيانها: « كتب الله، أي: فرض الله»[4]، وهذا المعنى الثالث للمفردة عنده، وأجده يورد معنى رابعاً للمفردة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣ ﴾[5]،إذ يجسد دلالة المفردة هاهنا بهذا السياق على أنها: « لولا أن كتب الله عليهم الجلاء، أي: ولولا أن حكم الله بالجلاء، أي: بالخروج إلى الشام»[6] ، فدل بها هاهنا على معنى: حكم ،ثم يؤكد الشيخ هود بن محكم علاقة الاشتراك القائمة بين هذه المعاني للمفردة ، بإضافته المعنى الخامس لها، و الدال به على دلالة: (قضى و قدر)، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[7]، حيث قال:« قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا، أي: ما قضى الله لنا...»[8]، وبهذه المواطن تتضح لنا نظرة الشيخ هود بن محكم في تحديده للعلاقة الدلالية لهذه المعاني:(أحل، فرض، جعل، حكم، قضى) ، و المشار بها إلى الاشتراك في مفردة:«كتب» عنده.

كما أجد أن كل هذه المعاني المذكورة في تفسير الشيخ هود بن محكم من قبيل الاشتراك التي حددها أهل اللغة أيضاً مثل ذلك موافقة، وفي هذا يقول ابن فارس: « الكاف، التاء و الباء أصل صحيح واحد يدل على جمع الشيء إلى الشيء...، وهو الفرض، ويقال للحكم، و يقال للقضاء و القدر...»[9]، وبناءً على هذا، فهم الشيخ هود بن محكم تلك المعاني المستفادة من كل سياق وردت فيه المفردة، محدداً لكل واحدٍ من تلك

---

[1] سورة المجادلة، الآية: 22.
[2] المصدر نفسه،ج4،ص:288.
[3] سورة المجادلة،الآية:21.
[4] المصدر نفسه،ج4،ص:287.
[5] سورة الحشر، الآية: 03
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ، ج4،ص:291.
[7] سورة التوبة، الآية:51.
[8] المصدر نفسه،ج2،ص:138
[9] ابن فارس، معجم المقاييس اللغة، مصدر سابق ،مادة: "كتب" ،ج5،ص:434.

السياقات معنى خاصاً به، الأمر الذي ولّد لديه خمسة معانٍ للمفردة ، فكان ذلك عاملاً من عوامل اشتراكها عنده.

49 مفردة : «كنز» .

يتعامل الشيخ هود بن محكم لدى بيانه لدلالة هذه المفردة في تفسيره تعاملاً دلالياً مبنياً على علاقة الاشتراك، بحيث ذكر لها معنيين متباينين في تفسيره لها، فدل بالمعنى الأول على: دلالة: المال، ففي قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ ﴾[1]، يذكر دلالة الكنز على أنها المال من ظاهر تفسير يفهم منه ذلك، فقال في تفسيرها

ودلالتها: «... أو يُلقى إليه كنز فإنه فقير»[2] ، و الظاهر لي في عبارته:« فإنه فقير» ، بأنها دالة عنده على دلالة: المَال، وأجد دلالة مغايرة لهذا المعنى الأول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا ﴾[3]، حيث هاهنا بين قولين دالاً بهما على علاقة الاشتراك في المفردة، مُقراً تلك العلاقة الدلالية بقوله في تفسيره دلالة: «كنز»، «..وكان تحته كنز لهما، قال الحسن: مال، وقال مجاهد صحف علم»[4]، وأجده متوسعاً في الدلالة الثانية للمفردة على أنها: صحف علم، بقوله: «..بلغنا أنه كان لوحاً من ذهب فيه حكمة، ثلاث كلمات فقط: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يضحك، وعجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً لمن أيقن بالدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها »[5]، فنفهم من دلالة القولين عنده في تفسير المفردة بدلالتي: المال، وصحف العلم[6]، أن المفردة من ألفاظ المشترك اللفظي.

50 مفردة: «كوثر».

يفسر الشيخ هود بن محكم هذه المفردة بثلاث دلالات مختلفة، مقراً بتلك العلاقة الاشتراكية في المفردة، إذ ورد ذكر هذه المفردة في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾[7]، إذ يفسر دلالتها على أنها: النهر، و أنها: الخير كله، وأنها: القرآن الكريم، وهذا واضح في قوله: «...

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 08.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص:117.

[3] سورة الكهف، الآية:82.

[4] المصدر نفسه،ج2،ص:469.

[5] المصدر نفسه،ج2،ص:469.

[6] ينظر: أحمد مختار عمر، الاشتراك و التضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق ،ص:64.

[7] سورة الكوثر، الآية: 01

ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما أن في الجنة إذا أنا بنهر...، فقلت ما هذا يا جبريل، فقال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، وقيل الكوثر الخير كله، وقيل: القرآن الكريم »[1]،وبهذا يتجلى لنا أنه يحدد دلالة مفردة: «الكوثر» في معان مشتركة فيها، ذكر في تفسيره للآية المتضمنة للمفردة، وأجد التفسير ذاته وارداً عند معشر جمهرة المفسرين للآية الكريمة[2]، و يحدد الطبري تلك العلاقة المفيدة للاشتراك، بقوله: « و اختلف أهل التأويل في معنى الكوثر، فقال بعضهم: هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمد صلى الله عليه و سلم...»[3]، وفي اللسان تتحدد دلالة الكوثر في اللغة على أنها: الكثير الملتف...، ورجل كوثر كثير العطاء والخير،...و الكوثر النهر، نهر في الجنة يتشعب منه جميع أنهارها، وهو الخير الكثير، وجاء في التفسير: أن الكوثر القرءان و النبوة، وفي التنزيل: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾، قيل: الكوثر هاهنا الخير الكثير[4]، واعتماداً على هذه المعاني الواردة عند أهل اللغة في دلالة مفردة: « الكوثر » ،بنى الشيخ هود بن محكم تفسيره لها، جاعلاً إيّاها ضمن مفردات المشترك اللّفظي.

51 مفردة: « لسان » .

وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في مواطن كثيرة متعددة، كل سياق متضمن معنًى لها ، له دلالته الخاصة ومعناه تفهم من سياق الكلام، فالمتتبع لهذه المعاني يصل إلى أنها قد ترد بمعنى: العضو الخاص بالكلام ،بمعنى آلية النطق لدى الإنسان كما الظاهر من قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ ﴾[5]، وكقوله تعالى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا ﴾[6]، وقد ترد بمعنى: الثناء الحسن، وتارة بمعنى: اللغة، وأخرى بمعان عدة، تبعاً للسياق الواردة فيه، حيث إن عدد السياقات الواردة فيها مادة: (ل س ن) في القرءان الكريم أربع و عشرون موطناً و سياقاً، دلالتها مختلفة.

فنجد أن المفردة :« لسان» استعملت مكان اللغة معبرة بها عن الأغراض، ولا يستعمل بدلالة الكلام في معناه العام، فيراد به الدلالة الخاصة على لغة معينة كالعربية، أو اللسان الفارسي، بدلالة اللغة الفارسية ، وأجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره، انطلاقاً من هذا الفهم المشترك في المفردة: «لسان»، يورد لكل سياق

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4،ص:488.
[2] ينظر: جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، مصدر سابق، ج4،ص:314.
[3] ينظر: ابن جرير الطبري، جامع أي البيان، مصدر سابق،ج12،ص:561.
[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:" كثر"، ج13،ص:27.
[5] سورة القيامة، الآية: 16.
[6] سورة طه، الآية:18.

في تفسيره مشتملاً على المادة: «لسان» دلالته الخاصة، ليفهم من عمله ذلك دلالته بالمفردة على علاقة الاشتراك فيها.

فأجده دّل بالمفردة على المعنى المشار إليه أنه: اللغة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[1]،حيث يفسرها بقوله: «... إلاّ بلسان قومه، بلغة قومه»[2] ، ليبين لهم أمر دينهم، وهذا لطفاً من الله سبحانه و تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ،ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم[3] ، فيفهم من هذا المعنى الأول للمفردة ، و تتجلى لنا تلك الدلالة الثانية للمفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم في دلالتها على: السنة المراد بها الطريقة و الأسلوب، إذ يتضح هذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠ ﴾[4]،فقال فيها: « لسان صدق...،أي: سنة يقتدى بها من بعدهم»[5]، فحدد المعنى الثاني لها بدلالة السنة التي يقتدى بها، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤ ﴾[6]، يورد المعنى الثالث للمفردة بقوله:« أي: الثناء الحسن، وهو قوله: و أتيناه أجره في الدنيا، أي: أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين»[7] ، فنقف عند هذا بثلاث دلالات للمفردة، حددها الشيخ هود بن محكم في دلالة: اللغة ، أو السنة ، أو الثناء الحسن ، وما يتأكد من علاقة هذه المعاني الثلاث ،هي تلك الإشارة منه إلى إدراجها ضمن ألفاظ المشترك اللّفظي، وأن هذه المعاني الواردة في تفسير الشيخ هود بن محكم للمفردة، أجدها موافقة لما ذكره أهل اللغة، حينما دلوا بالمفردة على دلالة: اللغة و الرسالة و الثناء الحسن[8]، وبذلك جاءت معانيها متباينة في تفسيره.

52 مفردة: « مَدَّ» .

يحدد الشيخ هود بن محكم في تفسيره لهذه المفردة أربعة معان مختلفة الدلالة، مشيراً بذلك إلى اشتراك هذه المعاني في مفردة: «مدّ» حيث ذكر هذه المعاني في سياقات متعددة، أولها: ما بيّن به دلالة مفردة: «مدّ»

---

1 سورة إبراهيم،الآية:04

2 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:314.

3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق،ج2،ص:418.

4 سورة مريم ،الآية: 50.

5 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3.ص:15.

6 سورة الشعراء، الآية: 84.

7 المصدر نفسه،ج3،ص:15.

8 ينظر: ابن سيده، المخصص ، مصدر سابق، مادة: "لسان"، ج4، ص:114، وينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، مادة: (لسن)، ج10،ص:517.

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾[1]، فنجد دلالة «مدّ» هاهنا عنده بدلالة حددها بقوله: «... مدّ الأرض، أي: بسطها، وبسطها ودحاها واحد» [2]، والثاني: أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾[3]، بدلالة الزيادة، إذ نفهم هذا من ظاهر قوله في بيان دلالته حيث ذكر: « ونمد له من العذاب مداً، هو كقوله عزّ وجل: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [4]، وتارة أخرى يحدد دلالة المفردة على أنها بدلالة: علّق، ومثال هذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [5]، حيث قوله فيها:« فليمدد بسبب إلى السماء، أي: بحبل إلى السماء...، أي: فليُعلق حبلاً من سقف البيت، فليختنق حتى يموت، يعني بقوله عزّ وجل: ثم ليقطع...»[6]، ويورد مصدراً آخر في دلالة المفردة على أنها عوضٌ عن مصدر: إمهال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[7]، إذ نفهم من سياق التفسير ما مفاده ذلك ، وهذا نص قوله فيها: «...وهذا دعاء، أي: مدّ له الرحمان مدّاً، أمر الله النبي عليه السلام أن يدعوا بهذا، فيدعه الرحمان في طغيانه » [8] ،أي: بمعنى يُمهله ، و يُرجئه إلى أجل.

وبهذه المعاني الأربعة الواردة للمفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم، تتأكد لدينا علاقته بجمع هذه المعاني على اشتراك المفردة ، ويدل هذا الأصل في اللغة على تلك المعاني المستلزمه لعلاقة الاشتراك في المفردة، حيث إن « الميم و الدال»، أصل واحد يدل على جر الشيء في طول و اتصال ، ويدل على البسط و الإمهال و التعلق وغيره[9].

و بناءً على هذه المعاني المتعددة ،فهم الشيخ هود بن محكم تلك العلاقة المُشكلة بينهما و المقتضية لعلاقة الاشتراك.

---

[1] سورة الرعد،الآية:04

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج2ص:289.

[3] سورة مريم،الآية:51.

[4] المصدر نفسه، ج3،ص:24.

[5] سورة الحج، الآية:15.

[6] المصدر نفسه، ج3،ص:90.

[7] سورة مريم،الآية:75.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص:23.

[9] ينظر: ياسر عبد الكريم الحوراني، معجم الألفاظ الاقتصادية في لسان العرب، ، دار المجدلاوي، عمان .ط2006.ص:243.

53 مفردة: « نجم».

تتحدد دلالة هذه المفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم بدلالات متعددة، كل واحدة منها مناسبة لسياقها، حيث يراد بالمفردة تلك المعاني المشتركة فيها، لذا عُدت لفظة من ألفاظ المشترك اللفظي في تفسير الشيخ هود بن محكم، فذكر المعنى الأول لها على أنها بدلالة: مجموعة النجوم، بمعنى الكواكب التي يهتدي بها، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾[1]، إذ نقف على كشفه دلالة المفردة مباشرة بقوله فيها: « وبالنجم هم يهتدون، و النجم جماعة النجوم التي يهتدون بها »[2]، ومعلوم من تفسير هذه المفردة خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فَقَد رأيه ،و أخطأ حظه[3].

وأجد أن هذا المعنى و الدلالة التي حددها الشيخ هود بن محكم، أنها الدلالة الغالبة في تفسيره لمفردة : «نجم» ،و لم يخالف هذا إلاّ في موطن وحيد، إذ حدد به المعنى و الدلالة الثانية للمفردة، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ ﴾[4]، فأبان عن دلالة «النجم» هاهنا بتفرقته الدلالية الحاصلة بين النجم كنوع من أنواع النبات، وبين الشجر المعروف، فقال في تفصيل دلالة المفردة: « النجم، ما كان من النبات على غير ساق، و الشجر ما كان على ساق، وسجودهما ظلهما »[5] ، فنفهم من هذا البسط دلالة المعنى الثاني للمفردة عنده، ونكتشف تحديده الدقيق لمعنى المفردتين المذكورتين في الآية، رغم أن دلالة المفردة: « نجم» في هذا الموطن وقع فيها اختلاف بين المفسرين في تحديد دلالتها الدقيقة، إذ يحددها البعض منهم على أنها دالة على كل ما انبسط على وجه الأرض من نبات، وحددها بعضهم: أنها: الكواكب في السماء[6]، بدليل آية الحج، وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ ﴾[7].

---

[1] سورة النحل، الآية: 16.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2ص:359.

[3] ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج14،ص:91،92.

[4] سورة الرحمان، الآية: 06.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص:238.

[6] ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج17،ص:119

[7] سورة الحج، الآية: 18

وكأني بالشيخ هود بن محكم ينحو بالمفردة إلى هذه الدلالة المختلف فيها هاهنا بهذا الموطن، باعتبارها دلالة المفردة على أنها: جنس الكواكب ، حينما جمع الدلالة العامة للسجود المذكور في سياق الآية، وخص به الشمس و القمر التي هي الكواكب، وأضاف لها النجوم تبعاً لحكمها.

و استناداً لدلالة حرف العطف الوارد في اشتراك حكم الجمع بين المشتركين ، يؤكد ذلك بقوله: « و الشمس و القمر و النجوم كلها »[1]، إذ يدل بهذا على أنها من جنس الكواكب، إلاّ أنه غلب في تفسيره هذين الدلالتين: (جماعة النجوم، ومالا ساق له من النبات)، مما يفهم من هذا الجمع علاقة الاشتراك في المفردة عنده.

وحدد صاحب الصحاح هذه المعاني الواردة في تفسير الشيخ هود بن محكم ، مؤكداً علاقة اشتراك المعاني في المفردة، إذ أشار إلى تلك الدلالة المحتملة للمفردة بقوله: «...و النجم من النبات ما لم يكن له ساق ، والنجم الكواكب الكواكب ، و النجم الثريا ، وهو اسم لها »[2]، وأجد هذه الدلالة الأخيرة في قول الرازي مشاراً لها في تفسير الشيخ هود ابن محكم من طرفه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾[3]، إذ حدد دلالتها هاهنا بقوله:«...قال بعضهم: الثريا إذا غابت، وتفسير الحسن يعني الكواكب، إذا انتثرت، والنجم جماعة من النجوم...»[4]، وحاصل الجمع بين هذه المعاني في هذا الموطن عنده، برهاناً منه على تأكيد علاقة دلالية اشتراكية للمفردة.

54 مفردة: « تولى».

تتجلى معاني هذه المفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم في دلالات عدة، أوردُ بعضاً منها على سبيل بيان علاقة ودلالة الاشتراك فيها كمفردة ذات معان مختلفة ، فيذكر مثلاً المعنى الأول لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ ﴾[5]، إذ نجده يورد دلالة مفردة: « تولى» بمعنى المفارقة و الانفصال، وذلك قوله في تفسيرها: « وإذ تولى ، أي: فارقك»[6]، حيث إن هذه الدلالة مرتبطة عنده بسياق الآية قبلها، والمقصود بهذه الدلالة هاهنا في الآية: أُبي بن

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص:91

[2] ينظر: الرازي، مختار الصحاح الرازي، مصدر سابق، مادة: " نجم" ، ج6، ص:341.

[3] سورة النجم، الآية: 01

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 215.

[5] سورة البقرة، الآية:205.

[6] المصدر نفسه، ج1،ص:183.

عمرو بن وهب الثقفي من بني علاج بن سلمة، حيث كان حليفاً لبني زهرة بن كلاب ، وكان خطيباً لبني زهرة يوم بدر، خرج من قريش ثم رجع وغاب عنهم[1]، فمحل الشاهد هاهنا دلالته بالمفردة على معنى: المفارقة، ويورد المعنى الثاني لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾[2] على أنها هاهنا مفيدة لدلالة: الانصراف، وقد تتقاطع دلالياً مع ما ذكره في المعنى المتقدم قبل هذا، فقال في بيان دلالتها:« ثم تولى، أي: انصرف»[3] ، ثم أجده معرباً عن تلك العلاقة الاشتراكية في المفردة أكثر تفصيلاً في ذكره معنى ثالث لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[4] ، وهذا في معرض الحديث عن واقعة وحادثة الإفك، حيث أجده في هذا الموطن يعبر بدلالة للمفردة مفيدة لمعنى: ابتدء، وهنا لفت انتباهي تفرد الشيخ هود بن محكم بهذه الدلالة، حيث أن المشهور من دلالات المفردة بهذا السياق لدى المفسرين على أنها تعني: التحمل أي: الذي تولى كبره بمعنى تحمله، وإلى هذا المعنى أشار أبو عبيدة في قوله عن الآية: « تولى كبره، أي: تحمل معظمه»[5]، غير أنه فُهم من دلالتها في إطار سياقها أنها بدلالة: البدء، وفي تفسيره أيضاً لقوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾[6]، يحدد دلالة تولى هاهنا بقوله: « تولى إبليس، أي: اتبعه»[7]، فنفهم من هذا المعنى الأخير أنه يدل به على الإتباع الناجم عن المحبة[8].

وعبر هذا أخلص من هذه المعاني الواردة في تفسيره: (الانصراف، المفارقة، الإتباع، المحبة، البدء..) ، أنها مشتركة في هذه المفردة، والأصل فيها أن لها دلالات متعددة في تفسيره، غير أني اكتفيت بهذا للبرهان على علاقة اشتراكها، ولقد خصت المعاجم العربية هذه المفردة بسمات دلالية موازية لما اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره، إذ يحدد أهل اللغة «تولى» على أنها أعراض و انصرف، والموالاة ضد المعاداة أي: المحبة و الإتباع[9]، وذكرت معاني أخرى غير هذه المذكورة هنا في تفسير الشيخ هود بن محكم لغرض البيان.

---

[1] ينظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط3، د.ت،ج1،ص:360.
[2] سورة القصص، الآية: 24.
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3ص:119.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص:145.
[5] أبو عبيدة، مجاز القرآن، مصدر سابق،ج2،ص:112
[6] سورة الحج، الآية04
[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج3،ص:87
[8] أحمد مختار عمر، التضاد و الاشتراك في القرءان، مصدر سابق، ص:73.
[9] ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة (تولى)،ج1، ص:516.

جدول توضيحي لأمثلة المشترك اللفظي ودلالاتها في تفسير كتاب الله العزيز:

المفردة	العلاقة	المعاني	السورة الآية	الجزء من التفسير،	الصفحة
أبٌ	اشتراك	-فاكهة. -الكلأ	عبس. 21	ج4،	ص 427
ابل	اشتراك	-السحاب -جنس من الانعام	الغاشية.17 -الانعام. 144	ج4. ج1	ص 452. ص 511
أتى اشتراك	اشتراك	-اقتراب -الدخول -الجماع -كان -جاء	النحل.01 البقرة 189 طه	ج2. ج1. ج3.	ص355 ص 197 ص 37
أذن	اشتراك	-الإعلام -السمع والطاعة	إبراهيم 07 الانشقاق 02	ج2. ج4	ص 316 ص 441
أصْرٌ	اشتراك	-الميثاق -الشدة في العمل والأمر	آل عمران 81 البقرة 286	ج1. ج1.	ص 272 ص 244
أمت	اشتراك	-الارتفاع -الحدب	طه. 106	ج3.	ص
أوَّل تأويل	اشتراك	-التعبير -التفسير -الثواب والجزاء	يوسف.21 الاعراف.53	ج2. 259 ج2.	ص 255، ص 23
بروج	اشتراك	-النجوم	البروج.01	ج4.	ص 444

		قصور محصنة	النساء. 78	ج1.	ص 362
يَبْسُطُ	اشتراك	-التوسعة في الرزق -الاسراف في النفقة -مواليد بالقتل	الرعد. 26 الاسراف.29 -المائدة .11	ج2. ج2. ج1.	ص 303 ص 413 ص 41
بَعْلُ	اشتراك	-الزوج -اسم صنم	-النساء 128. الصافات 125	ج1. ج4.	ص 386. ص 403
بنان	اشتراك	-العضو -الأيدي والأرجل - المفصل -الأصابع	الأنفال.12. القيامة. 04.	ج2. ج4.	ص 89 ص 398.
بهتان	اشتراك	-الكذب. -الظلم -الزني	النساء.156. النساء.20. الممتحنة.12.	ج1. ج1. ج4.	ص 393. ص327. .312
تنور	اشتراك	-الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة. -عين الماء. -أقصى الدار -اعلى الدار وأشرفها	-هود 40.	ج2.	ص 224.
مثبوراً	اشتراك	-مسحور	الاسراء 102	ج2	ص 441.

		-الهلاك -ملعون			
ثقال	اشتراك	-شباباً وشيوخاً -الشيوخ -غير نشاطٍ -أغنياء	التوبة41.	ج2	ص 134.
جاث	اشتراك	-جالس على الركب -جماعة جماعة	مريم.68 الجاثية 28	ج3. ج4	ص 20 ص 130
جمل	اشتراك	-زوج الناقة جبل السفينة	الاعراف.40	ج2.	ص 17.
حجرٌ	اشتراك	-الحرام -صاحب العقل	الانعام.138 الفجر.05	ج4 ج4	507 454
محاريب	اشتراك	-المساجد -المقصور	سبأ.13	ج3	343
حسبان	اشتراك	-الصاعقة النارية -الحساب الدقيق	الكهف.40 الرحمان .05	ج2 ج4	458 238
أحصر	اشتراك	-الحبس و المنع -السجن	البقرة .196 الاسراء.08 آل عمران.39	ج1 ج2 ج1	174 406 259
أحض	اشتراك	-الوقاية -أدخر و أحرز	الأنبياء .80 يوسف 48	ج3 ج2	72 312
حفدة	اشتراك	-الخدم -ولدُ الولدِ	النحل 72	ج2	375

أحلام	أشتراك	-العقل -الرؤيا والمنام	الطور 32.	ج4 ج2	211 268
خَمْرُ	اشتراك	-كل شراب	-البقرة 219 -يوسف 36	ج1 ج2	193 273
خير	اشتراك	-العافية والسعة -الرخاء	يوسف. الحج11	ج2 ج3	21 80
دهان	اشتراك	-المال -الصدق -الأمانة -الأجر -الطعام	النور33. الحج 36 القصص 24	ج3 ج3 ج3	156 100 244
دهان	اشتراك	-عكر الزيت -الاحمرار -أدْمٌ أصلها من اليمن	-الرحمان 37	ج4	243
رجع	أشتراك	-البعث -المطر	الطارق 08 الطارق08	ج4	448
رَجَم	اشتراك	-مطلق القتل -الشتم -الطرد من رحمة الله	الكهف 20 مريم 46 الحجر 34	ج2 ج3 ج2	449 15 334
رحيق	اشتراك	-الشراب الخالص -مطلق الخمر	المطففين 25	ج4	345
مرسلات	أشتراك	-الملائكة	المرسلات 01	ج4	411

		-الرياح			
مرسى	أشتراك	-مصدر الاستقرار -اسم زمان	هود 41 الاعراف 187	ج2 ج2	227 63
زكاة	اشتراك	التعطف مطلق الصدقة	مريم 13	ج3	07
سجين	اشتراك	-السفل نقيض الأعلى -حجر أسود تحت الأرض	المطففين 07	ج4	436
سوق	اشتراك	-أصل الشيء -عراقيب الخيل -الشدة في الأمر	الفتح 29 ص 33 القلم 42	ج4 ج4 ج4	166 15 361
مصباح	اشتراك	-النجوم - النور	فصلت 12 النور 35	ج4 ج2	68 158
صَلِّ	اشتراك	-فعل عبادة -الشواء	الكوثر 02 الحاقة 31	ج4 ج4	488 368
صلوات	اشتراك	-الرحمة والدعاء -الثناء -المدح التزكية للأعمال -الكنائس	البقرة 157 الحج 40	ج3	153 104
مصانع	اشتراك	- القصور -مصانع الماء	الشعراء 129	ج3	206

		-البناء			
طائر	اشتراك	-العمل -الشؤم	الاسراء 13 يس 19	ج2 ج3	407 377
يظاهر	اشتراك	-الاعانة -النصرة -التخريم	التوبة 04 المجادلة 02	ج2 ج4	113 277
عصف	اشتراك	-شدة هبوب الريح -الحبوب والزرع وسوقه -ورق الزراع	المرسلات 02 الفيل 05 الرحمان 12	ج4 ج4 ج4	411 485 371
فتن	اشتراك	-الاختبار - التمحيص -الابتلاء -الحرق بالنار -الشرك -العذاب -القتل الضلال	ص. 34 البروج10 البقرة 191 النحل 110 النساء 101 القلم 06	ج4 ج4 ج1 ج2 ج1 ج4	16 445 171 386 375 356
قسورة	اشتراك	-الرماة الأسد	المدثر 51	ج4	397
قصر	اشتراك	-أصول الشجر -البناء الفخم الواسع	المرسلات 32	ج4	413

مقام	اشتراك	-المجلس -المسكن	النمل 39 الدخان 25-26	ج3 ج4	244 120
كتاب	اشتراك	الوقت الحجة والبرهان	الحجر 04 الصافات 157	ج2 ج 4	337 408
كتب	اشتراك	-أجل -فرض -جعل -حكم قض وقدر	البقرة 187 المجادلة 21 المجادلة 22 الحشر 03 التوبة 51	ج1 ج4 ج4 ج4 ج2	164 287 288 291 138
كتر	أشتراك	-مال صحف علم	الفرقان 08 الكهف 82	ج3 ج2	117 ص
كوثر	اشتراك	-النهر الخير كله القرءان الكريم	الكوثر01	ج4	488
لسان	اشتراك	عضو الكلام الثناء الحسن اللغة سُنة	القيامة 16 طه 18 ابراهيم 04 مريم 50	ج4 ج3 ج2 ج3	314 26 414 414
مَدَّ	اشتراك	علّق إمهال	الحج 15 مريم 75	ج3 ج3	90 23
نجم	اشتراك	الكواكب ما لا ساق له من النبات	النحل 16 الرحمان 06	ج2 ج4	90 238
تولى	اشتراك	-المفارقة	البقرة 205	ج1	183 244

		والاتصال -الانطراف	القصص 24	ج3	

4ـــ مفهوم الترادف و وقوعه بين الإثبات والإنكار:

إن الباحث في خصائص وسِمَات العربية كلغة معجزة ذات بيان، يُدرك بوضوح ذلك الإكثار من القول والخلاف بين القدماء والمحدثين من اللغويين عند تعرضهم لظاهرة الترادف في اللغة العربية،من حيث وُروده ووقوعه، ومرد هذا الخلاف في الأصل راجع لعوامل جمع العربية، وتدوينها، نتيجة التداخل الكائن في شتى لهجاتها، واتساع بيئتها، بيد أن الخلاف المشار إليه متعلق باحتمال وقوعه في اللغة العربية من عدمه، إلا أن الترادف في القرءان الكريم لا يماثل وقوعه في اللغة العربية، باعتبار الخصوصية الدلالية الخاصة بالنص القرءاني المقدس.

والترادف من الوجهة اللغوية هو التتابع، وترادف الشيء، تبع بعضه بعضاً، ويقال رَدِفْتُ فُلاناً ،أي: صِرْتُ له رِدفاً، والرِدف بالكسر؛ المرتدف، وهو الذي يركب خلفه الراكب، وردف المرأة عجزيتها، وكل شيء تبع شيئاَ فهو رِدْفُهُ، وهذا أمرٌ ليس له رِدفٌ، أي: ليس له تَبعٌ ، والرادف المتأخر، والمُرْدَفُ المتقدم الذي أردف غيره، وأردفته، حملته على ردف الفرس، والرِدافُ: مركب الرِدف ،ودابةٌ لا تُرَادِف ولا تُردَف، وأَرداف الملوك: الذين يخلفونهم، ويقال: الليل والنهار ردفان، لأن كل واحدٍ منهما يردف صاحبه، أي: يتبع أحدهما الآخر، وقد سَموا ضرباً من القوافي في الشِعر والعَروضِ بـــ : المترادف، وهو كل قافيةٍ اجتمع في آخرها ساكنان؛ سُمي بذلك لأن الغالب في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكنٌ واحد، فلما اجتمع ساكنان، كان أحدهما ردف الآخر ولاحقاً به، والمترادف أن تكون أسماء لشيء واحد[1]، وفي التتريل العزيز قوله: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وأما في مفهوم الترادف كظاهرة في الاصطلاح والتواضع، فَأَحَدِدُ ماهيتها من خلال ما قدمه القدامى من علماء العرب ، حيث نجد عندهم « أن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة، ويمكن أن يسمى بأكثر من

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق ،مادة: " ردف"، ج2،ص:211،و ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:" ردف"، ج2،ص:134.

[2] سورة النمل ،الآية: 72.

صفة من صفاته، وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تباعاً لتلك الوجوه والصفات، ومن هنا ينشأ الترادف وهو تعدد اللفظ للمعنى الواحد»[1]، فتحدثوا على ماكان له وجوهاً وصفاتٍ متعددة.

ويعرفه الجرجاني بقوله:« ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب، واللفظين راكبان عليه، كالليث و الأسد»[2]، ويعرفه الرازي قائلا :« هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحدٍ»[3]، ولعل ما يفسر هذا من التعاريف الواردة، مرده التعدد الحاصل بين القبائل في وضع المسميات الدالة على معنى واحد، أو ربما قد يرجع إلى اعتبارات اللفظ التي يقصدها المتكلم دون ملاحظة الفرق بين الألفاظ المترادفة لمعنى واحد، كقول عامة الناس مثلاً: لفظ الدار، والمترل والسكن البيت، فسُمِيت الدار داراً كونُها مستديرة في الأصل، أو كونها مكاناً للترول بالنسبة لأهل البادية أو المسافر، أو كونها موضعاً للسكينة والإطمئنان، أو كونها مكاناً للبيتوته؛ وكل لفظٍ من هذه الألفاظ يدل على المقصود نفسه بأحد هذه الاعتبارات.

وأهل الأدب والبلاغة وحدهم قد يراعون في استعمالهم أحد هذه الألفاظ معناها الأصلي[4]، فيتحدد من هذا القول اعتبارات اللفظ المقصودة من طرف المتكلم، وغير ذلك.

إن من بين أهم عوامل الاتساع والتوسع اللغوي، هو عامل الترادف كونه ظاهرة دلالية ذات تأثير دلالي، وهذا ما نلمسه من الثروة اللفظية في شتى مجالات التعبير والإفصاح عن الأفكار بواسطة الكلام واللفظ.

ولي أن أورد في هذا المقام فائدة من فوائد الترادف، عند أصحاب أمراض النطق، خصوصاً أصحاب اللثغة في نطق حرف الراء، حيث يُتيح لهم الترادف من تجاوزها بتوظيف ألفاظٍ أخرى لا تشتمل على الحرف «راء»، والقصة الشهيرة لواصل بن عطاء في هجائه لبشار، الذي وصفه بالغزال صاحب العنق الطويل كذكر النعام...،وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة في الراء، فرد على بشار بن برد بقولٍ تجنب ذكر الراء ، إذ قال: « أَمَا لهذا الأعمى الملحد المشنَّف المكنى بأبي معاذٍ من يقتله، أَمَا والله لولا أن الغيلة سجيةٌ من سجايا الغالية، لبعثتُ إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف مترله، وفي يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه، إلا عقيلي أو سَدوسي»[5]، وفي هذا إشارة إلى عظيم أثر الترادف في الوصف اللغوي والتوسع فيه، وتجاوز عيوب

---

[1] الثعالبي، فقه اللغة وخصائص العربية، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، 1980، ص: 200.

[2] الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ج1، ص: 253.

[3] السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مصدر سابق،ج1،ص: 314.

[4] الثعالبي، فقه اللغة وخصائص العربية، مصدر سابق ، ص: 200.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،ط:1972،ج6، ص:8.

النطق، فحين لم يستطع أن يقول له في هجائه: بشار وابن بردٍ ، والمرعث، جعل كلمة المشنف بدلاً من المرعثِ، و الملحد بدلاً من الكافر، وقال لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، و لم يورد في قوله المنصورية ولا المغيرية؛ لمكان الراء، وقال كذلك لبعث إليه من يبعج بطنه، و لم يقل لأرسلت إليه، وقال على مضجعه ، و لم يقل على فراشه[1] ، فوظف الترادف خشيةً واتقاءً لذكر الراء ، ولولا هذه الفسحة اللغوية لعجز عن التعبير عن أحاسيسه، نظراً للثغته المخلة بنطقه السوي.

ولقد كثرت الأقوال في مسألة الترادف ووقوعها في العربية، أو في كلام الله عز وجل لدى العلماء بين منكر ومثبت، بيد أن مرد هذه الوفرة من الأقوال؛ أساسه تلك الظروف التي عرفتها قضية جمع اللغة وتدوينها، باعتبار التداخل الواقع في اللهجات، واتساع البيئة اللغوية للمفردات، ثم اتفاقها في صورة موحدة قائمة في أساسها على ما نزل به القرآن الكريم، لكن وقوعه عند من قال به، شيءٌ محتملٌ في اللغة، وفي القرآن الكريم عموماً مع فارق التشبيه والاختلاف بين اللغة وكلام الله طبعاً، وهذا استخلاصاً للخصوصية الدلالية المتصف بها النص القرآني في تركيبته ونظم إعجازه .

ولو شِئْناَ الفهم أكثر والتعمق في تحديده بدقة كظاهرة لغوية، فلا يَسَعنا سوى العودة إلى مفهوم الترادف من جهة الاصطلاح والمواضعة، إذ نَجد أن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة متعددة، ويمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته، وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تباعاً لتلك الوجوه والصفات[2]، وهذا تعريف سبق وأن أوردته، غير أنني استنتج به ههنا ما مفاده؛ أنه قد ينشأُ ويَلِد الترادف وقضاياه المتمثلة في تعدد اللفظ لمعنى واحد.

وربما كان تعدد الاصطلاح والتواضع على المسمى سبباً يضاف إلى هذا في وقوع الترادف، إذ تختلف القبائل والأقوام في إطلاقها تسميةً دالة على شيء ما، أو بسبب اعتبارات اللفظ التي يتلفظ بها المتكلم دون مراعاة منه لتلك المساحات الفروقية بين الألفاظ المترادفة التي يُقصد بها معنى واحد، وهو الأمر الحاصل عند غالبية المتكلمين وعامتهم، لكن الخاصة منهم ولمعرفتهم الدقيقة باللغة، فهم وحدهم من يُراعي في استعماله ما قصده بلفظه من معنى، كلفظ : الدار والمترل، والمسكن والبيت، كما مَثَلْتُ سابقاً، والتي يظهر من خلالها

[1] المصدر نفسه، ج6،ص:8.

[2] ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وخصائص العربية، مصدر سابق، ص: 200.

للمتكلم العامي أنها سواء في المعنى، غير أن القصد السليم لهذه الالفاظ يدل على المقصود بأحد اعتبارات التأويل للفظ.

واعْتُبِرَت ظاهرة الترادف من الظواهر الدلالية ذات الأثر الهام الدلالي في شتى اللغات، كونه يعمل على التوسعة اللغوية لها، وما توسع لغتنا العربية، إلاً دليلاً واضحاً على الثروة اللفظية التي يقدمها الترادف، والتي من خلالها يمكن للمتكلمين توسيع مجال التعبير عن أفكارهم وخواطرهم، ومن هنا فمن الواجب ذكره تلك العناية التامة لعلماء العربية القدامى بظاهرة الترادف، من خلال أعمالهم وجهودهم وأفرادهم لها الكتب المستقلة، ككتاب الأصمعي: فيما اختلفت ألفاظه، واتفقت معانيه، وككتاب الرماني: الألفاظ المترادفة ،وغير هذين كثيرٌ، وتخصص ابن جني في هذا أكثر من غيره، وخصص باباً كاملا أطلق عليه: باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني[1]،وبين من خلال هذا الباب العظيم الفائدة، أن الترادف واقِعٌ مُثْبَتٌ في اللغة العربية، وهو حَسنٌ كثير المنفعة، قوي الدلالة، رداً منه بذلك على منكري الترادف، ويرى أن استعمال الحروف بعضها مكان بعضٍ شهادةً على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد.

وسار ابن جني في هذا على نهج علماء مُقِرون بوقوع الترادف ممن سبقوه، كابن خالويه مثلاً، حين تأكيده على وجود أسماء للسيف والعسل، فاعتبر أنه لا ينكر السامع الترادف إذا سمع : الصارم، المنهد، الحسام المشرفي، الرمح السمهري، لأنه لا يخطر بباله إلاً تلك الآلة المستعملة في الضرب والنِزال، باعتبار أن هذه الأسماء الموضوعة للسيف أُخِذَت إما من عمله، كاستعمال الحسام لحسم الأمر مثلاً، وإما من بَلَده فَنُسِبَ إليها، كالمهند إلى بلد الهند، وإما من لونه كالأبيض...[2]، وهذا الذي أنكره أبو علي الفارسي حينما اعتبر تلك الأسماء صفات، و وافق ابن فارس أبا علي، مبيناً أن الاسم واحدٌ وما بعده صفات.[3]

ومنهم من يرى أن هذه المسميات المتعددة للسيف مثلاً، ما هي إلا توسيعاً في التعبير، من خلال تلك الصفات التي اكتسبها السيف من استعمالات، وأنكر أبو علي الفارسي ، وابن درستويه وغيرهما من منكري الترادف مطلقاً، حيث يرون أنه ما ثمة ترادفٌ في اللغة قط، فلا يوجد لفظان يظن السامع أنهما مترادفان، إلا ويوجد بينهما فرق في المعنى، كما في أسماء السيف، لأن المعنى يتضح بلفظٍ واحد.[4]

---

[1] ينظر: ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص: 113- 116.

[2] ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص: 244.

[3] ينظر: محمود عكاشة ، الدلالة اللفظية، مرجع سابق ، ص: 51.

[4] ينظر: عبدالكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام ، مرجع سابق، ص: 278.

5ــ الترادف في تفسير الشيخ هود بن محكم و أمثلته:

أجد المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري، من مقري الترادف ووقوعه في اللغة العربية، وفي القرءان الكريم ، من خلال ما اعتمده في تفسيره من عبارات وكلمات مترادفة دالة على ميله إلى رأي فريق مثبثي الترادف ، ونلمس هذا جلياً في كثيرٍ من معالجة و تحقيق بعض الألفاظ والمفردات معالجة دلالية عنده في عمله التفسيري، مبرزاً تلك المساحات الدلالية بين كثيرٍ منها ، و من أبرز ما يمكن لي به البرهنة على رأيه في القول بوقوعه الترادف في القرءان الكريم، وقوفي على بعض المفردات المفسرة عنده في تفسيره، الدالة على حكمه في القول بالترادف كمبحث دلالي له أثره في فهم المقصود من كلام رب العالمين، غير أني أحيانا ألمس في تعامله مع كثيرٍ من المفردات المترادفة، أنه مُثبتٌ لوقوع الترادف في القرءان الكريم ، وفي اللغة العربية بلا توسع فيه، وما نخلص إليه من خلال تحليله الدلالي أن موقفه من الظاهرة الدلالية هذه موقفا وسطاً ، ومن أبرز تلك المفردات المترادفة في تفسيره، والتي أثبت بها حكم وقوع الترادف، وبين بها أثره في العملية التفسيرية، وما يتوخى منها ، أذكر مثلاً :

ــ مفردتي: «أبق » ، « فَرَّ».

يقرر الشيخ هود بن محكم في المفردتين قوله بعلاقة الترادف بينهما، حيث قال في تفسير موطن ذكرهما ما يفهم منه ذلك، فقال في مفردة: « أَبَقَ» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ ﴾[1]، مبيناً وجه الترادف بين مفردتي: أبق، وفر ،« إذ أبق إلى الفلك المشحون ،أي: الموقر بأهله، فَرَّ من قومه إلى الفلك...»[2]، فالشيخ هود بن محكم هنا يعتبر مفردة: « أبق» من المترادفات التي بينها تمايز أحياناً في المعنى، وفسرها بقوله: (فَرَّ)، وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: « أَبَقَ العبدُ يأبَقُ إِباقاً، وأبق يأبِق إذا هرب...»[3]، وعند ابن فارس: « قال أبو زيد: تأبق الرجل: استتر...»[4] ويقول أبو البقاء في الإباق: « هو هروب العبد من السيد خاصة، ولا يقال للعبد آبق، إلاّ إذا استخفى وذهب من غير خوفٍ ولا كد عمل ، و إلا فهو هارب...»[5]، والذي يمكن أن نستنتجه من خلال هذه الأقوال كلها إن: « الإباق» خاص بالعبد

---

[1] سورة الصافات، الآية: 140.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 3، ص: 404.

[3] الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة: " أبق"، ج1،ص:36.

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: "أبق"، ج1، ص: 38.

[5] أبو البقاء الحنفي ، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، ص: 32، 33.

المفارق لسيده، لا عن خوف منه، ولا عن كد عمل له، وهو فعل مقترن بالتستر، ولقد أشار صاحب البحر المحيط إلى ما يحقق هذا حين قوله في تفسير هذه الآية:«...قيل: ولَحِقَ يونس غضبٌ، فأبق إلى ركوب السفينة فراراً من قومه، وعبر عن الهروب بالإباق، إذ هو عبد الله خرج فاراً من غير إذن من الله»[1].

وفي دلالة المفردة: « فَرَّ» ،يقول ابن فارس: « الفرار وهو الانكشاف»[2]، وهنا اثبات للترادف بين الفرار والانكشاف عندهم، ويصاحب معنى الخوف الانكشاف في الاستعمال القرآني، وهذا الذي يمايز الفرار عن الإباق، والفرار متعلق به ثلاث مراحل، الانكشاف، فالخوف، فالهرب، وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾[3]، فالحُمُر انكشف لها الأسد، فخافت، فهربت مسرعة إلى مكان آمن، ولو كان بعيداً[4].

وعليه فإن الفرار تحيط به معاني الظهور، عكس الإباق المحيط به التستر، إلا أن الذي نخلص إليه إن الإباق والفرار لفظين متقاربين في المعنى متلازمين في الدلالة.

وأجد الشيخ هود بن محكم قد أقرَّ بأهما من المترادفات، ولكنه أحياناً يفرق بين اللفظتين، معتبراً أن لكل لفظة دلالة خاصة، حسب السياق الذي ترد فيه، ومن هذا يتضح كلامه أنه ينفي وجود ترادف تامٍ بينهما في المفردتين ، ويضيق من مجاله، خاصة في القرآن الكريم، فهو بهذا يعطي كل لفظة دلالة خاصة بها تميزها عن الألفاظ الأخرى المقاربة لها في المعنى بحسب السياق الواردة فيه.

ـــ مفردتي :« اصطفى »، « اختار».

وكذا الأمر حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ﴾[5]، إذ قال: « اصطفى، أي: اختار آدم ونوحاً للبلاغ عن الله الرسالة...»[6]، فنلمس من خلال تفسيره ذلك الترادف الحاصل بين الاصطفاء والاختيار والتقارب في المعنى.

أما دلالة الاختيار فيقول فيها ابن فارس: « الخاء والياء والراء، أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه »[1] ، وعند الراغب هو طلب ما هو خير وفعله، وأخذ ما يراد المرء خيراً

[1] أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق ، ج8، ص: 375.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص: 439.

[3] سورة المدثر، الآية: 51.

[4] ينظر: محمد نورالدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت،الطبعة2، 2007، ص: 138.

[5] سورة آل عمران، الآية:33.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج1، ص: 232.

[2]، ويشير صاحب الفروق في اللغة إلى هذا بقوله: « اختيارك الشيء أخذك خير ما فيه في الحقيقة، أو خيره عندك»[3]، وكذلك فإن الدلالة الصرفية ومقتضاها تلزم الاختيار صيغة: افتعل في مقابل اختار، وهي دالة على الاتخاذ، ومنه يكون الاختيار بذلك اتخاذ ما فيه الخير .

وأما الاصطفاء فهو أعم وأشمل، وهذا الذي يفهم من ظاهر قول الراغب الأصفهاني حين جمعه بين المعنيين: الاختيار والاصطفاء، فقال:« والاصطفاء تناول صفو الشيء ، كما أن الاختيار تناول خيره»[4]، وهو قبل هذا جذرٌ دالٌ على الخلوصِ من كل شوب وزيف، وعلى إثر هذا، فإن الاختيار ودلالته، هو اتخاذ الشيء نظراً لما فيه من الخير، والاصطفاء اتخاذ الشيء نظراً لما فيه من الصفو، ومن ثمة كان إقرار الشيخ هود بن محكم بذكره لهما في تفسيره دلالة متلازمة من باب الترادف.

ـــ مفردتي: « آلى» ، «حلف».

إني لأجد الشيخ هود بن محكم يقر بوجود علاقة الترادف بين المفردتين: « آلى، حلف »، وذلك في أكثر من موضع من تفسيره، عند بيانه لدلالتهما، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[5]، حيث قال:« ولا يأتل ، أي: يحلف أولو الفضل منكم والسعة، يعني: الغني»[6]، وقوله كذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾[7]، أي: يحلفون، قال بعضهم: كانوا في الجاهلية وفي صدر الإسلام يغضب أحدهم على امرأته، فيحلف بالله لا يقربها كذا وكذا، فَيَدَعُهَا لا أيِّماً، ولا ذات بعلٍ، فأراد الله أن يعصم المؤمنين عن ذلك بحدٍ يَحُده لهم، فحَدَ لهم أربعة أشهر، والإيلاء الحلف[8]، ومحل الشاهد ههنا ،هذه العبارة الأخيرة منه ،دالاً بها على ذكر الحلف من مرادفات المفردة.

يقول ابن فارس: « يقال: يؤلي ويألي ...، قال الفراء: ائتلى الرجل، إذا حلف»[9]، ومن هنا نجد أن الفراء لا يرى تفرقة بينةً بين المفردتين، وهو الأمر ذاته عند الراغب في تحقيقه للمفردة، حين قوله : « حقيقة الإيلاء،

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: " خير"، ج2، ص: 232.

[2] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: " خير" ، ج3،ص:96.

[3] أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق، ص: 279.

[4] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: " صفو" ، ج4،ص:147، وينظر: أبوهلال العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق، ص: 279.

[5] سورة النور، الآية: 22.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3، ص: 147.

[7] سورة البقرة ،الآية: 227.

[8] ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص: 200.

[9] ابن فارس، مقايس اللغة، مصدر سابق ،مادة: (آلى)، ج1، ص: 128.

والألية الحلف المقتضي للتقصير في الأمر، آلى يحلف عليه، وجُعِل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة »[1]، والباحث في دلالة المفردتين، يدرك أنهما وردتا في القرءان الكريم دالتين على ما أورده الراغب من الجمع بين الحلف والتقصير، وذلك كما مر في الآية الكريمة، واللفظ في الآية يستفيد معناه من اللفظين معاً الحلف والتقصير ، فهو كما ذكر الراغب حَلفٌ على تقصيرٍ في العطية، قيل أنها نزلت في سيدنا أبي بكر، وكان قد حلف على ابن خالته مُسطح بن أثاثة، ألا ينفق عليه بعد حادثة الإفك[2]، وبذلك يكون حلف على امتناعٍ وتقصيرٍ، وفي هذا خصوصية معنى .[3]

وفي الآية الثانية، فالإيلاء فيها حلفٌ على امتناعٍ وتقصيرٍ أيضاً، إلا أنه ذو خصوصية شرعية[4]، وقال أبو حيان في البحر المحيط: « ... كل يمين منعت جماعاً فهي إيلاءٌ، وبه قال النخعي، والثوري، وأبو حنيفة، وأهل العراق، ومالك، وأهل الحجاز»[5]،فدلوا كلهم بإجماع على هذه المعاني اللغوية المذكورة.

وانطلاقاً مما توافر؛ أجد الشيخ هود بن محكم الهواري، قد أقر بوجود علاقة الترادف بين المفردتين:«آلى، وحلف » ،مُفسراً ذلك بأنه حلفٌ يقتضي تقصيراً في الشيء الذي يحلف عليه، أما الإيلاء فهو مصطلح شرعي يدل على حلف يقتضي امتناع الرجل عن إتيان زوجه خاصة.

وفي الحلف يقول ابن فارس: الحاء واللام والفاء، أصلٌ واحدٌ، وهو الملازمة ...، يقال حَلَفَ يحلِفُ حَلفاً، وذلك أن الإنسان يلزمه الثبات عليها، والحلف هو القسم على ترادف بينهما[6]، فخص دلالة الحلف أن من مقتضياتها الملازمة ، و ذهب الراغب إلى أن الحلف أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم بها العهد ثم عبر به عن كل يمين[7]، وهذه المعاني والدلالات أقرها الشيخ هود بن محكم الهواري في مواطن الحلف الواردة في الآيات.

ـــ المفردات: «إمامٌ، مسطور، سِفْرٌ».

ومن جهة ثانية ألمس شيئاً من علاقة الترادف عند الشيخ هود بن محكم في مفردات ثلاث، متمثلة في مفردة: « إمام، ومسطور، وسِفْر»، وذلك باعتبار التفسير الموحد الذي ذكره لها في تفسيره، معتبراً اياها بدلالة: "الكتاب"، مما جعلني أفهم إقراره بترادفها، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق ، مادة:(آلى)، ج1، ص:96.

[2] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(آلى)، وينظر : أبو حيان ، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6،ص: 128.

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، الترادف في القرءان، مرجع سابق، ص: 172.

[4] ينظر: محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص:173.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق ،ج2ص:181.

[6] ينظر: ابن فارس، مقايس اللغة ، مصدر سابق، مادة:(حلف) ، ج2 ،ص: 92.

[7] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:" حلف"، ج1،ص:197.

﴾ [1] ، « أي بكتابهم، أي ما نسخت عليهم الملائكة من أعمالهم »[2]، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[3]، « أي: في كتاب بين، وهو اللوح المحفوظ »[4]، وهو المعنى والدلالة ذاتها التي وجدتها عند الراغب ضمن قوله: «... الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدي بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقاً أو مبطلاً »[5]، إلا أنه ما يفهم من ظاهر كلام الراغب أن دلالة: إمام على معنى: الكتاب غير أصيل، وإن كان المعنى ثابتاً، فهو من باب معنى القدرة.

ويرى أبو عبيدة أن دلالة: الإمام على الكتاب دلالة خاصة بلسان قريش أو حُمير[6]، وهذا الذي أراه تعليلاً موضوعياً، استناداً للغة العرب وتنوعها، وإني بالشيخ هود بن محكم لم يتطرق لهذه الحيثيات والتفاصيل وبيان العلل للمفردتين حين اكتفى بإثبات ترادفهما من خلال تفسيره الموحد فقط، وفي أكثر من موضع كان مؤكداً على هذا المعنى، كما الأمر عنده من تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾[7]، «أي: مكتوبا»[8]، وكذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ ﴾[9]، « أي: مكتوب»[10]، فنفهم من خلال هذه المواطن التفسيرية له، أن المفردة عنده بمدلولٍ واحدٍ.

يقول ابن فارس: « السين والطاء والراء، أصلٌ مطردٌ يدل على اصطفاف الشيء ، كالكتاب والسفر، وكل شيء اصطف »[11]، ومن هنا اعتبر ابن فارس السطر أنه الشيء المصطف ، ومثل له كالكتاب ، وبه يفهم أنه بدلالة الكتاب عنده، وهذا الذي ذكره الشيخ هود بن محكم حين تفسيره مفردة:« مسطور»، والشيء نفسه ألفيته عنده بخصوص المفردة الثالثة التي أشرت بوجود الترادف بينها ،وهي مفردة: «سفر»، لذلك قال في

[1] سورة الإسراء، الآية: 71.

[2] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص:428.

[3] سورة يس، الآية: 12.

[4] تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم، ج3، ص: 376.

[5] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(أم) ، ج1، ص:93.

[6] المصدر نفسه، مادة:(أم) ، ج1، ص:93.

[7] سورة الإسراء، الآية: 58.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:422.

[9] سورة الطور، الآية: 1

[10] ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، لغات القبائل الواردة في القرآن، منشورات قسم الكتاب والسنة، بغداد، دط، دت، ج1، ص: 158، وص: 171.

[11] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة:(سطر)، ج3 ،ص:72.

تفسيره لقوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾[1]، فقال :« والأسفار: الكتب»[2]، شبههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب الله لم يَدْر ما حُملت عليه، وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ ﴾[3]، « أي :كتبه ، يعني الملائكة »[4]، فدل بها على معنى: الكتاب.

يقول ابن فارس : « السين والفاء والراء، أصلٌ واحدٌ، يدل على الانكشاف والجلاء ....، والسِفْرُ: الكتابة، والسَفْرَة الكتبة، ويسمى بذلك لأن الكتابة تُسفر عما يحتاج إليه من الشيء المكتوب»[5]، وخلاصة الأمر أن المعنى الذي أورده الشيخ هود بن محكم في تفسير كل من مفردة: « إمام ،ومسطور ،وسفر»، يتجلى لنا به إقراره بالترادف بين هذه المفردات الثلاث.

– المفردتين:« آنس» ،« رأى».

أجد كذلك لدى الشيخ هود بن محكم شيئاً من علاقات الترادف التي أقر بوجودها في كلام الله عند جعله الترادف بينها، وذلك حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا ﴾[6]، حيث قال: فإن آنستم: أي رأيتم منهم رشداً، أي صلاحاً في دينهم[7]، وكذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾[8]، قال بعضهم: إني أحسست ناراً، وقال في آية أخرى: ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا ﴾، أي: رآها ناراً عند نفسه،...، وإنما كانت نوراً [9]، فالشيء الذي يمكن ملاحظته من تفسير الشيخ هود بن محكم لمفردة: « آنس»، أنه جعلها بدلالة: رأى، وذلك في أكثر من موضع.

يقول ابن فارس:« الهمزة والنون والسين، أصلٌ واحدٌ، وهو ظهور الشيء ،كل شيء خالف طريقة التوحش...»[10]، ويرى الراغب في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا ﴾، أنه بمعنى: أبصرتم أُنساً بهم[11]،

---

[1] سورة الجمعة، الآية: 05

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج4ص:320.

[3] سورة عبس، الآية: 16.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 426.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (سفر) ج3 ، ص: 82،83.

[6] سورة النساء، الآية: 06.

[7] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1،ص: 316.

[8] سورة النمل، الآية: 07.

[9] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص:217.

[10] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة:(آنس) ،ج1،ص: 145.

[11] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(آنس)، ج1، ص: 65..

وكأني بالراغب يضيف مفردة أخرى إلى ما أورده الشيخ هود بن محكم متمثلة في: الإبصار ،أو مفردة البصر، وفي هذا المقام أجد اختلافاً للآراء وتعددها في تحديد دلالة:« آنس» تحديداً دقيقاً ، باعتبار أن للمفردة فروقات وتقاطعات مع غيرها من المفردات ،كالرؤية، والبصر والإحساس والنظر، ومن تلك الأرآء ما ألفيته عند أبي حيان في تفصيله لدلالة مفردة: آنس، فقال: إني آنست، أي: أحسست، والنار على بعدٍ لا تُحَس إلاّ بالبصر، فلذلك فسره بعضهم: برأيت، والإيناس- عنده- أعمُ من الرؤية، ومثل لذلك إيضاحاً بقوله: لأنك تقول: آنست من فلانٍ خيراً...[1] ، ويقول محمد نور الدين المنجد: والذي نميل إليه، هو الإيناس إحساس بما يؤنس به، قد يكون هذا الإحساس عن طريقة حاسة البصر، أو عن غيرها [2] ،وبذلك نجد للفظ آنس عند الشيخ هود بن محكم خصوصية متقاطعة مع مفردة: رأى، باعتبار دلالتهما الموحدة لديه.

– المفردات :« بَئِيْسٍ، شديد، رابية، عصيبٌ، وبيلٌ ».

ومما سوى فيه الشيخ هود بن محكم الدلالة، وجعله من الترادف كذلك، ألفاظٌ خمسٌ، فجعلها بدلالة: الشديد، وهي: « بئيس، رابية، شديد، عصيب، وبيل».

أما المفردة الأولى فوردت مرة واحدة في قول المولى تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٥ ﴾[3]، وتقرأ في رواية ورش بتسهيل الهمزة، فقال الشيخ هود بن محكم في تفسيرها: بعذاب أليم شديد...[4]، فجعل مفردة: « بيئس » بمدلول: شديد، ويذكر ابن فارس قوله في هذا فيقول:« الباء، والهمزة، والسين ، أصل واحد، وهو الشدة وماضارعها »[5]، وهو الرأي ذاته عند الراغب في قوله: « البؤس والبأس، والبأساء، الشدة والمكروه ...، وعذاب بئيس فعيل من البأس أو البؤس...»[6] ، وتفسير مفردة: بئيس، بلفظة: شديد، قال به جمهور اللغويين والمفسرين ،إلا أبو عبيدٍ، الذي رد هذا التفسير إلى لغة أهل غسان بوجه خاص[7]، والذي وجدته عند الشيخ هود بن محكم أنه أشار إلى مدلولها وأكد عليها بالشدة والشديد في أكثر من موضع، وهذا الذي يتضح لنا من خلال تفسيره للمفردة الموالية، والتي جعلها مرادفة لها، والواردة في قوله

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6، ص:230.

[2]ينظر: محمد نور الدين المنجد ، الترادف في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 68.

[3]سورة الأعراف، الآية: 165.

[4]ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص: 56.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (بئس)، ج1،ص: 328.

[6] الراغب الإصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(بؤس)،ج1،ص:328.

[7]ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(بأس)،ج1،ص:298، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج4،ص:412، وينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، لغات القبائل الواردة في القرآن ، مرجع سابق، ص:106.

تعالى: ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ ﴾[1]، فقال مفسراً ومبيناً لدلالة المفردة: « رابية » ، أي: « ...أخذة شديدة »[2]، وفصل أبو عبيدة في المجاز في قوله تعالى: ﴿ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ ﴾، نامية زائدة شديدة، من الرباء.[3]

وأجد ابن فارس هاهنا يشير ويذكر معاني أخرى للمفردة، وذلك يفهم من قوله: « الراء والباء والحرف المعتل، وكذلك المهموز، يدل على أصلٍ واحدٍ، وهو الزيادة والنحو والعلو »[4]، إلا أن الشيخ هود بن محكم ربما قد استند إلى أقوالٍ في ذلك مغايرة لما أورده ابن فارس والراغب الاصفهاني في كون مفردة: « رابية » ، بمعنى: شديدة، واعتمد على لغة من لغات العرب، خصوصاً إذا علمنا أن رأياً لأبي عبيد أثبت فيه دلالة: الرابية بمعنى شديدة ، وقال هي بلغة حُمير[5].

أما المفردة الثالثة المتقاطعة مع مما سبق ذكره في الترادف لدى الشيخ هود بن محكم، هي مفردة: « عصيب »، والواردة مرة واحدة فقط في القراءان الكريم، وذلك في قول المولى تعالى: ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧ ﴾[6]، فقال مفسراً لها: «... يومٌ عصيبٌ ، أي: يومٌ شديدٌ »[7]، وقد فسر أبو حيان " اليوم العصيب" بالشديد كذلك[8]، وفي هذا يقول ابن فارس:« العين والصاد والباء، أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على ربط شيء بشيء، والعصب الطي الشديد ...، واليوم العصيب، الشديد»[9]، ومن هذا نفهم إن ابن فارس قال بدلالة: العصيب على الشديد، وانتهج الشيخ هود بن محكم المنهج نفسه في الدلالة ذاتها.

أما المفردة الرابعة، فهي مفردة:« وبيل» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ ﴾[10]، فقال الشيخ هود بن محكم في تفسيرها:« أي: عظيماً، والوبيل، الشديد، وقال مجاهد: وبيلاً،

---

[1] سورة الحاقة، الآية: 10

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر ساتبق،ج4،ص: 365.

[3] ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، مصدر سابق،ج2 ،ص:267.

[4] ابن فارس، مقايس اللغة ، مصدر سابق ، مادة:(ربي) ،ج2 ،ص:482.

[5] ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، لغات القبائل الواردة في القرآن، مرجع سابق، ص: 290.

[6] سورة هود، الآية: 77.

[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص:237.

[8] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ، مصدر سابق،ج5 ،ص: 247.

[9] ابن فارس، مقايس اللغة، مصدر سابق ،مادة:(عصب)،ج4، ص:336.

[10] سورة المزمل، الآية: 16.

شديدا »[1]، ويقول ابن فارس في هذا الأصل:« الواو، والباء، واللام، أصلٌ يدل على شدة الشيء... ،والوابل المطر الشديد، والوبيل الضرب الشديد..»[2]، وأجد المعنى نفسه الذي أشار إليه ابن منظور في اللسان حين استشهد بالآية السابقة الذكر على معنى: الشدة في اللفظ[3]، وهذا الذي ذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره للآية، حين استجمع قول ابن عباس، ومجاهدٍ ، وقتادة والسدي ، والثوري في قول الله تعالى: ﴿ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ أي: شديدا[4].

والذي نخلص إليه من خلال سرد جزء ما تعلق ببعض هذه المفردات، وعلاقة ترادفها، أن الشيخ هود بن محكم قد قال بترادفها من خلال تفسيره الموحد لها.

– المفردتين: «بخل»، «ضنين».

وكذلك نلمس شيئاً من المساحات الدلالية الترادفية عند الشيخ هود بن محكم، بين مفردتين قرءانيتين، وذلك في: المفردتين:« البخل» ، «ضنين»، حيث قول الراغب في المفردة: «... البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، يقال: بخل فهو باخل، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل ...، والبخل ضربان، بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذماً »[5]، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[6]، إذ فسرها ههنا الشيخ هود بن محكم مستنداً في ذلك ومدعماً قوله فيها : « قال الحسن: هم اليهود منعوا حقوق الله في أقوالهم»[7]، ذلك أنه يفهم من خلال قوله: منعوا، أنهم بخلوا، وهذا الذي أجده عند صاحب الكليات حين يرى أن البخل هو المنع[8]، وحدده الجزائري مثلاً بدلالة: منع المال خاصة[9]، وقد وردت المفردة: «بخل» في أكثر من موضع في القرآن الكريم دالة على المعنى المتقدم، ونقل أبو حيان أرآء بعض المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرًا لَّهُمۖ ﴾ [10]، إذ قال:«

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4، ص: 389.
[2] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق، مادة:(وبل) ،ج6،ص:82
[3]ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق، مادة:(وبل)،ج11،ص:125..
[4] ينظر: ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، مصدر سابق، ج4 ص564.
[5]الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(بخل)،ج1،ص:247.
[6]سورة النساء، الآية: 37.
[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص: 345.
[8]ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، مصدر سابق، ص: 242.
[9]ينظر:نور الدين بن نعمة الله الحسني ، فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، دار الكتب العلمية، بيروت،طبعة:2003، ص: 53.
[10]سورة آل عمران، الآية: 180.

...قال السدي وجماعةٌ؛ نزلت في البخل بالمال والإنفاق في سبيل الله ...،وقيل مانعي الزكاة المفروضة، قاله ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس، وقيل في النفقة على العيال وذوي الأرحام، ومناسبتها لما قبلها، أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد في الآيات السابقة، شرع في التحريض هنا على بذل الأموال في الجهاد وغيره، وبين الوعيد الشديد عمن يبخل، والبخل الشرعي عبارة عن منع بذل الواجب»[1].

ويقول محمد نور الدين المنجد معلقاً على هذه الأقوال الثلاثة التي نقلها أبو حيان في ما ذكره من مناسبة الآية لما قبلها، أن البخل منع المال خاصة عن مستحقيه[2]، وكل هذه المعاني والدلالات أكد عليها الشيخ هود بن محكم حين تعرضه لهذه الآيات المتضمنة لمفردة:« البخل»[3].

وأما بالنسبة لما جعله الشيخ هود بن محكم من مرداف البخل مفردة: « ضنين»، حيث يقول فيها ابن فارس: «الضاد والنون أصلٌ صحيح يدل على البخل بالشيء»[4]، واعتماداً على هذا القول، يفهم بأن الضن والبخل، عند ابن فارس من المترادفات.

إلا أن أبا هلال العسكري يلمس فروقاً دلالية بين المفردتين بأن:« الضن يكون بالعواري، والبخل بالهيئات..، ولهذا نقول هو: ضنين بعمله، ولا يقال: بخيل بعلمه، لأن العلم أشبه بالعارية منه بالهبة، وذلك أن الواهب إذا وهب شيئاً خرج من ملكه، فإذا أعار شيئاً لم يخرج أن يكون عالماً به فأشبه العلم العارية، فاستعمل فيه من اللفظ ما وضع لها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[5]، ولم يقل ببخيل»[6]،ومن ثمة فأن البخل لم يخرج من الملكية والضن لما لا يخرج عنها حسب ما قاله أبو هلال العسكري في الفروق بين المفردتين.

ولقد فسر الشيخ هود بن محكم قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾، بقوله: أي: ببخيل، أي لا يبخل عليكم به، أي: الوحي والغيب[7]، وبهذا نجد الشيخ هود بن محكم ألغى كل تلك الفروقات الدلالية التي قد تنفي الترادف بين المفردتين، جاعلاً منهما بقوله وبتفسيره مترادفات لبعضهما البعض.

---

[1] أبو حيان ، البحر المحيط، مصدر سابق، ج3، ص: 127.

[2] ينظر: نور الدين المنجد ، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق ،ص:188.

[3] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:306، وج1، ص:345، و ج4، ص: 155.

[4] ابن فارس، مقايس اللغة ، مصدر سابق، مادة: (ضن)،ج3 ،ص: 357

[5] سورة التكوير ،الآية: 24.

[6] أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق ، ص: 169،170.

[7] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص:432.

ـــ المفردتين: « بدن »، «جسد» .

وأني لأجد عنده كذلك شيئاً من الترادف الحاصل بين المفردتين القرءانيتين: « بدن، جسد » ،ذلك أنه اعتبر دلالة البدن تحمل معنى: الجسد، وهذا الذي يفهم من ظاهر قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[1]، حيث قال فيها، « أي: بجسدك»[2] ، معتبراً بذلك دلالة البدن هي الجسد نفسها، مضمناً بذلك إقرار علاقة الترادف بينهما.

يقول ابن فارس في مادة: بدن :« الباء والدال والنون أصلٌ واحدٌ، وهو شخصهم الشيء دون شواه، وشواه أطرافه»[3]، أما عند الراغب فأجده يفرق بينهما، أي: بين البدن والجسد، لاعتبارين مختلفين، حيث أكد ذلك في قوله:«... البدن الجسد، لكن البدن يقال اعتباراً بعظم الجثة، والجسد يقال اعتباراً باللون»[4]، وقد نقل أبو حيان قولين في بعض دلالة مفردة: البدن، والتي وردت مرة واحدة في كلام الله عز وجل وذلك في الآية المتقدمة حيث قال: «... ببدنك ، بدرعك، وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له، وقيل من ذهبٍ ، وقيل من حديدٍ، وفيها سلاسل من ذهبٍ، والبدن بدن الإنسان، والبدن الدرع القصيرة، وقيل نلقيك ببدنك عرياناً ليس عليك ثياباً ولا سلاحاً، وذلك أبلغ في اهانته...»[5]، فوجه بتفسيره هذه الدلالة إلى احتمالها معان مرادة من الله عز وجل.

وحدث صاحب الصحاح عن أن البدن رديف الجسد[6]، وذهب أبو هلال العسكري إلى القول بأن البدن هو ما علا جسد الإنسان[7]، واعتماداً على هذه الأقوال يمكن القول بأن البدن المقصود في الآية الكريمة لا يعدو أن يكون على أحد الوجهين التاليين:

إما أن يكون بدن فرعون ، أو درعه، باعتبار أن سياق الآية واردٌ في قصة إهلاك الله لفرعون غرقاً بالماء، وهذا ما أشار إليه وبينه أبو حيان في بيانه دلالة المفردة، وقد تقدم ذلك.

---

[1] سورة يونس، الآية: 92.

[2] المصدر نفسه،ج2، ص: 207.

[3] ابن فارس، مقايس اللغة، مصدر سابق، مادة:(بدن)،ج1،ص:211.

[4] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(بدن)، ج1، ص:112.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق،ج2،ص: 189.

[6] ينظر: الجوهري، الصحاح، مصدر سابق ،مادة:(جسد)،ج1، ص: 245.

[7] ينظر: أبوهلال العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق،ص: 154.

أو الوجه الثاني: وهو الجسد كاملاً، باعتبار تأويل البدن بالجسد على سبيل المجاز، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، لكن الشيخ هود بن محكم لم يراع في ذلك مثل هذه الأقوال، واكتفى بذكر دلالة الجسد في بيان معنى مفردة البدن، جاعلاً منهما لفظين مترادفين.

ــ المفردتين: «بزغ » ، «طلع».

وكذلك حدد طبيعة العلاقة الدلالية على أنها ترادف بين مفردتين من مفردات القرآن الكريم هما:« بزغ وطلع »، وذلك حين تفسيره للموطن الواردة فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾[1] ،إذ قال في بيان دلالتها:« أي: طالعاً »[2]، وعند أهل اللغة يقول ابن فارس:« الباء والزاي والغين، أصل واحد، وهو طلوع الشيء وظهوره، يقال بزغت الشمس، وبزغ ناب البعير، إذا طلع...»[3]، وهو المعنى والدلالة نفسهما التي أشار إليها بقوله أيضا في مادة: طلع، حيث قال:« الطاء، واللام والعين أصلٌ واحد صحيح، يدل على ظهور وبروز...»[4]، ومن هنا نفهم بأنهما أصلان لمدلول واحد؛ ظهور وبروز، والظاهر من هذين القولين لابن فارس أن المفردتين عنده من المترادفات، وهذا ما قال به كذلك الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردتين، وعند الراغب كذلك دلالة: بزغ تفيد دلالة ومعنى: طلع، وذلك في تفسير قوله تعالى للآية المتقدمة الذكر بقوله :« ...أي: طالعاً منتشر الضوء، وبزغ الناب تشبيهاً به»[5].

وذهب أبو هلال العسكري إلى التفرقة بين المفردتين بقوله:« البزوغ أول الطلوع، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾[6]، أي: لما رآها في أول أحوال الطلوع »[7]، أما الخليل بن أحمد فأدلى برأيه في المفردة، فقال:«... وتقول بزغت الشمس، إذا بدا منها طلوع»[8]، ويعلق صاحب الترادف في القرآن الكريم على قول هذا الأخير بقوله: ونتسم من عبارة الخليل« بدا منها طلوع »،أنه يريد أن يقول: البزوغ أول الطلوع[9]، وهذا الرأي الذي تقدم معنا كما أشار أبو هلال العسكري في الفروق، إلا أنني ألفيت الشيخ هود

[1]سورة الأنعام، الآية:77.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1،ص:485.

[3] ابن فارس، مقايس اللغة، مصدر سابق، مادة:(بزغ)،ج1،ص:244

[4] المصدر نفسه، مادة:(طلع)،ج3،ص:418

[5] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(بزغ)، ج1،ص:233.

[6] سورة الأنعام،الآية:78.

[7] أبوهلال العسكري، الفروق في اللغة، مصدر سابق، ص: 304.

[8]أبو علي القالي، البارع في اللغة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دط،ــ دت، ج1، ص:364.

[9]ينظر: محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 200.

بن محكم لم يسرد تلك الأقوال والتفاصيل في كلا المفردتين، بحيث اكتفى بذكر ترادفها فحسب، وهذا قد يكون راجعاً إلى خصوصية منهجية، وهي الاختصار في التفسير.

ـــ مفردتي: « بطانة »، « وليجة» .

واعتبر الشيخ هود بن محكم العلاقة علاقة ترادفية بين المفردتين :« بطانة ،وليجة » ، حيث أكد ذلك بقوله صراحة في تفسيره لهما، بقوله :« هو شيء واحد»[1]، ولقد ورد ذكر المفردة الأولى: بطانة في قول المولى تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا ﴾[2]، إذ فسرها قائلا : « أي من غير المسلمين، لا يلونكم خبالاً، أي: شراً، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةًۚ ﴾[3] »[4]،وفي موطن هذه الآية المتضمنة للمفردة الثانية :وليجة، قال في تفسيرها: «أي :دخلاً، وقال بعضهم : بطانة ، وهو واحد»[5]،ومن ثمة فإن هذا إقرار منه بوجود الترادف بين هاتين المفردتين.

وألمس شيئاً آخر من القول بالترادف بين المفردتين عند جمهرة أهل اللغة، فمن ذلك مثلاً قول ابن فارس :« الباء والطاء والنون أصلٌ واحدٌ، لا يكاد يخلف، وهو أنسى الشيء، والمقبل منه، ....، وباطن الأمر دَخْلَتُه ، والله تعالى هو الباطن، لأنه بطن الأشياء خبراً ، تقول: بطنت هذا الأمر، إذا عرفت باطنه ...، ومن هذا الباب قولهم لدخلاء الرجل الذين يبطنون أمره، هم بطانته...»[6]، فيفهم من قول ابن فارس إشارة إلى أصل الجذر، واكتفى بذكر ذلك على أنه من الباب فحسب ، ولو أننا انتقلنا لقول الراغب، لوجدناه أكثر تعمقاً ووضوحاً، حين قال: « بطنت ثوبي بآخر، جعلته تحته، ...وتستعار البطانة لمن تختصه بالاطلاع على باطن أمرك ، قال عز وجل: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ ﴾، أي: مختصاً بكم يستبطن أموركم ، وذلك استعارة من بطانة الثوب»[7]،فيفهم من قول الراغب دلالة المفردة ،على أنها بمدلول :الإبطان ،ويستعمل ذلك في الكلام حقيقة ومجازاً، وهذا الذي نص عليه بقوله المتقدم .

---

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص:119.

[2]سورة آل عمران ،الآية:118.

[3] سورة التوبة، الآية: 16.

[4] المصدر نفسه،ج1،ص:282.

[5] المصدرنفسه،ج2،ص:119.

[6] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق، مادة: "بطن" ، ج1،ص:259 .

[7] الراغب الإصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:" بطن"، ج2،ص:144.

أما بالنسبة لمفردة: « وليجة» ،قال ابن فارس فيها : « الواو، واللام، والجيم، كلمة تدل على دخول الشيء ... والوليجة ،البطانة، والدخلاء.»[1]، والذي يبدو لي من ظاهر قول ابن فارس في أصل هذا الجذر، أنه مقرٌ بقوله هذا بوجود الترادف بين كلا المفردتين: بطانة – وليجة ، وهذا الذي اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره، عند موطن كل مفردة منهما، وأقر به كذلك على جهة الترادف ،الأمر الذي يدل على سعة ملكة علم الدلالة عنده وإحكامه لذلك .

وعند الراغب الأصفهاني الولوج بدلالة: الدخول في مضيق ...،معتبراً الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله ،من قولهم: فلان وليجةٌ في القوم، اذا لحق بهم وليس منهم[2]، وفسر أبو حيان الآية: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾، مشيراً بقوله في تفسيرها إلى خصوصية دلالة مفردة: الوليجة، معتبراً هذه الخصوصية متمثلة في: الخفاء، فقال:«... هي المدخل يدخل فيه على سبيل الاستسرار ، فشبه النفاق به ....، وفي هذه الآية طعنٌ على المنافقين الذين اتخذوا الولائج، لاسيما عند فرض القتال...»[3]، وبناءً على ما تقدم ذكره، ألفيت الشيخ هود بن محكم قد اعتبر المفردتين مترادفتين فيما بينهما، نظراً لتوحد دلالتهما ومعناهما.

ـــ مفردتي: « بعيدٍ »، « ناءٍ».

ذكر كذلك الشيخ هود بن محكم مفردتين من مفردات الترادف لديه مقراً بوجود علاقة الترادف بينهما ،وذلك في: بعيدٍ ،ناءٍ، حيث اعتبر كلاً منهما لها دلالة ومعنى الأخرى، وهذا الذي يتضح من كلامه في تفسيره لمفردة: ناءٍ ، الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [4]، فأجد في هذا الموطن ، أنه فسر دلالة ومعنى المفردة، بالبعد، حيث قال: « ذكرو أنها نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن النبي من يؤذيه، وينأى عما جاء به ، أي : يتباعد عنه ، وقال الحسن: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ، أي: عن إتباع محمد، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ أي: ويتباعدون عنه فراراً »[5] ، إذ أفهم من قوله هذا على أنها عنده بمدلول: البعد والتباعد.

[1] ابن فارس، مقايس اللغة، مصدر سابق، مادة: " ولج"، ج6، ص:142.

[2] ينظر: الراغب الاصفهاني ، المفردات، مصدر سابق، مادة:(ولج)، ج2، ص:296، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5 ، ص :18

[3] أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق ،ج5، ص: 18.

[4] سورة الأنعام: الآية: 26.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ،ص: 468.

وذكر كذلك الدلالة نفسها، حينما أشار إلى تفسير المفردة أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾[1]، فقال :« وإذا أنعمنا على الإنسان، يعني المشرك ، أعطيناه السعة والعافية، أعرض عن الله وعن عبادته، ونأى بجانبه ،أي: تباعد عن الله مستغنياً عنه ، وقال مجاهد : تباعد منا ، وهو واحد»[2]، وعليه فإننا نلاحظ أن تصريحه بعبارة:« وهو واحد» في آخر قوله المتقدم، لهو إقرار منه بترادف المفردتين.

يقول ابن فارس:«...وأما النأي فالبعد ...، والمنتأى : الموضع البعيد» [3] ، وهذا الذي قال به الراغب في المفردات، واعتمده صاحب اللسان، وكثيرٌ من أهل اللغة[4] ، وعلى هذا الأساس فإن النأي والبعد، عندهم مترادفات على دلالة معنى واحدة .

وأجدها ههنا تفرقة بنت الشاطئ بين المفردتين ، إذ أشارت الى أن "البعد"، إنما كان إيراده في القرآن يقصد به مخالفة للقرب من حيث الزمان والمكان ، في حين أن دلالة: "النأي"، تحمل معنى الإعراض والصد ،والإشاحة نقيض الإقبال...[5]، بيد أنه لا يمكن اعتماد هذه التفرقة ابتداءً، وهذا باعتبار أن البعد الذي تقصده بنت الشاطئ ليس مجرد بعد في الزمن والمكان فحسب، بل هو بعد لا نهاية له ، وهذه خصوصية في المعنى وجب علينا عدم إغفالها ، وعلق صاحب كتاب الترادف في القرآن الكريم على قولها قائلا: أما النأي فلا علاقة له بالإعراض والصد والإشاحة[6]، مخالفاً إياها في دلالة النأي على أنه الإعراض والصد والإشاحة، و لم أقف على هذا الذي ذكرته بنت الشاطئ، أو أعثر عليه في كتاب .

وفي دلالة المفردة: «بعيد»، يقول ابن فارس : «...قالو البعد خلاف القرب ، و البعد الهلاك ، وقالوا في قوله تعالى :﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾[7] أي: هلكت ، وقياس ذلك واحد »[8] ، إن أول ما نلاحظه في قول ابن فارس، أنه فسر دلالة معنى البعد بضدها، حين قوله : خلاف القرب، ثم أضاف معنىً ثانٍ، وهو

[1] سورة الإسراء، الآية: 83.

[2] المصدر نفسه ، ج2 ،ص :433.

[3] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (نأى) ،ج5، ص:378.

[4] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة" نأى" ج4،ص: 254، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة:(نأى) ،ج6،ص:257.

[5] ينظر: عائشة عبدالرحمان بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة،ط1971،ص: 218- 220

[6] ينظر: نور الدين المنجد الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص: 212.

[7] سورة هود، الآية: 95

[8] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، مادة : (بعد)، ج1، ص:268.

الهلاك، ولقد وقفت على الآية التي استُشْهِدَ بها على أنه الهلاك في تفسير الشيخ هود بن محكم، فلم أعثر على تفسير دقيق لذلك ، غير أن المدقق في تفسير سياق الآية المتقدمة، والتي تليها عند الشيخ هود بن محكم يدرك أنه يقصد بالبعد من ظاهر الآية، الهلاك ،والخسارة، والثبور.

ويرى الراغب أنه ليس ثمة حد من الحدود بين دلالة: القرب والبعد، معتبراً ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره ،حيث قال في بيان ذلك: «...البعد خلاف القرب، وليس لهما حد محدود ، وإنما ذلك بحسب اعتبار بغيره."[1] ، واني لأجد الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨ ﴾[2] يحيث قال :... أي الضلال الذي يصعب الرجوع منه إلى الهدى ، تشبيهاً بمن ضل عن محجة الطريق، بُعداً متناهياً ، بمعنى البعد عنده، وهو النهاية في المسافة.[3]، وعلى إثر هذا صح الفهم من قول الراغب بأنه يقصد ما قصده المفسر الشيخ هود بن محكم في تفسيره، وما أشار اليه ابن فارس بقوله سابقاً.

وما أخلص إليه من خلال المفردتين المذكورتين، أنهما من المترادفات التي أقرها الشيخ هود بن محكم، وذلك في موطن تفسير كلٍ منهما، واعتبر دلالتهما الموحدة دليلاً على صحة علاقة ترادفهما.

ـــ مفردتي: «قفا » ، «تبع».

أجد الشيخ هود بن محكم أيضاً ،قد اعتبر المفردتين : « تبع» ،« وقفا » في تفسيره من المترادفات، وهذا كثيرٌ عنده في أكثر من موضع يشير إلى القول بدلالتهما على معنى موحد.

ولقد وردت المفردة الأولى: «قفا »، في كثيرٍ من الآيات ، من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ ﴾[4] ، حيث ذكر الشيخ هود بن محكم في تفسيره دلالة المفردة معتبراً إياها بالإتباع ، حيث قال في الآية : (وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) « أي: أتبعناه بهم»[5] . وهو الأمر ذاته حين تفسيره لذات المفردة، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ ﴾[6]،حيث ذكر الدلالة نفسها المتقدمة للمفردة، فقال: « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ،

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة: (بعد) ، ج1،ص :233.
[2] سورة سبأ، الآية: 8 .
[3] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات ، مصدر سابق، مادة: (بعد) ، ج1، ص:233.
[4] سورة البقرة ،الآية: 87.
[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ،ص: 121.
[6] سورة الحديد ،الآية: 27.

أي جعلنا الرسل تبعاً يقفو بعضها بعضاً، أي : بعضها على أثر بعض كالذي يقفو صاحبه.»[1]، فتراه ههنا يحدد دلالة المفردة على أنها بمعنى: الاتباع.

والمدقق عند الجمهور من أهل اللغة يدرك بجلاء أن المفردتين من المترادفات[2] ، على الرغم من أن بعضاً من المحدثين نفى ذلك باعتبارها أفعالاً متقاربة الدلالة عموماً، إلا أنه لا يمكن القول بترادفها عند التحقيق عندهم، وهذا راجع لعلة الفروقات الدلالية التي تختص بكل منهما لا يشاركه فيها غيره[3]، وعلى إثر ذلك حدد من نفى وجود علاقة الترادف بين المفردتين مُرْجعاً ذلك النفي لخصوصية دلالية متعلقة بكل منهما، لا يمكن التقاطع والاشتراك فيهما.

يقول ابن فارس :« القاف والفاء والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على إتباع شيء لشيء ، من ذلك القفو، يقال: قفوت أثره، وقفيت فلانا بفلان ، إذا أتبعه إياه .»[4] ، وعليه يفهم من قول ابن فارس أن مادة: (قفا)، أصل صحيح دالة على إتباع الشيء للشيء، فهي عنده مرادفة للمادة: (تبع)، و إلى مثل ذلك أورده الراغب بذكره عند حديثه عن مادة: (تبع)، إذ قال :«... تبعه، واتبعه، قفا أثره. »[5]، ومن ثمة فإننا نستنتج أيضاً من قول الراغب ، أن التبوع والقفو، عنده من المترادفات ، وهذا الذي اعتمده وسار عليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردتين .

وفي المادة نفسها : «تبع» ، عند ابن فارس قوله فيها: « الفاء والباء والعين، أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو: التلو والقفو».[6]،فيفهم من هذا القول الصريح أن دلالة :تبع ،ودلالة، قفا، شيء واحد.

وانطلاقا مما تقدم ذكره في بيان دلالة كلا المفردتين ،عُدت المفردتان من المترادفات عند الشيخ هود بن محكم، وكذلك عند ابن فارس، والراغب الاصفهاني، وغيرهما كثير.

---

[1] المصدر نفسه ج4 :ص: 275.

[2] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج2، ص:680، وينظر: ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق، مادة: (قفا)، ج5،ص:456.

[3] ينظر: نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم ،مرجع سابق، ص:218.

[4] ابن فارس، مقايس اللغة ، مادة: (قفي) ،ج5، ص:112.

[5] الراغب الاصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص:412،وينظر: ابن منظور، اللسان، مادة: (تبع) ،ج2، ص:187..

[6] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: " تبع" ، ج1،ص:362.

جدول توضيحي لأمثلة الترادف ودلالاتها في تفسير كتاب الله العزيز

أَل	ترادف	خلِفَ	النور 22 البقرة 226	ج3 ج1	147 200
إمام	ترادف	-مسطور -سفر -الكتاب	الاسراء 71 يس 12 الطور 02 الجمعة 05 عبس 16	ج 2 ج4 ج4 ج4 ح4	244 07 422 320 226
بئيس	ترادف	رابية شديد عصيب ربيل	الاعراف 165 الحاقة 10 هود 77 المزمل 16	ج2 ج4 ج2 ج4	56 365 237 289
بخل	ترادف	ضنين منع	النساء 38 آل عمران 180 التكوير 24	ج1 ج1 ج4	345 241 232
بدن	ترادف	جسد	يونس 92	ج2	208
بزغ	ترادف	طلع	الانعام 77	ج1	485
بطانة	ترادف	وليجة	آل عمران 118 التوبة 16	ج1 ج2	282 119
بعيدة	ترادف	ناءٍ	الانعام 26 الاسراء 38	ج1 ج2	468 433
تبع	ترادف	قف	البقرة 84	ج1	121

6ـ مفهوم التضاد، و وقوعه بين الإثبات والإنكار.

التضاد أحد أهم مباحث الدلالة العربية، باعتباره خاصية من خصائص اللغة العربية، إذ يعد مؤشراً على سعتها الهائلة على استيعاب وشمل جميع المعاني، والتنقل بين الأساليب المتنوعة في التوظيف الكلامي.

يعرفه أبو الطيب اللغوي بقوله: «الاضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليس ضدين؟ ، و إنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذا كان كل متضادين مختلفين ضدين، وليس كل مختلفين ضدين »[1] ،ومن ثمة فإني أجد هذا التعريف من أبي الطيب أدق تعريف وأشمل لحد ماهية التضاد، جاعلاً ضد كل شيء نفيه ممثلاً لذلك بتلك الأمثلة.

ولقد عالج علماء اللغة العربية القدامى ظاهرة التضاد كمبحث من المباحث الدلالية معالجة علمية موسعة، ولعل إشارة العلامة "قطرب" في كتابه: "الأضداد" أول مراحل تلك المعالجة العربية لموضوع التضاد. وذلك حينما اعتبر الأضداد نوعا من المشترك ، وقدم له تعريفا بقوله: «...أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً ... ، ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده»[2]، أما كونه من المشترك عنده، فهذا مرده اعتبار الظاهرتين : (التضاد، والاشتراك) مشتركتين في اتحاد اللفظ، أي : (الدال) ، وفي الوقت ذاته كونهما متعددين في المعنى ،أي: (المدلول)، وهذا ما اتفق عليه جمهور القدامى من علماء اللغة العربية[3] ، غير أن الفارق بينهما أن معاني المشترك متعددة، في حين معاني التضاد متضادة، وكما أشار أبو الطيب اللغوي أن الاختلاف أعم من التضاد، واتفق معه في هذا أبو علي الفارسي[4] .

والمدقق في موضوع ظاهرة التضاد لدى علماء العربية القدامى، يدرك ذلك الاختلاف الواسع في شأن وقوعه عندهم، بين منكرٍ له ومثبتٍ، فأكثرهم قال بوقوعه، وفصلوا في مسائله ، وألفوا فيه شتى الكتب،

---

[1] أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط2، 1996، ص 33.

[2] أبي عبد الله محمد قطرب ، كتاب الاضداد، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984، ص 244.

[3] ينظر: أبو الطيب اللغوي، الاضداد في كلام العرب، مصدر سابق ، ص: 36، وينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرءان، مصدر سابق،ص: 40، وينظر: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مصدر سابق، ج1، ص: 387.

[4] ينظر: أبو علي الفارسي ، المسائل المشكلة، المعروفة بالبغداديات، تحقيق: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ص: 535 ، 536.

كأمثال: أضداد قطرب، وأبي حاتم السجستاني، والأصمعي، وابن الانباري، وابن السكيت وأبي الطيب اللغوي وغيرهم.

وآخرون رأوا غير ذلك بعدم وقوعه، وأنكروه كظاهرة في العربية، أمثال : ابن درستويه الذي اشتغل على تأليف كتابه الموسوم : « إبطال الأضداد»، والذي أشار إليه في طليعة كتابه :تصحيح الفصيح[1]، وسار على منهجه في إنكار وقوعه أبو الحسن الأمدي (ت 631ه)، وألف في ذلك كتاباً عنونه بـــ :«الحروف من الأصول في الأضداد» ، وقدم في وجهة نظره الداعية لإنكار التضاد في العربية حججاً شتى.

في حين إننا نجد جملة من أساليب الإقناع والإقرار صادرة ممن رد عن منكري التضاد في اللغة ، سعياً منهم إلى تبرير الحكمة من استعمال العرب لموضوع وظاهرة التضاد، فأجد خير من يمثل هذا ، ابن الأنباري (ت 328ه)، حين رده على من أنكر وقوعه، حيث شرح الألفاظ، وعلل ضديتها تعليلاً علمياً دقيقاً، وما قوله: « إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها، ويأتي بعد ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الأخر ، ولا يراد بها في حال المتكلم إلا معنىً واحداً »[2]، لخير دليلٍ مقنعٍ في الرد على من أنكره.

وما يفهم من ظاهر نصه هذا ، إشارته إلى أثر السياق في الكشف عن المعنى المقصود من اللفظ المتضاد، وهذا ما سأبينه في مواطن أمثلة التضاد من تفسير الشيخ هود بن محكم، وأثر سياقها في تحديد المعنى المراد.

وفي هذه النقطة تحديداً أجد من علماء العربية ،ابن قتيبة اهتم بها ، وأولاها العناية البالغة، لما لها من تأثير سياقي كاشف ، ويتجلى ذلك من خلال بعض مصنفاته، ككتابه الموسوم ب: المعاني الكبير في أبيات المعاني.[3]، وبهذا قال كثيرٌ من المحدثين أيضاً، حينما جعلوا من السياق وقرينته آليةً للكشف عن معاني الألفاظ المشتركة ، أو الألفاظ المتضادة .

وبالعودة إلى أبي علي الفارسي، فإني أجده يؤسس تبرير وقوع الظاهرة في اللغة على ركيزتين أساسيتين؛ أشار بهما كردٍ على من أنكر التضاد.

---

[1] ينظر: ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحقيق: محمد بدوي المختون، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ط2، 2004، ج1، ص: 359.

[2] ابن الأنباري ، الأضداد، مصدر سابق، ص: 2.

[3] ينظر: أبو محمد بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقق: عبد الرحمان بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ج3، ص: 1177.

أما الأولى: فرأى أنها متمثلة في عامل السماع عند من أنكرها كظاهرة لغوية، إذ عدوا ذلك حجةً لسبب إنكارهم، فلم تُقبل حجتهم في ذلك عند من قال بوقوعه، باعتبار أن أهل اللغة أكثرهم كان ممن ألف مؤلفات في الأضداد المسموعة عن العرب، وهذا لا خلاف فيه لدى الدارسين والباحثين.

وأما الثانية: فرأى أن هؤلاء المنكرين تعللوا بعلة القياس، حين استعمال اللفظ الواحد في المعنى وضده، واعتبروه سبباً في إهمال المعاني وإغفالها، ومن هذا المنطلق كانت حجتهم الثانية أيضاً مردودة ،بدليل أنه جائزٌ وقوع اللفظ المشترك لأكثر من معنى، ويتأكد هذا كما أشرت لذلك سابقاً ، أنهم حسبوا الأضداد نوعاً من الاشتراك، وهذا تفسيرٌ لقول أبو علي الفارسي في البغداديات: «ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، وإذا جاز وقوعها للشيء وضده، إذ الضد ضربٌ من الخلاف ، إن لم يكن كل خلاف ضد»[1] ، وأجد هذا التصريح متقاطع في الرأي، متفق في الحجة والدليل، لقول ابن فارس أيضا في الرد على من أنكر وقوع التضاد ، حين قوله:«... وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً ، والفرس طرفاً، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد»[2]، وما أفهمه من هذا الأخير أنه يشير إلى مسألة وقوع الترادف في اللغة، فضلاً عن وقوع التضاد، من خلال اعتباره الظاهرتين :(الترادف، التضاد) مقترنتين متلازمتين في الوجود اللغوي.

ولا يمكن ههنا حصر جميع ما ذكر عندهم بشأن وقوع الظاهرة ، وإنما اقتصرت على هذا استشهاداً وخدمة للبحث ، وبالمقابل نجد طائفة المؤيدين، القائلين بإمكانية مجيء ووقوع الظاهرة في اللغة، إلا أن الدارس والباحث يقف ههنا على مفهوم التأييد عندهم بين مضيق وموسع للظاهرة،[3]، فنرى فريقٌ منهم بالغ في الرأي، حتى أنهم جعلوا مسألة اختلاف اللهجات من الأضداد،[4]، وأضافوا من قبيل التوسع أيضاً ما كان متحد الصيغة مختلفة المعنى[5]، وهذا كله من باب المبالغة عندهم في المسألة.

---

[1] أبو علي الفارسي ،المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ، مصدر سابق، ص :536.

[2] أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة، ، مصدر سابق، ص: 117.

[3] ينظر: مختار عمر ،علم الدلالة، مرجع سابق ، ص: 196 – 197.

[4] ينظر: أبو الطيب اللغوي ، الاضداد في كلام العرب، مصدر سابق ، ج1، ص :346.

[5] ينظر: ابن الأنباري، الاضداد، مصدر سابق ، ص: 409:.

وطائفةٌ أخرى جعلت الظاهرة أكثر دقةً من حيث أساس ظاهرة التضاد ، وقضية وقوعها في الكلام العربي، فجعلوا شروطاً مضيقة للظاهرة، وتحد من إطلاقها، كاشتراطهم مثلاً ، أن لا تكون الألفاظ المتضادة إلا من لهجة واحدة لا متعددة[1]، عكس ما قال به الموسعون لظاهرة التضاد تماماً.

وذهب كثيرٌ من الدارسين المتأخرين إلى الإجماع على أن المسألة في أصلها ضربٌ من الاشتراك اللفظي، وقِلةٌ منهم من أنكرت ذلك ، لعلة أن علاقة مبحث التضاد مغايرة لعلاقة مبحث الاشتراك في اللغة، مضيفين في ذلك علة أخرى، مفادها أن سبب وجود ظاهرة التضاد، ليست هي نفس أسباب المشترك ، وإن بدا الاتحاد بينهما، ففي معالم محددة[2]، وأخرجوا من زمرة التضاد ما أحصاه علماء العربية القدامى، مما حملوه على أنه من باب المجاز والاشتراك ، أو التغيير الدلالي ، بمعنى أنهم في هذا مُضيقين لعلاقة التضاد، بين الألفاظ المتضادة في حد ذاتها[3]، ليفهم من هذا وقوع المسألة أيضاً بين المحدثين بين موسع لها ومضيق.

وأجد أيضاً الخلاف في وقوع الظاهرة ووجود الألفاظ المتضادة في القرءان الكريم ، بين مثبت لها ونافٍ، غير أن الغالب من علماء العربية، ومن المفسرين على وجه الخصوص، أقروا بوجودها كظاهرة تبرهن على إعجاز العربية، وسعة شموليتها على الاحتواء، وما أجده مناسبة لي ههنا في بحثي، هي قضية نظرة المفسرين لظاهرة التضاد ورأيهم فيها.

7ـــ أسباب التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم :

إذا سلمنا بوقوع ظاهرة التضاد كظاهرة لغوية كاشفة لأسرار العربية عموماً، فإنها من باب التخصيص أن تقوي المعنى، وتحث على إعمال العقل ، والتدبر والتفكر في كلام الله سبحانه، ومن هذا المنطلق أدرك المفسرون أثرها الدلالي في خطاب القرءان ومقاصده، فمحصوا أمره ، وأهتموا بقضاياه ، وتوصلوا الى أسبابه، والغرض منه، وعليه أسعى ههنا إلى بيان جملة الأسباب الكثيرة المؤدية عندهم الى احتمال اللفظ الواحد معنيين متضادين، ومن خلال ذلك أمثل لبعض الأسباب الممكنة لظاهرة التضاد من الوقوع ، مما ذكره الشيخ هود بن محكم في مجلدات تفسيره، ولعل أهم تلك الأسباب ما يلي:

---

[1] ينظر: أبي بكر محمد ابن دريد ، جمهرة اللغة ، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ص: 291.

[2] ينظر: إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص: 98، وينظر: عبد الرحمان الجبوري ، الوجوه والنظائر في القرءان الكريم، دار البينة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1433ه، ص: 71، وينظر: أبو الطيب اللغوي، الأضداد في اللغة، مصدر سابق، ص: 103.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ص: 296 ، 298.

7 ــ1. الإتساع في المعنى:

ويقصد بهذا استعمال اللفظ للدلالة على أكثر ما وضع له[1]، ونجد أن هذا المفهوم قد أهتم به المفسرون اهتماماً بليغاً، وأولوه من العناية ما أولوه، حيث كان عندهم عاملاً أساسياً في التعبير البلاغي القرءاني، واهتم به علماء اللغة أيضاً، وخير ما يُبرهن به هذا الاهتمام ؛ إفراد ابن جني في خصائصه بابا أسماه : «باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين، أحدهما أقوى من صاحبه، أو يجازان جميعاً فيه ، أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه»[2].

ويعد التوسع في المعنى أحد أبرز أسباب التضاد، باعتبار تفريعه للمعنى إلى معنيين من التوسع والشمولية، فمثلا نجد مفردة: «أزري» ، الواردة في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾[3] ، يدل أصلها على معنى واحد، متمثل في القوة والشدة[4]، ولقد اعتمد هذا المعنى الشيخ هود بن محكم في تفسيره للأية المذكورة سابقاً ،حينما قال: «أشدد به أزري قال الحسن: قوتي، وقال بعضهم ظهري»[5] ، فإشارته إلى هذا المعنى دليلٌ على اقراره بالتضاد في الكلمة، وبالمقابل نجد أن المفردة متوسعٌ في معناها لتشمل معنىً أخر متمثل في الضعف، لقول مختار عمر معلقاً على هذا: « ولعل هذا هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من قول موسى عليه السلام: (أشدد به أزري) ، فكأن المعنى قد آل إلى: أجبر به نقصي و قَوِ به ضعفي، ومن هنا اكتسب اللفظ معنى الضعف إلى جانب معنى القوة»[6]، وبهذا يفهم المراد من التوسع في المعنى، وجعله سبباً من أسباب التضاد.

وأجد هذا المفهوم يتضح أكثر من خلال تفسير الشيخ هود بن محكم عند إشارته الضمنية إلى ذلك، فلنقف مثلاً عند بيانه دلالة مفردة :« وراء» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩ ﴾[7]، حيث ذكر في تفسير: (وراءهم)، قوله: «وكان وراءهم ، يقول بين أيديهم»[8] يريد بذلك

[1] ينظر: محمد التونجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص: 213.

[2] ابن جني ، الخصائص، مصدر سابق ، ج1، ص: 163.

[3] سورة طه، الآية: 25.

[4] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق ، ج1، ص: 102.

[5] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 32.

[6] مختار عمر، الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 152.

[7] سورة الكهف، الآية: 79.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج2، ص :468.

(أمامهم)، فنجد الشيخ هاهنا يشير إلى معنى المفردة بمعنى: أمام ، وبمعنى وراء من باب التوسع المعنوي ، إذ ففهم تلك العلاقة المتلازمة لحضور المعنيين المتضادين نتيجة للتوسع الحاصل بينهما.

7ـ 2 دلالة الصيغة على الفاعلية والمفعولية:

والمراد من هذا دلالات ومعاني تلك المصادر على معنى الفاعلية ، وفي الوقت ذاته على معنى المفعولية، ويمكن القول إنها مصادر تعددت دلالتها بين الفاعلية والمفعولية[1]، وقد يكثر استعمال مثل هذا في صيغة: «فعيل» ، التي تحتمل أن تجيء بمعنى: "فاعل"، فتؤدي عندئذ دلالة الفاعلية، ويحتمل أن ترد بمعنى: "المفعول" فتؤدي وظيفة المفعولية.

وقد ورد هذا كثيراً في كلام الله سبحانه وتعالى، فمن ذلك مثلاً ما أشار إليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ ﴾[2]، وفي موطن آخر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦ ﴾[3]، حيث أشار بصيغة دلت على معنى الفاعلية في الأولى، بقوله عندها: « إن المتقين في مقام أمين، أي: في منزل، أمين، أي: هم آمنون فيه من الغير..... »[4]، فإيراده ههنا صيغة آمن على وزن : فاعل، إشارة إلى ما تتضمنه الصيغة من احتمال المعنيين، في حين إننا نجد في بيانه لدلالة: «أمين»، الواردة في سورة القصص إشارته الى دلالة المفعولية، حيث قوله : «...القوي الأمين ،أي: القوي في الصنعة، الأمين فيما ولي »[5]، وكأني به يقصد بدلالة مفردة وصيغة "الأمين" علىى وزن : « فعيل» ،من فُعِل به الفعل ويقع عليه، وهذا هو حد المفعول به ، بدلالة من وقع عليه الفعل، وهذا ما أفهمه من قوله في تفسيره الأمين، فيما ولي على من تولى أمره، وهنا نفهم إشارته الى احتمال الصيغة دلالة الفاعلية والمفعولية، كسبب عنده من أسباب التضاد.

---

[1] ينظر: وحيد الدين طاهر عبد العزيز، مكونات النظرية اللغوية بين الدراسة والتطبيق، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، عين شمس، الطبعة الأولى، ص: 177.

[2] سورة الدخان، الآية :51.

[3] سورة القصص، الآية: 66.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 123.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص: 244.

7ــ 3. تصاحب المعاني المتضادة في الذهن:

ويعد هذا عاملاً من أهم عوامل أسباب التضاد لدى الكثير من المفسرين، ومن جملتهم الشيخ هود بن محكم ، حين اعتبر أن التضاد في أصله نوعٌ من العلاقة بين المعنى ولفظه، فأشار في أكثر من موطن إلى أحد المعاني المتضادة ، وما يصاحبها من تصورات دلالية في الذهن، وههنا نعتبر أن حصول أحد المعنيين المتضادين مستلزم لحضور الثاني، ومن ثمة فإن العلاقة الكامنة بينهما أقرب تصوراً و إدراكاً إلى الذهن مما سواها، فبمجرد إيراد المعنى المتضاد الأول تحصل دعوة المعنى الثاني إلى الذهن.

ولنلاحظ مثلاً اسقاط العالم :«Giese» ، «غيس»، لعامل تداعي المعاني المتضادة وتصاحبها في الذهن ، ثم لنقارن ذلك بما ذكره الشيخ هود بن محكم ، حيث اعتبر "Giese " بعض الكلمات من المتصاحبات ضدياً في المعنى ،مثل كلمة : «بَين» المفيدة للفراق ، وفي الوقت ذاته مفيدة للوصال، حسب حالة الشخص ،كونه إما مفارقاً لجماعة ما، أو متصلاً بها[1]، ولما كان مفهوم الفراق ذهنياً مرتبطاً بالوصال، كانت العلاقة بينهما علاقة تضاد في معنى حاصل لمفردة «بين».

وأجد هذا متمثلاً في تفسير الشيخ هود بن محكم للمفردة ، حيث جاءت في قوله تعالى :﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[2] ، فلما نقف عند قراءة الشيخ هود بن محكم لسياق الآية قبلها : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾[3] ، نفهم من ظاهر النص تداعى المعنيين (الوصال ،والفراق) إلى ذهنه، فقال: ... لقد تقطع بينكم: قال مجاهد: وصلكم، وقال الحسن: الذي كان يواصل به بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان ، يعني الوصل نفسه، ثم راح يبين أوجه القراءة ،وما تحمله كل قراءة من معنى، فأضاف: وهذا تفسير من قرأها بالرفع، ومن قرأها بالنصب : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ ، أي :ما بينكم من المواصلة[4] ، ومن ثمة فإن هذا يؤكد حضور معنى الوصال من المفردة : «بين» في إدراك وفهم الشيخ هود بن محكم لها، وبموطن آخر نجده يستدعي حضور ضد الوصال ، وهو اللقاء في معرض حديثه عن تفسير الآية المتضمنة لقصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر، الواردة في سورة الكهف، ومحل الشاهد ههنا قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

---

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص: 207، وينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مرجع سابق ،ص: 312.

[2] سورة الأنعام، الآية :94.

[3] سورة الأنعام، الآية: 94.

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص :491.

حُوتَهُمَا ﴾[1]، إذ ذكر دلالة المفردة ذات المعنيين المتضادين بدلالة اللقاء ههنا ، فقال : «حتى أبلغ مجمع البحرين، بحر فارس ، والروم حيث التقيا، وهما محيطان بالخلق ...، والعامة على أنهما بحر فارس والروم، وبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو الشرق»[2] ، فإشارته ههنا إلى مفهوم اللقاء كان حاصلاً عن تداعي معنى الوصال في الذهن، من خلال إبراز علاقة الضدية بين اللفظ ومعناه .

ويمكن لي أن أمثل لإيضاح الفكرة من خلال ما اعتمده الشيخ هود بن محكم في تفسيره بمفردة : «مولى» ، التي أشار إلى احتمالها معنيين متضادين، كون أحدهما دالٌ على السيد والمولى، ويقصد بهذا الأول : الله سبحانه وتعالى، في حين دل بالثاني على مدلول المنعم عليه أو الأخ، وعند قوله في تفسير موطن ذلك ما يفيد هذا، فذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾[3]، ودلالة المولى على أنها تفيد الولي والسيد[4]، وفي آية الأحزاب قوله تعالى :﴿ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ ﴾[5]، حيث فسر دلالتها بقوله: « أي : قولوا ولينا فلان، وأخونا فلان»[6]، ومن هذا حصل تداعي المعنيين وتصاحبهما في الذهن أيضاً ،وذلك باستدعاء معنى: السيد والمولى للمعنى الثاني ، المتمثل في المنعم عليه أو الأخ[7] ، وانطلاقاً من المثالين المذكورين، أجد الشيخ هود بن محكم بهذا الفهم الدلالي، يعد من أسباب التضاد حصول معنيين متلازمين ذهنياً.

7ـــ 4. إبهام المعنى الأصلي للمفردة:

يعد الإبهام المعنوي للمفردة أحد أسباب وعوامل التضاد، لاحتمال المفردة لمعانٍ مبهمة متعلقة بدلالتها، ومبرزة لعلاقة الضدية بين المعنى ولفظه، ولقد أشار الشيخ هود بن محكم إلى هذا ضمنياً في مواطن كثيرةٍ، وأخرى صرح بذلك، سعياً منه لكشف دلالات أي مفردة من مفردات القرءان الكريم، ويمكن التمثيل ههنا ببعض المفردات التي وقف عليها الشيخ في تفسيره في هذا المجال الخاص بإبهام المعنى وعدم تحديده تحديداً دقيقاً كاشفاً للمعاني ودالاً عليها، فمن ذلك قوله مثلاً في تفسيره لقوله تعالى:

[1] سورة الكهف، الآية :61.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج2، ص: 464.
[3] سورة الحج، الآية: 78.
[4] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 113.
[5] سورة الأحزاب، الآية :05.
[6] المصدر نفسه، ج3، ص:310.
[7] ينظر: السيوطي، معترك الأقران، مصدر سابق، ص: 139.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾[1]، ما يؤكد إبهام المعنى من خلال ذكره وايراده لدلالتين متضادتين ،حيث ذكر: «والليل اذا عسعس: تفسير الحسن: اذا أظلم، وتفسير الكلبي: اذا أدبر، وقال مجاهد: يقال إقباله، ويقال إدباره»[2] ، وما نفهمه من جمع الشيخ هود بن محكم لهذه الأقوال والاستشهاد بها ،إقراره بإبهام المعنى الأصلي للمفردة، وعدم تحديده.

و جاءت دلالة مفردة : «عسعس» في كتاب المفردات في غريب القرءان، « أي: أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، فالعسعسة والعسعاس رقة الظلام ،وذلك في طرفي النهار»[3]، وبناءً على هذا يمكن اعتماد المعنيين للمفردة في العربية، وكأني بالمعنى المراد من سياق الآية قبلها ، أن المولى عز وجل أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إدباره أيضاً، ومن ثمة كان الإبهام في المعنى سبباً في قبول الاحتمالين :(الاقبال والادبار) ، وعليه فسر الفعل بالدلالتين ، وقد رد المعنى غير واحدٍ منهم في كلا التفسيرين إلى الإسوداد[4]، وبهذا ربما تتجلى لنا الفكرة والقصد من إبهام المعنى الأصل في المفردة.

ولنتعمق أكثر في هذا، حيث يمكن أن نورد مثالا آخر عن هذا بمفردة : «شرى» المحتملة لمعنيين متمثلين في: البيع والشراء، فحدد الشيخ هود بن محكم دلالة المفردة في قوله تعالى :﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ ﴾[5]، أي: « باعوه»[6] ، فجعل العلاقة الضدية بين اللفظ: (شروه)، ومعناه (باعوه)، علاقة دلالية مؤسسة على إبهام المعنى الأصلي للمفردة ، ولم يحدد ههنا تحديداً، ولعل العلة في احتمال المعنين المتضادين ،أن المبادلة قديماً كانت تتم بين سلعة وسلعة ، بحيث لم يكن هناك بائعٌ محدد، ولا مشترٍ محدد[7]، فلما كان كلٌ من البائع والمشتري بمفهومٍ واحدٍ عندهم ، أدت المفردة المعنيين في نفس الوقت.

وسيأتي الحديث في ثنايا البحث عن توسعه دلالة الشراء والبيع عند الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره في مطلب الخصوصية الدلالية للمفردة القرءانية ، وأمثلة ذلك ،حيث اعتبر دلالة كل شراء بمفهوم البيع

---

[1] سورة التكوير، الآية: 17.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج4، ص: 432.

[3] الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرءان، مصدر سابق، مادة: (عسعس)،ج2، ص: 334.

[4] ينظر: المصدر نفسه،ج2 ص: 334.

[5] سورة يوسف الآية 20.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 258.

[7] ينظر: الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، أحمد مختار عمر، ص: 160.

والمبادلة، إلا إذا حدد السياق وكشف مرادها[1]، ويتأكد مفهوم إبهام المعنى وعدم تحديده أكثر بمفردة «أحوى» الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ ﴾[2]، إذ فسرها الشيخ هود بن محكم على أنها بدلالة: الخضرة فقال: « أي :صار هشيماً بعد أن كان أخضراً، والأحوى عند الحسن: الأسود من شدة الخضرة »[3]، وبهذا يلمح بإبهام المعنى من خلال الدلالتين المتضادتين، أولهما على شدة السواد، والثانية لشدة الخضرة ،وفي ذلك قال ابن منظور: «الحوة: سوادٌ الى الخضرة، وقيل حمرة تضرب إلى السواد"[4]، ومن هذين يحتمل المعنيين علاقة متضادة ، باعتبار التضاد الكامن بين لون الخضرة ولون السواد.

7ــ 5.تخصيص العام:

يعتبر عامل تخصيص العام أحد أهم أسباب نشوء التضاد في العربية، وعند كثيرٍ من المفسرين أيضاً، وأجد هذا العامل متمثلاً في إشارة الشيخ هود بن محكم إلى أن لفظ، الزوجين في قوله تعالى :﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾[5]، قد دل به على عموم اللفظ ، فأدلى بقول للحسن معتمداً إياه في إيضاح هذا قائلاً: «... السماء والأرض، والجنة والنار، والليل والنهار، والصيف والشتاء ،وكل اثنين فالواحد منه زوج»[6]، فأراد بهذا التعميم، ثم أجده يخصص المعنى، لنفهم من هذا تخصيصه للعام كسببٍ من أسباب التضاد بقوله ثانية: « ومن كل شيء خلقنا زوجين، أي: الذكر والانثى»[7]، ومن ثمة أقر وحدد بأن هذا هو الأصل في بيان دلالة المفردة :«زوج»، ثم صار بعدها دالاً على كل واحدٍ منهما ، باعتبار أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض، ومادة وصورة، فبين أن كل ما في العالم زوجٌ من حيث إن له ضداً أو مثلاً ما، أو تركيباً ما،[8] ، ومن خلال هذا نفهم قصده بتضاد المفردة عند تخصيصها بكل واحد من القرينين، ودل بها في عمومها على كل مركب عند اشتمالها على القرينين وهذا هو الأصل في المعنى.

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:86.
[2] سورة الأعلى، الآية :05.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص: 449.
[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (أحوى)، ج1، ص: 154. وينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرءان،مادة: (حوى)، ج1 ص: 140.
[5] سورة الذاريات، الآية: 49.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص :199.
[7] المصدر نفسه، ج4، ص: 200.
[8] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مادة (زوج)، ج2، ص: 221.

يقول محمود عكاشة معلقاً عن المفردة زوج: « أطلق في الأصل عليها معاً، ثم خصص للدلالة على أحدهما، فالمرأة المتزوجة يطلق عليها زوج ...، ويطلق أيضاً على الرجل»[1]،كإشارة إلى التعميم ، ثم بعدها إلى التخصيص.

وتتأكد لنا المسألة بأكثر تفصيلاً لما تقدم ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، بقوله: «الذكر زوج ، والانثى زوج»[3]، وعليه نستنتج أن عامل تخصيص العام سبباً من أسباب نشوء التضاد عنده.

7ــ 6.المجاز:

يُعرف المجاز على أنه: «اسم لما أُرِيدَ به غير ما وضع له لمناسبة بينهما»[4] ، على أن تكون ثمة علاقة بين اللفظ الموضوع له والمستعمل فيه، وله في هذا علاقات عدة ذكرها أهل التصانيف اللغوية عموماً ، وأهل البلاغة خصوصاً ، وما أشير إليه ههنا من هذه العلاقات المجازية ،هي علاقة التضاد، والتي تعتبر أحد أهم علاقات المجاز، وفي الوقت ذاته سبباً من أسباب نشوء التضاد، وما يعنينا منه علاقة المجاز بالتضاد ،كونه يوصف بالتأثير فيه وإيجاده، ويمكن إدراك هذا من خلال أن كل «كلمة من كلمات الأضداد ،لم توضع للمعنيين المتضادين في أول الأمر، وإنما وضعت لأحدهما، ثم جاءت عوامل مختلفة أدت الى نشأة المعنى الثاني المضاد للمعنى الأول»[5]، على سبيل المجاز.

وعليه فإن المجاز سبب من أسباب الظاهرة، إذ يمكن وصف الشيء بضد صفته مثلاً، للدلالة على التفاؤل أو التطير، كقولنا: للديغ "سليم" تطيراً من السقم ، وتفاؤلاً بالسلامة وغير ذلك[6]، فالدلالة هنا واردة بوصف الشيء وضده .

والمجاز يصنف إلى قسمين: مجاز لغوي، والثاني سماه البلاغيون :مجاز عقلي، ولكلٍ منهما أمثلة وعلاقاته التي كانا بها سببين من أسباب التضاد.

---

1 محمود عكاشة ، الدلالة اللفظية، مرجع سابق، ص: 80.

2 سورة القيامة، الآية: 39.

3 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 403.

4 ابن نظام الدين الأنصاري ، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، تحقيق: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1423-2002، ج1، ص: 203.

5 رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية، مرجع سابق، ص: 338.

6 ينظر: ابن قتية ، تأويل مشكل القرءان، مصدر سابق ، ص: 185.

فالمجاز اللغوي لفظٌ مستعملٌ في معنى مخالف لما وضع له في اللغة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى[1]، ولفهم هذا أكثر أمثل لذلك من تفسير الشيخ هود بن محكم، حينما اعتبر علاقة التضاد بالمجاز في لفظة :«مسجور» سبباً من أسبابه، إذ أجده يبين دلالتها بمعنيين متضادين، استعمل أولهما مجازا للدلالة به على الثاني، وهذا في قوله تعالى :﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾[2]، حيث فسرها بقوله: «أي : الفائض، أي: يفيض يوم القيامة على الأرض، فتسعه الأراضون، فتكون لجج البحار، ورؤوس الجبال سواء، وقال مجاهد المسجور: الموقد»[3]، فأفهم من تفسيره المتقدم أنه مؤسساً على فهمه علاقات المجاز، وأجد من معاني السجر عند أهل اللغة: أنها دالة على الملء، والمسجور بمعنى المملوء، وقد جمع سيدنا الإمام علي ــ كرم الله وجهه ــ ، بين المعنيين في هذه الآية، فقال: المملوء ناراً[4] ، وأجد المعنى ذاته في تفسير الشيخ هود بن محكم لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ ﴾[5]، «أي :فاضت فتصير أعماق البحار ورؤوس الجبال سواء، وقال بعضهم : تسجر كما يسجر التنور»[6] ، فكان منه هذا المعنى الأول المتمثل في :(فاضت)، ولن يفيض إلا الذي كان قد ملء، أفضى بعضه إلى بعضاً، ومن هذا فسر الشيخ هود بن محكم اللفظة بذلك التفسير، حاملاً إياها على المجاز المرسل ، ولعلاقة اعتبار ما سيكون، «لأن معنى الآية الثانية يدل على حدوث عمليتين متصاحبتين هما: الإفراغ والملء، فكل بحر سيؤول أمره إلى الحالة الأخرى ، فهو تارة فارغ، وتارة مملوء»[7]، أو فائض ،على حد ما جاء به الشيخ هود بن محكم في بيانه لدلالة المفردة.

وما نفهم من هذا اعتباره المجاز وعلاقة التضاد في المجاز اللغوي أنهما سببان لنشوء التضاد بين المعنيين المذكورين.

ونقل الأصمعي عن أبي حاتم تفسيره للعلاقة المجازية في هذه اللفظة التي اكتسبت معنيين متضادين، ورده إلى دلالته على التفاؤل، ومجمل ما ورد في هذا ، أن جارية كانت بالحجاز ذكرت: إن حوضكم

---

[1] ينظر: سعد الدين بن عمر ، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1428، ص:66.

[2] سورة الطور، الآية: 06.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 203.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة :سجر، ج5، ص:247.

[5] سورة التكوير، الآية :06.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 430.

[7] أحمد مختار عمر، الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 161.

لمسجورٌ، و لم تكن فيه قطرة، فكان ذلك مداعاة وحمل على التفاؤل[1]، وعلى كل حال عد المجاز في هدا أحد أهم أسباب ظاهرة التضاد في العربية.

إن كل هذا المذكور آنفاً من جملة أسباب التضاد لا يعتبر استيفاءً لجميعها، وإنما هذه إشارات مبثوثة في تفسير الشيخ هود بن محكم، استنتجت من خلال تفسيره وجود كثيرٍ من ألفاظ التضاد في القرءان الكريم، وهي أسباب ، وإلا فهي في الأصل كثيرة متعددة[2]، وإنما اكتفيت بهذا لإشارة الشيخ هود بن محكم إلى هذه الأسباب صراحة أو ضمنياً.

8ـ أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم:

وبناءً على ما تقدم ذكره من الشق النظري التنظيري لعلماء اللغة العربية في ظاهرة التضاد، أجد الشيخ هود بن محكم قد أبان في تفسيره عن بالغ فهمه لمسألة التضاد كظاهرة لغوية، معرباً عن سعة اطلاعه، وغزارة معرفته بذلك في شأن التضاد ، ووقوعه في العربية والقرءان الكريم.

فأجده في كثيرٍ من مواطن تفسيره للآيات ،يستعمل ألفاظاً متعددة، من شأنها الكشف عن ذلك التباين بينهما ، وفي الوقت ذاته نجد إقراره الواضح على وجود الفروقات المختلفة بين التضاد ، والخلاف، والتقابل، وإني به في ذلك كله إشارة إلى يقسم التضاد في أصله وصورته إلى تضادٍ تامٍ، وتضادٍ جزئيٍ، وما استعماله لتلك الألفاظ المبينة للتضاد إلا دليلٌ منه على ذلك.

فحينما ننظر في تحقيقه وتفسيره لبعض الألفاظ، نجده يستعمل اللفظ مضاداً لغيره من جهة، وفي الوقت ذاته مخالفاً له، لنستنتج من ذلك تصريحه بالتضاد الجزئي، كما في تفسيره للفظة : «سجين» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾[3]، حيث تلطف جامعاً بين معنيين لها، مبيناً محل الشاهد ههنا منها بقوله: «لفي سجين، قال الحسن لفي سفال، وهو السفل، نقيض العلو والعلاء»[4] ، فدل الشيخ هود بن محكم بإشارة منه لذلك على أن السفل نقيض وخلاف العلو، بمعنى أن السفل يضاده العلو، ومن ثمة كان التضاد الحاصل يبين السفل والعلو تضاداً جزئياً.

---

[1] ينظر: الأصمعي ، الأضداد، مصدر سابق، ص: 10.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 151 – 162.

[3] سورة المطففين، الآية: 07.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 436.

في حين أجده يخصص التضاد الجزئي عنده ، ببيانه بعض الألفاظ المتقابلة، وفي هذا يعرب عن فهمه لما تقدم ذكره من قول أبي الطيب اللغوي، واستناداً لحجة كل ضدين متقابلين، وليس العكس ، بمعنى كل متقابلين ضدين، وأمثل لهذا من تفسيره حين ذكر في لفظة: «عسعس» ، بيانه أنها احتملت المعنيين المتضادين المتقابلين لها بين الإدبار والإقبال، فقال مستشهداً بأقوال أشهر المفسرين: «والليل اذا عسعس، تفسير الحسن : إذا أظلم، وتفسير الكلبي : إذا أدبر، وقال مجاهد: يقال إقباله ويقال إدباره»[1] ، وكل ذلك واردٌ في بيان دلالة المفردة : «عسعس» ، غير أن ذكره لآراء المفسرين والجمع بينهما، يوضح إشارته إلى القول بالتضاد الجزئي فيها، وكشفه عن المتقابلين فيها: « الإقبال والإدبار» ، ومن هذا يفهم من قوله ذلك أن «الإقبال والإدبار» من المتقابلين[2]، وهو استنتاج لي بإقراره لجزئية التضاد في مثل هكذا أنواع من الألفاظ المتضادة.

وفي إشارته إلى القسم الثاني من ظاهرة التضاد ، أعني التضاد التام، أجد ذلك في تفسيره نذراً قليلاً، حيث أومأ ولمح لهذا الصنف من التضاد في تفسيره للفظة : « أحوى» الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾[3]، فذكر قوله في تفسيرها: «... وفيها تقديم: أي جعله أحوى غثاء، والغثاء: المهشم اليابس كقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴾ (الكهف، الآية 45) ، أي كان أخضراً، والأحوى عند الحسن: الأسود...»[4] ، فأجده ههنا قد جمع بين السواد والخضرة كتضادٍ تامٍ لمعنى ودلالة لفظة: «أحوى».

وقليلٌ هذا النوع عنده في تفسيره، فضلاً عن أن إشارته إلى مواطن التضاد عنده هي أيضاً في أصلها قليلة تعد عداً، وهذا ما سأوضحه في معرض الحديث عن أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم.

ومن ثمة فإن مثل هذا الذي ذكره في لفظة : «أحوى» غرضه من وراء ذلك ، تميزه عن التضاد الكامن بين الألفاظ المتخالفة مثلاً، أو المتقابلة، وهذا ما اعتمده كثير من أهل اللغة[5] ،وبه قال الشيخ هود بن محكم، والأمر ذاته في حديثه عن التضاد التام في مفردة «قرء» مثلاً.

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص:432.

[2] ينظر: الأصمعي، الأضداد، مصدر سابق، ص: 08.

[3] سورة الأعلى، الآية: 05.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 449.

[5] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مادة: أحوى، ص: 140. وينظر: رضي الدين الصنعاني ، الحباب الزاخر واللباب الفاطر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1987، حرف الحاء، ص: 228.

1. مفردة : «أزر».

يحدد الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة معنيين متضادين متباينين دلالة ، إذ ذكر هذا من باب التوسع، حيث إن أصل هذه المفردة يؤتى به دلاله على القوة والشدة، ثم توسع العرب في معناها ، فاستعملت عندهم في مقام الضعف ، وأوردوها في مقام القوة أيضاً، ومن هذا أجد الشيخ هود بن محكم قد فهم تلك العلاقة بين المعنيين المتضادين لما أشار في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١﴾، حيث بين دلالتها على أنها: «قوتي، وقال بعضهم: ظهري» ، وكأن ظاهر القول على لسان سيدنا موسى عليه السلام :أجبر به نقصي، وقوي به ضعفي، وبهذا حصل اكتساب معنى الضعف للمفردة إلى جنب القوة، ويؤكد لي هذا المعنى ما أشار إليه ثانية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ ، إذ قال في: بيانها : «فأزره: أي: فشده » ، والمعنى شده أعانه وقواه، وأجمع جمهور المفسرين على هذين المعنيين ، إذ فسروا: «اشدد به أزري» قوي به ظهري وأعني به ، يقال منه: قد أزر فلان فلانا، اذا أعانه وشد ظهره.

وإلى هذين المعنيين المذكورين لمح الشيخ هود بن محكم، جاعلاً علاقة التضاد بينهما ، من خلال ذكره المعنيين للمفردة.

2. مفردة : «أيم».

أفهم من تفسير الشيخ هود بن محكم تحديده لمعنيين متضادين، مبيناً بهما دلالة هذه المفردة: «أيم» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ ﴾[1]، أجده يفسرها بقوله : « يعني كل امرأة ليس لها زوج»[2]، ثم استشهد بقوله : «عن محمد بن المنكدر عن سليمان بن يسار أن قوماً نزلوا منزلاً، ثم ارتحلوا ، وبغت امرأة منهم، فرُفعت إلى عمر بن الخطاب ، فجلدها عمر الحدَ ، وقال استوصوا بها خيراً ، وزوجوها ، فإنها من الأيامى »[3] ، فهذا الاستشهاد منه في هذا المقام يوضح دلالة المفردة أكثر، حيث قصد بهذا دلالة «البكر» ، التي لم يسبق لها زواج ، وهذا الحد الشرعي الصادر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاص بغير المحصنة في الشرع، و إلا إن كان الأمر غير ذلك ، لكان في حقها الرجم حتى الموت، وهذا ما

---

1 سورة النور، الآية: 22.

2 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج3، ص: 154.

3 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج3ص:155.

نصت عليه أحكام الحد في الزنا، وما يهم ههنا إشارة الشيخ هود بن محكم إلى المعنى الأول للمفردة ، دالاً به على أن مفردة الأيم ، هي بمعنى: كل امرأة ليس لها زوج ، أي: بكراً غير ثيبٍ .

وأما المعنى المضاد لهذا الأول عنده ، متمثل في قوله: « التي تقيم من النساء بلا زوج ، والذي يقيم من الرجال بلا امرأة »[1]، فقصد بهذا المرأة المطلقة، أو المتوفى عنها زوجها ، بدليل استعماله في سياقه مفردة : «تقيم» ، إذ نفهم من هذا أنها كانت متزوجة ، ثم انفصم عقدها بطلاق ، أو وفاة، أو مانع شرعي ، وهذا مفهوم منطوقه، وعليه يتجلى لنا المعنى الثاني للمفردة عنده .

وفي الإشارة إلى المعنى الأول ، لقول الفراء في معاني القرءان: وأنكحوا الأيامى منكم ، يعني: الحرائر ، والأيامى القرابات نحو: البنت والأخت وأشباههما [2]، وأجد إشارة إلى المعنى الثاني لقول أبي عبيدة في المجاز: « الأيامى من الرجال والنساء ، الذين لا أزواج لهم ، ولهذا يقال: رجل أيم، وامرأة أيمة، وأيم أيضا »[3]، قال الشاعر:

«فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ¤ وإن كنت أمتي منكم أتأيم »[4].

وكأني بهذا التحليل من الفراء وأبي عبيدة، قد جمع بينهما الشيخ هود بن محكم في بيان هذه المفردة بمعنيين متضادين.

قال ابن منظور: ... وتأيم الرجل زماناً ، وتأيمت المرأة: إذا مكثا أياماً وزماناً لا يتزوجان[5]، وبهذا دلت المفردة على: معنى أول بدلالة: إنسان عزبٌ رجلاً كان أو امرأة، تزوج من قبل أو لم يتزوج ، والثاني بدلالة : أرمل أو أرملة أصبحت أيماً بعد وفاة زوجها [6]، وبهذا الوارد في دلالة المفردة : « أيم » ، ذكر الشيخ هود بن محكم لها معنيين دلاليين ، جاعلاً العلاقة بينهما علاقة تضاد.

3. مفردة: «أحوى».

يبين الشيخ هود بن محكم في إقراره بعلاقة التضاد بين المعنيين اللذين أوردهما لدلالة مفردة : «أحوى» ،ما يفهم من قوله وبيانه دلالتين مختلفتين ، مفسراً بهما المفردة ، فأشار إلى أنها دالة على لون الاخضرار، وفي

[1] المصدر نفسه، ج3، ص: 155.
[2] ينظر: الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق ، ج2، ص: 251.
[3] أبو عبيدة ، مجاز القرءان، مصدر سابق ، ج2، ص: 65.
[4] البيت لجميل العذري، صاحب بثينة، أورده ابن منظور لسان العرب، في مادة:"أيم"، ج1،ص:392.
[5] ينظر: المصدر نفسه، (أيم)، ج1، ص: 392.
[6] ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة:(أيم)، مرجع سابق، ص: 415.

الوقت ذاته يقدم معنىً مضاداً لهذا ، على أنها دالة على السواد من شدة الخضرة، حيث ذكر هذا في تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ ﴾[1]، فقال: «أي: صار هشيماً بعد أن كان أخضراً ، والأحوى ... الأسود من شدة الخضرة »[2]، فدل بهذين المعنيين المتضادين على إبهام المعنى الأصلي للمفردة، وعدم تحديده، لذا أجده مفسراً إياها تارة بالاخضرار، وأخرى بشدة السواد ، وذلك موافقاً لما أعتمده أهل اللغة في إقرارهم بعلاقة التضاد بين هذين المعنيين المذكورين في تفسير الشيخ هود بن محكم[3] ، وعلق أحمد مختار عمر في إثبات هذه العلاقة بقوله: «... وذلك على فرض اعتبار الخضرة والسواد لونين متضادين »[4]، وذكر الطبري من المفسرين هذين المعنيين للمفردة بإيراده للدلالتين، حيث قصد من المفردة قوله: «... وإنما عني به ههنا أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً الى الحوة، وهي السواد من بعد البياض ، أو الخضرة من شدة اليبس»[5]، وعليه ألفيت الشيخ هود بن محكم في تفسيره مصنفاً إياها ضمن علاقات التضاد.

4. مفردة: «مسجور».

أورد المفسر الشيخ هود بن محكم معنيين متضادين لمفردة: «مسجور» ، على وزن «مفعول»، وأصل جذرها :«سجر»، إذ اعتبر ذلك من علاقات التضاد ، بإشارته إلى دلالتين مختلفتين لمفردة واحدة، فأضاف المعنى الأول ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢ ﴾[6]، متمثلاً في قوله: «في النار يسجرون ،أي: كسجر التنور بالحطب، أي: توقد بهم »[7]، فدل بهذا على ما يفيد الاشتعال، وبالمقابل أجده يورد المعنى الثاني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾[8] فقال: « والبحر المسجور، أي: الفائض، أي يفيض يوم القيامة على الأرض ... »[9]، وبهذا توافر لنا من تفسيره معنيان لهذه المفردة :الاشتعال، و الملئ ، إذ نفهم من ظاهر قوله : «الفائض» ، قصده بهذا

---

[1] سورة الأعلى، الآية: 5.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 449.

[3] ينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرءان، مصدر سابق، مادة: (احوى)، ج1، ص:140.

[4] أحمد مختار عمر، الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 160

[5] ابن جرير الطبري ،جامع البيان في تفسير القرءان، مصدر سابق ، ج26، ص: 518.

[6] سورة غافر، الآية :72.

[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج4، ص: 63.

[8] سورة الطور، الآية: 06.

[9] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 203.

المملوء ، وهذا ما سار عليه جمهرة من المفسرين ، إذ دلوا به على أنه البحر الذي يتقد ناراً، وأنه بمنزلة التنور المسجور، قاله مجاهد والضحاك وابن زيد وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش ، ورجح هذا الشوكاني فقال: والبحر المسجور أي : الموقد من السجر، وهو إيقاد النار في التنور ... وقيل المسجور المملوء، قيل أنه من أسماء الأضداد، يقال: بحر مسجور، أي: مملوء، وبحر مسجور، أي: فارغ ، وفي قول العرب: سجرت التنور وغيره ، إذا ملأته حطباً وناراً ، وكل شيء ملأته من شيء فقد سجرته به [1]، وفي التنزيل قوله تعالى : والبحر المسجور: المملوء، وزعم قوم أنه: الفارغ [2]، وإذا حققنا في أصل المفردة ، لألفينا أن مادة :«سجر» ، دالة على الهيجان والفيضان من شدة الامتلاء ، وهذا المعنى قد يختلف باختلاف الاستعمال، ففي البحر قد يراد به التموج الشديد والهيجان، ويراد به في النار: الالتهاب الشديد والاشتعال، وفي الرفيق والمصاحب بهيجان المحبة والمودة، وفي الشعر بالوفور والاسترسال، وأجد أن ما يجمع كل هذه الاستعمالات ، هو دلالة أصل المادة على الخروج عن الحد في الامتلاء، ومن ثمة تقرر المراد بها مطلق الهيجان الشديد القريب من حد الفيضان والامتلاء[3] ، وما يتضح من هذا كله ، إقرار العلاقة الضدية للمفردة بين معنييها ، وبهذا قال الشيخ هود بن محكم في تفسيره، وهذا ما اعتمده في بيان دلالة المفردة، و به كشف معناها.

5. مفردة :« عسعس».

ورد ذكر هذه المفردة : «عسعس» ، مرة واحدة في كلام الله تعالى في سورة التكوير، ومن ثمة فُسر مرة واحدة من قبل المفسرين ، وأجمعوا على وقوع معنيين دلاليين متضادين للمفردة ، والشيخ هود بن محكم حدد لهذه المفردة ما حدده لها أهل اللغة والتفسير ، إذ بين ذلك في تفسيره لها عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ ﴾[4]، ففسرها بالمتضادين ، مبرزاً علاقة التضاد في المفردة بقوله: اذا عسعس: تفسير الحسن إذ أظلم، ... ، وإذا أدبر، يقال: اقباله، ويقال ادباره[5] ، ومن هذا يفهم مراده من المفردة على أنها دالة على معنى الإقبال ، وفي الوقت ذاته دالة على معنى الإدبار ، والإقبال ضد الإدبار، وبهذا قال أهل اللغة حينما دلوا بعسعس على مطلق الإقبال، ومطلق الإدبار، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، وقال مجاهد في الآية ، هو: إقباله، وقال قتادة :هو

---

[1] ينظر: الإمام محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1414، ج5، ص:134.

[2] ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، مصدر سابق، ج2، ص: 76.

[3] ينظر: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرءان، مؤسسة الطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1416، ج5، ص: 867.

[4] سورة التكوير، الآية: 17.

[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج4، ص: 432.

إدباره ، وقال أبو إسحاق بن السري: والمعنيان يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ ، وهو ابتداء الظلام في أوله ، وإدباره في أخره، ولو حققنا في أصل المفردة لأدركنا دلالتها على حركةٍ وعملٍ في ستـرٍ وخفـاءٍ إلى أن يصل إلى مطلوب وينكشف له الظلام [1] ، وأما العسعسة باعتبار تضعيفها ، فذلك دال على تكرار وتضعيف المعنى.

قال ابن فارس: عس، العين والسين أصلان متقاربان، أحدهما الدنو من الشيء وطلبه، والثاني خفة في الشيء، فالأول العسس بالليل كأن فيه بعض الطلب ، قال الخليل: العسس: نفض الليل على أهل الريبة ، يقال عس يعس عساً ، وبه يسمى العسس الذي يطوف للسلطان بالليل ، ويقال عسس الليل ، إذا أقبل، وعسعست السحابة ، إذا دنت من الأرض ليلاً [2]، وقال الفراء: «والليل إذا عسعس اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر، وكان بعض أصحابنا يزعم أن: عسعس دنا من أوله وأظلم »[3] ، وما يمكن استخلاصه من هذا التحليل في بيان دلالة ومعنى المفردة ، هو اجتماع المعنيين في المفردة ، وهذا ما جعل الشيخ هود بن محكم يصنفها ضمن علاقات التضاد ومباحثه.

6. مفردة : «قرء».

سبق وأن أشرت إلى أن من بين أهم أسباب نشوء علاقات التضاد ، عامل عموم المعنى ، إذ ينشأ من عموم دلالة اللفظ ، فتتسع مساحته الدلالية لمعنيين متضادين معاً ، وقد سبق هذا في أنواع التضاد الإشارة إليه ، وفي تفسير الشيخ هود بن محكم ، أجده يلمح لعموم المعنى ، واتساع المساحة الدلالية لمفردة : «قـرء» ، فدل بها على معنيين متضادين على سبيل العموم ،فذكر في تفسيره لقوله تعـالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾[4] ، حيث قوله: «والقرء: الحيض في قول أهل العراق ، وفي قول أهل المدينة، هـو الطهـر»[5] ، فالدلالتين ههنا متضادتين، إذ القرء بمعنى الطهر لا يساوي القرء بمعنى الحيض، والمراد من هذا كله: الوقـت ، طالما أن المسألة مسألة تربصٍ ومكثٍ، وهذا صريح الآية، واستشهاد المفسر ههنا بقـول "أهـل العـراق" ، ودلالتهم على معنى قرء، واستشهاده أيضا بلغة أهل المدينة، وإقرارهم على معنى الطهر، لهو علامةٌ واضحةٌ على

---

[1] ينظر: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرءان، مرجع سابق ، ج8، ص: 154 – 157.

[2] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق ، مادة: (عس)،ج4، ص:411.

[3] الفراء ، معاني القرءان، مصدر سابق ، ج3، ص: 3.

[4] سورة البقرة، الآية: 228.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 201.

جمعه بين المعنيين المتضادين في مفردة واحدة ، وفي الوقت ذاته هذا يبرهن على سعة اطلاعه، وشساعة معرفته بالألفاظ ودلالتها في لغة العرب.

قال الطبري: «واختلف أهل التأويل في تأويل القرء الذي عناه الله بقوله: «يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء، فقال بعضهم: هو الحيض ... وقال آخرون: بل القرء الذي أمر الله تعالى ذكره المطلقات أن يعتددن به الطهر»[1]، وتعد مفردة قرء من أشهر مفردات التضاد في كلام الله عز وجل، لإشتمالها على دلالتين متضادتين ، ومرد هذا، ذلك التوسع الحاصل في المعنى وعموميته، وإلى هذا المعنى نقل ابن الانباري عن قطرب قوله: « إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع »[2]فلما كان القرء بمثابة الدلالة العامة، حُملت على وقت الطهر ، وحُملت على معنى وقت الحيض، ومن ثمة كان القول بضدية المعنيين للمفردة.

وجاء في اللسان:...القرء والقرء: الحيض والطهر، ضد، وذلك أن القرء الوقت ، فقد يكون للحيض، والطهر[3]. واختلف في تصنيف المفردة لدى أهل اللغة، أهي ضمن المشترك اللفظي؟ أم تنتمي لعلاقات ومباحث التضاد؟ أقوالٌ عدةٌ في ذلك ، وجمع أراء لغوية، وأخرى فقهية[4] ، غير أني ههنا أوردت ذكرها ضمن مبحث التضاد، تبعاً لما أدلى به المفسر الشيخ هود بن محكم في بيان دلالتها ، ومعنييها المتضادين، فكان إقراره بعلاقة التضاد فيها.

7. مفردة :« قانع».

يفسر الشيخ هود بن محكم هذه المفردة ، بذكره لها دلالتين متضادتين في كشفه لمعناها ، إذ وردت المفردة في قوله تعالى: ﴿ وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ ﴾[5]، فقال عندها المعنى الأول بقوله : «.. القانع: القاعد في بيته لا يسأل الناس ...، والقانع: السائل الذي يقنع بما أُعْطِيَ ... »[6]، وعلى هذين يتبين تحديده للمعنيين ، فالأول أراد به دلالة المستعفف الماكث في بيته لا يسأل الناس حاجة ، أي: مستغني عن السؤال، في حين دل على

[1] ابن جرير الطبري ،جامع البيان، مصدر سابق ، ج4، ص: 216.
[2] ابن الأنباري ،الأضداد، مصدر سابق ، ص: 08.
[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (قرء) ج5، 137.
[4] ينظر: عبد الكريم الحائري محاضرات أصول الفقه، ، مطبوعات جامعة أهل البيت، بغداد، د ت، د ط، المحاضرة 50، ص: 92.
[5] سورة الحج، الآية: 36.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 102.

ضده بمعنى ثان ، متمثل في دلالة السائل الذي يسأل الناس، ثم يقنع بالذي قُدِم له، وعلى هـذا الأسـاس ، عُقِدت علاقة التضاد بين المعنيين للمفردة عنده.

واختلف كثيرٌ من المفسرين في كشف معناها ودلالتها الدقيقة ، إلا أنهم يكادون أن يجمعـوا علـى المعنيين اللذين أشار إليهما المفسر الشيخ هود بن محكم في موطن المفردة [1]، وفي تحقيق المفردة أجد كلا المعنيين المتضادين واردين، وأضاف المصطفوي في تحقيقه للكلمة ، معنى آخراً، أجده موافقاً لما فسر به الشيخ هود بن محكم قوله تعالى في موطن آخر: ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾[2]، بقوله: «... رافعي رؤوسهم ،شاخصةً أبصـارهم »[3]، وإلى هذا المعنى الأخير، أشار ابن منظور في لسانه[4]، وكأني بدلالة هذا الأخير الدال بها على رفع الرأس ، لها علاقة معنوية بالمعنى الأول الذي أشار إليه كثير من المفسرين، حينما عبروا عن دلالة القانع أنه القاعد في بيته ، لا يسأل الناس، فرفع الرأس ههنا مواتياً لحالته النفسية ربما ، أو لربما كان في ذلك إشـارة إلى صـون وحفظ ماء الوجه عن السؤال وذُله ، فهذا من حيث استعمال صيغة قانع ، على وزن " فاعل" في الحياة الدنيا ، أما بالنسبة لسياق الآية :﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾، فهي في معرض الحديث عن أهل الكفر ، والجزاء الـذي ينتظرهم في أهوال يوم القيامة، واستعملت العرب قول: قنع البعير، إذا مد رأسه للشرب ، والإقناع أيضاً [5] ، ومن خلال هذا التضارب والاختلاف ، أجد المفسر الشيخ هود بن محكم يدرجها ضمن المفردات ذات المعاني المتضادة في تفسيره ،بإيراده لها معنيين متضادين.

8. مفردة: «مبصر».

يحدد المفسر الشيخ هود بن محكم لهذه المفردة ، معنيين متضادين ، حيث ذكر كلاً منهما في موطنين من القرءان تضمنا هذه المفردة ، فدل بالمعنى الأول على دلالة ومعنى التائب من ذنبه ، والمبصر لخطيئته ، وهذا في قوله تعالى :﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[6]، ففسر دلالتها بقولـه:

---

[1] ينظر: مقال: من هم القانع والمعتر؟، معاني كلمات القرءان، موقع معلومة، www.ma3elouma.net، بتاريخ: 2018/11/12، ص:4.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 43.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج2، ص: 331.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (قنع)، ج7، ص: 236.

[5] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق ، مادة: (قنع) ج5، ص: 191 .

[6] سورة الأعراف، الآية: 201.

«مبصرون: أي: تائبون من المعصية »[1] ، وحدد المعنى الثاني المضاد لهذا الأول في دلالة الضياء والضوء ، وذلك قوله في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾[2] ، حينما عبر عن دلالة «مبصر» بقوله: «أي: مضيئاً»[3] ، وبهذين تقرر عنده عقد علاقة التضاد بين معنيي المفردة، وإلى هذا المعنيين أشار الواحدي في تفسيره ، لما وقف على دلالة قوله: «فإذا هم مبصرون» ، ذكر المعنى الأول المتقدم عند الشيخ هود بن محكم بقوله: «مبصرون مواقع خطئهم فيترعون من مخالفة الله»[4]، وقصد بذلك معنى الترع من المخالفة، دلالة التائب العائد لربه، والمعنى ذاته في معالم التتريل ، بقول البغوي: «أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر، قال السري: إذا زلوا، تابوا ... »[5]، فقصدوا بهذا التحليل ما قصده الشيخ هود بن محكم .

وتحدث الطنطاوي في تفسيره على دلالة المعنى الثاني الدال بالمفردة على الضياء بقوله: «أي: الله وحده سبحانه هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لكي تستقروا فيه بعد طول الحركة في نهاركم من أجل معاشكم، وهو الذي جعل لكم النهار مضيئاً لكي تبصروا فيه مطالب حياتكم »[6] ، وأجد تعليق الفراء على قوله تعالى :﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً ﴾[7] ، بقوله: «جعل الفعل لها، ومعنى مبصرة: مضيئة »[8]، وفي لسان العرب إجماع على المعنيين المذكورين من الجذر "بصر، يبصر بصراً ومبصراً"، أي: علم فهو بصير، وبصر أبصر يبصر إبصاراً، أي: رأى فهو مبصر، ودل على تائب ومضيء[9]، وغير هذا أجد تظافر النصوص والدلالات في كشف معنى: مبصراً لدى أهل التفسير واللغة، واصطلحوا على المعنيين المتضادين لها كمعنى تراد به، ولهذا أجد الشيخ هود بن محكم قد حوى بتفسيره للموطنين الدلالتين المتضادتين لهذين المعنيين ، مُقراً بعلاقة التضاد في معاني المفردة.

1 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص:69.
2 سورة غافر، الآية: 61.
3 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 62.
4 علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: صفوت عدنان، دار القلم،دمشق،الطبعة1،دت ج2، ص: 154.
5 البغوي، معالم التتريل، مصدر سابق، ج2، ص: 23.
6 محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرءان الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1998، ج15، ص: 365.
7 سورة الإسراء، الآية23.
8 الفراء ،معاني القرءان، مصدر سابق ، ج2، ص: 126.
9 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (بصر)،ج1، ص: 371 .

9. مفردة: «بلاء ».

نجد لهذه المفردة معنيين متضادين في الاستعمال القرءاني، أشار إليهما المفسر الشيخ هود بن محكم في مواطن عدة من تفسيره، إذ حدد دلالة المفردة في المعنى الأول الدال به على النعمة والمنحة ، وبالثاني دلالته إياه بها على: النقمة والاختبار بالمحنة.

ولقد تتبعت مواطن ذكر هذه المفردة في القرءان الكريم ، فأجد الشيخ هود بن محكم مفسراً دلالتها في ستة مواطن بدلالة الاختبار بالمحنة، وذلك هو الأصل في دلالة مفردة بلاء[1]، وسأذكر من تلك المواطن أمثلة توضيحية، كما يتضمن في هذا المعنى العام نعمة ومنحة ، ونقمة ومحنة، ثم تسمي العرب الخير بلاءً، والشر بلاءً ...[2]، ومن ذلك المتقدم ذكره ، قول الشيخ هود بن محكم مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩ ﴾[3]، فدل بها ههنا على: «النعمة العظيمة» فقال: «وفي ذلكم بلاءٌ ... أي: نعمة من ربكم عظيمة إذ نجاكم منهم »[4]، فهذا المعنى الأول عنده للمفردة، وجاء ذكر هذا في مجاز أبي عبيدة أيضاً حيث قال في دلالة المفردة : «أي: ما ابتليتم من شدة ، وفي موضع آخر: البلاء، الابتلاء يقال: الثناء بعد البلاء ،أي: الاختبار من بلوته ، ويقال: له عندي بلاءٌ عظيمٌ، أي نعمةٌ ويدٌ، وهذا من ابتليته خيراً ... »[5] ، وبهذا المعنى قال جمهور من المفسرين ، فقال الزمخشري: «البلاء المحنة ، أن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون ، والنعمة ، أن أشير به إلى الإنجاء »[6]، وأيده الصابوني بقوله: «... إنها فيما ذُكر من العذاب المهين من الذبح والاستحياء محنة واختبار عظيم، من جهته تعالى بتسليطهم عليكم ، لتميز البر من الفاجر»[7].

وذهب الطبري إلى أن المقصود بمفردة البلاء في هذه الآية بمعنى: النعمة، وعرض في تفسيره كثيراً من أراء العلماء الذين رأوا المعنى ذاته لمفردة البلاء ههنا[8] ، وفي السورة نفسها ، يذكر الشيخ هود بن محكم المعنى الثاني

---

[1] ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1999، ج1، ص: 111.

[2] ينظر: الطبري، جامع البيان، مصدر سابق ، ج1، ص: 86.

[3] سورة البقرة، الآية: 49.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 104.

[5] أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق ، ج1، ص: 48، وينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرءان، مصدر سابق، ص:469 ، 470.

[6] الزمخشري، الكشاف ، مصدر سابق، ص:279.

[7] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرءان الكريم، بيروت، ط 1986، ج1، ص: 57.

[8] ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج1، ص:88 – 90.

المتمثل عنده في دلالة الاختبار بالمحنة في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ﴾[1] ، حيث أبان عن دلالتها بقوله: «إن الله مبتليكم، أي: مختبركم »[2]، وبهذا الثاني تنكشف لنا علاقة التضاد عنده بين المعنيين في مفردة بلاء ، قال أبو جعفر في هذه الآية: إن الله مختبركم بنهر ليعلم كيف طاعتكم له [3].

ومن هنا نستنتج أنها تتضمن معنى البلاء بدلالتها العامة على الاختبار، وفي تأكيد المعنى الأول الدال على الاختبار بالإنعام و المنح، يفسر الشيخ هود بن محكم ثانيةً قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ ﴾[4]، بقوله: « أي: ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين يوم بدر»[5]، وبه فسر أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ ﴾[6]، أي: «النعمة البينة عليك من الله إذا لم تدع ابنك »[7]، وسياق قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، مع ابنه سيدنا إسماعيل، كفيلٌ بإقرار هذا المعنى ، وهذا وجه من وجوه تأويل الآية، ينسب إلى ابن السائب ومقاتل ، وقيل : إن البلاء هنا، بمعنى الاختبار، وهو قولٌ نُسب إلى ابن قتيبة وغيره[8]، إلا أن الشيخ هود بن محكم ههنا في هذا الموطن خالف جمهرة المفسرين في كشفه لدلالة المفردة ، وقال بمعنى: النعمة فيها، وفي تأكيده على دلالة المعنى الثاني المضاد لهذا الأول ، قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾[9]، حيث ذكر: «أي: نختبره»[10] ، ومن ثمة فسرت المفردة لديه بدلالتين متضادتين ، موافقاً في كشفه للمعنيين ، ما جاءت به معاجم اللغة ، المعتبرة دلالة البلاء في المحنة النازلة بالمرء، وبدلالة النعمة الظاهرة[11]، وبناءً على ما تقدم ذكره ، صنف المفسر الشيخ هود بن محكم هذه المفردة ضمن مفردات التضاد في تفسيره.

---

1 سورة البقرة، الآية: 249.
2 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 218.
3 ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج1، ص: 631.
4 سورة الأنفال، الآية: 17.
5 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 81.
6 سورة الصافات، الآية: 106.
7 المصدر نفسه، ج3، ص: 401.
8 ينظر: ابن قتيبة، مشكل تأويل القرءان، مصدر سابق، ص: 469.
9 سورة الإنسان، الآية: 02.
10 هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 404.
11 ينظر: جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط1، 1992، ج1، ص: 12.

9. مفردة: «جن».

أجد الشيخ هود بن محكم في كشفه معنى هذه المفردة «جن» متفرداً عن كثيرٍ من أهل اللغة ، وأهل التفسير، بانفراده بمعنى لم يشر إليه من طرف المعاجم ، وأغفلته، وهو بهذا يورد في دلالة المفردة معنيين متضادين، فحدد المعنى الأول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾[1]، فصرح ههنا متفرداً بهذا المعنى، معتبراً دلالة المفردة ، موازية لمعنى الملائكة ، إذ يفهم من تفسيره تأويله للآية على هذا النحو: إلا ابليس كان من الملائكة ، وهذا نص قوله في تفسيره لها: «... قال بعضهم : كان من الجن ، وهم قَبِيلٌ من الملائكة ، يقال لهم الجن، وكان ابن عباس يقول: لو لم يكن من الملائكة ، لم يؤمر بالسجود ... »[2]، فأجد ههنا دلالته الأولى للمفردة على أنها: الملائكة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ﴾[3]، أجده يذكر المعنى الثاني المضاد للأول بقوله : « وخلق الجان: يعني إبليس ...، والجن كلهم من أولهم إلى آخرهم ولد إبليس ... »[4] ، فقصد من هذا دلالة عامة متضمنة معنى المفردة، فحدد الدلالة الثانية في معنى: إبليس، وبين هذا الأخير، وما تقدم ذكره ، قامت علاقة التضاد عنده بذكره المعنيين (الملائكة ≠ إبليس)، وفي المعاجم العربية تفصيلاً في المعنى الثاني الوارد عند الشيخ هود بن محكم غير هذا المذكور، إذ دلوا بالمفردة على معانٍ عدة ، كالستر والتستر.

قال ابن فارس في أصل هذه المفردة: «الجيم والنون أصل واحد ، وهو الستر والتستر، فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة ، وهو ثوابٌ مستورٌ عنهم اليوم ، والجنة: البستان، وهو ذلك لأن الشجر بورقه يستر»[5]، والجن سموا بذلك لأنهم متسترون عن أعين الخلق، وغير ذلك من المعاني المتاخمة لهذا الأصل (جن) في المعاجم اللغوية.

وأجد القرطبي في تفسيره مقارباً في المعنى الأول الذي تفرد به الشيخ هود بن محكم ، حينما قال: ... وهو قول جمهور العلماء ، كابن عباس ، وابن مسعود، وابن جريج ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة وغيرهم، وهذا في موطن بيانه انقسام العلماء اللغويين والمفسرين إلى كشف معنى هذه المفردة إلى قسمين ، فالقسم الأول منهم

---

[1] سورة الكهف، الآية: 50.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج2، ص: 461.

[3] سورة الرحمان، الآية: 15.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 240.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: (جن)، ج1، ص: 422.

يرى أن إبليس من الملائكة، وهذا هو المراد عندهم من قوله تعالى : (كان من الجن)، غير أن الغالب منـــهم لم يفصل في هذا تفصيلاً لغوياً أو يذكره ، والفريق الثاني يرى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وإنما هو من الجن، وهذا مذهب غالبية المفسرين ،كابن عباس في رواية غير روايته الأولى، والحسن البصري، واختاره الزمخشـــري والكواشي وذكره الرازي، ولكلٍ من الفريقين أدلة تثبت رأيه [1] ، ومهما يكن الأمر فان المفردة احتملت معنيين في تفسير كتاب الله العزيز للمفسر هود بن محكم، لهذا صنفت ضمن مفردات ومبحث التضاد.

10 مفردة: « خوف ».

وقف الشيخ هود بن محكم في تفسيره مبيناً دلالات عدة لمفردة الخوف ، وما يحمله كل استعمال وردت فيه المفردة، ومن خلال عمله هذا ، يتبين إدراجه للمفردة ضمن مبحث التضاد، بذكره لها معنيين متضادين في الدلالة، والأمر ذاته لدى كثير من المفسرين، حيث إبانتهم عن دلالة الخوف في القرءان الكريم، وسأذكر ههنا دلالتين لها فقط مما أشار إليه الشيخ هود بن محكم ، سعياً لإبراز علاقة التضاد بينهما .

فأما الدلالة الأولى وقف عليها الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾[2] ، مبرزاً إياها بقوله : «فمن خاف: أي: فمن علم ... »[3]، إذ دل بها ههنا على معنى العلم ، وما أكثر هذه الدلالة عنده في كشفه لمعنى مفردة الخوف ، وهذا ما يفسر ســـعة إطلاعـــه بتحقيـــق مفردات القرءان ، وكشفه لمعانيها، فمن خلال تتبعي لمواطن المفردة في تفسيره أجده في الغالب يقرن دلالتـــها بمعنى العلم، وهذا وجه دلالي من أوجه دلالة الخوف في القرءان الكريم.

ويحدد المعنى المضاد لهذا في تفسيره لقولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[4]، بقوله: «وإذا جاءهم أمر من الأمن، أي: من أن إخوانهم آمنون ظاهرون، أو الخوف، يعني القتل والهزيمـــة ... »[5]، فأفهم من ظاهر قوله دلالته بالخوف على معنى القتال والهزيمة ، وبهذين المعنيين حصلت علاقة التضاد عنده ، من خلال ذكره المعنى الأول (العلم) ، وإيراده للمعنى الثاني (القتل)، ومما تجدر الإشارة إليه ههنا ، أن سبب اقتصاري على هذين الدلالتين كمثال من تفسيره ، مرد ذلك أنهما شهيرتان عنده في غالبية مـــواطن كشـــفه

[1] ينظر: القرطبي، جامع أحكام القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 516، وينظر: علوي بن عبد القادر السقاق، الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب العاشر، الباب السادس، الإيمان بالجن، منشورات الجامعة العلمية، صنعاء، اليمن، دط، دت، ص: 391 .

[2] سورة البقرة، الآية: 182.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 163.

[4] سورة النساء، الآية: 82.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص: 364.

وإبرازه دلالة الخوف ، ذلك أن المفردة ذكرت في القرءان في أربع وعشرين ومائة موضع ، سبعة وثمانين منها بصيغة الفعل: (أخاف) ، وسبعة وثلاثين بصيغة الاسم (الخوف) ، وقرن لفظ الخوف في الغالب ب (لا) الناهية ، وب لا) النافية ، ولو شئنا التعمق أكثر ، لأدركنا العلاقات الدلالية في مفردة الخوف باعتبارها دالة على سبعة معانٍ ، أشار إليها الشيخ هود بن محكم في مواطن ذكرها ، ومن بين هذه المعاني عنده ، الخوف من العدو، وبمعنى الحرب والقتال ، وبمعنى القتال والهزيمة ، وهذا ما أشرت إليه سابقاً في الغالب في تفسيره ، وبمعنى العلم والدراية أيضاً ،وهذا أكثر المعاني المذكورة للخوف عنده، وبمعنى الظن، وبمعنى الخوف نفسه ، وبمعنى النقص[1] ، فكل هذه المعاني واردةٌ في تفسيره ، غير أني اقتصرت على ما يفي بالمراد ههنا، وسلكت مسلك أحمد مختار عمر في تصنيفه المفردة ضمن أمثلة التضاد دون الاشتراك [2]، وهذا ما رجحه الشيخ هود بن محكم من خلال تحليلي لكل تلك الدلالات المذكورة لمفردة الخوف في تفسيره.

ومعلومٌ لدى المعاجم اللغوية ، أن الخوف انفعال في النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه ، أو يفوت من المحبوب،[3]،وضده: الأمن والأمان ، وحول هذا أجد الشيخ هود بن محكم ، قد راعى تلك الإرتباطات المفاهيمية للمفردة ، محاولاً إسقاط تعريف الخوف ودلالته على تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾[4]، حينما عبر بكشفه للمعنى العام، و المعرف لدلالة الخوف بقوله: «.....و هو الأمن الذي كان فيه أهل الحرم ، وأهل الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ، وهم آمنون مما فيه العرب »[5]، فإشارته إلى الضد بدلالة الأمن ، مؤشرٌ على إقامته علاقة التضاد في المفردة بين معانيها ، وثمة نقطة يجب ذكرها ههنا ، أستشفها من تفسير الشيخ هود بن محكم ، ألا وهي ربطه الخوف بدلالة الرجاء ، ولعل هذا مبحثٌ هامٌ مستقلٌ بذاته، يمكن أن يندرج ضمن ما يسمى بدلالة الخوف والرجاء في القرآن.

---

[1] ينظر: لفظ الخوف في القرءان الكريم، موقع اسلام ويب،iselam wib/net بتاريخ: 2018/11/18، 20:13، وينظر: مواطن تفسير مفردة الخوف من تفسير الشيخ هود بن محكم، مصدر سابق، ج4،ص:378، ج4، ص: 378.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، الإشتراك والتضاد في القرءان الكريم، مرجع سابق ، ص: 143.

[3] ينظر:إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص: 351، وينظر: محمد عميم، التعريفات الفقهية، دار الإحسان، ط 1407ه – 1986م، ص: 53، وينظر: الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص: 267.

[4] سورة قريش، الآية: 04.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 486.

غير أن الشيخ هود بن محكم ربط المفهومين الدلاليين في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[1]، إذ قال : «لا ترجون وقاراً، أي : لا تخافون لله عظمة »[2]، وهي نفس الألفاظ التي أوردها الفـــراء في المعاني[3]، وهذا يدفع بنا للتساؤل هل دلالة الخوف في تفسيره ، هي دلالة الرجاء، وسأسعى إلى تبيان هـــذا في مفردة: «رجا» من أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم.

ومن خلال ما سبق، أتوصل إلى أن الشيخ هود بن محكم بهذه المعالجة والتحقيق للمفردة ، أبان عن علاقة التضاد بين المعنيين المذكورين آنفاً.

11. مفردة: «رجا».

لهذه المفردة «رجا» ارتباطاً دلالياً وثيقاً بينها وبين معنييها المتضادين، ومعاني دلالة الخوف المشار إليها سابقاً لدى الشيخ هود بن محكم في تفسيره ، إذ يعبر بمدلول الرجاء عن الخوف ، والعكـــس، ولهـــذا كانـــا تفسيريهما متلازمين[4] ، وفي ذلك اتفاق دلالي بين المفردتين :«خوف، رجا» سأبينه لاحقاً.

وفي تتبعي لدلالة الرجا في تفسير الشيخ هود بن محكم ، أجده يحدد لها في غالب مواطن ذكـــر المفـــردة معنيين متضادين ، فأما المعنى الأول بمعنى الخوف، إذ بين ذلك في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[5]، فدلالة الرجا ههنا عنده قرينة الخوف في المعنى ، وفي قوله: «مالكم لا ترجون لله وقاراً: أي: لا تخافون لله عظمة .. »[6]، نصٌ صريحٌ يفهم منه دلالته بالرجاء على معنى الخوف ، ويحدد المعنى الثاني بدلالـــة الطمع في تضمينه معنى هذا الأخير في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[7] ، فقال في تفسيرها، أي: الجنة، بمعنى طامعاً فيها [8]، وهذا المراد من قوله تعالى: ﴿

---

[1] سورة نوح، الآية: 13.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص: 378.
[3] ينظر: الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 188.
[4] ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، مصدر سابق، مادة: (رجا)، ج2، ص:247.
[5] سورة نوح، الآية: 13.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 378.
[7] سورة الزمر، الآية: 09.
[8] ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 30.

﴿ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦٓ ﴾[1]، بعد سياق المقارنة التي عقده المولى عز وجل بين حالة عبدٍ طائعٍ ، وآخر عاصٍ ، وبهذين المعنيين : (الخوف، الطمع) ، تتحقق لدى الشيخ هود بن محكم علاقة التضاد بين معنيي المفردة.

وفي بيان هذه العلاقة أجد إشارة صاحب شمس العلوم إلى ذلك بقوله: « الرجاء: الأمل .. والرجاء الخوف، وهو من الأضداد، وهما مصدران من رجا ... »[2] ، وأورد صاحب مختار الصحاح المعنيين بقوله: «... والرجاء من الأمل ممدود،... ورجاه وترجاه، وارتجاه، كله بمعنى واحد، والرجو والرجاء بمعنى: الخوف »[3]، وإيراد المعاجم العربية «الأمل» في بيان دلالة أحد معاني الرجاء ، قد ينطبق على ما قصده الشيخ هود بن محكم في المعنى الثاني المذكور عنده ، وهذا مثالٌ آخر يؤكد قصده ، حيث ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[4] ما يفيد هذا المعنى، وذلك في قوله: «وترجون من الله ما لا يرجون من ثواب الآخرة »[5]، إذ يفهم من ظاهر القول في هذا الموطن دلالة الأمل والطمع في الجزاء الذي أعده الله تعالى لمستحقيه.

ويصرح بدلالة الطمع كمعنى من معاني الرجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾[6] بقوله: «أي يطمعون في رحمة الله يعني الجنة»[7]، وفي معنى الرجاء بدلالته العامة ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله[8]، هذا ما اعتمده الشيخ هود بن محكم من فهم دلالي في تفسيره لهذا الموطن، لكن في تفسيره لآية سورة نوح فسر الرجاء بمعنى الخوف، وإلى هذا أشار الفراء قائلاً: «إنما يوضع الرجاء موضع الخوف لأن مع الرجاء طرفاً من الخوف»[9] فاستعماله ههنا الرجاء بدلالة الخوف أو الخوف بدلالة الرجاء ما تقدم في موطنه يكشف حسه الدلالي وتحقيقه لمفردات وألفاظ كلام الله.

---

[1] ينظر: الطبري، تفسير جامع القرءان، مصدر سابق، ج6، ص: 341.

[2] نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،1999م،ج2، ص: 73.

[3] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة: (رجا)، ج3، ص: 86 .

[4] سورة النساء، الآية: 104.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 379.

[6] سورة البقرة، الآية: 218.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص: 192.

[8] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 338.

[9] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 286.

وفي موضوع الحديث عن علاقة الرجاء بالخوف، أو الرجاء بالتمني كلامٌ طويلٌ في كشف معاني جزئية من ذلك، خصوصاً في مقصدية الخطاب الألهي، وإنما كان السعى من هذا ذكر المفردة رجا من مفردات التضاد عند الشيخ هود بن محكم في تفسيره.

12. مفردة :«زوج».

الأصل في هذه المفردة «زوج» دلالتها على مقارنة شيء لشيء[1]، وكل ما كان له قرين من جنسه يقال له: زوج، ومن ثمة فإن «الزوج» اسم يقع على أحد المتقارنين؛ كقولنا للرجل زوجٌ، وللمرأة زوجٌ ، وهذا ما أشار إليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردة زوج بذكره معنيين متضادين لها، فأما ما تقدم ذكره ينطبق على تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، إذ دل بهذه المفردة على مدلول أحد القرنين بقوله: « فجعل منه الزوجين ... ،الذكر زوج، والأنثى زوج »[3]، فتحدد من ذلك المعنى الأول للمفردة عنده، والزوجان في كلام العرب الاثنان يقال: عليه زوجا نعالٍ، إذا كانت عليه نعلان، ولا يقال عليه زوج نعال، ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً: زوج[4] ، ودل الشيخ هود بن محكم بالمفردة على دلالةٍ ثانيةٍ ، حددها في «اللون» ، فكانت دلالة اللون قرينة مفردة زوج عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾[5]، حيث قال: «..وأنبتنا فيها من كل زوج ، أي: من كل لون بهيج ، وكل ما ينبت من الأرض فالواحد منه زوج ...»[6] ، فاعتباره ههنا دلالة اللون كمعنى ثانٍ مضاد للأول، يحصل به التضاد في المفردة حين الجمع بين المعنيين عنده.

ولقد تتبعت مواطن آيات ذكر هذه المفردة ، فإذا هي ثلاثة وثمانون موضعاً ، يحدد دلالتها الشيخ هود بن محكم في الغالب بهذين المعنيين المذكورين عنده في التفسير (أحد القرنيين، اللون) ، والأصل أن هذه المفردة وردت في كلام الله تعالى على ثلاثة معانٍ، فأما الأول بمعنى الزوجة خليلة الرجل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾[7]، وبمعنى الصنف أو اللون والنوع، ومثل هذا ذكره الشيخ هود بن

[1] ينظر: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرءان، مصدر سابق، مادة: (زوج)،ج4، ص: 380 – 382،

[2] سورة القيامة، الآية: 39.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 403.

[4] ينظر: محجوب محمد موسى، تطهير اللغة من الأخطاء الشائعة، دار الإيمان، الإسكندرية، ط1، دت، ج1، ص 79 .

[5] سورة ق، الآية: 07.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 183.

[7] سورة النساء، الآية: 12.

محكم على قلة في تفسيره، من ذلك قوله في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ ﴾[1]، إذ أشار إلى واحد من معاني مفردة (زوج) في القرءان الكريم بقوله: «أي: من كل صنف حسن، وكل ما ينبت من الأرض، فالواحد منه زوج ، وهذا على الاستفهام ... »[2]، وبالمقارنة مع تفسيره السابق لآية سورة ق، أجد الكلام ذاته، إلا أن الاختلاف في دلالة: (صنف ولون) على مفردة (زوج) عنده.

وأما المعنى الثالث فهو بدلالة الزوج بمعنى القرين والنظير، وهذا تقدم ذكره في الإشارة إلى المعنى الأول الذي اعتمده الشيخ هود بن محكم للمفردة ، ويتأكد هذا المعنى في تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾[3]، بقوله في إيضاح دلالتها العامة: «... السماء والأرض ، والجنـــة والنـــار، والليل والنهار والصيف والشتاء ، وكل اثنين فالواحد منه زوج »[4] ، والملاحظ في كل تلك المواطن من تفسيره ذكره لعبارة «فالواحد منه زوج» ، وتكرارها في كل مرة، فذلك قصده بتعميم المعنى الثالث ، وتغليبه عنده في جميع تفسيراته لتلك المواطن التي وردت فيها المفردة .

وحاصل القول أن هذه المفردة حددت دلالتها في القرءان الكريم على ثلاثة معان ، والسياق هو مـــن يكشف المعنى المقصود من ذكرها ، فهي من مفردات اللغة التي لا يبرز معناها إلا من خلال سياقها، وفي هذا الصدد قال الأزهري : وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين، والزوج عندهم الفرد، وهذا في رده على ابـــن قتيبة لما أبان عن دلالة المفردة في حقل الحساب ، باعتباره كون الزوج واحداً ، وكونه في الوقت ذاته اثـــنين، لكن الصواب ما ذكره الأزهري، وقال السجستاني: لا يقال للاثنين زوجٌ لا من الطير ولا من غيره ، فإن ذلك من كلام الجهال، واشترطوا لتسميتهم الواحد بالزوج شروطا منها: أن يكون معه آخر من جنسه ، وهذا أهم شرطٍ ههنا[5] .

ومهما يكن الأمر فإنني أجد في تفسير الشيخ هود بن محكم في كشفه لدلالة (زوج) في الغالب ذكـــره لدلالتين متضادتين (أحد القرينين، والصنف، واللون)، وبهذين المعنيين تأسست علاقة التضاد في المفردة لديه.

[1] سورة الشعراء، الآية: 07.
[2] المصدر نفسه،ج3، ص: 196.
[3] سورة الذاريات، الآية: 49.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 199.
[5] ينظر: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرءان، مصدر سابق، مادة: (زوج) ،ج4، ص: 380 – 382.

13. مفردة: «أَسَرَ».

يفسر الشيخ هود بن محكم هذه المفردة «أسر» بدلالتين متضادتين ،كاشفاً بهما معنى كل سياقٍ وردت فيه ، حيث دل بأحدهما على دلالة الاخفاء والتستر، وبالثاني نقيضه وضده، وهو الاظهار والإبانة ، ويتحدد كلاً منهما في تفسيره لآيتين، فأما الأولى ففي قوله تعـــالى: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ ﴾[1]، فضمن معرض تفسيره مبيناً دلالتها في إطار سياقها بقوله: «فأسرها ... ،أي: هذه الكلمة، وفي تفسير بعضهم: أسر في نفسه هذا القول: أنتم شر مكاناً، وهذا من مقادير الكلام ... »[2] ، أي: بمعنى كتمها وأخفاها، ويماثل هذا أيضاً قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾[3] ،حيث قوله بكلام يفهم منه دلالة الإخفاء والتستر، وهذا في قصه حديث سيدنا النبي عليه السلام إلى السيدة حفصة رضي الله عنـــها، في شأن تحريم أم إبراهيم على نفسه ، فقال في بيان ذلك، «وهو ما أسر النبي عليه السلام ، أي: أخفاه الى حفصة من تحريم أم إبراهيم على نفسه ، وقوله لا تخبري بهذا أحداً، وأخبرت به عائشة، ففشا ذلك، ..وقوله لحفصة: ألم آمرك أن تكتمي سري ولا تخبري به أحدا ؟ ، لم أخبرت به عائشة ؟... »[4]، وبهذا يفهم تصـــريحاً دلالـــة المفردة عنده، على أنها تعني الستر والإخفاء، وفي المعنى المضاد لهذا أجد تفســـيره لقولـــه تعـــالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ ﴾[5] ، ففي هذه الآية يبين دلالة (أسر) بظاهر قول مؤكـــداً لدلالة الإظهار والإبانة، ففسرها على أنها: «أي: الذين أشركوا أسروا ذلك فيما بينهم ، يقوله بعضهم لبعض »[6]، وعبارة: يقوله بعضهم لبعضٍ، يفهم من مرادها دلالة الإظهار ، وإشاعة الأمر، وعدم كتمانه ، وفي هـــذا تحدث أبو عبيدة قائلا: « وأسروا من حروف الاضداد، أي: أظهروا »[7]، ويماثل هذا المعنى أيضاً عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ ﴾[8] ، حيث يؤكد ذلك المعنى الدال به على مراد إظهار

---

[1] سورة يوسف، الآية: 77.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 278.
[3] سورة التحريم، الآية: 03
[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 344.
[5] سورة الأنبياء، الآية: 03.
[6] المصدر نفسه، ج3، ص: 55.
[7] أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 34.
[8] سورة سبأ، الآية: 33.

الأمر وإخفائه وكتمانه، ومن هذين حصلت تلك العلاقة التضادية عنده في إبانة دلالة مفردة: أسـر، حيث كانت بدلالتين (الإظهار ، وضده الإخفاء).

وذهب جمهورٌ من المفسرين على أن المعنى الحاصل في سورة سبأ لدى الشيخ هود بن محكم مخالفاً لما تحدث به غالب أهل التفسير منهم، حيث أجمعوا على أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ ، تعني: أخفوا الحسرة و لم يظهروها، وهذا معنى صحيح ، وأما ورودها بمعنى الإظهار، فهو من قولهم: سر الشيء وأسره، إذا أظهره ، ولعل الأول هو الأقرب إلى الذهن عند العرب، وقال بصدد ذلك ثلة منـهم ، مثـل الأصـمعي في أضداده، وابن قتيبة في الغريب، ويبقى جمهور أهل اللغة على أن هذا الفعل من الأضداد [1]، ولعل هذا ما جعل الشيخ هود بن محكم يقر بعلاقة تضادها من خلال ذكره المعنيين (أخفى، وأظهر) في دلالته لمفردة (أسر).

14. مفردة: «عفا».

العين والفاء والحرف المعتل ، أصلان يدل أحدهما : على ترك الشيء ، والآخر على طلبه ، ثم يرجع إليه فروع كثيرة ، وقول القائل: عفا: درس، وعفا: كثر، وهو من الأضداد[2]، وبناءً على هذا الحد اللغوي للمفردة لدى ابن فارس سار الشيخ هود بن محكم مبيناً دلالتها ضمن سياقاتها المتعددة، من خـلال إيـراده لمعنـيين متضادين فيها، فوقف على أحدهما في تفسيره لقوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾[3] ، حيث أعرب عن كشفه لمعناها الدلالي الأول بقولـه: « ثم بـدلنا مكان السيئة، أي: مكان البأساء والضراء، وهي: الشدة (الحسنة) ، والحسنة ههنا: الرخاء والعافية ، (حـتى عفوا)، أي: حتى كثروا، قال الحسن: سمنوا بعد الجوع، فهو من الكثرة »[4]، فيتبين من هذا القول دلالته لمفردة عفا على مراد: الكثرة، وهذا المعنى الأول، وبالمقابل أجده ينحو بدلالة المفردة إلى معنى آخر، متضمن لدلالـة المحو والتوبة والإزالة ، وهذا ظاهر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[5] ، إذ ذكر في بيان دلالتها ههنا قوله: « يعني التوبة التي جعلها الله لهم ... »[6]، ومن ثمة فإن أصل هذا المعنى عنده

---

[1] ينظر: أبو المقداد، بحث في: المراد بالأسر في قوله تعالى: "وأسروا الندامة "، من موقع ملتقى أهل التفسير، https://vb:tafsir.net، بتاريخ 2018/11/25، 19:52.

[2] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (عفا)،ج2، ص: 132 .

[3] سورة الأعراف، الآية :95.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 33.

[5] سورة البقرة، الآية: 52.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص: 104.

متعلقٌ بدلالات الصفح والتجافي عن الذنب ومحوه ، وفي هذا ذكر فخر الدين الرازي ، أن العفو في هذه الآية هو: «اسم لإسقاط العقاب المستحق، فأما إسقاط ما يجب إسقاطه فذلك لا يسمى عفواً ، ألا ترى أن الظالم لما لم يجز له تعذيب المظلوم ، فإذا ترك ذلك العذاب لا يسمى ذلك الترك عفواً ، فكذا ههنا... »[1]، ومن هذين القولين، يفهم ما أراده الشيخ هود بن محكم، بذكره المعنيين المتضادين، حيث أن ذلك دليلٌ على تأسيس العلاقة الضدية.

كما أجد الشيخ هود بن محكم قد تفطن لأغلب دلالات العفو الواردة في القرءان الكريم ، وهي دلالات لا يهتدي لها إلا صاحب بصيرة وعبقرية وسعة إطلاع ، حيث إن المفردة وردت في سياقات متعددة، بلغ عددها وعدد اشتقاقاتها، خمسة وثلاثين موضعاً ،تحدث عن أغلبها بدلالة إجمالية ، موضحاً قصدها من كل استعمال قرءاني .

وفي أصل المفردة عند أهل اللغة ، أذكر قول ابن منظور في هذا: «العفو في اللغة: على وزن فعول، من العفو، والعفو هو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس، وهو من صيغ المبالغة ، يقال: عفا يعفوا عفواً، فهو عافٍ وعفوٌ »[2]، فالعفو يأتي على معنى الكثرة والزيادة ،كما أشرت سابقاً من خلال تفسير الشيخ هود بن محكم ، ولننظر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[3] ، حيث أكد ذلك المعنى المشار إليه بحديثه عن الإنفاق والتصدق من المال، ومن فضلته وكثرته، وقد أمروا أن ينفقوا الفضل في بداية الأمر، إلى أن فرضت الزكاة[4]، وإلى هذه الدلالة تحدث الزبيدي في تاج العروس ، في بيان معنى لفظة العفو بقوله: «...عفا شعر ظهر البعير: إذا كثر وطال، فغطى دبره ... وأعفى اللحية: وفرها حتى كثرت وطالت .. »[5]، فهذين المعنيين المذكورين (الكثرة، والمحو والازالة) ، هما البارزان في دلالة المفردة في تفسير الشيخ هود بن محكم، وعلى هذا الأساس كان منه إدراج المفردة ضمن علاقات اللفظ بالمعنى على جهة التضاد.

---

[1] فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط 1401-1981، ج3، ص: 83.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "عفا"،ج15، ص: 72، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جوامع القاموس،تحقيق: علي شير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،دط، 1994، مادة: "عفا"، ج19، ص: 686.

[3] سورة البقرة، الآية: 219.

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص 144.

[5] الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، مادة: "عفا"، ج19، ص: 686.

فهذا جملة ما أمكنني الوقوف عليه من أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم ، حيث كان ذلــك المذكور البارز عنده ، مما جعله يؤكد علاقة التضاد بين معاني تلك المفردات ، وإلاَّ فالأمثلة متعددة في كلام الله عز وجل، لكن سبري وتصفحي لتفسير كتاب الله العزيز، أسفر عن أربعة عشرة مفردة ، حقــق المفســر بتضادها، مقدماً لها معنيين متضادين، ولا أجزم ههنا بأن هذه المفردات المذكورة ، هي كل تجليــات علاقــة التضاد في تفسيره أبداً، فلعلَّى قد أسقطت من بحثي وتدقيقي في مبحث التضاد لديه بعضاً منها، غير أنه ما لا يدرك كله ،لا يترك جله، فحاولت الإتيان على أشهرها عنده ، مبيناً تحليلاً لغوياً دلالياً لكل مفردة مندرجة في باب التضاد عنده، فكان ذلك الذي تقدم ، ثم أرفقت هذه الأمثلة بجدول توضيحي لأمثلة التضاد في تفسيره، لإحصاء ذلك، جاعلاً مواطن المفردات بمعنييها المتضادين ، مبرزا علاقتهما ، والجزء والصفحة مــن تفســير كتاب الله العزيز ، متوصلاً من ذلك إلى خلاصة، مفادها إن إبراز الشيخ هود بن محكم لمفردات متضــادة في تفسيره أمرٌ قليلٌ ، يكاد يحصر ، إذا ما كانت المقارنة بباب الترادف، أو الإشتراك عنده ، والله أعلم.

جدول توضيحي لأمثلة التضاد في تفسير الشيخ هو بن محكم:

المفردة	المعنى الأول	المعنى الثاني	العلاقة	الجزء	الصفحة
أزر	القوة	الضعف	تضاد	3	32
أيم	البكر التي لا زوج لها	الرجل أو المرأة المقيم بلا زواج	تضاد	3	155
أحوى	الأخضرار	شدة السواد	تضاد	4	449
مسجور	المشغل	المملوء (الفائض)	تضاد	4	203 و 63
عسعس	أقبل	أدبر	تضاد	4	432
قُرْءُ	وقت الطهر	وقت الحيض	تضاد	1	ص 201
مبصر	تائب	مضئ	تضاد	ج2: ج4	ص 69. ص 69
بلاء	إختيار بنعمة ومنحه	إختبار بنقمة ومحنة	تضاد	د1: ج 2	ص 218. ص 81
جن	ملائكة	أبليس	تضاد	ج2: ج 4	ص 461. ص 240.
خوف	عَلِمَ	القتال والهزيمة	تضاد	ج1: ج 4	ص 163-ص 378
رجا	خاف	طمع	تضاد	ج1: ج 4	ص 379، ص 378
زوج	أحد القرنين	اللون والضف	تضاد	ج4	ص 403، ص 199
أسر	أحفى	أظهر	تضاد	ج2، ج 4	ص 278، ص 394
عفا	كثر	محا. أزال التوبة	تضاد	ج 1	ص 104

9ــ مفهوم المعرب و وقوعه بين الإثبات والإنكار:

إن مما يجب الجزم به في تقديم تعريف شامل لمفهوم المعرب عند اللغوين ، هي تلك الإشارات الواردة في كتاب سيبويه ، حينما عبر عن ما يغير من الحروف الاعجمية ، حيث قال: « اعلم إنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ، ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه »[1]، فأجد أن سيبويه من خلال عمله في هذا ، قد تحدث عن عديد من الألفاظ المعربة وما تعلق بأبنيتها.

وفي تقديم ماهية المعرب عند أهل العربية ، أقف على قول الجوهري ، حينما عبر عن حدٍ تعريفيٍ له بقوله: «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها ، تقول :عربته العرب، وأعربه أيضاً »[2]، فيستفاد من هذا ،أن كل ما تفوهت به العرب على أسس كلامها، وجعلت له معنى ودلالة، يعد من المنقولات إلى العربية، وعرفه التهانوي قائلاً: « المعرب عند علماء العربية ، لفظٌ وضعه غير العرب ، لمعنى استعمله العرب بناءً على ذلك الوضع،»[3]، فبين التهانوي بقوله هذا ، علة تعريب المعرب ، وسبب نقله من لغته إلى العربية ، اعتباراً لمعنى مستعملاً عند العرب، ويكاد هذا المفهوم أن يكون واحداً مع ما ذكره السيوطي بقوله: « هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها. »[4]، وفي أبسط تعاريفه أجد قول الشهاب الخفاجي: « اعلم أن التعريب نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية. »[5]، وما أخلص إليه من كل هذه التعريفات عند جمهرة أهل اللغة ، ما فحواه أنهم تواضعوا واتفقوا على كل ما دخل إلى العربية من أي لغة يعد معرباً.

9ــ1.مسألة وقوع المعرب في القرءان عند المفسرين:

إن المدقق في هذه المسألة، والباحث في جزئياتها ، يصل حتماً إلى استقراء ذلك الخلاف الوارد فيها لدى كثيرٍ من أهل اللغة عموماً ، ولدى المفسرين خصوصاً، ولذلك يجد الباحث نفسه تجاه طائفتين متباينتين في المذهب والرأي؛ أولهما : تثبت وقوعه وإيراده في القرءان وفي العربية، والأخرى: تنفي وجوده وعدم وقوعه، ولكلٍ منهما ما يؤيد قوله ويدعمه.

[1] سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج 4، ص:303.

[2] الجوهري،تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، مادة:(عرب)، ج1، ص:108.

[3] التهانوي ، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مصدر سابق، ج3، ص:944.

[4] السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مصدر سابق، ج1، ص:341.

[5] شهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى،دت، ص:44.

فأما الفريق الأول فأثبتوا وقوعه ومجيئه في القرءان الكريم ، ومثل هذا الاتجاه من المفسرين :ابن عباس ،وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، ووهب بن منبه[1]، ومما يثير الانتباه في أسماء هؤلاء الأعلام، أنهم كلهم يعدون مرجعاً من مراجع التفسير ، ومن مرتكزات الشيخ هود بن محكم في نقله ، الأمر الذي يجعلنا نتنبأ بموقف الشيخ المفسر هود بن محكم من قضية المعرب، ومذهبه في هذا، وهذا ما سأتطرق إليه بعد عرض أمثلة المعرب في تفسير الشيخ هود بن محكم، وأدلتهم في إثبات وقوعه أدلة متفق عليها بينهم ، يمكن اختصارها في الآتي:

-أولاً: لما وقفوا على دلالة البيان الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[2]، رأوا بأن القرءان مترلٌ لكل الأقوام و الأمم ، باعتباره الكتاب الخالد الشامل، فأجد تفسير الشيخ هود بن محكم ممثلاً لها على أنها تعني: « بلغة قومه »[3]، ومن هذا أجمعوا على أنه لابد أن يتضمن كل لغة، ولعل ما أشار إليه السيوطي ههنا في هذا المجال ، خير دليل عندهم، وذلك حينما عبر قائلاً: « إن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلٌ إلى كل أمة، وقد قال: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو»[4]، فجعلوا هذا في مقدمة التبريرات لوجود ووقوع المعرب.

-ثانياً: يرى أهل هذا الاتجاه أن القرءان قد ضم كل علوم الأولين والآخرين، ومن باب المنطق أن تكون فيه الإشارة إلى كل اللغات ، لإحاطته وجمعه بكل شيء، فكان وقع اختيار ألفاظه ومعانيه وقعاً مناسباً للاستعمال، وإن كان أصله عربي[5] ، ويكاد أن يكون هذا الدليل، هو ذات الأول مع اختلافٍ في الطرح والحجية.

-ثالثاً: ذهب آخرون من طائفة المثبتين للمعرب، إلى أن وقوعه في القرءان الكريم خاصيةٌ دالةٌ على كماله، وإعجازه، وأن هذا الكمال صفةٌ ثابتةٌ للقرءان الكريم، لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون تلك الصفة ناقصةٌ، وفي هذا قال بعضهم بحجة أن كل قوم رغبوا في تضمين القرءان جزءً يسيراً في لغتهم ، ليكون بذلك شرف لغتهم، وبها شرفهم ، ومنهم من قال إن الإسلام كدين جديد ، يوم أن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه

[1] ينظر: جلال الدين المحلي، شرح جمع الجوامع، مؤسسة الرسالة، دمشق،دت، دط، ج1، ص:306.
[2] سورة إبراهيم الآية:04.
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص:314.
[4] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج3، ص:393.
[5] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص394:.

وسلم، كان هدفه استقطاب وجمع الناس كافة، فمن المفيد أن يرد في القرءان ما يرمز إلى هذا الشمول ، من خلال اللغة لتتوطد عرى الإسلام، وتقوى أواصر العلاقة مع الأقوام غير العربية[1]، فهذا الشيء مما احتج به أهل هذا المذهب ، في إثبات وقوع المعرب في القرءان ، وفي العربية.

وأما الفريق الثاني ممن أنكره ، وأنكر وقوعه في القرءان والعربية، أجد اختلافاً كثيراً بين الأئمة في وقوعه، فالأكثر منهم ممن قال بعدم وجوده أصلاً ، كالإمام الشافعي رضي الله عنه ، حيث ذكر ذلك في مؤلفه "الرسالة" قائلاً:

« ...وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه ، لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له إن شاء الله، فقال منهم قائلٌ: إن في القرءان عربياً وأعجمياً، والقرءان يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب»[2]، فيتضح من ظاهر نصه هذا ، تشديده للإنكار ، وعدم القول به ، والجزم بكل واردٍ في القرءان أنه بلسان عربي محض.

وعلى هذا سار أيضاً ابن جرير، وأبو عبيدة ، والقاضي أبوبكر، وابن فارس ، وغيرهم من المنكرين له[3]، ومما أجده نصاً صريحاً ظاهراً على توجه هؤلاء، قول أبي عبيدة :« من زعم أن في القرءان لساناً سوى العربية ، فقد أعظم على الله القول »[4]، واحتج بقوله:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾[5]، وأجد أيضاً من المفسرين ابن جرير الطبري ، ممن أنكروا وقوع المعرب في كلام الله تعالى، إذ قال في رأيه تجاه المسألة: « ...أنه جل ثناؤه أنزل جميع القرءان بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم »[6]، وغيره كثيرون من المنكرين ، واستدلوا على إثبات إنكارهم ، ونفيهم لظاهرة المعرب بأدلة كثيرة، رداً على معارضيهم، وفي مجمل ما استدل به هؤلاء من الأدلة أذكر:

1. رأوا أن ذكر ومجيء بعض الألفاظ الأعجمية في القرءان ، واقعٌ من باب التوافق بين اللغات وتواردها، وأذكر ههنا قول الطبري: « ما ورد عن ابن عباس وغيره، من تفسير ألفاظ من القرءان الكريم، أنها بالفارسية ، والحبشية، والنبطية، ونحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد

[1] ينظر: محمد باقر (السيستاني)، مباني الأصول، شبكة الفكر الالكترونية، د.ط ، د.ت، ج2، ص: 06.
[2] محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، منشورات الحلبي، ط1358، 1940، ص:41.
[3] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 393.
[4] الحافظ بن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرءان، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1408، باب ذكر اللغات في القرءان، ص:82.
[5] سورة الزخرف، الآية: 03.
[6] ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرءان، مصدر سابق، ج1، ص:805.

»[1]، بل أجد الطبري من المفسرين الذين تعرضوا وعالجوا المسألة على أساس من نفاها، معالجة مبرهنة، فحينما نتصفح تفسيره، نعثر على مبحثاً خاصاً، فصل فيه في الموضوع، تفصيلاً علمياً حيث أسماه: « القول في الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم »[2]، ومن هذا المنطلق ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن كل ماورد من الأعجمي في القرءان ، إنما كان ذلك تواردا واتفاقاً للعربية مع غيرها.

2. ومنهم من استدل بأقوى حجة عنده في هذا، كون أن كثيراً من الأيات الجازمة بعربية القرءان عربيةً خالصةً غير مشوبةٍ بغيرها من اللغات الأخرى، وفي مذهبهم أنه من قال فيه بلغة أعجمية ، فقد نافى ما صرح به القرءان مثلاً في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾[3]، ولقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝ ﴾[4] ، وغيرها من الأيات المتعلقة بهذا.

ولقد تتبعت كل هذه المواطن التي ذُكِر فيها نص عربية القرءان، وعددها ثمانية مواضع في تفسير الشيخ هود بن محكم، فلم أجد منه في تفسيرها إشارة ظاهرة تكشف عن موقفه من المعرب ، إلا قوله مثلا: « أي: بلسان عربي مبين»[5] في تفسيره لموطن آية من تلك المواضع، ولعل هذا مؤشر على رأيهع بالقول بتصييق وقوع المعرب في القرءان الكريم وفي اللغة العربية.

وأما أهل هذا الاتجاه ، فتمسكوا بدليل هذه الآيات ، حتى عدوا من لم يقبلها ، وقال بوجود المعرب، مناقضاً، والتناقض في حق الله تعالى محال، والتناقض في أصله باطل، والقرءان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فأجمعوا على استحالة وقوع التناقض أو التضاد في كلام الله سبحانه، أو في كلام نبيه عليه السلام وأن ذلك غير وارد وغير جائز ، وهذا أيضاً مؤشرٌ على نفي المعرب في القرءان.

---

[1] ابن جرير الطبري، تفسير آي القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 8، وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 05.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرءان ، ج1، ص: 5 – 8.

[3] سورة يوسف، الآية: 02.

[4] سورة الرعد، الآية: 37.

[5] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 254 و309.

3. ومنهم من رأى أن كل ألفاظ القرءان عربيةً خالصةً، غير أن لغة العرب متسعةً جداً، وفيهم من استشهد بغرابة بعض الألفاظ، وغموض معناها لدى ابن عباس ،كمعنى: "فاطر" و"فاتح" .

وإلى هذا المعنى والفهم أشار الشافعي بقوله: « لا يحيط باللغة إلا نبي »[1]، ومنهم من مثل لذلك ب: "المشكاة ، والاستبرق ، والقسطاس"، أنها أسماء عربية يجهلها بعض العرب ، ويعرفها بعضهم الآخر[2] ، ولهذا جعلوا من شساعة اللغة ، وسعتها دليلاً وارداً على عدم الإلمام بكل معانيها وألفاظها.

4. ومنهم من استدل بحجية أن القرءان لو كان فيه غير العربي من الألفاظ، لم يثبت إعجازه، ولقال فيه كثيرون: « إن القرءان الذي جاء به يشتمل على لسان العرب، وغير لسان العرب، ونحن لا نعرف إلا لسان العرب،به يجزئ من قبل هذا القول ... ، وهذا من الإعجاز »[3]، فذهبوا إلى علة تحدي الله وإعجازه بكتابه الكريم ، وبعربيته الخالصة، والأدلة عند المنكرين كثيرة ، غير إني اكتفيت بهذا تمثيلاً.

ويعد التقاطع بين اللغات ظاهرة لغوية مشكلة من الحاجة إلى الاستعارة اللغوية لفقر اللغات، وللحاجة أيضاً إلى التعبير عن الكثير من الألفاظ الموضوعة لعدة معانٍ في غير لغتها.

قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها، تقول عربته وأعربته أيضاً[4]، فهذا ما يمكن اعتباره في ماهية التعريب، وربما صح القول أن نقول: « المعرب لفظ أعجمي دخل اللغة العربية، واستعمله العرب، وتداولته الألسنة، ثم نسج على تصاريف اللغة وقواعدها حتى أصبح موازياً لألفاظها في الاستعمال »[5] ، فيفهم من هذا دخول اللفظ الأعجمي الذي ليس بعربي إلى العربية واستعماله وتداوله.

9ـ2.مسألة وقوع المعرب في القرءان الكريم:

وفي مسألة وقوع المعرب والدخيل في القرءان الكريم ،أجد إثارة الظاهرة للخلاف بين علماء العربية القدامى، إذ أنكره جملة منهم مستدلين بحجة خطاب المولى عز وجل في إنزاله لكتابه بلسان عربي مبين، غير أنه لما نتصفح ونستقرئ كثيراً من مفردات القرءان تتجلى لنا حقيقة مفادها، أن المعرب قد يقع في اللفظ، كما قد

---

1 محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، مصدر سابق، ص: 114.

2 ينظر: ابن تيمة، المسودة، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، د.ط، دت، ج1، ص:155.

3 محمد بن عبد الجبار السمعاني، قواطع الأدلة في أصول الفقه، تحقيق، عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، ط 1998، ج1، ص: 255. مكتبة التوبة،

4 ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مصدر سابق، ص: 209.

5 الجواليقي ، المعرب من كلام العجم على حروف المعجم، تحقيق، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1995، ص: 706.

يقع في اللفظ والمعنى، ولعل بيان الراغب في كتابه لهذه النقطة خير دليلٍ على القول بوقوعه كظاهرة دلالية، حيث اعتبر المعرب الواقع في اللفظ والمعنى أقل اتساعاً في القرءان الكريم من الواقع في اللفظ.

وهذا ما أفسر به ههنا قول الجواليقي المشار إليه آنفاً، وما يهمني ههنا رأي المفسرين في الظاهرة ، وكيف تعاملوا معها تعاملاً علمياً دلالياً لغوياً، فبعد محاولة بحث ، وتمحيص في مؤلفاتهم ، يمكن استنتاج اتفاقهم على أن في القرءان الكريم أعلاماً أعجمية، وأن تعاملهم مع ظاهرة المعرب كان بين الوقوع من عدمه في القرءان الكريم، ثم إن وجود الاختلاف بينهم في الكلمة الواحدة ، دالٌ على اختلاف قديم، وأجد من المفسرين من صرح بمنهجه في كيفية التعامل مع ظاهرة المعرب في القرءان الكريم، كالطبري حينما أفرد مبحثاً خاصا بالمسألة أسماه: « القول في الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الاسم »[1] ، كما أجد أن بعض المفسرين من توسع في تفاصيل الظاهرة ، واختلاف العلماء في تحديد الألفاظ المعربة وأصل لغتها، وأمثل لهذا بأبي حيان في تفسيره البحر المحيط[2] ، في حين أني أجد الغالبية منهم لم يتطرق للظاهرة بالقدر المعرفي العلمي الذي تستحقه ، لبيان مفهوم الظاهرة ، وأثرها في الإبانة عن المعاني عموماً ، وفي الكشف عن مراد الله منها خصوصاً.

10ــ المعرب والدخيل في تفسير الشيخ هود بن محكم وأمثلته:

وفي تفسير الشيخ هود بن محكم ،أجده لم يوافق أو يوسع في إيراد الظاهرة في القرءان الكريم موافقةً مطلقةً، أو توسعاً جلياً، وما أفهم من منهجه في تعرضه لكثير من المفردات ذات الصلة بهذا ، هو تقليله من اتساع وقوع المعرب ، فهو لا يتطرق لتلك المفردات غالباً إلا بإشارات خفيفةٍ مبيناً في أكثرها نسبتها إلى اللغة الأصلية لها، وقلما يورد أثرها الدلالي، فلم يتعرض مثلاً إلى كل تلك التي أدلى بها السيوطي في المزهر على أنها مفردات معربة ، ورد ذكرها في القرءان الكريم ، منها مثلاً: اليم والطور، والصراط والقسطاس، والمشكاة، وكفلين، وهيت... وغيرها من الألفاظ المعربة الواردة في القرءان[3].

في حين أجد الشيخ هود بن محكم قد أشار إلى البعض منها في تفسيره ، موافقاً متقدميه في أكثرها، فمن ذلك مثلاً، إشارته إلى دلالة مفردة :«ناشئة» الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا

---

[1] ابن جرير الطبري ، تفسير آي القرءان، تحقق، أحمد شاكر، مصدر سابق، ج1، ص: 13.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6، ص: 256، ينظر: عبد الله اويس ،كيف تعامل المفسرون مع المعرب في القرءان، ص: 14، مقال: من موقع https ://vb.tafsiR.net بتاريخ 2013/03/30، 01:48.

[3] ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مصدر سابق، ص: 209.

﴿٦﴾[1] ، بقوله: « أي: قيام الليل، ذكر بعضهم قال: ما كان بعد العشاء فهو من ناشئة الليل ... ، وهي بلغة الحبش، فإذا قام الرجل ، قالوا نشأ فلان »[2]، فذكر ما أجمع عليه أهل اللغة من كون أن الناشئة ، المراد منها ههنا القيام بعد العشاء، وزاد عن هذا إشارته إلى أن المفردة من المعرب في القرءان بقوله : « وهي بلغة الحبش » ، والتي تدل على القيام .

قال الزجاج: « ناشئة الليل، كل ما نشأ منه، أي: حدث منه... ، والمراد: ساعات الليل الناشئة ، وقيل إن ناشئة الليل هي النفس التي تنشا من مضجعها للعبادة ، أي: تنهض: من نشأ من مكانه، إذا نهض منه[3]، وعليه أقر بتعريب المفردة ، وأبرز معناها الذي جُعل لها.

والأمر ذاته في إشارته إلى دلالة مفردة: «فردوس» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[4]، إذ أجده يفسر دلالة المفردة قائلاً: « والفردوس اسم من أسماء الجنة، قال بعضهم: وبلغنا أنها بالرومية »[5] ، فذكره لأصل لغتها على أنها للروم ، دليل على إقراره إقراراً غير متوسعٍ فيه لظاهرة المعرب، وإلى هذا المعنى أشار الفراء: « وقوله: الفردوس، قال الكلبي: هو البستان بلغة الروم، وهو عربي، فالعرب تسمي البستان الفردوس »[6] ، غير أن الملاحظ ههنا ، أن الشيخ هود بن محكم ، لم يبين دلالتها على أنها بالعربية تقابل مدلول البستان على حد قول الفراء، بل أكتفى بالإشارة إلى أنها من المفردات المعربة ، ووقف عند ذلك.

وفي مفردة « منسأة» خلافٌ بين أهل اللغة ، لم يشر إليه الشيخ هود بن محكم، إلا بقدر رد المفردة إلى أصلٍ ليس بعربي، وهذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[7]، حيث بين دلالتها على أنها: « والمنساة: العصا، وهي بالحبشية »[8]، ولم يتوسع في تفصيل وبيان مدلولها ذلك، وأجد ههنا ما ذكره الطبري عن السري أن أصل الكلمة حبشي، والحق أن الكلمة بعد التحقيق عربية صريحةً مشتقة

---

[1] سورة المزمل، الآية: 06.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 387.

[3] ينظر: الزجاج، معاني القرءان وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408ه، 1988م، ج5، ص: 314.

[4] سورة المؤمنون، الآية: 11.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ج3، ص: 115.

[6] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 231، وينظر: الجواليقي، المعرب، مصدر سابق ص: 288 – 299.

[7] سورة سبأ، الآية: 14.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 345.

من: نسأت الغنم ، أي: سقته[1] ، وقال الفراء : « هي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من نسأت البعير، زجزته ليزداد سيره »[2].

ولو أردنا الوقوف على سبب تقليله من التوسع في الظاهرة عنده، لصح القول إنه سعى بذلك المنهج المتعامل به تجاه هذه المفردات ، إلى محاولة التأصيل الدلالي للمفردة القرءانية ، المتضمن لأبهى صور العربية الفصحى في إطار سياق الآيات الكريمة، ولعل هذا هو التأويل الأنسب والمستنتج من خلال سبر أغوار المفردات المعربة عنده ، وبيانه لأثرها الدلالي في إبانة المعاني والدلالات.

وفي محاولة استقراء كل تلك الإشارات منه إلى المفردات المعربة ، فإني أجد منه بياناً أكثر عند تلك المفردات المعربة عنده ، ومنها مثلاً مفردة: «استبرق»، والتي عدها على رأس المفردات المعربة بإشارته المتعددة لها في مواطن شتى ، ولقد وردت المفردة في قوله تعالى: ﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [3] ، فدل بالمفردة على أنها:« الديباج الغليظ ، وهو بالفارسية: استبره »[4]، فأجده ههنا يقدم دلالتها ومعناها، ويرجع بالمفردة إلى أصلها اللغوي في لغة الفرس ، وما تدل عليه ، ورد في لسان العرب، قال الزجاج: في قوله تعالى: ﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾، قال هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن ، قال وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية : « استقره » ، ونُقِل من العجمية إلى العربية ، كما سمي الديباج ، وهو منقول من الفارسية، وقد تكرر ذكره في الحديث، وهو ما غلظ من الحرير والإبريسم[5]، وهذا ما اعتمده الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة المفردة ، من خلال ورودها ، وضمن سياقها في كل تلك المواطن الواردة فيها كسورة الكهف والدخان والرحمان.

والشأن نفسه بالنسبة لمفردة: «أباريق» ، الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾[6]، حيث أبان عن دلالتها على أنها : «المستطيل الطويل العنق ، الطويل العروة، وهو بالفارسية أبواه»[7] ، فسار على المنهج ذاته في كشف معناها، ثم رجع بها إلى أصلها الفارسي كدلالة منه على تعريبها في العربية، وأجد من بين المفسرين من أدلى بنفس الدلالة ، أو تكاد تتقارب في معنى المفردة أباريق، مثل المفسر ابن

[1] ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير آي القرءان، مصدر سابق، ج3، ص: 356.

[2] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 356، وينظر: أبو عبيدة، مجاز القرءان ، مصدر سابق، ج2، ص: 145.

[3] سورة الانسان، الآية: 21.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 409.

[5] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (ابرق)، ج1، ص: 392، وينظر: الجواليقي، المعرب، مصدر سابق، ص: 63.

[6] سورة الواقعة، الآية :18.

[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 252.

عاشور ، حينما فسر المفردة على أنها: جمع إبريق، وهو إناء تُحمل فيه الخمر للشاربين ، فتصب في الأكواب، والإبريق له خرطوم وعروة، والكأس إناء للخمر كالكوب ، إلا أنه مستطيل..[1] ، وقيل أنها كلمة فارسية ، وتعني: صب الماء[2]، ومن هذا أدرج الشيخ هود بن محكم هذه المفردة من المعرب في العربية ، والقرءان الكريم.

كما أجده يتعامل نفس التعامل الدلالي مع مفردة: «القسطاس» ، لما ذكرها على أنها من المعرب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾[3] ، إذ أجد دلالته بها مباشرة على أصلها في لغة الروم ، على أنها مفيدة في المعنى لمدلول العدل، فقال: « والقسطاس: العدل بالرومية»،[4] والقسطاس: جدر "قسطس" ، والوزن: "فعلال" ، وتعني: الميزان العادل ، يقال إنه عربي مشتق من القسط، ويقال إنه رومي معرب[5].

ومهما يكن الأمر فإن الشيخ هود بن محكم، قد سعى من خلال هذا التعامل مع المفردة «قسطاس» إلى إبانة دلالتها ، وكشف معناها في اللغة العربية بناءً على ما تعنيه في الرومية.

وأما بالنسبة لمفردة: «مشكاة» ، ذات الأصل اللغوي الحبشي ، فأجد الشيخ هود بن محكم قد وضح دلالتها ، من خلال إرجاعها إلى مقصودها في لغة الحبش، وذلك حينما فسرها في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[6]، إذ قال: «... والمشكاة: الكوة في البيت التي ليست بنافذة، وهي بلسان الحبشة ، وهي مثل صدر المؤمن... »[7] ، فعدها بمثابة الكوة الخاصة بدخول وخروج الهواء في البيت ، استناداً إلى مدلولها عند أهل الحبشة، قال القرطبي في تفسيره: والمشكاة : الكوة في الحائط غير النافذة ، قال ابن جبير وجمهور المفسرين : وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة منه في غيرها.، .. وأصل كلمة مشكاة حبشي[8]، ولهذا السبب أشار إليها الشيخ هود بن محكم، مورداً أصلها اللغوي ، ونسبته إلى لسان الحبشة.

---

[1] ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج4، ص: 294.
[2] ينظر: أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط2، 1988، ص: 62.
[3] سورة الاسراء، الآية :35.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج2، ص: 415.
[5] ينظر: نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم،مرجع سابق ، ج 1،ص: 123.
[6] سورة النور، الآية :35.
[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج3، ص: 158.
[8] ينظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرءان، مصدر سابق، ج3، ص: 216.

وإشارته بهذا التعامل الدلالي أيضاً إلى مفردة: «غساق» ،الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، توحي بتصنيفه إياها ضمن المعرب، وهذا ما يفهم من ظاهر تفسيره لها بقوله: «قال بعضهم: هو القيح الغليظ المنتن، وقال بعضهم: هي بالفارسية، الغساق بلسانهم ، أي: المنتن ، وبعضهم يقول: الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده ، وهو الزمهرير»[2]، وجاء في لسان العرب: ... الغساق بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم ، وقيل ما يسيل من دموعهم ، وقيل الغساق: المنتن البارد الشديد البرد الذي يحرق من برده ، كإحراق الحميم، وقيل البارد فقط[3]، وهذا الذي أقره جمهور المفسرين في تحديدهم وكشفهم لدلالة المفردة.

إن ذكر الشيخ هود بن محكم هذه الأقوال في بيان دلالة المفردة ، كأصل دلالي، سعى به إلى خدمة متن العربية السليقية، خدمة توضح المعاني ، وتجلي الدلالات، وبعد ذكره لذلك أعقبه بقوله: «وهي بالفارسية »، وقدم ما تدل عليه « الغساق بلسانهم، أي: المنتن » كما تقدمت الإشارة إلى هذا، وكل هذا يستخلص منه أن المفردة عدت عنده من المعرب.

وأجده معرباً عن إبانة دلالة مفردة: «سجيل» ، بنفس الكيفية والتعامل مع كل تلك المفردات التي أشرت إليها، حيث قدم أصلها اللغوي ، ونسبتها إلى لسان الفرس، ثم بين ما تدل عليه من خلال نقلها بالتعريب إلى العربية، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾[4]، إذ أجد قوله: « وهي بالفارسية ، أولها حجر، وآخرها طين »[5]، ودلالة المفردة عند أهل اللغة تؤكد ما جاء به الشيخ هود بن محكم في كشف معناها، حيث أجد في المعاجم ، أنها كلمة فارسية بمعنى : الحجر، أي: الطين المتحجر، وقال أبو عبيدة: السجيل كل حجر صلب، والأصل فيها: "سجين" ، إلا أن النون قلبت لاماً، وقال ابن عباس: هو فارسي معرب[6] ، فبيانه لدلالتها على أنها في لغة الفرس تعني: الحجر ، أو الطين المتحجر، كافٍ للبرهان على تعريب المفردة.

---

[1] سورة النبأ، الآية: 25.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 417.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (غسق)، ج11، ص: 291.

[4] سورة الفيل، الآية: 04.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 484.

[6] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (سجل)، ج3، ص: 64، وينظر: أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 351، وينظر: شتوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم، مصدر سابق ج6، ص: 217.

ومن خلال هذه المحاولة البحثية في حصر أمثلةٍ متعلقة بمبحث المعرب والدخيل في تفسير الشيخ هود بن محكم ، يمكن التوصل إلى استنتاج إجابة عن سؤال مفاده: كيف تعامل الشيخ هود بن محكم مع الألفاظ المعربة من خلال تفسيره في إبانته للمعاني والدلالات؟.

فمن خلال كل تلك الإشارات المنتقاة من تفسيره ، أتوصل إلى منهجية الشيخ هود بن محكم في التعامل مع الألفاظ المعربة ، والقائمة على أساس رد المفردة وإلحاقها بلغتها الأصلية ، ثم الكشف عن معناها بعد تعريبها، وهو بهذا الطرح يصنف نفسه ضمن المتوسطين بالقول لوقوع ظاهرة المعرب في القرءان الكريم ، وفي العربية ، وهذا ظاهر من تفسيره لكثير من ألفاظ المعرب ، أن موقفه موقفاً وسطاً ، لا نافياً ولا مضيقاً.

وفيما يلي جدول يبين الألفاظ المعربة في تفسير الشيخ هود بن محكم وأصلها ودلالتها.

جدول توضيحي للألفاظ المعربة في تفسير الشيخ هود بن محكم.

المفردة	أصلها	دلالتها في التفسير	الجزء	الصفحة
ناشئة	حبشية	القيام بعد العشاء	ج4	387
فردوس	رومية	اسم من أسماء الجنة	ج3	115
منساة	حبشية	العصا	ج3	345
استبرق	فارسية	الديباج الغليظ	ج4	409
أباريق	فارسية	المستطيل الطويل العنق الطويل العروة	ج4	252
قسطاس	رومية	العدل	ج2	415
مشكاة	حبشية	الكوة في البيت التي ليست بنافده	ج3	158
غساق	فارسية	القيح الغليظ المنتن	ج4	417
سجيل	فارسية	اولها حجر و آخرها طين	ج4	484

الفصل الثالث:

الاصناف الدلالية وتقابل الدلالة

وخصوصياتها فى تفسير كتاب الله العزيز

1- الأصناف الدلالية.
2- الدلالة الصوتية.
3- الدلالة الصرفية.
4- الدلالة النحوية.
5- الدلالة السياقية.
6- التقابل الدلالي.
7- الخصوصية الدلالية في تفسير كتاب الله العزيز
8- الارتباط المفاهيمي في تفسير كتاب الله العزيز

1ـــ أصناف الدلالات في تفسير الشيخ هود بن محكم:

ترتبط علوم اللغة الثلاثة (صوت، صرف، نحو) مع بعضها البعض ، ارتباطاً قوياً عبر علاقة وثيقة جامعة لهم، باعتبار استحالة الفصل بينهم، إذ لا يمكن فهم علم الصرف مثلاً إلا بدراسة علم الصوت، لعلة أن أغلب موضوعات علم الصرف مؤسسةً على أسسٍ صوتيةٍ خالصةٍ ، فلا يكون ذلك في بنية الكلمة ، وما يعتريها من تحولات وتغيرات ، بمعزلٍ عن دراسة أصواتها وتقاطعها وحركاتها ، وكل ماله صلة بها، فأي تغييرٍ يطرأ على بنيتها من إعلال وإبدال ، يتولد من التأثير الصوتي المتبادل في الاستعمال اللغوي المتعارف عليه في كل لغة[1]،

وعليه؛ فإن أصغر وحدة صرفية (المورفيم) الذي تعتبر أساس علم الصرف لها معنى من حيث تركيبها[2]، مؤلف من فونيمٍ واحدٍ ، أو أكثر من فونيمٍ ، ومن خلال ذلك تتضح معالم علاقة النظامين الصرفي والنحوي ، وأثرهما في تحديد مقصدية كل خطاب ، فهما لا يفترقان، لأن أي تحولٍ أو تبدلٍ في البنية الصرفية ، ينجر عنه حتماً تغير في الدلالة النحوية مثلاً، أو الصوتية، أو السياقية، أو غيرها من أصناف الدلالات الأخرى.

وانطلاقاً من هذا الأساس أسعى إلى تبيان ذلك من خلال تفسير الشيخ هود بن محكم حيث أتناول دراسة الدلالتين الصوتية والصرفية متتابعتين في طليعة بيان أصناف الدلالات في تفسير الشيخ هود بن محكم ، تأكيداً على أهميتها في البحث الدلالي عموماً، بعدهما الدلالة النحوية، تليها الدلالة السياقية وتجلياتها في تفسير الشيخ هود بن محكم.

1_1- الدلالة الصوتية في تفسير الشيخ هود بن محكم:

إن مما يمكن الإستفتاح به من هذا الشأن تفريشاً مختصراً لماهية الصوت كمادةٍ لها تأثيرٌ دلالي في التركيب، وكمادة صوتية تعنى بطريقة إنتاج الصوت ؛ وعليه فإن ماهيته تكمن في أنه الهواء المنضغط من قرع جسمين، وقسمه الراغب في تعريفه له إلى: « صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، وتنفس بصوت ما، والمتنفس ضربان: غير اختياري كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات واختياري كما يكون من الإنسان»[3]، فأتيت بهذا الحد التصوري لإدراك ماهية الصوت قبل ارتباطه بالدلالة، وقبل تأثيره في التركيب، فأجد ههنا في تعريف الراغب خير فهم لذلك، والذي يعنينا من معرفة الصوت على حدِّ التعريف السابق، هو

---

[1] ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط،1996، ص :159.

[2] ينظر: مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 34.

[3]الراغب، المفردات في غريب القرءان، مصدر سابق، مادة: (صوت)، ص: 291،292.

النوع الثاني الإختياري الصادر من الإنسان الذي له وظيفة، ثم إذا ما ارتبط بالدلالة تحقق المراد منه، باعتبار أن لكل لفظ صوت، ولكل صوت دلالة، ومن ثمة فالدلالة اللفظية تساوي الصوتية لِعلتين أساسيتين:

أما الأولى: أن الكلمة مركبة من أصوات لا يمكن إدراك دلالتها إلاَّ في حدود لفظها، ولهذا السبب نجد العلامة ابن جني يستعمل مصطلح الدلالة اللفظية، ويُريد به وظيفة الدلالة الصوتية، ويبرهن لنا هذا عند عقده في كتابه الشهير باباً موسوماً بـــ « الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية»[1]، إذ ضمن هذا الباب ما قصد به الألفاظ وأصواتها وما تدل عليه.

وأما الثانية، فتكمن في علة الدلالة الصوتية استجلاء مدلولها في طبيعة الصوت الذي يكسب تصور المعنى بعد سماعه، حيث إن استعمال أي صوت دون غيره في اللفظ، مرده إلى دلالةٍ مرتبطةٍ بهذا الصوت، وذلك ما يعرف بالدلالة الصوتية[2]، ومضمون هذا إجمالاً هو اكتشاف تلك الصلة بين الصوت وما يرمز إليه.

وفي أقسام الدلالة الصوتية نجدها تنقسم إلى نوعين:

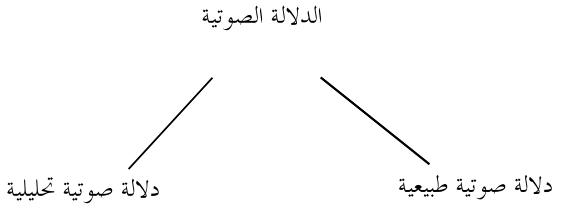

ذلك أن الأولى تُعني وتهتم اهتماماً وثيقاً بنظريات نشأة اللغة، بمنأى عن اللغة وقضاياها، في حين تهتم الثانية بتغير الوحدات الصوتية في اللفظ، ومدى تغير المعنى بتغير اللفظ، وكل ماله صلة بالصوت ودلالته[3] ، أي أقصد مثلاً: دلالة الوقف مثلاً، أو دلالة النبر، أو دلالة التنغيم، وهذا له موضوعه الخاص به، غير أننا إذا وقفنا على مثل هذه الظواهر الصوتية في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم، وما ارتبط بالدلالة الصوتية، فإننا نجده قد استعمل بعضاً منها في تفسيره لمواطن شتى من القرءان الكريم، وبيان دلالة ألفاظه، وكأني به يشير إلى حدوث تغير في الوحدات يؤدي إلى خلق مساحات دلالية بين الألفاظ، إذ نلمس هذا الأمر مثلاً عنده في بيان دلالة مفردتي: « صور، سور» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا

[1] ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، ج3، ص: 98.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مصدر سابق، ص: 46.

[3] ينظر: أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993، ص: 96.

يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]، حيث فسر دلالة: « الصورة » بقوله: « والصور قرنٌ، وقد فسرناه قبل هذا الموضع»[2]، فدل بالصورة على القرن الذي ينفخ فيه النفختان ؛كما هو معلومٌ، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[3]حيث دلَّ بلفظة: « السورة» على الحجاب بمعنى الحاجز أو الفاصل، حيث قال: « تفسير مجاهد : والسور كالحجاب في الأعراف»[4] ، وبذلك توافر لنا مدلولان متعلقان بالمفردتين.

ونفس الأمر عند تفسيره المفردتين: «ناضر، ناظرة»، وبيان دلالتهما في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، حيث فرق بينهما بتفرقة صوت الحرف فيهما فقال: «ناضرة أي: ناعمة، إلى ربها ناظرة، أي: تنتظر الثواب »[6]، وذكر معظم المفسرين غير هذا[7] ، فحمل الشاهد ههنا بيانه لتلك المساحة الدلالية بين المفردتين، فحدوث إحلال أو إبدال صوتٍ مكان آخرٍ في الكلمة يؤدي إلى اختلاف دلالة اللفظتين، وهذا ما يدعي حديثاً بالتوزيع التقابلي «Cntrastve distribution »[8]، أو بمفهوم ثانٍ هو إحلال فونيم محل فونيم آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف[9]، وهذا الذي أردت بيانه وإيضاحه من خلال ما لمسته في بعض مواطن المساحات الدلالية بين كثيرٍ من مفردات القرءان في تفسير الشيخ هود بن محكم.

ومما يستلزم علينا معرفته ههنا أن الدلالة الصوتية ليست حكراً على هذا المفهوم المتقدم، من وجوب كونها مرتبطة بالحرف ودلالة تركيبه فحسب، بل قد يتعدى الأمر هذا ليشمل حتى الحركة المرافقة للحرف أو الصائت، حيث إن تغير الحركة في اللفظة له أثره الجلي في تغيير منحنى الدلالة الصوتية .

[1]سورة المؤمنون، الآية: 101.

[2]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج3، ص: 131.

[3]سورة الحديد، الآية: 13.

[4]المصدر نفسه، ج4، ص: 268.

[5]سورة القيامة، الآية: 22،23.

[6]المصدر نفسه، ج4، ص: 401.

[7]ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج4، ص: 578.

[8]عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبةالآداب للطباعة والنشر، القاهرة،الطبعة1، 2005، ص: 30.

[9]ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط2، 1982م، ص : 58.

يقول عوض عبدو:«...فقد تفرق الحركات بين الوصف والمصدر، مثل: فَرِحٌ، وفَرَحَ، وبين المفرد والجمع، مثل أَسَدٌ ، وأُسدٌ، وبين الاسم والمصدر، مثل: وِزَارة، ووَزَارة...»[1]، إذ إن محور الفكرة ههنا أساسه تغير المعنى لتغير الحركة، وفي هذا المقام نرى الشيخ هود بن محكم في تفسيره قد اعتمد هذه الدلالة الصوتية المتعلقة بالحركات، سعياً منه إلى إبراز وكشف الفروق الدلالية بين الألفاظ، حيث أجده مثلاً في تفسيره لمفردتي: « السِّلمِ والسَّلم»، قد حدد تلك المساحة الدلالية بينهما، والناتجة عن الحركة وصوتها، حيث ورد ذكر المفردة الأولى في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [2] ، ذلك أنها ههنا من السلمِ والسلام والأمان، بل أشار إلى دلالتها على الإسلام كدينٍ شاملٍ متكاملٍ ودين الشريعة السمحة، فقال في تفسيرها: «والسِّلْمُ: الإسلام...، وقال الكلبي: أدخلوا في السلم كافة، يعني شرائع الإسلام، كأنه يقول استكملوا الإيمان »[3] ، فيفهم من هذا أنها عنده بمدلول الدخول في الإسلام.

أما الثانية الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾[4] ، فدل بها ههنا على مدلول الإصلاح والصلح حيث قال:« والسَلم هو الصلح»[5].

ومن ثمة فإن ما يدل على صوت حركة المفردة:« السِّلم »، هو ميل أحد فريقي المعركة إلى السلم والاستسلام والصلح كما هو ظاهر من سياق الآية المتضمنة موضوع القتال بين المسلمين وأعدائهم، وعليه: فإن تغيير حركة السين بين الكسر والنصب ، جعل الشيخ هود بن محكم يدلي بالدلالتين نتيجة التغير.

ـــ وأجد مثل هذا أيضاً في وقوفه على مفردتين: «إِمراً ، و أَمْراً »، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ٧١﴾[6]، حدد دلالتها بالكسر للهمزة على أنها تعني الشيء العظيم المنكر، حيث قال: « أي: أتيت شيئاً عظيماً، وقال مجاهد: منكراً »[7]، وفي تفسيره لقوله تعالى حيث ذِكرُ الثانية بفتح الهمزة: ﴿ أَمْ

---

[1]عوض حيدر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص:33.
[2]سورة البقرة، الآية: 208
[3]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 184، 185.
[4]سورة الأنفال، الآية:61.
[5]المصدر نفسه،ج 2، ص: 103.
[6] سورة الكهف ،الآية: 71.
[7]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2، ص: 467.

أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] دل بها على الكيد، فقال في ذلك: « أي : كادوا كيداً بمحمدٍ»[2]، فنفهم من هذه التفرقة الدلالية عنده أنه اعتمد على إبانة المعاني وكشف الدلالة للمفردتين انطلاقا من تغير حركة الهمزة بين كسر وفتح .

والأمر نفسه عنده حين كشفه لدلالة المفردتين:« مَقام، مُقام » ، حيث ذكرت الأولى بنصب الميم في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾[3]، حيث أشار الشيخ هود بن محكم إلى دلالتها على المكان الذي وقف فيه سيدنا إبراهيم ، ووطئ قدمه عند قيامه على الحجر لبناء البيت، فقال في تفسيرها: «أي: موطئ قدميه»[4]، وأجد المفردة عنده بفتح الميم يدل بها على مداليل عدة، غير ما اعتمده في الأولى، ففي قوله تعالى مثلاً : «ولمن خاف مقام ربه جنتان »[5]، فسر دلالة «المقام» بالحساب والعرض على الله، فقال: « يعني الذي يقوم بين يدي ربه للحساب»[6]، وفي الثانية التي هي بضم ميم مُقام، و الوارد ذكرها في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[7]، دل بها هنا على المكانة والمترلة، فقال: «ومُقاماً ،أي: ومترلاً»[8]، ومن ثمة فإني أجد ما يميز بين دلالة الألفاظ لتغير أصواقا وحركاقا، وما الذي ذكرته إلا أمثلةً مختصرةً شاهدة عن ذلك، وإلا فتفسيره متضمنٌ لمثل ذلك كثيرٌ.

وأجد الشيخ هود بن محكم أحياناً يبرز إسهام صوت الحركة في تنوع وتعدد الصفة مثلاً ودلالتها، وهذا أمرٌ متعلقٌ بالدلالة الصوتية للحركات حيث يكثر في اللغات، خصوصاً في اللغات الهندو أروبية، إذ يقابل هذا التغيير للحركة بين كلمتين عندهم مصطلح: "vowl Gradation" .[9]

---

[1] سورة الزخرف، الآية: 79.

[2] المصدر نفسه،ج 4، ص: 114.

[3] سورة البقرة ،الآية: 125.

[4] المصدر نفسه،ج 1، ص: 139.

[5] سورة الرحمان، الآية: 46.

[6] المصدر نفسه، ج 4، ص: 245.

[7] سورة الفرقان، الآية: 66.

[8] المصدر نفسه، ج 3، ص: 192.

[9] ينظر: محمد علي الخولي، معجم اللغة النظري ، مرجع سابق، ص: 11.

ومثال هذا من تفسير الشيخ هود بن محكم مفردتين؛ إحداهن بالفتح ، وأخرى بالضم، هما: «الهَون ، و الهُون» ، إذ تدل الأولى على مدلول تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غصاصة فيمدح به .[1]حيث إن هذا المدلول والمعنى أشار إليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[2]، بمعنى السكينة والوقار، مضيفاً إلى ذلك معنى الحِلم، فذكر: « على الأرض هوناً بالسكينة والوقار، وقال بعضهم: إن الله قد مدح المؤمنين، وذم المشركين، فقال: وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هوناً، أي: حلماء»[3]، فتفسيره لذلك متضمنٌ للمراد من الهَون بالفتح، على أنه تذلل الإنسان في نفسه بما يستحق المدح به ، ومن ثمة كانت صفةً مستحسنة ينبغي التحلي بها، في حين تعني الثانية بالضم « الهُون» ، مطلق الشدة المستلزمة للذم، بمعنى أن يكون من جهة متسلطٍ مستحقٍ به فيذُم به [4].

ويتجلى هذا التصور المفاهيمي لدى الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[5]، إذ ذكر معالم قصد المفردة بقوله: هذا عند الموت يقبضون روحه ويَعِدونه بالنار، ويشدد عليه، و إن رأيتم أنه يهون عليه ...، وقال الحسن: هذا في النار، يقال لهم أخرجوا أنفسكم إن استطعتم [6]، فمحل الشاهد ههنا قوله:« ويشدد عليه» مبالغة في إهانته ، ولن تكون تلك الصفة إلا على جهة الذّم، عكس الأولى المتعلقة بالمدح .

وبهذا التفسير الصادر عن الشيخ هود بن محكم، يتبين لنا مساهمة الحركة في الكلمة المؤدية إلى تنوع الصفات وتغير الدلالات.

إن إشارة الشيخ هود بن محكم لمثل هذه الدقائق الدلالية الصوتية ، يؤكد لنا اهتمامه البالغ بدلالة الصوت، أو بدلالة الحركة في الإبانة عن معاني ألفاظ كلام الله تعالى، غير أن طبيعة الصوت ودلالته، قد أخذت القدر الوافي في تفسيره، اعتباراً منه أن ذلك عاملٌ من عوامل إثبات المباحث والظواهر الدلالية من

---

[1] الراغب الإصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (هان)،ج2، ص: 513.
[2]سورة الفرقان، الآية: 63.
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 3، ص:191.
[4]ينظر: الراغب الإصفهاني ، المفردات، مصدر سابق، مادة: (هان)،ج2، ص: 514.
[5]سورة الأنعام، الآية: 93.
[6]ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1، ص: 490.

ترادف وتضاد واشتراك، وغير ذلك ، ولقد سبق التمثيل لتلك المباحث الدلالية من تفسيره فيما تقدم من البحث .

ولعلةٍ أخرى ناجمةٍ عن ميلاد كلماتٍ جديدةٍ جراء إبدال صوتٍ مكان صوتٍ آخر في كلمة قد تكون مرادفة لكلمة أخرى في جزئية من معناها، أو قد تكون على الضد من ذلك تماماً أو تضاداً حاداً أو متدرجاً، ولقد جاء هذا في تفسير الشيخ هود بن محكم في مواطن قليلةٍ، لكنه لم يغفلها ووقف عندها في معنى واحدٍ من خلال إبدال حرفٍ بحرفٍ في الكلمة.

فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، يذكر مدلولاً واحداً لمفردتي: «عبس ، و بسر» مُقراً بترادفها في المعنى، وما كان له بذكر هذا المدلول الوحيد، إلا لعلمه بظاهرة إبدال الصوت ودلالته، فقال في تفسيرهما: « ثم عبس وبَسَرَ، أي: كَلِحَ »[2] ، فاعتبر مفردة: « عَبَسَ =كَلِحَ »، وفي الوقت نفسه اعتبر مفردة: « بَسَرَ= كلح »، وهذه المفردة ذكرت مرة واحدة في القرءان عند قوله تعالى﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3]، والكلوح تكشر في عبوس، قال ابن سيده: الكُلوحُ والكُلاَح: بُدُو الإنسان عند العبوس، وفي مقاييس اللغة: الكاف واللام والحاء، أصلٌ يدل على عبوس وشتامة في الوجه، من ذلك الكُلوح والعبوس[4] ، ومهما يكن الأمر فإن الشيخ هود بن محكم في تفسيره للمفردتين: « عبس وبسر»، قد أقر بترادفهما الجزئي، بناءً على الصوت والحرف، فبَسَرَ عنده تعني عَبَسَ وقد يرادفها العبوس الشديد، وهو الكلح الذي ذكره في الجمع بينهما في المعنى .

وبناءً على هذا؛ نستنتج أن الدلالة الصوتية للأصوات في الكلمات موجودة في تفسيره، حيث كان لها تأثيرٌ في إثبات الترادف بين هذين المفردتين.

وعلى أساس هذا يتبين لنا أن الشيخ هود بن محكم، قد استفاد كثيراً من كل ماله صلة بالبحث الدلالي، خصوصاً على مستوى الصوت، ويؤكد لنا سعة اطلاعه على ما قدمه علماء العربية القدامى، وتتجلى تلك السعة العلمية لديه من خلال ما وظفه في تفسيره من إبراز مساحات دلالية، كاشفاً بها خصوصية المفردة

---

[1] سورة المدثر، الآية: 22.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 4 ، ص: 393.

[3] سورة المؤمنون ،الآية: 104.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (كلح)، ج8، ص:241.

القرءانية ودلالتها، موظفاً الفروقات الحاصلة بين تلك المفردات، وفي الوقت ذاته؛ أجد تجليات غزارة علمه، وطول باعه في علمه الدلالة من خلال إثبات وجود الترادف الجزئي مثلاً في ألفاظ ومفردات كلام الله، وغرضه في هذا كله تذليل فهم معاني و مقصدية الخطاب القرءاني للمتلقي ولقارئ التفسير، إذ كان سعيه الابتعاد الكلي عن العمومية في المعنى للمفردات، والالتباس الدلالي، والفهم غير السليم المخالف لما اقتضاه النص القرءاني المتره عن الخطأ،

ثم إنه لمن اللائق بي أن أقف هنا على بعضٍ من تجليات الدلالة الصوتية ومظاهرها، والتي أشار إليها الشيخ هود بن محكم في تفسيره، تمثيلاً وبرهنةً على ما تقدم ذكره إجمالاً.

1_2 تجليات الدلالة الصوتية وأمثلتها في تفسير الشيخ هود بن محكم:

اهتم جمهرة أهل التفسير عموماً اهتماماً بالغاً بالعناية المركزة لتحقيق مفردات القرءان، وسعوا إلى إبانة معناه ومدلوله على شتى المستويات اللغوية، وقد كانت الكلمة عندهم لها حرارة لغوية بحسب سياقاتها ، وأحرفها، وحركاتها، وموسيقاها، وجرسها، وتناغم الحروف في تركيبها، فراعوا في تفسيرهم الكلمات المتوازنة النبرات، ودقة الصوت والحركة، ثم اختاروا لكل مفردة مرادها الخاص بها نتيجة ذلك، وربطوا كل لفظ مع صورته الذهنية ودلالته السمعية، وما أدركوا هذا إلا بوقوفهم وفهمهم الدقيق لتنبيهات القرءان الكريم، ومخاطبته لمشاعر الإنسان الداخلية، والانفعالات المترتبة على صوت المفردة المختارة، وبراعة تركيبها في السياق، وفقههم أيضاً لإيقاع هذه الأصوات، ومراعاة الفروقات بينها.

ومن ثمة فإن تفسير كثيرٍ من المواطن عندهم من كلام الله بناءً على معرفة ما توحيه الكلمات من خلال أصوات حروفها وحركاتها، من حيث القوة أو الضعف مثلاً، أو الرقة أو الخشونة، وغير ذلك مما من شأنه إذكاء الحفيظة، أو إثارة الفطرة، توصلاً إلى تحديد المعنى.

ومما لا ريب فيه لدى المفسرين، أن أي كلمةٍ بصوتها من حيث التركيب والحركات، لها استقلالية في المعنى، مختلفةً تماماً عن غيرها من كلمات قد تؤدي ربما نفس المعنى، إذ يكمن هذا الاختلاف مثلاً في الأثر الصوتي المنبثق في نفس المتلقي، أو بتركيز المعنى بزيادة المبنى، أو غير ذلك.

وإلى هذا المعنى كله أشار الخطابي « ت 388ه»، بقوله: «إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة، لفظٌ حاصلٌ، ومعنىً به قائمٌ، ورباطٌ لهما ناظمٌ، وإذا تأملت القرءان وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه»[1]، وهذا الذي فهمه أهل التفسير وأسقطوه على مواطن الدلالة الصوتية في تفسيراتهم، مؤكدين في ذلك على الوقع السمعي والتأثير النفسي للمفردة، والشيخ هود بن محكم واحدٌ من ثلة المفسرين المهتمين بذلك اهتماماً حريصاً، جاعلاً من الدلالة الصوتية ومظاهرها معولاً من معاول الفهم السليم، وقد يكون من غير الممكن في هذا المجال استحضار جميع تلك الإشارات الصوتية في مجالاتها الواسعة من حيث الاستعمال، لذا سأكتفي ببعض النماذج التمثيلية من تفسير الشيخ هود بن محكم إيضاحاً وتحليلاً.

فلو استفتحنا المجال من حيث علاقة الصوت بالمعنى وأثره في السياق القرءاني، لألفينا الشيخ هود بن محكم قد توصل بفهمه الدقيق، وبعلمه الغزير إلى استقراء كثيرٍ من السياقات، بناءً على الصوت، أو بناءً على الحركة ، حيث أظهر ذلك في أصواتٍ مفردةٍ ، أو أصواتٍ مركبةٍ أذكر منها مثلاً:

1ـــ دلالة صوت « ألف المد، وياء المد» عند الشيخ هود بن محكم:

اهتدى الشيخ هود بن محكم بفضل ما أوتي من سعة اطلاع بالدلالة، إلى حيث ما يتأتى به كثير من معاني مفردات القرءان المتضمنة لألف المد، أو ياء المد، حيث دل على معنى هذه المفردات انطلاقاً من صوت المد في الحرفين، وما يوحي إليه، وأشار إلى ذلك في تفسيره بمواطن عدةٍ ، أُمَثِل لذلك منها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠﴾[2]، حيث أجده هنا قد وقف باستقراء دلالي لسياق الآية ووظيفة المفردة فيها، ثم استنتج دلالتها من منطلق صوت الألف في لفظة: «باسقاتٌ»، وهذا إيحاءٌ بمعناها، يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيرها: «قال عزَّ وجلَّ والنَّخلَ باسقاتُ، أي: طِوال وبُسُوُقُهَا: طولها »[3]، فدل بلفظ البسق على الطول، بناءً على التعبير الدقيق في كلام الله عن ارتفاع وشموخ النخلة وعلوه، ومن ثمة حدد لها

---

[1] الخطابي، بيان إعجاز القرءان، دار المعارف ،مصر، ط3، 1976، ص: 27.

[2] سورة ق، الآية: 10.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4، ص: 183.

حسب سياقها العام ذلك المعنى المتمثل في الباسق بمعنى الطويل ، ويقال للجبل باسقٌ، ومنه قول أبي نوفل لابن هُبيرة : يَابن الذين بفضلهم بَسَقَت على قَيسٍ فزاره[1].

وعلى العكس من هذا أجده يبني تفسيره لمفردة: «نضيد» الواردة في سياق الآية ذاتها، على إيحاء صوت ياء المد من المفردة، فقال: «لها طلعُ نضيدٌ، أي: منضودٌ بعضه على بعض»[2]، فلنا أن نتصور هنا ذلك المدلول الذي يتعلق بمفردة: «نضيد»، والظاهر فيه تدلي طلع النخلة عند خروجه من قنوانه حتى استوائه ويَنعِه، والمتتبع للسياق بدقةٍ ، يدرك تماماً أن هذا الوصف مستمدٌ ومتصلٌ بما سبقه من الآيات قبله من حيث الدلالة[3].

وبهذا قد تتضح لنا بعض معالم الدلالة الصوتية في تفسير الشيخ هود بن محكم وتطبيقاتها لذلك.

2ــ دلالة «صوت الهمزة، والهاء» عند الشيخ هود بن محكم:

أجد الشيخ هود بن محكم في موطن من مواطن تفسيره للآيات، يقارب دلالياً بين صوت الهمزة ، وصوت الهاء، من خلال تفسيره، مجسداً قاعدة تقارب اللفظين بتقارب المعنيين، فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾، نجده يحدد معنىً واحداً للمفردة الوارد فيها حرف الهمزة «أزّاً»، مع إمكانية تقاربه أو استبداله بحرف الهاء، لتصبح: «هَزّاً»، بقوله: « أي: تزعجهم إزعاجاً في معاصي الله»[4]، وبهذا يمكن ربط الإزعاج مطلقاً بالقلق الذي قد يصاحب الأز، وإنما خص الأز بالهمزة، لقوة الهمزة لا غير، باعتبار أن المعنى المنبثق عن الأز أشد وقعاً في النفوس، وعليه نستنتج فهم الشيخ هود بن محكم لإيحاء دلالة الهمزة في مفردة: الأز، وشدة قوته على الهز، ولدلالته به على الإزعاج والقلق.

ولنا أن نتساءل هنا إزاء مفردتي: « الأز ،و الهز»، أهما من الترادف في شيء؟، فحتماً نجد الإجابة في معناهما ومدلولها الواحد رغم اختلافهما في بعضٍ من المساحات الدلالية، باعتبار أن الهز تحريك لجهة اليمين أو لجهة الشمال، وهو متضمنٌ معنى الميل[5]، وهذه إحدى مواضع دلالة صوت الهمزة، وتقاربها في المفردة مع الهاء في تفسير الشيخ هود بن محكم .

---

[1] البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرءان، مصدر سابق، ص: 225.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ، ص: 183.

[3] ينظر: المغيلي خدير، علم دلالة مفردات القرءان، مرجع سابق، ص: 81.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3، ص: 25.

[5] ينظر: محمود الألوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق، ج 16، ص: 83.

3ـــ دلالة « صوت الألف المقصورة» عند الشيخ هود بن محكم:

لما نقف عند بعض المفردات المتضمنة لحرف الألف المقصورة في القرءان الكريم، نجدها تحمل دلالة ذات خصوصية معينةٍ، متعلقة بمعنى من المعاني، لا يشاطرها فيه غيرها من المفردات، ولن يكون هذا الأمر إلا بالسياقات القرءانية المنتهية فواصلها بهذا الصوت(الألف المقصورة)، وفي تفسير الشيخ هود بن محكم ما يثبت من خلال إظهار معاني هذه المفردات، ويبرهن ما تقدم من خصوصية دلالة صوت الألف المقصورة، وهذا أمرٌ اهتدى إليه الشيخ هود بن محكم بفضل حنكته ومعرفته العلمية الدلالية بالأصوات ومداليلها، فلما كانت هذه المفردات المنتهية بهذا الحرف استنتج من خلال إيقاع صوته وتناغمه هذه الدلالة الخاصة بالحرف، ومثال هذا من تفسير الشيخ هود بن محكم، يتمثل في تحديد دلالة هذا الصوت على معنى القطع والانقطاع والانفصال، فمن ذلك قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾[1]، إذ عبر عن المدلول العام للآية المتضمنة للمفردة المنتهية بألف مقصورة عن معنى القطع والانفصال، حيث قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾، « أي: عن الإيمان يعني المشرك، والتوله هنا :الشرك»[2]، فيشير هنا ضمنياً إلى انقطاع هذا المتولي عن الإيمان، وما يؤكد هذا قوله في تفسير الآية بعدها: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾[3]، قوله:« أعطى قليلاً ثم قطعه، قال بعضهم: إنما قَلَ لأنه كان لغير الله »[4]، ففهم من خلال إيراد الصوت هذه الدلالة المتجلية في الانقطاع، والمتتبع لجميع فواصل الآيات في هذه السورة المكية، يدرك أنها منتهية بهذا الحرف الحامل لمعنى الانقطاع وعدم الاستمرارية، وهذا إعجازٌ قرءانيٌ خالصٌ في مفردات التتريل.

وتتضح المسألة بعمق عند الشيخ هود بن محكم في تفسيره لسورة الضحى مثلاً، والمتضمنة للمفردات التي احتوت على صوت الألف المقصورة، والمعبرة تعبيراً صوتياً عن مدلولها، ولنتأمل في إيقاع الصوت الوارد في مفردات السورة مثلاً: « الضحى، سجى، قلى، الأولى، فترضى، فأوى، فهدى، فأغنى...»،كلها تجسد المعنى المشار إليه سابقاً، وحيثما أردنا التوسع فإننا ندرك بأن السورة قد نزلت في انقطاع الوحي واستبطائه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت ذاته؛ ردت على من قال بانتهاء نزول الوحي، إذ يتضح لنا

---

[1]سورة النجم، الآية: 23 ، 24.

[2]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 4 ،ص: 220.

[3]سورة النجم، الآية: 24.

[4]المصدر نفسه، ج 4 ، ص: 225.

من سبب نزولها أن الله عز وجل أراد أن يعبر عن زوال هذا الإنقطاع للوحي وضمان استمراريته، فجعل ذلك الإيقاع والجرس الصوتي المناسب يعبر عن تلك الخصوصية الدلالية، فكانت الألف المقصورة دون غيرها من الحروف المناسبة لذلك، ولذا أشار الشيخ هود بن محكم في مطلع تفسيره لسورة الضحى لهذا المعنى، حيث بنى تصوره لمداليل المفردات انطلاقاً من صوت الحرف المذكور فقال: «... وذلك أن جبريل أبطأ عن النبي عليه السلام بالوحي، فقال المشركون: ودعه ربه وأبغضه ، فهو يقول لم يودعك ربك فيكون آخر الفراغ من الوحي»[1]، يقصد بذلك الانقطاع من الوحي، ومن ثمة فهم الشيخ هود بن محكم هذه الحيثيات الدلالية، بناءً على فهمه واستفادته كثيراً ممن سبق في هذا الإيقاع وخاصةً على مستوى الدلالة الصوتية، ومن جهود قدماء علماء العربية؛: أمثال سيبويه، والخليل، وابن جني...، وسعى إلى إبراز تطبيقات ذلك من خلال تفسيره للمفردات القرءانية والوقوف بها في إطار سياقاتها، توصلاً بذلك إلى القصد السليم من الخطاب القرءاني .

2ـــ الدلالة الصرفية في تفسير كتاب الله العزيز:

يُعرف الصرف على أنه: « تغييرٌ في بنية الكلمة لغرضٍ معنويٍ أو لفظيٍ، فالأول كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف، والثاني كتغيير «قول»، و «غزو» إلى «قال» و«غزا»[2]، حيث يفهم من هذا التعريف الجامع ،أن الصرف في الجانب اللغوي يراد به مطلق التغير،وأجد الشيخ هود بن محكم قد أشار إلى هذا المعنى اللغوي للصرف ، في مواطن الآيات المتضمنة للجذر «صرف» بحسب سياقها ، إذ يقول مثلاً في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾[3]، قال: «تصريف الرياح في الرحمة والعذاب»[4]، يريد بذلك: تغيير الرياح.

ومن جهة المراد بالدلالة الصرفية، فإني أجد إشارة ابن جني في الخصائص إلى ما أسماه بالدلالة الصناعية، المحددة لزمن حدوث الفعل ومبينة لصاحبه في اسم الفاعل، فمثلاً: «ضرب» على وزن «فعل»، دلت على زمن الماضي ، و«ضارب» على وزن «فاعل»، دلت على زمن الفعل، وهو الماضي ، وصاحب

[1] المصدر نفسه، ج 4 ، ص: 465.

[2] محمد بن علي الصبان، حاشية علي بن محمد الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية بن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة:1417ه، ج1، ص: 15.

[3] سورة الجاثية، الآية:05.

[4] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج4، ص:125.

الفعل الذي قام بفعل الضرب[1]، إذ هي وسيلةٌ بفضلها يمكن تتبع المعاني الصرفية ودلالاتها للمفردات في الخطاب عموماً ، وفي الوقت ذاته هي تلك الوظائف الصرفية المستخرجة من الأوزان والصيغ ، باعتبار أنها أوزان وصيغ حاملة لدلالة مجردة في ذاتها.

مثلاً: صيغة: «كاتب» دالة على:
- معنى: الكتابة.
- على الذات الكاتبة[1] (أي:من قام بفعل الكتابة).

وبهذا يتجلى أن الصيغة أو القيمة الصرفية ، هي الموجهة الأساسية للمادة، بحيث تضعها في مجالها الوظيفي الخاص بها[2]، و إنطلاقاً من هذا يمكن استقصاء هذه القيم الصرفية في المصنفات مثلاً، أو أي خطاب كان، لالتماس دلالة معينة من الوزن ، أو الأوزان الصرفية للكلمات، ويمثل العلامة ابن جني لهذا بإشارته إلى صيغة «الفَعْلَى» الدال بها على السرعة، فهي في مصادر الصفات ، إنما تأتي للسرعة، نحو: البُشكي و الجمزى[3]، حيث تتحدد الدلالة بناءً على ما تحمله الصيغة الوزنية للمفردة .

وعليه فإن موضوع مجالات الدلالة الصرفية، هو دراسة تلك التغيرات الطارئة على الصيغ الصرفية الواحدة، وبيان ما تؤول إليه نتيجة هذا التغيير من معاني حسب دلالة سياقها.

وفي هذا الموضوع يصح القول بأن الخطاب القرءاني وما تعلق به، أظهر ما يؤكد أهمية الدلالة الصرفية للصيغ، وأثرها في فهم معاني الألفاظ، وتراكيبها في سياق الآيات الكريمة، ومن ثمة كان لزاماً على مفسري القرءان الكريم معرفة هذا، وما يستلزمه من قضايا صرفية، كآليةٍ لفهم مقصدية الخطاب القرءاني.

ولبيان هذا؛ يمكن أن نمثل لعمق الفكرة بدلالة اسم الفاعل مثلاً في قول الله عز وجل:﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4]، فدلالة اسم الفاعل معلومٌ أن لها من الخصوصية الدلالية ما يؤهلها للمفاضلة بينها، وبين الصيغ الأخرى عند ورودها في السياق القرءاني.

[1]ينظر: ابن جني،الخصائص، مصدر سابق، ج3، ص: 98.

[2]ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة1، 2011، ص: 21.

[3]ينظر: المرجع نفسه،ص: 21.

[4]سورة البقرة، الآية: 30.

فالله سبحانه وتعالى عندما عبر باسم الفاعل، جعل الملتقى (المخَاطب) مشدود الانتباه بالتدبر في توظيف الله عز وجل اسم الفاعل دون سواه من الصيغ الأخرى، وهذا مرده أن: «جاعل» على وزن «فاعل» دالة على حركية الخلق، بمعنى: أخلقُ خلائقاً ، ويكون ذلك بحركية مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعبر المولى سبحانه بـــ « جاعل» ، لأن هذه الصيغة (اسم الفاعل) ملائمة للمعنى العام لسياق الآية، باعتبار أن هذا الذي خلقه الله عز وجل سيخلق جيلاً تعقبه أجيالاً متعددةً من البشر[1]، الأمر الذي يؤكد استمرارية الحركة في الخلق إلى أجل يعلمه الله ، بناءً على دلالة معاني هذه الصيغة «اسم الفاعل»، يتضح لنا أنها لها معانٍ ومدلولات اختصت بها، وبهذا تبرز أهمية معرفة الدلالة الصرفية، وأثرها في اكتشاف المعنى للصيغة.

وفي تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم، قد تتضح لنا بعض تجليات الدلالة الصرفية عنده، وإن كانت إشارات تحسب له، لكنه لم يغفلها، وأبان عن سعة اطلاعه بعلم الصرف، وأجده غالباً ما يذكر الصيغة الصرفية بمسماها ، والاّ فكل تلك المواطن التي أشار فيها إلى تجليات الدلالة الصرفية في تفسيره ، إنما اعتمد فيها دلالة الصيغة مباشرة دون ذكر لها، أو كان العكس منه، بذكر الصيغة الصرفية دون بيان معناها، كما هو الأمر عنده في مواطن ثلاثةٍ من تفسيره لا غير، أولها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2]،حيث أستشهد بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: « ذكروا عن عبد الله بن مسعود ، أنه كان يقرأ هذا الحرف: (الحي القيَّام) ،... وهو من باب الفيعال، والقيوم الفيعول »[3]، فأجده ههنا يحدد لنا صيغتان: «الفيعال ،و الفيعول»، دون بيان دلالتهما في السياق، وإن كان الأصل فيه أنه أشار إلى أن هذا وجه من أوجه القراءة فقط.

والموطن الثاني أجده في تفسير لقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[4]، حيث حدد وزن لفظة: «تبارك» على وزن: «تفاعل»، إذ قال: « من البركة، وهو تفاعل»[5] ،ولم يقف عند دلالتها الصرفية المرادة منها.

---

[1] ينظر: المغيلي خدير، علم دلالة مفردات القرءان، مرجع سابق، ص: 90.

[2] سورة البقرة، الآية: 255.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 222.

[4] سورة الأعراف، الآية: 54.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص: 24.

والموطن الثالث أجده أيضاً في تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾[1]، حيث أعتبر أن صيغة «عجاب» على وزن: «فُعَال»، تماثل في الدلالة صيغة:فَعَلٌ، وفَعِيل، وفعَال، حيث قال:« ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾، أي: عَجَبٌ. وعجيبٌ وعُجَابٌ كله واحد »[2]، وإلى هذا أجد إشارة الفراء في معاني القرءان بقوله: «... كل نعتٍ نعتَ به اسماً ذكراً أو أنثى، أتاك على فعَال مشدداً ومخففاً،فهو صواب»[3]، ثم أجد باقي الإشارات الصرفية عنده في تفسيره مبثوثة عبر معاني صيغها دون ذكر لها، فمن ذلك أجده يعتمد الصيغة الصرفية للكلمات لتحديد دلالتها، ففي تفسيره مثلاً لقوله تعالى:﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ ﴾[4]، أجده يستشف دلالة لفظة « شهيق» على وزن «فعيل» بناءً على صيغتها « فعيل»، والحامل لعدة معانٍ متعددة، حيث كان التمييز بين دلالة اسم الفاعل، والصفة المشبهة في ذلك، لاستعمال كل صيغة صرفية في السياق في المناسب لها ، والمؤدي لدلالتها الخاصة ، وفي هذه الآية نجد أن الصيغة: «شهيق على زون فعيل»، قد صُرفت للدلالة على الصوت الذي هو من معاني صيغة «فعيل» أو للإشارة إلى ما هو أبلغ.

يقول الراغب الاصفهاني: «... وأما قولهم: بخيلٌ، فمصروفٌ عن لفظ الفاعل للمبالغة، كقولهم راحمٌ ورحيمٌ »[5]، باعتبار أن الفاعل فيه «باخل»، لكن الأبلغ فيه «بخيل»، وإلى هذا يمكن قياس «شاهق» دالة على اسم الفاعل، لكن مفردة «شهيق» أبلغ للدلالة على الصوت، وهذا الذي يفهم من تفسير الشيخ هود بن محكم حين قوله فيها «... هذا حين ينقطع كلامهم، ..فشبه أصواتهم بصوت الحمير، أولها زفيرٌ، وآخرها شهيقٌ »[6]،فاهتدائه إلى التعبير عن دلالة الصيغة بالصوت ، ما كان ليكون لولا معرفته بمعاني الصيغة الصرفية «فعيل».

قال الألوسي: « قال الراغب: الزفير ترديد النفس حتى تنفتح الضلوع منه، مأخوذ من زفر فلانٌ، إذا حمل حملاً بمشقة، فتردد فيه نفسه، ومنه قيل للإماء الحاملات الماء زوافر»[7]، والشهيق رد النفس إلى الصدر بصعوبة وعناء، والمراد بهما: الدلالة على شدة كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة، واستبد به الضيق ، حتى صار في كرب شديد ، والمعنى العام كله مفهومه: فأما الذين كان نصيبهم في

---

[1] سورة ص ،الآية: 05.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص: 6.
[3] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج2، ص: 399.
[4] سورة هود، الآية: 106.
[5] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط1، 2007م،ص: 286.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص: 247.
[7] الألوسي، روح المعاني في تفسير القران والسبع المثاني، مصدر سابق، ج1، ص: 182.

الشقاء في الآخرة بسبب كفرهم ، واقترافهم للمعاصي في الدنيا، فمصيرهم إلى الاستقرار في النار، لهم فيها من ضيق الأنفاس وحرج الصدر، وخص الله سبحانه حالة الزفير والشهيق تعبيراً دقيقاً تنفيراً من الأسباب الموصلة إلى هذا المصير.

وبصدد بيان دلالة صيغة: «فعيل» التي من معانيها الصوت ، أجد ما تقدم ذكره يتأكد في موطن آخر من تفسير الشيخ هود بن محكم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[1]، حيث جاءت «حَسِيْس» على وزن «فعيل»، فقال في بيان دلالتها بناءً على مدلول صيغتها الصرفية: « أي: صوتها في قول الحسن، وقال ابن عباس... ولا صوتاً »[2]، وبهذا يتضح أنه محدداً دلالة: «فعيل» في الموطنين السابقين على معنى الصوت.

كما أني أجده يخرج بالصيغة «فعيل» لمخرج «فاعل»، وذلك في مواطن كثيرةٍ، منها تفسيره لقوله عز وجل:﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ﴾[3]، حيث وضعها في تفسيره موضع «شاهد» صيغة اسم الفاعل، وهذا الذي سبق وأن بينته، فقال في ذلك :« شهيد، أي: شاهد على كل نفس بعملها »[4]، فاعتبر في تفسيره هذا، أن من معاني صيغة «فعيل» ،انصرافها للدلالة على اسم الفاعل.

وقِياسُ هذا مثلاً، أجد قول أبي عبيدة في المجاز في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ ﴾[5]،وهو كظيم أي: يكظم شدة حزنه وَوَجْدِه ، ولا يظهره، وهو في موضع كاظم، خرج مخرج عليم وعالم »[6]، فيفهم من دلالة الصيغة، انصرافها للدلالة في المعنى على ما تدل عليه صيغة اسم الفاعل من دلالات.

[1] سورة الأنبياء، الآية: 102.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3، ص: 82.
[3] سورة البروج، الآية: 09.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 445.
[5] سورة النحل، الآية، 58.
[6] أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 361.

كما أجده يُلمح إلى دلالة اسم المفعول المستلزمة للاستمرار والديْمُومة والبقاء ، وذلك لما أقف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[1] ، فنفهم من إيراده لمدلول لفظة: «مجذوذ» معنى مقطوع ، على صيغة ووزن مفعول ، بأنه يشير إلى دلالة الاستمرارية والدوام التي حملتها صيغة اسم المفعول في سياق الآية، فقال في تفسير ذلك: «غير مجذوذ ، أي: غير مقطوع »[2]، والمعنى: أن الذين سبق لهم ما سبق في علم الله من أمر السعادة ، أنهم فيها خالدون دون انقطاع ، وخلودهم مستمرٌ، فكان التعبير من الله سبحانه وتعالى بصيغة اسم المفعول «مجذوذ» مناسباً للسياق، ثم للدلالة على أن الفعل فيه استمرارية بلا انقطاع، وهذا الذي فهمه الشيخ هود بن محكم من صيغة اسم المفعول، والمعنى الحاملة له في هذا الموطن، إذ توصل إلى ذلك بمعرفته لمعاني صيغة اسم المفعول ، والتي من بينها الاستمرارية وعدم الانقطاع.

وفي هذا الصدد لمعنى سياق الآية المتقدم ذكرها ، وصيغة اسم المفعول فيها ،أجد العلامة ابن كثير يُضيف لطيفة بقوله:«...لئلا يتوهم متوهمٌ بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعاً، أو لُبْساً أو شيئاً ، بل ختم له بالدوام ، وعدم الإنقطاع »[3]، وكل هذا من فصاحة كلام الله، ونظمه وإعجازه المبين.

وفي هذا الإطار، أجد الشيخ هود بن محكم يلازم في الدلالة لصيغة «اسم المفعول» ، مع صيغة «اسم الفاعل» ، في كثيرٍ من السياقات القرءانية، كالأمر الحاصل عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ ﴾[4]، إذ حدد لصيغة اسم الفاعل «عَاصم» ، دلالة اسم المفعول، يريد بذلك المَعصُومين الراكبين في السفينة ، الناجين من الغرق، حيث َدلَّ على هذا سياق الآية المتقدمة قبلها، فأجد الشيخ هود بن محكم يفسردلالة اسم الفاعل بناءً على تلازمها الدلالي مع صيغة اسم المفعول، فقال: « ..لا عاصم...، يعني الذين كانوا في السفينة »[5]، يقصد بعبارة لا عاصم ، معنى ودلالة : لا معصوم من الغرق ، إلا من استثناه المولى عز وجل برحمته ، ثم أذكر ههنا تفصيل العلامة الراغب في تحقيقه لمادة: «عصم» بقوله: « لا شيء يعصم منه ، ومن قال معناه: لا معصوم ، فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم ، وإنما ذلك تنبيهٌ منه على المعنى المقصود بذلك، وأن العاصم

[1]سورة هود ، الآية: 108.
[2]هود بن محكم ،تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج2، ص: 249.
[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ،ج2، ص: 586.
[4]سورة هود، الآية: 43.
[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج2، ص: 227.

والمعصوم يتلازمان ، فأيهما حصل معه الآخر»[1]، وفي معالم التنزيل للبغوي :لا عاصم اليوم من أمر الله، أي: من عذاب الله إلا من رحم، قيل "مِنْ" في محل رفع، أي: لا مانع من عذاب الله ، إلا الله الراحمُ ، وقيل: "مَنْ" في محل نصب ، بمعنى: لا معصوم إلا من رحمه الله[2]، ومن ثمة فإن ما قصده الشيخ هود بن محكم من إيراده بمعنى صيغة اسم المفعول، هو دلالته على اجتماع دلالتين صرفيتين في صيغة واحدة ، من لفظة عاصم في هذه الآية.

وعليه فإن دلالة اسم المفعول لا تختلف عن دلالة اسم الفاعل، إلاَّ في الدلالة على الموصوف، لأنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل،من نحو: «كقائم وكاتب»، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول، من نحو: «منصور ومكتوب» ، فكلٌ منهما يدل على الحدث والحدوث، ويأتي اسم المفعول لجميع الأزمنة ، وللاستمرار والدوام، وللدلالة على الثبوت في جميع الأزمنة[3]، وبها كانت دلالة صيغة اسم المفعول أعم وأشمل وأبلغ دلالة .

ومما تقدم ذكره يتبين أن الشيخ هود بن محكم ما كان منه هذا الإقرار، إلا لمعرفته بمعاني هذه الصيغة الصرفية، وما يلازمها من صيغ أخرى، وما تحمله من معانٍ ودلالاتٍ ناجمة من استعمالها في السياق.

وخص الشيخ هود بن محكم دلالة صيغة: «تفاعل» المذكورة آنفاً ، للدلالة على المبالغة، بمعنى أنها تأخذ دلالة أبلغ مما في صيغة «فَعَلَ» ، وهذا الذي اعتمده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾[4]،حيث حدد وزن لفظة «تبارك» على صيغة: «تفاعل» ، وهذا في قوله: « من البركة، وهو تفاعل»[5]، يريد بذلك ،أي: على وزن وصيغة تفاعل، حيث تم تخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه، لا على سبيل التكلف كما يكون من البشر[6]، ودلَّ بهذه الصيغة الصرفية على المعنى الذي تستلزمه المبالغة في كثرة البركة، لأن: « التاء والألف في تفاعل، لزيادة المعنى وتوكيده»[7]،في السياق ، وفي باب معنى المبالغة أيضاً ، أجده يؤكد ما تقدم ذكره،حينما خص صيغة: «فعال» لمطلق الكثرة، إذ أقف على هذا في تفسيره لقوله

---

[1] الراغب، المفردات، مصدر سابق، مادة: (عصم)،ج2،ص: 340.

[2]ينظر:أبو محمد البغوي، معالم التنزيل، مصدر سابق،ج4،ص: 178.

[3]ينظر: حيدر فخري، محاضرات في الصرف، جامعة بابل العراق، من موقع: www.4obabylon.ed4 بتاريخ: 2018/07/16، 20:21

[4]سورة الأعراف، الآية: 54.

[5]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 24..

[6]ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: علا)،ج2، ص: 346.

[7] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة،مرجع سابق، ص: 98.

تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾[1]، حيث دَلَّ بلفظة: «حلاف» على مفهوم الكثرة، بناءً على صيغتها عنده ، وفي معناها اللغوي ودلالتها الصرفية، فقال في ذلك: « حلاف: مِكْثارٌ في الشر»[2]، ولربما قُصِد بالحلاف كثير الحلف ،كما هو الظاهر من السياق، وبه دلت هذه الصيغة على دلالة التكثير ، حيث يتضح من كل هذا، إضافة إلى ما تقدم ذكره أن صيغة «فَعَّال» بتضعيف العين أقوى دلالة من صيغة «فَعَل»، لدلالتها على التكثير في المفعول[3]، فكان استعمالها في ذلك أعمق دلالة ، وأبلغ تأثيراً.

ويخصص الشيخ هود بن محكم كذلك في تفسيره حيزاً هاماً لبيان دلالة زمن صيغة الفعل المضارع ، الدَّال على حدوث شيءٍ في زمن التكلم ، أو بعده، نحو: يقوم ويقول ، أو ما يدل على الحال والاستقبال[4]، وهذا الذي أجده عنده من خلال فهمه لقرينة «سوف» المخصصة للاستقبال في الفعل المضارع ، إذ يتجلى عنده هذا في تفسيره لقوله تعالى:﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾[5]،حيث بين في هذا المقام أن الدلالة الزمنية لصيغة الفعل المضارع تستلزم معنى ما ، وذلك إشارة منه إلى المعنى السياقي للآية ، والمتمثلة في أن ما يطلبه إخوة سيدنا يوسف عليه السلام من العفو وطلب المغفرة من أبيهم سيدنا يعقوب عليه السلام، لم يكن ممكناً في الوقت أو زمن التكلم، وإنما هو ممّا يكون بعد هذا الزمن، حيث يُفهم من هذا معنى التأخير والمماطلة، وهنا محل الشاهد في تفسير الشيخ للآية حيث قال: ﴿ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾، أي: أُوَخِر ذلك إلى السحر »[6]، ففهمه لدلالة زمن الحال من صيغة الفعل المضارع (أستغفر)، كان ناتجاً قبل دخول القرينة «سوف»، والتي حولته من معناه الأصلي إلى دلالة الاستقبال.

وانطلاقاً من هذا المثال في تفسير الشيخ هود بن محكم، يتضح لنا أنه أتخذ من الدلالة الزمنية للصيغة الصرفية عاملاً أساسياً في فهم وبيان دلالة السياق الواردة فيه.

وجدير بالإشارة في هذا الصدد إلى أن الشيء الأساسي في الدلالة الصرفية، هو تنوع واختلاف دلالتها من صيغة لأخرى، وهذا مبحثٌ من مباحث الاختلاف و الفروقات الدقيقة بين معاني المفردات ، وإلى هذا

---

[1] سورة القلم، الآية:10.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سبق،ج4، ص :357.

[3] ينظر: أحمد الحملاوي ،شذا العُرف في فن الصرف، دار الكيان، الرياض، ط1، 2006، ص:32.

[4] ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 103

[5] سورة يوسف الآية: 98.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2، ص: 283.

سعى أبو هلال العسكري في كتابه الفروقات[1]، لبيان تلك المساحات الدلالية بشكل عام ، ومن خلال جميع المستويات اللغوية.

ومن خلال بعض هذه الأمثلة والإشارات الدلالية الصرفية في تفسير الشيخ هود بن محكم، يتبين لنا أنه فهم بعمق مسألة الدلالة القائمة على الزيادة في الصيغة الصرفية، ومعانيها حسب سياقاتها الموضوعة فيها، كما يفهم من خلال توظيفه ذلك ، أنه أدرك أن للدلالة الصرفية وتطبيقاتها أهمية جليلة في الكشف عن معاني المفردات ، ضمن الإطار التركيبي للجملة ، وتأثير ذلك على السياق، وتوجيه المعنى، نظراً لما تتمتع به الصيغة الصرفية من خصوصية دلالية متعددة الاستعمالات.

3 ـ الدلالية النحوية في تفسير الشيخ هود بن محكم:

مما لا ريب فيه لدى أهل اللغة، أن النحو موجودٌ بوجود العربية، حيث كان ملازماً لها سليقةً وفطرةً، إذ كانت الملكة اللغوية الحاصلة لدى العرب من عربيتهم، أحسن الملكات وأوضحها، بمعنى أنها كانت ملكةً متأصلةً في ألسنتهم، يأخذها الآخر عن الأول، كأخذ الصبيان لهذا العهد اللغة[2]، غير أن تلك الملكة اللغوية اللسانية، خالطها الزيف واللحن لمسبباتٍ عدةٍ، فزال عنها شيءٌ من بريق فصاحتها، وعند ذلك سعى من حَبَاهم الله لاستعادة ما فُقِدَ من سليقتها وفطرتها في الألسن، بتقنين قوانينها، ووضع أسس قواعدها، ومن ثمة كانت فكرة استمرارية النحو للعربية، ومرافقته إياها، بغية إدراك دلالات المعاني، وفهم المقاصد.

ولما أتصفح صفحات تاريخ العربية في أزمنةٍ متقدمةٍ، أدرك تمام الإدراك، علاقة النحو بالدلالة، ـــــ موضوعُ حديثي الآن ـــــ ، باعتبار أن عامل الدلالة،كان بحقٍ اللبنة الأولى في التأصيل والتقعيد للنحو العربي، ومن ثمة كانت بوادر الحركة النحوية الدلالية لا تكاد تنفصل علاقتهما، لما لهما من كبير الأثر في كل خطاب، وفهمه الفهم السليم، ولما نقف عند حيثيات تلك القصة الشهيرة في كتب اللغة، نفهم منها أن النحو العربي، إنما كان في مهده الأول إشاراتٌ دلاليةٌ محضةٌ، إذ أن مضمون القصة وحاصلها، أن أعرابياً قدم المدينة فطلب سماع شيءٍ من القرءان، فأقرأه رجلٌ من سورة «براءة»، أي: سورة التوبة، فقرأ: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ

---

[1] ينظر: صلاح الدين زروال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2008م، ص: 277.

[2] ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتعليق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط:2005، ص: 700.

مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1]، بكسر لام رسوله، حيث هي في الأصل عطفاً على المشركين، فقال الأعرابي إنطلاقاً من سليقته وفطرته اللغوية، إن يكن الله بريءٌ من رسوله، فأنا أَبْرَأُ منه، فسمع سيدنا عمر رضي الله عنه قول الأعرابي، وصحح له، وأصدر حكماً أن لا يُقْرِئَ القرءان إلا عالماً باللغة[2]، فَعُلِم بهذا أساسُ وضع النحو العربي، إعتماداً على مراعاة توظيف قواعده في إيضاح الدلالة، وتبيان المعاني ضمن السياق، ليتحدد بذلك معناه.

وبذلك تتضح معالم العلاقة الكامنة بين الدلالة والنحو منذ البداية، وبهما يتأتى المراد من كل خطابٍ، إذ لا قيمة لكل ما ذُكر سابقاً في إطار الدلالة الصوتية، أو الصرفية مثلاً ، بمعزلٍ عن الدلالة النحوية،باعتبار أن كلاً منهما، إنما وظيفته حال اقترانه مع النحو، عندها تصبح الدلالة أعمق، وتظهر كثيفةً بكثافة مكوناتها من صرف وصوت وتركيبٍ (نحو)[3]، حيث نفهم أن الدلالة النحوية هي الحاضنة لهذه العناصر الدلالية، لتحقيق ضبط الدلالة الكاملة لكل قولٍ، ومن ثمة كان الاهتمام بها، ومراعاة مستلزماتها تحقيقاً للمقصود.

وبناءً على هذا؛ نستنتج أن النحو علمٌ قائمٌ بذاته، أُستقت من معينه كل الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً، غير أن ما يفرق بين معالم الدراسات اللغوية القديمة، ونظيرتها الحديثة، هي موضوعات النحو بشكل عامٍ لدى القدامى من صوتٍ وصرفٍ وتركيبٍ وإعرابٍ، خلافاً لمنهج المحدثين الذين دققوا في موضوعاته، وصنفوها حسب طبيعتها، فما تعلق عندهم بالتركيب والإعراب أسموه «علم النحو»، وما أختص بالأبنية والصيغ أسموه «علم الصرف»، وما تعلق بالأصوات أطلق عليه عندهم «علم الأصوات»، وما تعلق بالمعنى كان هو المسمى «بعلم الدلالة»[4].

ومهما يكن الأمر، فإن الحاصل هو استدعاء منها ما يلزمه الفهم للنصوص، وبالأحرى ما يطلبه تفسير النص القرءاني من ضرورة معرفة كل ما ذُكر من هذه العلوم، وإذ نخص التفسير النص القرءاني من ضرورة معرفة كل ما ذُكر من هذه العلوم ههنا بهذا الأمر، لأن طبيعة الدراسة القرءانية كانت أساس دافع علماء العربية القدامى إلى تقنين النحو وضبط قواعده، ولولا مخافة اللحن في القرءان والتحريف، وانصراف الألسن عن سليقتها، لكان الأمر باقٍ هكذا.

---

[1] سورة التوبة، الآية :3.

[2] ينظر: عبد الجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية،دار الأشرف، بيروت، الطبعة الأولى،1988، ص: 72.

[3] ينظر: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، دار بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م، ص: 93.

[4] ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 115.

ولو أردنا الحديث عن إسهامات العرب القدامى في الجانب الدلالي النحوي، وعلاقة ذلك به، لألفينا العلامة الجرجاني أكثر أهل اللغة اهتماماً بذلك ، من خلال نظريته في هذا الصدد، والمؤكدة لبيان أهمية علم النحو في إدراك وكشف المعاني، حيث قدم في ذلك نماذج تطبيقيةٍ ، مبرهناً بها على أثر الدلالة النحوية في تحديد دلالة الخطاب.

يقول عبد القاهر الجرجاني: «... هذا السبيل؛ فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطأه إن كان خطأً إلى النظم، إلاَّ وهو معنىً من معاني النحو...»[1]، فحسن التركيب عنده، وسلامة النظم، مُستجلبٌ لمعاني النحو في كل جملةٍ أو نصٍ، ومن ثمة كان سعي الجرجاني إلى تأسيس نظريةٍ قائمةٍ على مبدأ الدلالة النحوية ، « وأن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه »[2]، ولهذا السبب ذَكرت العلامة الجرجاني أنموذجاً، باعتباره من أوائل من خص جانب النحو الدلالي بالاهتمام العلمي، وإن كان قبله العلامة ابن جني من خلال عمله في مؤلفه الخصائص، حيث سعى إلى إبراز العلاقة القوية بين النحو والمعنى، وأسمى ذلك بـــ: « الدلالة المعنوية»[3]، قدم ضمن بابها تحليلاً لغوياً، يوضح مبدأ الاختيار بين المفردات والقواعد التركيبية، حيث إن هذا الاختيار « محكومٌ بقواعدٍ في أذهان المتكلمين، تتعلق بخصائص المفردات ومجالاتها وطريقة وضعها في علاقةٍ نحويةٍ، كالإسناد والنعت والإضافة والتميز وغيرها»[4]، وما يفهم من هذا كله، أن للقواعد التركيبية النحوية خصوصيات متعلقةٍ بأذهان المتكلمين، من خلالها يتأتى لهم بها إدراك المعاني.

أما الدلالة النحوية عند المفسرين، فتُعد من أهم الأسس المعتمدة عندهم كآليةٍ لفهم معاني القرءان، واستنباط حكمه وأحكامه، فتراهم يوولون المعاني تبعاً لما تحمله الكلمة، سواءً كانت اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً ، والشيخ هود بن محكم من خلال عمله النحوي الدلالي في تفسيره، واحداً من المفسرين، الذين استعملوا الدلالة النحوية كآليةٍ في إظهار معاني المفردات والحروف حسب ورودها في سياقاتها، واعتماداً على التركيب النحوي، حيث إن « التركيب هو الذي يقتضي وجود اللفظ أو الحرف، لأنه يحقق وظيفةً فيه، ويؤدي دلالةً،

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص:55، 56.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص: 60.
[3] ينظر: ابن جني. الخصائص، مصدر سابق، ج3، ص: 98.
[4] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار السلامة، القاهرة، ط1، 1983م، ص:94.

والحروف تكتسب معانيها في التركيب، ولكنها لا تعطي معنىً معجمياً وهي مستقلةً »[1]، وبهذا أجد الشيخ هود بن محكم في تفسير القرءان الكريم، قد أدرك تمام الإدراك أن الدلالة النحوية مما يعول عليه المفسر في تفسيره، وفي بيانه للمعاني، غير أن الملفت للانتباه ههنا ، قبل أن أمثل لتلك الإشارات الدلالية النحوية في تفسيره، هو قِلّتُها وعدم شموليتها، بل في مواطن كثيرةٍ من تفسيره تكاد تنعدم، إلاّ ما ذكره مبهماً غامضاً، وهذه من القضايا الجوهرية التي أثارها محقق التفسير في مطلع سورة البقرة ،حينما أشار بقوله: «... قلّما يتعرض المؤلف إلى وجوه الإعراب في تفسيره »[2]، فنفهم من هذا ، أن تلك المواطن التي تتجلى فيها مسألة الدلالة النحوية في تفسيره قليلةٌ، وإن كان قد أشار إلى بعضٍ منها، أو ذكر وجهاً من أوجه الأعراب مثلاً، أو بين مسألةً من المسائل النحوية، إلا أن ذِكره ذلك في الغالب يكون مبهماً، أو دون ترجيحٍ في الأقوال، وهذا قد لا يعني أنه أغفل جانب الدلالة النحوية في كشفه عن المعاني، بقدر الذي أفهم منه طبيعة منهجه في التفسير، والمبنية عنده على خصوصية الاختصار، وهذا مخرجٌ قد يُفسر به تأويلان؛ أحدهما : إغفاله للدلالة النحوية، والثانية: الإعراض منه لذكر الإشارات النحوية، وكل ذلك مستبعدٌ في تفسيره من خلال ما تصفحته من صفحات تفسيره، إذ من غير المعقول أن يُقدم مفسرٌ على تفسير القرءان وهو يعلم خطورة أمره، وثقل أمانته، بمعزلٍ عن فهم مسائل النحو.

ومهما يكن الأمر فإنني أسعى إلى ذكر تلك الإشارات النحوية في تفسيره، من باب التمثيل للدلالة النحوية في تفسير الشيخ هود بن محكم، وأبدأ ببيان دلالة حروف المعاني في تفسيره، وما خصه بها من دلالات، كحروف الجر، وأدوات الاستفهام.

3- 1- الدلالة النحوية لحروف الجر في تفسير الشيخ هود بن محكم:

أن من بين أهم تلك الإشارات للدلالة النحوية في تفسير الشيخ هود بن محكم، وقوفه على بعض المعاني الدلالية لحروف الجر، وبين أثرها في المعنى إدراكاً منه لأهمية معرفة معانيها كأدواتٍ في اتساق النص وتماسكه، و الدلالات الحاملة لها في إطار سياقاتها المتعددة، فضلاً عن سرها الإعجازي في القرءان ، ولما أتتبع ذلك في صفحات تفسيره، أجد تلك الإشارات متفرقةً عنده في مجلدات تفسيره، كما أجد أحياناً أنها تكاد تنعدم في بعض الأجزاء من تفسيره، في حين أني لما أتحدث عن الدلالة النحوية لحروف الجر في تفسير الشيخ

[1] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 130.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، الهامش (1)، ج1،ص: 109.

هود بن محكم، لا يعني ذلك بيانه لكل معاني تلك الحروف، أو ذكر أكثرها على الأقل، بل إني وجدته قلما يذكر هذا، وفي كثيرٍ من المواطن المتضمنة لمعنىً من معاني حرف الجر ، استنتج من منهجه أنه يتجاهل ذلك، وقبل أن أمثل لذلك من تفسيره لا بأس أن أُعَرِف ماهية حروف الجر.

تعد حروف مختصةٌ بجر الأسماء الداخلة عليها، وتسمية حروف الجر مصطلحٌ اختصت به المدرسة البصرية، أما مدرسة أهل الكوفة أطلقوا عليها حروف الإضافة، أو حروف الصفات، أو بتعريفٍ أشمل عند عبد القادر الجرجاني بقوله: « هي التي تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، لأنك إذا قلت : مررت بزيدٍ، فأتصل معنى المرور بزيدٍ، أو باعتبار عملها، فيكون من قبيل تسمية المآثر بالاسم الأُثر، كما سميت حروف الجر لأن عملها الجر »[1].

ولقد أهتم المفسرون اهتماماً بالغاً في بيان دلالات حروف الجر، ووظائفها في القرءان الكريم، باعتبارها أكثر حروف المعاني استعمالاً من حيث التركيبُ والفهمُ في كل خطابٍ، ويتأكد عملها في النص القرءاني، إذ بها تتضح الدلالات والمقاصد، كما فهموا غاية الفهم ، أن تأمل المعاني التي تؤديها حروف الجر في كلام الله تعالى، تساعد المتدبر للقرءان على الفهمِ الصحيحِ، ومن ثمة يفسرها المفسر تفسيراً سليماً، كما بينوا اختصاص كل صنف من الأفعال والأسماء وما يناسبها من الحروف، وِفقاً لما يقتضيه المعنى لإبرازه كاملاً في شتى الجمل، وهو الأمر ذاته الذي سار عليه الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره، إذ نلمح ذلك جلياً واضحاً عند وقوفنا عند كل حرفٍ من أحرف الجر التي بَيَن معانيها، أو معناها في تفسيره للآيات، فمن ذلك تبيانه لمعاني حروف الجر الآتية:

1 «من» : من حرف جرٍ للظاهر والمضمر، وتكون أصليةً أو زائدةً، ولها معانٍ عدة في كتب النحويين، وأذكر من بين المعاني التي أشار إليها الشيخ هود بن محكم في تفسيره، معنى التبعيض، إقراراً منه بدلالتها على البعض، وأجد ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[2]، حيث نفهم من قوله في تفسيره لها:« وهو كقوله: ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعضٍ، قال الحسن: يعني في الدنيا على وجه ما أعطوا »[3]، فظاهر نص

---

[1]عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، شرح خالد الزهراني الجرجاوي، تحقيق: البداوي الزهران، دار المعارف، الطبعة الثانية ،1988، ط2، ص: 89.

[2]سورة البقرة، الآية: 253.

[3]هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج1، ص: 221.

قوله إنه بين دلالة حرف الجر «من» بما يماثله في الدلالة بآيةٍ أخرى ساقها في تفسير ذلك، فاستشهاده بآيةٍ متضمنةٍ لكلمة «بعض»، كافٍ ليفهم أنه يريد من معناها التبعيض، وهو الذي عليه عامة المفسرين في تفسير الآية[1]، ويندر هذا المعنى الوارد عنده في دلالة حرف الجر «من» في تفسيره، إذ إنه غالباً ما يفسر المواطن المتضمنة لحرف الجر «من» عنده بدلالة بيان الجنس فحسب ،حيث جاء ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾[2]، بقولٍ منه متضمن لدلالة بيان حرف الجر «من» على الجنس، أي: جنس الرجس، كما في الآية، فقال: « يقول: اجتنبوا الأوثان، فإنها رجسُ»[3]، فكأني به يوضح دلالة المقصود من الرجس عموماً، ويخصص دلالة حرف الجر «من» ، الواردة في الآية السابقة ، لبيان جنس ما يجب اجتنابه، وهي كقولنا مثلاً: لا أحب المنافقين من البشر، أي: من جنسهم، وعلامة «من» هنا، أن يصح الأخبار بما بعدها عما قبلها[4].

ومن المعاني المتعلقة بدلالة حرف الجر «من» في تفسير الشيخ هود بن محكم، دلالتها على البدل أو بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾[5]، حيث ذكر دلالة العِوض كمعنىً إجمالي للآية، اعتماداً منه على وظيفة «من» الدلالية في الآية، فقال: « أي: ليست الدنيا عوضاً من الآخرة»[6]، فيفهم من هذا أنه يقصد بهذا القول اختصاص حرف الجر «من» ههنا بالدلالة على معنى: العوض والبدل، كقولنا مثلاً: لا تُغني القراءة في البيت من حضور الدرس، والمعنى المراد، أي: بدل حضوره ، وعوضاً عنه[7]، فهذه بعض المعاني التي ذكرها الشيخ هود بن محكم في تفسيره لدلالة حرف الجر «من» ، وإلاّ فهي كثيرةٌ[8]،غير أني أجده مقتصراً على ذكر هذه التي مثلت لها.

---

[1] ينظر: علي رضا، المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر، ط1، دت، ص: 200.

[2] سورة الحج ،الآية: 30.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 97.

[4] ينظر: أسعد النادري، نحو اللغة العربية في قواعد النحو والصرف، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 1997، ص: 756.

[5] سورة التوبة ، الآية: 38.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 131.

[7] ينظر: أسعد النادري، نحو اللغة العربية في قواعد النحو والصرف، مرجع سابق، ص: 757.

[8] ينظر: ابن هشام الأنصاري، معنى اللبيب، تحقيق: محمد عبد اللطيف محمد الخطيب، دار البيان، الكويت، ط4، ص: 161.

2 « **في**» حرف جر يجر الظاهر المضمر، والأصل فيه أن يكون أصلياً، وهو الغالب عليه، وله معانٍ عدةٍ ، أشهرها تسعٌ[1]، أجد الشيخ هود بن محكم يذكر من بين هذه التسعة معنيين لها فقط، فأمَّا الأول فهو: دلالته به على معنى الظرفية، وهي على أنواع: حقيقةً أو مجازيةً ، وزمانيةً، أو مكانيةً،[2] ومثال الظرفية الزمانية في تفسير الشيخ هود بن محكم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[3]، حيث أشار في بيان المعنى الإجمالي للآية إلى مضمون وبيان ظرف هذا الاعتداء، ومن ثمة تحديد زمانه، فقال «... وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت،... فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئاً، فعمد رجالٌ من سفهاء تلك المدينة، فأخذوا من الحيتان ليلة السبت ويوم السبت..»[4]، فنفهم من عبارته: « ليلة السبت، ويوم السبت»، تحديده لدلالة زمن ظرف الإعتداء، وهذا استنتاجٌ ناتجٌ عن فهم ظاهر التفسير عنده للآية، الدال به ههنا على معنى الظرفية.

والأمر ذاته عنده في تفسيره لقوله تعالى:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾[5] ، حيث نجد إشارته إلى دلالة « في» على معنى الظرفية ، وذلك في قوله: « من أدنى الأرض، أي : في أدنى الروم بأذرعاتٍ من الشام، بها كانت الواقعة »[6]، فقوله: في أدنى الروم ، إشارةٌ جليةٌ يفهم منها قصد الظرفية، أي: ظرف الغلبة.

وأجد أيضاً من بين المعاني الدلالية النحوية لحرف الجر «في» في تفسيره، ما يفيد معنى و دلالة: «مع» الدالة على دلالة المصاحبة[7]، وهذا الذي أقره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ﴾[8] ،حيث ذكر مباشرة معنى حرف الجر «في» في قوله: « قال أدخلوا في أمم: أي: مع أمم »[9]،

---

[1]ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر ط: 15، ج2، ص: 507.

[2]ينظر: فاضل صالح السامرائي،معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، الأردن، ط2000م، ص: 50.

[3]سورة البقرة ،الآية: 65.

[4]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 112.

[5]سورة الروم ،الآية: 2،3.

[6]المصدر نفسه، ج3، ص: 276.

[7]ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مصدر سابق، ص: 513، 514.

[8]سورة الأعراف، الآية: 38.

[9]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 16.

فإيراده ههنا «مع» بدلاً من حرف الجر «في» ، تأكيداً منه على دلالتها النحوية ، المفيدة للمصاحبة ، والمراد من: مع أممٍ، أي: بصحبة أمم[1].

ثم يضيف معنى دلالياً آخر لحرف الجر «في» ، حيث دَلّ به على معنى «على» في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[2] ، إذ ذكر في بيان دلالتها قوله: «... في جذوع النخل، أي: على جذوع النخل »[3]، أي: على النخيل، وما يميز بين موقعي «في» و «على» ، هو أن دلالة «على» متعلقةً بالاحتواء والاستعلاء ، فالاستعلاء موقع «على» ، والاحتواء موقع «في» ، نحو: جَلس في الأرض وعليها[4]، وبهذا التحليل الدلالي كان منه ذلك التفسير المبين لدلالة حرف الجر.

3 «على» على حرف جرٍ أصلي، تجر الاسم الظاهر والضمير، ولها معانٍ ثمانيةٍ ،أشار الشيخ هود بن محكم في تفسيره إلى أشهر هذه المعاني، حيث دَلَ بها على معنى الاستعلاء، إذ هو أكثر معانيها استعمالا، ويدل على أن الاسم المجرور به قد وقع فوقه المعنى وقوعاً حقيقياً، مثل: يعود السائحون...إما على السيارات ، أو على الطائرات ، أو مجازياً، كقول الله تعالى:﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[5]، وكقولنا: « إنَّ الدموع على الأحزان أعوان»[6]، وفي هذا المعنى الدلالي النحوي المشار إليه، أجد الشيخ هود بن محكم يقرن دلالة الاستعلاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[7] اعتماداً على الوظيفة الدلالية لحرف الجر «على» النحوية الدلالية، حيث قال: «... قال استوى أمره في بريته، فَعَلاهُمْ ، فليس يخلوا منه مكان »[8]، فذكره لمعنى العلو والاستعلاء ،دلالةٌ لفهم الآية، كان نتيجة استعمال دلالة حرف الجر «على» في سياق الآية، وبه فهم الشيخ هود بن محكم دلالة الاستواء على العرش.

4« عن» وهي حرف جرٍ أصلي، يجر الظاهر والمضمر، وقد تزاد ما بعدها، ولا تَكُفَها عن العمل، ولها معانٍ عدة ، يُشار لها بقولهم:

[1] ينظر: الفراء، معاني القرءان ،مصدر سابق، ج1، ص: 378.

[2] سورة طه ،الآية: 71.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز: مصدر سابق، ج3، ص: 38.

[4] ينظر: البدراوي الزهران، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية ،مرجع سابق، ص:113.

[5] سورة البقرة ،الآية: 253.

[6] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، مرجع سابق، ج2، ص: 509.

[7] سورة طه الآية 5.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 29.

على للاستعلاء ومعنى في وعن   بعن تجاوزا عني قدْ فَطِنَ

قد تجيء موضع بعد وعلى   كما على موضع عن قد جُعِلاْ [1]

حيث أجد الشيخ هود بن محكم قد ذكر معنى واحداً من معاني حرف الجر «عن»، في حين لم أجد المعاني المتبقية في تفسيره، أمَّا المعنى المذكور عنده في تفسيره ، هو دلالته بحرف الجر «عن»على معنى: «بَعد» أو مرادفه لــ: بعد[2]، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ ﴾[3]، إذ ذكر في بيان المعنى الإجمالي للآية قوله: «.. حالاً بعد حال »[4]، فيفهم من هذا أنه يريد معناها الدلالي النحوي المفيد لمرادف «بَعد» ، وما سوى هذا الموطن من تفسيره للقرءان، لم يتعرض فيه لبيان دلالة حرف الجر «عن».

5 «الباء»: هي حرف جرٍ يجر الظاهر والمضمر، وتكون أصلية أو زائدةً، ولها معانٍ كثيرةٍ، أجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره مشيراً إلى أحد هذه المعاني ،إذ طرح على أنها تكون بدلالة «عن» ، وذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ ﴾[5]، وهو نفس دلالة معنى المجاوزة في كتب الأقدمين[6] ، حيث قال في تفسير الآية : « سال سآئِلٌ بعذابٍ، أي: عن عذابٍ»[7] ، فيفهم من هذا أنه يقصد دلالة «الباء» ، على معنى «عن»، كما أجده مشيراً إلى معنىً آخر من معانيها ، ألاَّ وهو معنى أو دلالة المقابلة والجزاء ، وقد يطلق عليه معنى العوض، وتطلق عليها أيضاً (باء) المقابلة[8]، حيث ذكر ما معنى ذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾[9]، إذ قال «... بما أسلفتهم، أي: بما قدمتم على قدر أعمالكم »[10]، والمراد بذلك ،أي: جزاءً وعوضاً لما قدمتموه في الأيام الخالية، وهي أيام الدنيا.

[1] ينظر: محمد ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، 2005، ج2، ص: 18.
[2] ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، مرجع سابق، ص: 47.
[3] سورة الإنشقاق، الآية: 19.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 443.
[5] سورة المعارج:الآية: 01.
[6] ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مصدر سابق،ص: 123.
[7] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 371.
ينظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، مصدر سابق، ص: 419.
[8] ينظر: المصدر نفسه، ص 419.
[9] سورة الحاقة، الآية:24.
[10] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج4، ص: 368.

6 «**الكاف**»: حرف يجر الاسم الظاهر،ولا يجر الضمير، ويكون أصلياً أو زائداً، ولها معان أربعة[1]، ذكر الشيخ هود بن محكم منها في تفسيره أشهر هذه المعاني، والدَّال بها على معنى التشبيه في تفسيره لقوله تعالى مثلاً: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ ﴾[2]، إذ سَاق في بيان ذلك تشبيه جماعةٍ من العلماء للفراش على أنه "الدَّبَى"، والمراد منه "الجراد" قبل أن يطير[3]، حيث ذكر شبه الناس به يوم القيامة[4]، ومن ثمة فهمنا مراده من استعمال معنى التشبيه في قوله هذا إنما مرده حرف الجر «الكاف» الدال عليه.

7 «**اللام**» : حرف جرٍ يجر الظاهر والمضمر، ويقع أصلياً وزائداً ، أجد الشيخ هود بن محكم قد بين أحد معانيها ودلالاتها، في موطن وحيد من تفسيره، عند قوله تعالى:﴿ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ ﴾[5]، حيث أشار إلى دلالة حرف الجر «اللام» ههنا على أنها بمعنى «على» في قوله: يخرون للأذقان ، أي: على الوجوه[6]، ولم يتطرق إلى بقية المعاني، فيفهم من هذا أنه يدل، بها ههنا على دلالة «على».

8 « **التاء**» : حرف جرٍ، من حروف المعاني، وهي أصليةٌ للجر، وتفيد معنى القسم، ولا يصح أن تذكر معها جملة القسم،[7]، وأجد الشيخ هود بن محكم مشيراً الى هذه الدلالة المفيدة لمعنى القسم في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ ﴾ [8]، حيث بين المعنى العام لسياق الآية، انطلاقاً من الدلالة النحوية لحرف الجر «التاء»، و وظيفتها في الآية، فقال :« وتالله : يمينٌ أقسم به »[9] ، فيتضح لنا من قوله هذا، قصده بدلالة القسم لحرف الجر الوارد في الآية الكريمة.

فهذا كل ما ألفيته من شأن الدلالة النحوية لحروف الجر في مجلدات تفسير الشيخ هود بن محكم، حيث سعى كغيره من المفسرين إلى إدراك أثر وظيفة حروف الجر في الكشف عن المعاني، وإبراز دلالة الألفاظ، وتحديد إطارها العام، وفقاً لمستلزمات التركيب النحوي الدلالي، غير أن الملفت للانتباه لدى الشيخ هود بن

[1] ينظر: محمد أسعد النادري ، نحو اللغة العربية، مرجع سابق، ص: 769.
[2] سورة القارعة، الآية 04.
[3] ينظر: الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، ج2، ص: 286.
[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 479.
[5] سورة الإسراء، الآية: 107.
[6] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 442.
[7] ينظر: عبد العزيز بن جمعة المصلي، شرح ألفية ابن معطي، تحقيق: على موسى الشرملي، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007، ص: 310.
[8] سورة الأنبياء، الآية: 57.
[9] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص:86.

محكم في تعامله بخصوص إبراز الدلالة النحوية لحروف الجر، أنه لم يعالج كل حروف الجر العربية ، بل اقتصر في تفسيره على بيان مداليل الحروف التي مثلت لها سابقاً فحسب، في حين أغفل البقية ، ولربما يرجع هذا إلى منهجيته في الاختصار، ولعل هذا هو التبرير الوحيد لذلك.

ومما سبق نستنتج أن الشيخ هود بن محكم قد راعى حيثيات الدلالة النحوية في مجلدات تفسيره للحروف، مبيناً أثرها الدلالي في السياق القرءاني، وزاد اهتمامه أكثر بتلك الحروف التي لها أدوارٌ عدةٌ، ومتعددة الوظائف، كحديثه مثلاً عن معنى «حتى» الشبيهة لحرف الجر «إلى » في بعض الدلالات ، « لكن يفترقان في أن ما بعد حتى يدخل في حكم ما قبلها قطعاً، كقولك: قام القوم حتى زيدٍ، و زيد ههنا داخلٌ في القيام، ولا يلزم ذلك في: قام القوم إلى زيد، ولهذا قال سيبويه: إن « حتى» تجري مجرى الواو ، و «ثم» في التشريك[1] ، لكن بالمقابل أحده يغفل إغفالاً تاماً لدلالة حرف الجر «إلى» ، و لم يتعرض لها ببيان دلالتها، غير ما ذكره من الإشارات الدالة على احتمالية «حتى» لمعنى «إلى»، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[2]، يذكر موطن «حتى» بـــ «إلى» ، حيث قوله: «... حتى تفئ إلى أمر الله، أي: إلى حكم الله الذي حكم بينهم »[3]، وسياق كلامه يوضح أن قصده من ذلك التعليل، إذ إن سبب القتال الوارد في الآية، علته وسببه بغية تحكيم حكم الله ، وهذا الذي ذكره ابن هشام بقوله:«... يحتمل أن يكون المعنى ،كي تفئ ،أو إلى أن تفئ »[4].

والأمر ذاته في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾[5]، حيث ُدلَّ بها على معنى: «إلى» ، بقوله: «... إن الملائكة تسلم على المؤمنين ليلة القدر إلى مطلع الفجر»[6] ، فنجده يبين ويذكر «إلى» بدلاً عن «حتى» في سياق الآية، إقراراً منه على تأديتها لمعناها.

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب ، مصدر سابق، ج1، ص:254.

[2] سورة الحجرات، الآية: 9.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 172.

[4] ابن هشان الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البيقاعي، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 2001، ص: 96.

[5] سورة القدر ، الآية: 5.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 473.

وبالرغم من تعدد وظائف «حتى» النحوية بين نصبٍ ورفعٍ وجرٍ، إلا أن الشيخ هود بن محكم لم يتطرق لذلك، واكتفى ببيان علاقتها الدلالية في سياقها، مشيراً إلى أحد معانيها النحوية الدلالية، ومن ثمة فإني أجده مجسداً للعلاقة الدلالية بين الوظيفة النحوية ل«حتى»، ودلالتها في الاستعمال اللغوي ضمن الخطاب.

وبالعودة إلى أثر الدلالة النحوية لحروف الجر، نتبين أن الشيخ هود بن محكم في تفسيره كان في مواطن كثيرةٍ من تفسيره ، مظهراً لدلالة هذه الحروف، حيث يُلمح لفاعلية المعنى الدلالي النحوي في فهم النص القرءاني، بمعنى أنه يقف على بؤرة الفهم المركزية لحرف الجر المشار إليه، لأن في الأصل « الدلالة النحوية التي ينهض بها النظام النحوي الكامن وراء المفردات المنطوقة، مع الدلالة المعجمية الأولية للكلمة تشكلان معاً « معنى » الكلمة في الجملة، وكلا الجانبين متعاونان، ففي أحيانٍ كثيرةٍ يقوم النظام النحوي للجملة في سياقٍ معينٍ بتوضيح معنى كلمةٍ لا يعرفها المستمع من قبل، ويسمعها لأول مرة، ولكن وضعها في سياقٍ نحويٍ معينٍ، يكشفها ويوضحها، ويدفع المستمع إلى أن يُحْدس بمعناها حدساً صحيحاً »[1]، وهذا الذي أسس عليه الشيخ هود بن محكم منهجه في تعامله مع جميع الحروف والأدوات، وبيان معناها بوضعها في السياق النحوي المعتاد لدى السامع، فيسهل عليه إدراك معناها ومقصودها، إذ إن هذا الوضع النحوي الذي يستعمله، شأنه أن يكشف عن معنى الآية، فمثلاً عند إشارته إلى معنى التعدية لحرف الجر «عن»، أجده يبين أن النظام النحوي للجملة والآية الموضوعة فيه، إنما هي لأداء وظيفة التعدية، سواءً كانت هذه الوظيفة النحوية لفظيةً، كما سبق معناها في بيان معنى ودلالة حرف الجر «عن» في تفسير الشيخ هود بن محكم، أو تقديرية كما في بيانه لتفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣ ﴾[2]، إذ ذكر ما كان مقدراً في الآية بقوله: « فإن تولوا ، أي: من ما جاء به النبي عليه السلام»[3]، فنفهم من هذا بيانه لتعدية حرف الجر «عن»، تعديةً تقديريةً، وبيان دلالة ذلك المستلزمة للإعراض، والمراد بقوله: «فإن تولوا ، يعني: أعرضوا عن الإيمان»[4]، ومن هذا نجد الشيخ هود بن محكم يوضح أن الوظيفة النحوية لحرف الجر «عن» مثلاً، اقتضت دلالتها معنىً خاصاً، وهو:التولي والإعراض .

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، مصدر سابق، ص: 167.

[2] سورة آل عمران، الآية: 63.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق ،ج1، ص: 264.

[4] جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين ، مصدر سابق، ج1، ص: 66.

ويؤكد ما أشار إليه الشيخ هود بن محكم من المعنى المذكور، العلامة الراغب حين قوله: « وإذا عُدي بِعَنْ لفظاً أو تقديراً، أقتضى معنى الإعراض، وترك قربه»[1]، حيث استدعى معنى التعدية ب«عن» هذا المعنى وهذه الدلالة.

فهذه إذاً بعض الإشارات الدلالية لحروف الجر، وتبيان أثرها النحوي في تبيان الدلالة لدى الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره.

3 ـــ 2. دلالات الاستفهام؛ أحرفه و معانيه في تفسير الشيخ هود بن محكم.

من المعلوم أن الاستفهام من الآليات التوصيلية لمختلف المعاني المتعددة، و التي لا تفهم دلالتها إلا في ضوء أثر الاستفهام عموماً، هذا إذا تعلق الأمر بالخطاب البشري المحدود الدلالة و القصد في الغالب، فكيف إذا كانت آلية الاستفهام واردة في الخطاب الرباني كأسلوب تتجلى منه مختلف الدلالات و المعاني، فلا شك في أثره الدلالي، أنه يكسب السياق دلالة عميقة، و يوجه الفكر نحو المقصود مباشرة، في ظل معطيات جزئيات البلاغة و الدلالة، و تحديده بدقة ما يقتضيه عند خروجه عن أصل معناه إلى معانٍ ثانية، متضمنة لدلالات عدة،كالإنكار، والتقرير، والمعرفة و غير ذلك.

و انطلاقاً من أثره الدلالي، و اعتماداً عليه كآليةٍ يستعان بها في فهم القصد، أجد اهتمام أهل اللغة عموماً، و أهل التفسير على وجهٍ خاصٍ، اهتماماً بليغاً به كظاهرةٍ نحويةٍ تارةً، و أخرى كمبحثٍ دلاليٍ، يستخلص منه شتى الدلالات و الأوجه المبينة له، فخصه المفسرون للقرآن الكريم خصوصيةً دلاليةً، يتوصل بها عندهم إلى إيضاح دلالة ألفاظ و مفردات الكتاب العزيز، فوقفوا عند بلاغة أسلوبه، و دققوا في ورود أدواته، وحددوا أثرها النحوي و الدلالي، و محصوا في معانيه المختلفة في كل سياقٍ من سياقات مجيئه في القرآن الكريم، و غرضهم في ذلك استنباط الدلالة، و تحديد المعنى، و كشفه بوجهٍ موافقٍ لما أراده الله سبحانه و تعالى، فما من مفسر للقرآن الكريم، مهما كان توجهه و مذهبه، إلا و نلمس ذلك الحرص الشديد منه على إبراز أهمية أسلوب الاستفهام في دلالة التراكيب القرآنية، حتى غدت سمةً يتسم بها تفسير بعضهم[2]، فيفهم من ذلك فهمهم للاستفهام و أسلوبه و أنواعه و أغراضه و معانيه و دلالته ،و لم يكن لهم ذلك لولا نظرتهم الدقيقة الترجيحية التي أدركوا بها دلالة الاستفهام و فروقه الدلالية.

[1] الراغب، المفردات، مصدر سابق، مادة (ولى)، ج4، ص: 548.

[2] ينظر: جنان محمد مهدي العقيدي، النقد اللغوي عند الطبري (لمسات لغوية نقدية من فكر المفسر)، دار الكتب العلمية. بيروت. ط2012 ، ص:218

و الشيخ هود بن محكم في تفسيره و إبرازه لدلالة الاستفهام، بالوقوف منه على أحرفه و معانيه ، واحداً من أولئك المفسرين الذين شغلت هذه الفكرة فكرهم، باعتبارها من أساسيات العمل التفسيري، بإلمامهم الواسع بها، وما تقتضيه.

فأجد في تفسيره لمساتٍ دلاليةٍ مشتملةً على بعض الأنواع الكثيرة للاستفهام، مبيناً في الغالب باختصارٍ منه، دلالة تلك اللمسة البيانية، التي فهمها و بنى عليها تفسير كثيرٍ من السياقات المتضمنة لمقام الاستفهام، وسأذكر بعضاً منها في حينها من البحث، و قبل هذا يليق بي التعريف بالاستفهام لغةً و اصطلاحاً ، و ذكر أحرفه و أدواته .

والاستفهام لغةً مأخوذٌ من مادة :« فهم»، «... أفهمه الأمرَ، و فهمه إيّاه يفهمه، و استفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته، و فهمته تفهيماً، و فهم الشيء فهماً و فهاميةً علمته، و فلانٌ فَهِمٌ ...»[1]، والاستفهام بمعنى: الاستخبار و الاستعلام، و السين هاهنا مفيدة للطلب، فهو بهذا الأصل دالٌ على دلالة و معنى الاستخبار ، و الاستعلام طلب معرفة ما لم يعرف لدى المُسْتَفْهَم .

أما اصطلاحاً، فيعرفه الجرجاني في تعريفاته، الاستفهام على أنه:« هو استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوعَ نسبةٍ بين الشيئين أولاً ، فحصولها هو: التصديق، و إلا فهو: التصور..»[2]، إذاً نستنتج من هذا النص دلالةً اصطلاحيةً للاستفهام ، يراد بها طلب معرفة ما في ضمير المخاطب، و الوصول إلى تحديد صورةٍ عن هذا الذي يطلب معرفته في ذهن المستفهم.

وقد يُعرف على أنه طلب الحصول على شيء في الذهن بأدواتٍ مخصوصة[3]، وهو من الأساليب الحوارية التي تستلزم دلالتها وجود أطرافٍ عدةٍ، كالملفوظ و معناه، و المتكلم والسامع، «و لكَون الاستفهام طلبُ ارتسام صورةٍ ما ، في خارج الذهن، لزم ألا يكون حقيقةً ، إلا إذا صدر عن شاكٍ يُصدق بإمكان

[1]ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: "فهم" ج12.ص:459، و ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة: (فهم)،ج3 ،ص:513.

[2] الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص:18

[3]ينظر: عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1989م، ص: 163.

الإعلام، فإن غير الشاكِ إذا استفهم ، يلزم منه تحصيل حاصلٍ، و إذا لم يصدق بإمكان الإعلام؛ انتفت فائدة الاستفهام ...»[1]، فبهذا أيضاً نلمس معالم المفهوم الاصطلاحي، ودلالته للاستفهام .

و يتحدث النحاة في هذا المجال المخصص لتحديد أحرف و أدوات الاستفهام ،عن تقسيمهم الاستفهام في النحو من حيث الأدوات إلى أحرفٍ و أسماءٍ مفيدةٍ للاستفهام، وربطوا كل أداةٍ أو حرفٍ بوظيفته الدلالية المستلزمة له عبر سياقاته المتعددة، فأما القسم الأول، قسم الحروف ، و يضم حرفان لا ثالثَ لهما، و هما:

1ـــ الهمزة: وهي حرف استفهامٍ تستعمل من السائل لطلب معرفة جوابٍ يجهله، و تستعمل لطلب التصور و التصديق[2]،ويستفهم بها عن المفرد و الجملة، و يستفهم بها في الإثبات و النفي، وشرطها ألا يتقدم عليها حرف عطفٍ، كما قد يتقدم على غيرها[3]، هكذا حدد النحاة شرطها.

2ـــ هل: حرف استفهامٍ، لا يستفهم بها إلا عن الجملة في الإثبات، وأكثر ما يليها الفعل، و قَلَّ أن يليها الاسم، و تخص المضارع بالاستقبال، ولا تدخل على جملة الشرط، و تدخل على جوابه، و تذكر لطلب التصديق فقط[4].

أما القسم الثاني، قسم الأسماء، فهي أسماء استفهامٍ خاصةٍ بالتصور فقط[5]، حيث أمثل لها مباشرة في تفسير الشيخ هود بن محكم، حيث يورد الشيخ هود بن محكم بعض اللمسات البيانية الدلالية المتوصل لها من طرفه عبر أسلوب سياقٍ متضمنٍ للاستفهام، و أداةٍ من أدواته، فيفسر تلك المواطن بناءً لما تحمله هذه الأدوات و الأساليب الاستفهامية من دلالاتٍ مختلفةٍ، مشيراً في غالب الأحيان لمواطن الاستفهام في القرآن الكريم إلى تنوع استخدامه بين الإنكار و التعجب و التوبيخ و التقرير، وإن عُدَ الاستفهام من الأغراض البلاغية، إلاَّ أن الشيخ هود بن محكم كان أحياناً يرمي به إلى بعض الأغراض الكلامية ويبين دلالته، وأجده أحياناً وكأنه يقصد منه الجانب النحوي، فذكر مبحث الاستفهام وما تعلق به في تفسيره ودلالته في بعض المواضع القرءانية،

---

[1]محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مصدر سابق.ص:476، 477

[2]ينظر: إسماعيل الأوسي، أساليب النحو عند النحويين و البلاغيين، منشورات بيت الحكمة، بغداد، د.ط. 1988،ص:330

[3]ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الإمام البخاري.الجزائر .ط.الأولى .2008 ص:565. و ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان للنشر و التوزيع. الأردن.ط الرابعة.1997.ص:175

[4]ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مرجع سابق، ص:567

[5]ينظر: عبد الله بن مالك ابن النظام الدمشقي، المصباح في المعاني و البيان والبديع، المكتبة الوقفية الالكترونية، ط1،1989، ص:150.

وتارةً أخرى يبين الاستفهام، ويذكر نوعه أو دلالته، كقوله مثلاً: هذا استفهامٌ إنكاريٌ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ ﴾[1]، حيث قال في توضيح محل الشاهد، وإن تعجب فعجب قولهم، أي: إن تعجب يا محمد عن تكذيبهم إياك، فعجب لتكذيبهم بالبعث حين قالوا: « إذا كنا في ترابٍ إنا لفي خلق جديد، وهذا على الاستفهام، أي إنَّا لا نُبعث، وهذا استفهامٌ على إنكار، أي: قولهم ذلك عجب»[2]، فبين هاهنا دلالته البلاغية.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3]، حيث قال : وهو على الاستفهام، يقول: أم من خلق هذا، أم أوثانهم ؟، أي: أنَّ الله خيرٌ منهم ، ويواصل بعدها في قوله تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾[4] ، فيقول: أي: ليس معه إلهٌ ، وهذا استفهامٌ على إنكارٍ[5]،ومثل هذا كثيرٌ في تفسيره.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ ﴾[6]، إي: إذا كنا تراباً وعظاماً، إنا لفي خلقٍ جديدٍ، وهذا استفهامٌ على إنكارٍ، أي: إنَّا لا نبعث بعد الموت[7]، والأمر نفسه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ ﴾[8] ، أي باليةً، فقال:« على الاستفهام ،وهذا استفهامٌ إنكاري»[9]، أي لا نُبعَث خلقاً جديداً.

فهذه المواطن التي أشار فيها بقوله إلى وجود استفهامٍ إنكاري، مبيناً تارةً دلالته ، وتاركاً لها تارةً أخرى ، كما أشار في تفسيره إلى قسم ثانٍ من أقسام الاستفهام بقوله: وهذا استفهامٌ على معرفةٍ، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ

[1] سورة الرعد، الآية: 5.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2، ص: 294.
[3] سورة النمل، الآية: 59.
[4] سورة النمل ، الآية: 60.
[5] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 260.
[6] سورة السجدة ، الآية: 10.
[7] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 345.
[8] سورة النازعات، الآية: 11.
[9] المصدر نفسه، ج4، ص: 460.

أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، فقال في هذا:« أي: بيانٌ من ربي أن تبصروها بقلوبكم وتقبلوها، وقد علم الله أنه على بينةٍ من ربه، وهذا استفهامٌ على معرفةٍ»[2]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا ﴾[3]، حيث قال: « قال أفاتخذتم من دونه أولياء، وهو على الاستفهام،.. ولا تغني عنهم أوثانهم التي يعبدون من دون الله، وهذا استفهامٌ على معرفةٍ، أي: قد فَعَلتُم»[4]، فدلالة الاستفهام في هذا ، أنه بين المعنى العام لسياق الآية كلها، وفي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5]، حيث أورد في هذا المقام أحد أنواع الاستفهام على معرفةٍ فقال: « أي: هم يحيون الموتى، على الاستفهام ،أي: قد أتخذوا آلهة لا ينشرون ، أي: لا يحيون الموتى»[6]، فكانت هذه إشاراتٌ منه إلى هذا النوع من الاستفهام، وبيان دلالته ، وأثره في تحديد المعنى الدلالي لمفردات كلام الله رب العالمين.

وتارةً أخرى أجده يذكر القسم الثالث من أقسام الاستفهام بقوله: وهذا استفهامٌ على تقريرٍ، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾[7]، قال :« وليس هي إلا موتةً واحدةً التي كانت في الدنيا، كقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[8]، أي: لم تكن عادٌ قبلها ، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾، قال على الاستفهام ، وهذا الاستفهامٌ على تقريرٍ، أي: قد أَمِنَ ذلك»[9]، والحق أن أمثلة هذا، أي:الاستفهام التقريري عنده في تفسيره قليلة ونادرة جداً.

وأما أمثلته وإشاراته إلى قوله مثلاً: « على الاستفهام» فهي كثيرةٌ، لكن دون تفصيلٍ منه لها، فغالباً ما يذكرها، ثم يواصل في التفسير متجاهلاً دلالتها[10]، ويعود هذا لمنهجه في التفسير.

---

[1]سورة هود، الآية: 28.

[2]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 222.

[3]سورة الرعد، الآية: 16.

[4]ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 302.

[5]سورة الأنبياء ، الآية، 21.

[6]المصدر نفسه، ج3، ص :66.

[7]سورة الصافات، الآية: 58-59.

[8]سورة النجم، الآية: 50.

[9]المصدر نفسه، ج3، ص: 451.

[10]ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 519، 540، و ج ،2ص:180، 232 ، و ج 3،ص:22، 138، و ج4، ص:6، 36، 163.

ثم أجده هاهنا يوضح بعض مكامن البلاغة في الاستفهام بذكره لمعاني بعض الحروف و الأدوات المؤدية للاستفهام و دلالته، في موضعها المناسب، فهذه الحروف و الأدوات رغم انطوائها تحت باب الاستفهام، إلاّ أنها مختلفة في الخصائص الاستعمالية الدلالية لها في توظيفها، و لهذا ارتأيت أن أقف على بعض المعاني الدلالية التي حددها وذكرها الشيخ هود بن محكم في تفسيره لأدوات الاستفهام ، و نظرته الدلالية لاستعمالاتها، أوردها في الآتي:

1 - **همزة الاستفهام** ، و **هل الاستفهامية**، هما الحرفان الوحيدان في القسم الأول من أقسام الاستفهام، ولقد سبقت الإشارة إليهما، وما يذكر هاهنا دلالتهما عند الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره، و الأصل فيهما أن لهما اشتراكاً في بعض جزئيات الخصوصية الدلالية، باعتبار أن لهما نفس الغرض الدلالي، إلا أن همزة الاستفهام تحمل في الغالب دلالة ومعنى التقرير و التوبيخ، أما حرف الاستفهام «هل» فهو دالٌ على الحث و الطلب[1]، ولهما معانٍ متعددةٍ، أشار الشيخ هود بن محكم إلى بعضٍ منها في مواطن تفسيرها .

فأما الدلالات المحددة لحرف الاستفهام «الهمزة» في تفسير الشيخ هود بن محكم ، فهي في تفسيره عديدةٌ كثيرةٌ ، لا تعد ولا تحصى، وفي الغالب أجد تفسير الشيخ للسياق المشتمل على همزة الاستفهام ينحو به نحو دلالة التقرير أو التوبيخ، ومثال هذا في تفسيره ، ما ذكره من تفسيرٍ لها ، يفهم منه دلالة التقرير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾[2]، إذ أشار إلى هذا الأثر الدلالي المقتضي التقرير بقوله: « أ إنك لأنت يوسف على الاستفهام، أي: أن ذلك كان منكم بجهالة »[3] ،ـــ حيث يتجلى لنا من هذا النص دلالة التقرير ، ومثال هذا كثيرٌ في تفسيره، لكن ذكرت هذا إشارةٌ فقط.

وأما «هل» الاستفهامية، فلها في تفسير الشيخ هود بن محكم دلالات مفيدة لمعانٍ متعددةٍ، كالحث و الطلب و السؤال و التأكيد و الدعوة و غير ذلك، وسأمثل لذلك.

فأجده تارةً يبرز أثرها الدلالي في تفسيره للسياق المتضمن ل:«هل» ، و تارةً أخرى معرضاً عن بيان ذلك لاختصاره، كما أجده محدداً لها بعض المعاني، كتحديده مثلاً معنى «هل» الاستفهامية بدلالة «قد»

---

[1] ينظر: عبد الله الأنصاري، الاستفهام في القرآن الكريم، منشورات دار البيان.ط1، 2015 .ص:32.

[2] سورة يوسف، الآية: 90.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 281، 282 .

، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾[1]، إذ نجده يفسر الآية، ثم يبين أحد معاني حرف الاستفهام «هل» بقوله:« قوله تعالى: هل أتى، أي: قد أتى على الإنسان ، يعني:؛ آدم »[2]، وهذا معنىً من معاني الدلالات التي تأتي عليها هل الاستفهامية في الاستعمال.

و ورد في أسرار العربية بشأن هل الاستفهامية أنها:« تكون استفهاماً، و تكون بمعنى قد.»[3]، و يحدد لها ثانيةً دلالة السؤال، وظاهر هذا في تفسيره لقوله تعالى :﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ۝٣٠﴾[4]، بقوله:« أي: في مزيد»[5]، و كأنها تسأل الزيادة، فدل بهل الاستفهامية، على معنى السؤال عن الزيادة.

ومن معانيها أيضاً التي وقفت عليها في تفسيره لقوله تعالى:﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾[6]، أجده ينحو بها دلالة الدعوة إلى الإيمان، في معرض قصة سيدنا موسى، و حواره مع ربه ، في شأن فرعون إذ قال فيها: « فقل هل لك ...، أي: إلى أن تؤمن »[7] ، بمعنى أدعوك إلى الإيمان بالله، وغير ذلك من المعاني التي تدل عليها هل الاستفهامية في تفسير الشيخ هود بن محكم .

و بشأن بيان بعض دلالات همزة الاستفهام في تفسير الشيخ هود بن محكم، أجده في مواطن نادرةٍ يلمح لبعض دلالاتها و معانيها ، كدلالته بها على معنى الإخبار في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾[8]،إذ ذكر دلالة سياقها العام مقترناً بالدور الدلالي الذي أدته همزة الاستفهام في الآية بقوله:« أي: ألم تُخبَر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل...، هذا خبرٌ أخبر الله به النبي عليه السّلام»[9]، فيحدد هاهنا أحدى دلالات همزة الاستفهام المفيدة بهذا الموطن لدلالة الإخبار.

ودلّ بها تارةً أخرى على معنى الإنكار و التوبيخ و التعجب في إبرازه لدلالة الآية في سورة فصلت ،حيث قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى

---

[1]سورة الإنسان، الآية: 01.

[2]المصدر نفسه، ج4.ص:404

[3] أبي بركات الأنباري، أسرار العربية، تحقيق، محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي الغربي، دمشق ، ط:1957.ص:267

[4]سورة ق، الآية: 30.

[5]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص:187، وينظر: الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج:26،ص:169.

[6]سورة النازعات .الآية:18.

[7]المصدر نفسه، ج4.ص:422.

[8]سورة الفيل، الآية: 01

[9]اهود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج4. ص:484

وَشِفَآءٞ ﴾ [1] ، حيث نجد تحليله الدقيق واضحاً في تفسيره ، مبرزاً قدرته وسعة إطلاعه على أوجه القراءات القرءانية، وبيان دلالة كل وجهٍ من أوجهها، ففي هذا الموطن تحديداً يفسر قوله تعالى: ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾، تفسيراً دقيقاً، مؤسساً على دلالة وجهين من أوجه القراءة، أحدهما؛ ورد فيه الاستفهام، فقال في بيان الوجهين: «ءاعجميٌ و عربيٌ، أي: بالعجمية و العربية، على مُقْرَأ من قرأها بغير استفهامٍ، ومن قرأها على الاستفهام يمدها : ﴿أَعۡجَمِيّٞ﴾و عربيٌ؟ ،يقول: أكتابٌ أعجميٌ ، و نبيٌ عربيٌ، أي: يحتجون بذلك، أي: كيف يكون ذلك؟...» [2] ، فيتضح من تفسيره هذا ، دلالة الهمزة عنده في الآية الكريمة المذكورة في وجه القراءة الثانية، على أنها بدلالة التعجب و الإنكار، وفي كل موطنٍ من مواطن إيراد همزة الاستفهام، أجده قلما يشير إلى دلالتها و معناها، و إلاّ فإشارته إلى الأسلوب المتضمنة له على أنها من باب الاستفهام كثيرٌ عنده في التفسير، غير أن إبراز دلالاتها قليلٌ نادرٌ.

و مرد الكثرة الأولى عنده راجعةٌ لرؤية النحاة لهمزة الاستفهام على أنها من باب الاستفهام، و أن بقية الأدوات و الأسماء إنما هي تابعةٌ لها في العمل[3] ، ففهم هذا الأثر اللغوي الدلالي لها، فخصها بإشاراتٍ دلاليةٍ متعددةٍ في تفسيره .

2 ما الاستفهامية:

لما أتصفح مجلدات تفسير الشيخ هود بن محكم، و أستقصي دلالات ما عنده لها في تفسيره، نجدها كثيرةً متعددةً، قد أشار إلى بعض الدلالات إشارات ضمن سياق تفسيره للآية الواردة فيها، غير أني وقفت على إشارتين لها جليتين في تفسيره، هما:

أما الأولى إشارته إلى وظيفة «ما» النحوية الدلالية في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [4]، حيث أبان عن وظيفتها هاهنا في هذا الموضع على أنها زائدةً، بقوله: «و ما هاهنا كلمةً

[1] سورة فصلت، الآية: 44.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص:80.

[3] ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،ط1،1994، ج3،ص:289

[4] سورة البقرة، الآية: 26

عربيةً ليس لها معنًى ، زيادة الكلام: وهو في كلام العرب سواءٌ، بعوضةً فما فوقها، وما بعوضةً فما فوقها» [1] ، وذكر في موضعٍ آخر معناها على أنها صلة، وفي هذا المقام أجده يحدد بالذكر وجهاً واحداً من أوجه إعراب «ما»، وهي أنها زائدةٌ ، أو صلةً ، أو تطولٌ، كما هو في اصطلاح النحاة القدامى[2]، أما إشارته إلى «ما» على أنها اسم من أسماء الاستفهام، فذلك واردٌ من ظاهر تفسيره للسياق الواردة فيه، بذكر ذلك على أنها مفيدة للاستفهام، و قلما يورد ذكر دلالتها و معناها في هذا الجانب، على أنها تكون للسؤال عن الجنس، تقول: ما هذا؟ ، بمعنى: أي: الأجناس الأشياء هو [3]، ومثال هذا عنده في تفسيره قليلٌ ، إلا بعض الإشارات النادرة، منها على سبيل المثال، فهمه لدلالة «ما» الواردة في سياق الآية قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ ﴾[4]،حيث يبني دلالة المعنى العام للآية، انطلاقاً مما تؤذيه «ما» الاستفهامية هاهنا بقوله: « إن موسى دعا فرعون إلى الإيمان بالبعث، فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تبعث؟ »[5]، بمعنى أنه يستفهم عن معرفة مجهولٍ لديه، فنلمس من ظاهر تفسيره للآية الكريمة، فهمه الدقيق للدلالة النحوية، و البلاغية ل «ما» الاستفهامية، و التي يستفهم بها كثيراً عن غير العاقل، عكس «من» الاستفهامية، وقد تكون للتعريف بشيء و بيان معناه [6]، وبهذا أجده يفهم دلالتها في المواطن الواردة فيها مشيراً أحياناً لها، و معرضاً عنها تارةً أخرى للاختصار.

3 أيان الاستفهامية:

تكون أيان الاستفهامية بمعنى: «متى»[7]، و يسأل بها عن زمن المستقبل، ولها أغراضها الدلالية و البلاغية الخاصة بها، أشار إلى بعضها المفسر هود بن محكم، محدداً معناها الدلالي في كثيرٍ من المواطن، من ذلك ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾[8]،إذ أجده في هذا المقام يبين دلالتها و

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ،مصدر سابق، ج1،ص:92.

[2] ينظر: الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق،ج1،ص: 21-23

[3] ينظر: المبرد، المقتضب، مصدر سابق،ج2،ص:61

[4] سورة طه ،الآية: 52.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج3.ص:35.

[6] ينظر: عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرءان، دار الفكر، العربي،ط2003.ص:180

[7] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق.ص:522 .

[8] سورة النازعات، الآية: 42.

معناها على أنها مفيدة لـــ: «متى» ، التي هي بمعنى:« في أي حينٍ، أو في أي زمانٍ»[1]. فقال في تفسير الآية، وبيانه دلالة أيان، قوله: «أي: متى مجيئها ؟»[2]، وفي كل المواطن التي ذُكرت فيها «أيان» الاستفهامية، إلاّ و أجده يحدد هذا المعنى الدال به على تحديد الحين و الزمن، كما في تفسيره أيضاً لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾[3]،بقوله: « أي: متى يوم القيامة الذي كذب به المشرك ، يقول ليست بجائيه»[4]،و دلالتها هاهنا مقتضية ومستلزمة للتهويل و التفخيم[5]، وبهذا المعنى الدلالي فسرها وبين دلالتها و معناها.

4 أنـــى الاستفهامية:

يذكر النحاة دلالة «أنـــى»، أنها بمعنى : «كيف»، وبمعنى : «ليت»، وقد فصّل فيها أهل النحو و التفسير تفصيلاً نحويا دلاليا دقيقاً، فحددوا لها دلالاتٍ عدةٍ، منها: أن تكون بمعنى كيف، وتكون بمعنى: (من أين؟)، وهذان معنيان متقاربان في الدلالة المتعلقة بها، لذا فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾[6]،بالدلالتين معاً، أي: فكيف، ومن أين[7]، و إزاء هذا أجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره لها، يبرز دلالتها وِفقاً لما تداوله أهل النحو من معانٍ لها، ففي هذه الآية المتقدمة، يدل بدلالة: «أنى» الاستفهامية، على معنى: «كيف» ، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ ، إذ يبين ذلك بقوله:« أي: فكيف تصرفون عن الهدى.» [8] ففهمه الدلالي هذا اقتضى أن يورد هاهنا دلالة «كيف» معنىً من معاني «أنـــى»، و الأمر ذاته عنده في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣﴾ [9]، حيث ذكر أيضاً ههنا معنى من معاني «أنـــى» ، بقوله: « أي: و كيف له التوبة، أي: لا تقبل توبته يوم القيامة »[10]،و ثمة مواطن أخرى واردة في القرآن

---

[1] عمر بن قنبر سيبويه، الكتاب، مصدر سابق،ج4،ص:233

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4،ص:423

[3] سورة القيامة،الآية:06

[4] اهود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4، ص:398.

[5] ينظر: الزمخشري، شرح المفصل، تحقيق: بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة1 ، 2001، ج4، ص:106.

[6] سورة غافر،الآية:62.

[7] ينظر: محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن، مرجع سابق،ج1، ص:569.

[8] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4، ص:62.

[9] سورة الفجر،الآية:23.

[10] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4.ص456.

الكريم، أجده يبين دلالة: «أنــى» بمعنى: «كيف»، و يحدد لها المعنى الثاني المذكور و المعروف لدى النحاة و أهل التفسير، دالاً بها على معنى: من أين ؟، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَاۖ ﴾[1]،بقوله: «أي: من أين لك هذا ؟»[2]،و بهذين المعنيين أجده يحدد معاني «أنــى» الاستفهامية ، و يركب تصوره الدلالي ، وبؤرة تفسيره على دلالتها.

فهذه بعض المعاني و الدلالات التي حددها الشيخ هود بن محكم لأحرف و أسماء الاستفهام في تفسيره، و التي أمكن لي الوقوف عندها، فكانت شاهدةً على فهمه البالغ لدلالة الأحرف و الأدوات من جهة النحو تارةً، ومن حيث الدلالة تارةً أخرى.

3 ــ 3.إشاراتٌ نحويةٌ متفرقةٌ في تفسير كتاب الله العزيز:

أما ما تعلق بالإشارات المتبقية في تفسيره، والتي لها صلةٌ بالموضوع الدلالي النحوي، فسأجمل القول فيها بذكر أمثلتها إجمالاً ،ثم أعقب ذلك بتعليقٍ دلاليٍ، مستنبطاً من فهم الشيخ هود بن محكم الفهم الدلالي لها، ووفقاً لما ذكره وحدده من معانٍ.

1ــ مسألة الإضمار:

من ذلك مثلاً مسألة الإضمار ، و مسألة أوجه الإعراب ، ومسألة الاستفهام ودلالته كما تقدم، وما تعلق بالصّلات والزوائد في اللغة مما جاء مبثوثاً في تفسيره.

إلا أن ثمة شيءٌ استنتجه من خلال إستخراج هذه الإشارات النحوية الدلالية من عمله التفسيري، وتبيانه الأثر الدلالي فيها، هو عدم تعمق الشيخ هود بن محكم في العرض ، أو البيان المفصل للوجه الإعرابي مثلاً ، أو للظاهرة اللغوية، والحق أن هذه الإشارات والتطبيقات نادرةٌ في تفسيره، حتى وإن وُجدت فهو يشير إلى محل الشاهد دون تفصيلٍ أو عرضٍ دقيقٍ، إلا نادراً، وربما راجعٌ هذا إلى المنهجية التي كانت متخذة، أو المعمول بها آنذاك في أسلوب التأليف في المجال التفسيري، أو يمكن رده إلى ميله وحُبه للاختصار كما أشرت إليه سابقاً، وأرجحُ هذا بعد ما جزمنا بتضلعه في شتى العلوم، انطلاقاً من قوله السابق في مطلع تفسيره، والذي

---

[1] سورة آل عمران،الآية: 37.

[2] المصدر نفسه،ج1، ص:258.

مفاده، أنه لا يتعرض للتفسير إلا من عرف اثنتاعشرة خصلةً، وحدد من بينها: التقديم والتأخير، وقضايا اللغة وفروعها عموماً[1].

والشيء الثاني الذي يمكن لي به معرفة شمولية علمه وسعته، هو مجرد الإشارة إلى تلك القضايا ذات الدلالة اللغوية مثلاً، أو النحوية ،أو غيرها، وهذه الإشارةُ غالباً ما تكون منه في الموطن المناسب ، بُغيةً منه في زيادة بيان معنى المفردة القرءانية ودلالتها ، ويتأكد لنا هذا عند ذكره مثلاً وجهاً إعرابياً ببعض الآيات القرْءانية قصد التوضيح، ولا يتعمق في المباحث الإعرابية إلا بما يخدمه على جهة الإختصار والإيجاز.

كما أنني حين وقوفي على بعض الإشارات الدلالية النحوية التطبيقية في تفسيره، أَلفَيْتُه في الغالب لا يُرجع هذه الأوجه الأعرابية، أو القضايا النحوية، إلى أصحابها، ولا يذكر إيضاً نسبة الإتجاه، ولي أن أَعَلِلَ سبب هذا أيضاً بمنهجيةٍ تبناها في تفسيره ،وهي قائمةً في أساسها على الإختصار.

وسأعرض بعض النماذج والأمثلة، لكن قبل هذا، أشير إلى المسألتين النحويتين البارزتين في تفسيره،كونه وظفهما واستعملهما بكثرةٍ، وأكتفى بالإشارة إليهما دون تفصيلٍ ، هذين هما مسألة: الإضمار، ومسألة الإستفهام.

ومن ذلك ما أشار إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[2]، حيث قال:(ومن ذريتي)، وفي الآية إضمارٌ، يقول: يارب ومن ذريتي فاجعل إماما، أي: ومن كان من ذريتي ، فأجابه ربه،فقال:﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾، وفي الآية إضمارٌ إيضاً فتفهموها ، فإنها تقضي بين الخلائق، أي: لا ينال عهدي الظالمين من دريتك، أي: لا أجعلهم أئمة يقتدى بهم في ظلمهم[3]، وهاهنا في هذا المقام قد وضح وبين وجه الإضمار ومسألته، وذلك بتأويل الكلام ،وقوله: «أي» كذلك في موطن الإضمار الثاني الذي أشار إليه ، سلك نفس المنهج في التأويل للوجه الإعرابي وخصوصية الإضمار، ولم يتطرق لبيان دلالة الإضمار هنا في هذا الموطن.

[1] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص:12.
[2] سورة البقرة، الآية: 124.
[3] ينظر:هودبن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 138.

كما أجد الشيخ هود بن محكم يهتم بمسألة الإضمار إهتماماً شديداً ، وقلما يورد أثرها الدلالي فيها ،إذ في كثيرٍ من المواطن أشار إليها، حيث يذكر أن في هذا الموضع مثلاً إضماراً، ونادراً ما يبين إضمارها ، إلا في مواطن قليلةٍ، منها الذي سبق وأن أشرت إليه، كذلك الإمر عنده بالنسبة لمسألة الإستفهام وأثرها الدلالي في كشف المعنى.

إضافة إلى ما تقدم أجد الشيخ هود بن محكم، يبين إضمار الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[1]، حيث قال مفصلاً ومُبيناً،.. وفيها إضمارٌ، وإضمارها:الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، ويعتبر هذا الأخير، أي: وما بينهما هو محل الإضمار[2]، وأمثلة ما بَينَ إضماره مثل هذا قلةٌ في تفسيره، باعتبار أنه في الغالب ما يذكر مصطلح الإضمار دون تفصيلٍ دلالي.

كذلك من بين نماذج الإضمار التي لم يتعرض لها بالتفصيل عند تفسير قوله تعالى ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾[3]، إذ يقول في تفسيرها:يقول للمؤمنين: أنتم تحبون المنافقين ، ولأنهم أظهروا الإيمان ، فأحبوهم على ما أظهروا ، ولم يعلنوا ما في قلوبهم ، ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتب كله، أي : وهم لا يؤمنون، وفيها إضماراً ،وهاهنا أكتفى بإشارةٍ نحويةٍ دون توضيحها أيضاً ، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[4]،حيث إستفاض وأطال الكلام، وعرض بعض الأوجه التفسيرية ، ثم قال: « قال الحسن: قال الله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾[5] أبداً في الإضمار»[6]، ومفردة "أبدا" منه دل بها على تأويل ما كان مُضْمراً في الآية.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ ﴾[7] ، فقال عندها: أي: إلى النفخة الأولى، وأما قوله هاهنا: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ ﴾ ، ففيها إضمارٌ إلى يوم الوقت المعلوم[8]، وفي

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 54.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ج2 ،ص: 24.
[3] سورة آل عمران، الآية: 119.
[4] سورة المائدة الآية: 26.
[5] سورة المائدة الآية: 26.
[6] هودبن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 461.
[7] سورة الأعراف، الآية: 14-15.
[8] ينظر:المصدر نفسه، ج2، ص: 9.

هدا توضيحٌ تقديريٌ للإضمار الوارد في الآية، وكذلك في السورة ذاتها، عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾[1]،حيث قال:« أي:الحلال في الإضمار»[2]، والتأويل أنه واضحٌ، تقدير إضماره كلوا واشربوا من الحلال.

وفي سورة التوبة أيضاً عند قوله تعالى:﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ ﴾[3]، حيث أورد في هذا الموطن وذكر أحد الأوجه القراءية والإعرابية ، وهذا من خلال قوله في تفسيرقوله تعالى: ﴿ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ ، حيث قال : وهي تقرأ على وجهٍ آخر بالنصب: سيوتينا الله ورسولَه، أي: ويؤتي رسوله ، ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ ، وفيها إضمارٌ، إي: لكان خيراً لهم من النفاق الذي كفروا به[4]، وفي قوله تعالى:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣ ﴾[5]، يقول الشيخ هود فيها : قال الله (قل لاَتقسموا) ، أي: لا تحلفوا ، ثم استأنف الكلام فقال: (طاعةٌ معروفة) ، أي خيرٌ، وهذا إضمارٌ، أي: طاعةٌ معروفةٌ خيرٌ مما تُضمرون من النفاق[6]،وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ ﴾[7]، حيث قال: أي: فأنبتنا به، أي: بذلك الماء ثمراتٍ مختلفاً ألوانها وطعمها في الإضمار[8]، وأوّل وأرجع تقدير الإضمار هنا ، إلى الإختلاف إيضاً في الطعم ، إضافة إلى اللون .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ ﴾[9]، إذ قال في هذه: « أفنضرب عنكم الذكر، أي: القرءان صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ، فيها إضمارٌ، أي: حتى لا

[1] سورة الأعراف، الآية: 31.
[2] المصدر نفسه، ج2 ،ص: 14.
[3] سورة التوبة، الآية: 59.
[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 142.
[5] سورة النور، الآية: 53.
[6] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 189.
[7] سورة فاطر، الآية: 27.
[8] ينظر: المصدر نفسه ، ج3، ص: 416.
[9] سورة الزخرف، الآية: 5.

تفهموه ولا تفقهوه، أي: فقد فعلنا ذلك أن كنتم قوماً مسرفين، أي مشركين»[1]،وكذلك في تفسير قوله عز وجل ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[2] ، حيث ذكر أن في الآية موطن إضمارٍ، وذلك قوله تعالى :﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ ، حيث قال: فيها إضمارٌ، أفلا تبصرون ، أم تبصرون ، وأعتبر هذا هو تأويل الإضمار.

2 ــوجوهٌ إعرابيةٌ في تفسير كتاب الله العزيز:

وثمة مسائل نحوية ، وأخرى صرفية أيضاً ، غير ما ذكرته من مسألتي الإضمار والإستفهام، لكن هذه المسائل جد نادرة في تفسيره، وهي متمثلةٌ عنده في الإتجاهات أو الأوجه الإعربية، والأبنية الصرفية، أو الصيغ، فهو لا يتطرق في المباحث النحوية عموماً إلا بقدرٍ يسيرٍ، وهذا ما يلائمه منهجيتة في الاختصار والإيجاز، واعتقد هذا جازماً، والأمر الثاني، أنه لا يورد أو ينسب هذه الأوجه ، أو المسائل النحوية إلى أصحابها ، أو قائليها إلا نادراً ، ومن أمثله هذا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3]، حيث ذكر : أي: الإسلام طريقاً مستقيماً إلى الجنَةَ، وإنما انتصبَ لأنه من بَابَ المعرفة، كقولك: هذا عبد الله مقبلاً[4]، فذكر في هذا الوجه عِلَةَ النصب ، وخصصه بأنَّه لازمَ باباً من أبواب المعرفة، وضرب مثلاً بقول قائلٍ: هذا عبد الله مقبلاً، دون تفصيلٍ منه ، ولا بيانٍ دلاليٍ لذلك.

وفي قوله ثانيةً مُعلِلاً سبب الرفع في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5] ، إذ قال: وإنما إرتفعت لأنهم قالوا: إنْ أساطير الأولين ، وهذه حِكايةٌ[6] ، وهَاهُنا علق محقق التفسير بقوله:« قلما يتعرض المؤلف إلى مسائل الإعراب في تفسيره هذا، وإذا فَعل فبإيجازٍ»[7]، وهو بهذا التعليق

---

[1] المصدر نفسه ، ج4، ص: 107.

[2] سورة الزخرف،ـــ الآية: 51.

[3] سورة الأنعام، الآية: 153.

[4] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 574.

[5] سورة النحل، الآية: 24.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 316.

[7] ينظر: المصدر نفسه ، الهامش ، ج2، ص 316.

يكشف لقارئ تفسير الشيخ هود بن محكم ، منهجيته في التعامل مع مثل هكذا قضايا لغويةٍ إعرابيةٍ ، تسهيلاً له في البحث.

وكذا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] ، ذكر أن عامل رفع لفظة "حِطةٌ" ،هو الحكاية، فقال :« قال الحسن: رُفع لهم بابٌ فأمروا أن يسجدوا الله ، يضعوا جباههم ، ويقولوا حِطةٌ، وهو كقولك: أحطط عنَّا خطايانا، وإنما أرتفعت لأنها حكايةٌ »[2]، قال المحقق بأن المفسر ذهب هنا في رفع كلمة «حِطَةَ» مذهب أبي عبيدة في مجاز القرءان[3] ، على الحكايةِ، وذهب آخرون إلى النصب، وبه قرأ بعض القرَّاء ، على أنها مقول القول، والجمهور على أنها بالرفع على الوجه الأول، أي: أنها خبرٌ لمبتدإٍ محذوفٍ، وتقدير الكلام :أي هي حِطةٌ[4]، وهذا الوجه الأخير هو الذي أعتمده المحقق ، وأشار إليه ، وأخذ به[5]، في حين أن الشيخ هود بن محكم لم يبين الأوجه الدلالية لكل وجهٍ من أوجه الإعراب في ذلك.

كما اهتم أيضاً بمسألةٍ نحويةٍ أخرى ، ألا وهي مسألة الصِلةَ، فكثيراً ما يشير إليها دون تفصيلٍ، وهو الحال عنده في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾[6]، حيث اعتبر أن الكلام الوارد في قوله تعالى : لما يتفجرا منها أنها صلةٌ، فقال : «واللام ها هنا صْلة»[7]، أي: زائدةٌ في إصطلاح قدماء النحاة ، والحق أنها ليست كذلك، فهي لام الابتداء ، وتسمى اللام المزحلقة، وهي تفيد توكيد مضمون الجملة، أمَّا إذا قصد المؤلف بوصفها صلة كونُها غير عاملة فيصح هذا[8]، والأمر نفسه في الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[9]، إذ قال في ذلك مباشرةً ، واللام هاهنا صلةٌ مرةً أخرى، لكن لم يُفسر ولم يذكر مقادير الكلام وتأويلاته ، وأجده أحياناً يُغير من المصطلحات النحوية في الأسلوب

---

[1] سورة البقرة ، الآية: 58.

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص: 109.

[3] ينظر: مجاز القرءان، أبو عبيدة، ج1، ص: 41.

[4] ينظر: الزجاج ، في إعراب القرءان، مصدر سابق، ج1، ص: 172 ، وينظر: البيان في أعراب غريب القرءان، ابن الأنباري، مصدر سابق، ج1، ص: 82.

[5] ينظر:هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، الهامش ج1، ص :109.

[6] سورة البقرة ،الآية: 74.

[7] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ، ص :116.

[8] ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، مصدر سابق ، ج1، ص: 228، وينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، الهامش،ج1،ص :116.

[9] سورة البقرة، الآية :74.

الكلامي، لكنه يقصد به ما يرمي إليه الأصل فيه لهذا المصطلح ، فمثلاً في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾[1]، حيث قال: «وهذا الكلام موصولٌ بما قبله، وبين هذا الوصل بقوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[2] ،واتبعوا ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ، يعني الفرقة بين المرء وزوجه[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، يقول الشيخ هود بن محكم فيها : « وقوله هنا: ثم استوى إلى السماء صِلةٌ: يقول خلق الأرض ثم خلق السماء».[5]، فهذا أيضاً من المباحث النحوية في تفسيره.

وأحياناً أجِده يقف على نفس ما أشار إليه وقصده من خلال قوله: هذه صِلةٌ، لكنه يضيف عبارة:« زائدة لا معنى لها» ،كما الحال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[6]، وهاهنا ذكر الشيخ هود وجهاً واحداً من وجوه إعراب (ما) ، وهي أنها زائدةٌ، أو صلةٌ ،أو تَطَوَّلٌ كما هو في اصطلاح النحاة القدامى[7]، وهذا يدل على سعة اضطلاعه وتعمقه في علوم اللغة عموماً.

أمَّا ما تعلق بالمسائل الأعرابية للقرءات القرءانية ، فهو يُعرض غالباً وجهاً محدداً لمفسرٍ أو مفسرين ، لكن دون ترجيحٍ أو تفصيلٍ بينهما، كما في قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾[8] ، فقال في ذلك وجه أعراب لفظة «الريحان» ، أنها على الإبتداء ، وهاهنا نسب القول إلى الحسن في تفسيره، يقول: وفيها الريحان والرياحين ، وذكر الوجه المخالف لقول الحسن ، وهو رأي الكلبي في تفسيره ، حيث قال الأخير أن الريحان هو الرزق، وهذا التفسير على من قرأها بالجر والحب ذو العصف والريحانِ، يجعلها من صفة الزرع.[9]، مكتفياً بعرض القولين فحسب.

---

[1] سورة البقرة ،الآية :102.

[2] سورة البقرة، الآية :102.

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 128.

[4] سورة البقرة، الآية: 29.

[5] المصدر نفسه ، ج1، ص: 92.

[6] سورة البقرة ،الآية: 26.

[7] التفسير،هود بن محكم، ج1، ص: 92.

[8] سورة الرحمن، الآية: 12.

[9] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 262.

وتارةً أخرى يذكر الأوجه الإعرابية في القرءات القرءانية للفظة دون تعقيبٍ أو بيانٍ أو ترجيحٍ، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾[1]، حيث قال : أي : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، في تفسير من قرأها بالنصب ، ومن قرأها بالجر ، ومثل للمسألة بقول القائل أنشدك بالله وبالرحمِ.[2] ، حيث تتبين بعض الدلالات المتعلقة بمفردات القرءان الكريم بناءً على فهمه للأوجه الإعرابية.

4- الدلالة السياقية في تفسير كتاب الله العزيز:

اختلف أهل الدلالة في ضبط معالم تعريفٍ علميٍ لمفهوم الدلالة السياقية، بيد أنهم يكادون يجمعون على أنها تلك الدلالة التي يقصدها المتكلم، و يفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي، تبعاً للظروف المحيطة به، عبر ما يتحدد للألفاظ من دلالات أثناء الاستعمال مراعاةً للمقام المتواجدة فيه .

يقول محمد أديب صالح في إشارةٍ منه إلى ذلك المفهوم للدلالة السياقية :« و النص هو الذي يكون معناه الأصلي مقصوداً من السياق »[3]، وظاهر الفهم لهذا أن السياق حاملٌ للمعنى الأصلي، وموضحٌ لقصده.

ثم إن مسألة السياق ودلالته مسألةٌ قديمةٌ، شغلت الأصوليين أكثر من غيرهم ، باعتبار حرصهم على استقراء أوجه الدلالة ، و تتبع علاقة دلالة الألفاظ بعضها ببعضٍ ، يضاف إلى هذا إرادة المتكلمين، و قصدهم، وسياق الألفاظ[4]، ومن هذا فإن إرادة المتكلم، و قصده، وسياقه، عواملٌ دالةٌ على تحديد المراد .

كما اهتم البلاغيون بالسياق و حيثياته أيما اهتمامٍ ، وحددوا ما تقوم عليه أبحاثهم من قضايا المجاز و الاستعارة، و إدراك القرينة الدالة على السياق، و في هذا الصدد يعبر تمام حسان بقوله :« لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنةً تقريباً على زمانهم»[5]، الأمر الذي يؤكد ذلك الاهتمام المبكر بقضية السياق ، و علاقته بتحديد دلالة المعنى للألفاظ أو المفردات، و ما يتشكل منها من نصوصٍ، و يتعلق الأمر أكثر بالنص المقدس المتجسد في كلام رب العالمين، حيث يتأكد هذا الاهتمام، ومن هذا المنطلق المفاهيمي، فإن دلالة أي كلمةٍ، و أي مفردةٍ، بأي لغةٍ كانت، مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بمنحى سياقها المحدد

[1] سورة النساء ،الآية: 1.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج1 ، ص: 314.

[3] ينظر: محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق،لبنان،دط، دت،ج1،ص:142

[4] ينظر : خليل السيد ، بين اللغة و التشريع، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت ،ص:46 .

[5] تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها ،مكتبة زهراء الشرق للطباعة والنشر، القاهرة، ط2000، ص:377 .

لمعناها، ضمن كُلٍ متكاملٍ ، فلا يمكن تحديد تلك التلوينات الدلالية إلا في قالب نمط السياق العام للمقصود من أي خطابٍ .

4ــ 1.أثر السياق في فهم المفردات القرءانية عند المفسرين.

يختار المفسر أثناء عملية التفسير وارتباطها بالتأويل الدلالي، تأويلاً ملائماً من خلال السياق، وهذا بواسطة عملية تحليل للخطاب، المركبة على تمحيص النسيج اللغوي الخاص، بما تضمنه من ميزاتٍ وخصائص تركيبيةٍ دلاليةٍ، تفضي به إلى تحديد المقصود الدقيق لدلالة الألفاظ ومعانيها.

ولأهمية السياق وأثره في تحديد الدلالة، أهتم به القدامى والمحدثون، ولم يكتفوا بالدلالة المعجمية فحسب، فلربما احتمل اللفظ موضوعاً لمعنىً ما، غير أنه في الكلام أو في الآية مثلاً معنىً آخراً بقرينة السياق، وفي هذا يقول ابن الأنباري: «... إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه... ،فلا يعرف المعنى المقصود إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله...»[1]، ومن خلال هذا نفهم أن المعنى لا ينكشف ويتضح ، إلا عبر تسيق الوحدة اللغوية، مصاحباً في تلك العملية التحليل الموضوعي للسياق المتعدد، والمواقف التي ترد فيها، حتى لما كان غير لغويٍ منها[2].

ثم إن ضرورة تخصيص القراءة الدلالية، من قراءاتٍ واردةٍ في سياقٍ واحدٍ، لأمرٌ يتطلب مجهوداً معرفياً خاصاً، ولن يتأتى ذلك إلا باتساع السياق الأصل، ليشتمل على سياقٍ لغويٍ خاصٍ، وآخر عامٍ، ثم سياق المقام.

يقول الفاسي الفهري: « اختيار مفهومٍ ملائمٍ من بين لائحة المفاهيم التي يعبر عنها المشترك، يتطلب مجهوداً معرفياً خاصاً، ويتسبب أحياناً في أخطاء، ويقع رفع الإلتباس عن طريق السياق اللغوي المباشر، أو السياق الخطابي، أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل، أي: كل المصادر متوفرة لرفع اللبس، وهناك عملياتٌ معرفيةٌ ينظر فيها السياق اللغوي للكلمة، فترفع بعض اللبس بواسطة القيود التفريعية، أو السياقية...»[3]،

---

[1] ابن الأنباري، الأضداد، مصدر سابق، ص: 2.

[2] ينظر: مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص:69.

[3] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، مطبعة الدار البيضاء الرباط، الطبعة الأولى، دت، ج1، ص: 372.

وانطلاقاً مما تقدم؛ فإن على المفسر من خلال السياق وأثره، ضرورة اختيار التأويل المناسب أثناء تحليله للخطاب، وفحصه للنسيج اللغوي للخطاب القرءاني، ويتأكد في حقه معرفة ذلك.

4 ــ 2. تجليات إشارات الدلالة السياقية في تفسير الشيخ هود بن محكم:

إن من يتصفح تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري ، يدرك تمام الإدراك أن المفسر قد سلك ذلك النهج المبين لمعالم معتمدةٍ من طرف النظرية السياقية الحديثة ، قصد إبراز و كشف دلالة المفردات القرآنية خصوصاً، وتبيان دلالة المفردة اللغوية عموماً ، و يتجلى ذلك عند الشيخ هود بن محكم الهواري من خلال حصر السياقات الواردة فيها تلك الألفاظ و المفردات، مما يمكنه من إدراك قيمة و أثر المفردة ضمن سياقها ، ولهذا أجد الشيخ هود بن محكم الهواري في غالب تفسيره قد أولى العناية البالغة لهذا المفهوم، من خلال تلك الترابطات السياقية التي ذكرها، و أوردها في مناسبة كل آيةٍ ،أو مفردةٍ قرآنيةٍ ، وهذا المنهج ليس غريباً عنه، ولا عن من سبقه من المفسرين في مسألة نهجهم ذلك المنهج .

و المتتبع للدرس الدلالي العربي منذ بواكير بوادره، يدرك أن مسألة اللفظ و المعنى، وصلتهما بالسياق، كانت نقطةً ارتكازيةً للدرس الدلالي من حيث التنظير ، وهذه نقطةٌ أسالت حبر ومداد كثيرٍ من العلماء بداية من الراغب في تحقيقه لمفردات و ألفاظ القرآن ، يضاف لذلك بصمة الجرجاني في تنظيره و تقعيده لنظرية السياق، وهي بصمةً علمية لولاها ما كان الراغب مستلهماً بتأثيره في فكره معالم العلم اللغوي المستنبط من القرآن و ألفاظه، و المؤسس على نظرية السياق ، إذ يتجلى ذلك التأثير عنده في محاولته حصر استعمالات المفردة ضمن سياقاتها المتعددة ،محدداً بذلك معانيها، و دلالاتها الممكنة ، معتمداً على تلك العلاقة الجوهرية القائمة بين اللفظ و معناه ، وهذا ما تبلور فعلاً في ثنايا الدرس الدلالي الغربي خصوصاً ، وذلك حينما عبر فيتنجشتاين (wittgnstain) على أن الكلمة ليس لها معنى إلا ضمن تركيبها السياقي، فقال:« لا تفتش عن معنى الكلمة ، وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها»[1] ، وهذا الذي يدرك من خلاله أن معنى الكلمة متعدد بتعدد السياقات الواقعة فيها ، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزيعها اللغوي[2].

ومهما يكن الأمر فقضية السياق و تجلياته، قضية ذات بال في الدرس اللساني و الدلالي قديماً وحديثاً، اعتراها التطور من حيث المفهوم و التأثير بعد ما كان الأمر فيه حكراً على الجانب اللغوي على

[1] موريس أبو ناصر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد (ج) 1992 رقم :19/18، ص: 33 .
[2] ينظر: مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص:69 .

مستوى المعجم فحسب ، وتلك مسألةٌ قد يعاب بها ، كون هذا الطرح عاجزٌ عن تحديد وضم جميع استعمالات المفردة ، ولكون هذا المعجم عبارةً عن قائمةٍ واسعةً جداً من المفردات، فإنه يتعذر حصر كل السياقات فيه لأي مفردةٍ [1]،أي يجب توسعة القضية لتمس مجالات ومستويات أخرى قادرة على التفرقة بين معاني الكلمات و الألفاظ ، ولرفع اللبس الدلالي عن المفردات ، ولن يتم هذا إلا بإشراك عوامل كفيلة بتقديم الدلالة التامة للمفردة أو اللفظ .

يقول عبد القادر الفاسي :« اختيار المفهوم الملائم من بين لائحة المفاهيم التي يعبر عنها اللفظ المشترك يتطلب مجهوداً معرفياً خاصاً، و يتسبب أحياناً في أخطاء ، ويقع رفع الالتباس عن طريق السياق اللغوي المباشر، أو السياق الخطابي، أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل ، أي كل مصادر المعلومات المتوافرة لرفع اللبس»[2]، ثم إن إزالة الإبهام ههنا لا يمكن رفعها إلا بتداعي حضور السياق اللغوي و تجلياته، قصد إظهار المعنى المفرد للفظة مثلاً، و استظهار معانيها المتعددة، استناداً لما ذُكر في المعاجم .

و لهذا السبب كان تقسيم علماء اللغة المحدثين مسألة السياق إلى أربعة أنواع منه متمثلة في :[3]

1- السياق اللغوي .	1- Linguistic- contexte
2- السياق العاطفي .	2- Emotional – contexte
3- سياق الموقف .	3- Situationnal – contexte
4- السياق الثقافي .	4- Cultural – contexte

وبعد ما تقدم من تفريشٍ للموضوع، يمكن القول إذا كانت الدلالة ممثلةً صميم الدراسات اللغوية، فإن السياق يعد روح الدلالة ، ومن هذا المنطلق أحاول إبراز معطيات مباحث دلالة السياق من خلال المجلدات الأربع لتفسير الشيخ هود بن محكم الهواري في صنعته، قصد الوقوف على جانب من جوانب معالجة المفسرين لمسألة السياق، وأثرها عندهم في استظهار المعنى والقصد ،وأصالة جهودهم في التأسيس لنظرية السياق ، والعمل على بلورتها وتجسيدها، ولتكن البداية بعرض مبحث السياق اللغوي و تجلياته عند الشيخ هود بن محكم الهواري .

[1] ينظر : مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مرجع سابق ،ص: 31 .
[2] عبد القادر الفارسي ،اللسيانيات و اللغة العربية ، مرجع سابق، ص: 372 .
[3] ينظر: مختار عمر، علم الدلالة ، مرجع سابق، ص: 69-71 .

1ـــ السياق اللغوي في تفسير الشيخ هود بن محكم:

إذ يعرف السياق اللغوي على أنه تلك البيئة اللغوية المحيطة بصوت، أو فونيم، أو مورفيم ،أو كلمة، أو عبارة ،أو جملة [1]، شريطة ارتباطه بالمداخل المعجمية، و الحامل لمدلوله من سياق لآخر ، ويتجلى هذا المفهوم بكثرة في الخطاب القرآني، و في تفسير المفسرين له ، ولي ههنا بالتمثيل مما أشار إليه الشيخ هود بن محكم في مواطن عدة من تفسيره، مبرزاً بتلك الإشارات اختلاف المداليل من سياق لآخر .

يقول الشيخ هود بن محكم مثلاً في بيان تفسير دلالة لفظة: «ضرب» الواردة في كثيرٍ من المواطن ،من ذلك قوله تعالى: ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾[2]، « قال بعضهم : يبدأ فَيَعِظُهَا بالقول ، فإن أَبَتْ هجرها، فإن أَبَتْ، ضربها ضرباً غير مبُرحٍ، أي غير شائنٍ »[3] ولنا أن نقف ههنا عند قوله: غير مبرح، أي غير شائن...، بغية إدراك معنى المفردة من خلال السياق الواردة فيه ، فدل بها ههنا على مدلول المعاقبة من خلال سياق الآية، والذي يدعم ذلك عنده، ما تقدم قبلها من معنى : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ ﴾، حيث وردت على صيغة فعل الأمر، ومن ثمة فهم الشيخ هود بن محكم أن في ذلك تكليفٌ، و أمرٌ شرعي من خلال السياق ، ومعلوم أن التشريع يحتمل الثواب و العقاب، فلاحظ الشيخ هود بن محكم أن المولى عز وجل لما بدأ الآية بالهجران ،وما يؤول إليه من تأديب ، فتوصل بذلك إلى دلالة اللفظة: «ضرب» على العقاب، وأشار ثانيةً إلى معنى آخر لها في سياق غير الأول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ ﴾[4]، فقال :« أي لكي يتذكروا ، فيحذروا أن يترل بهم ما نزل بالذين من قبلهم»[5]، فظاهر قول الشيخ هود بن محكم يؤكد أنه ينحى بمدلول «ضرب» ههنا على أنها بمعنى: «ذكر»، وما يؤكد هذا المعنى هو لفظة: «مثلاً» الواردة بعدها ضمن سياقها الموالي لها، ذلك أن المثل إنما يورد بغية الوعظ والتذكير و الإرشاد، فلما رأى أن دلالة "المثل" متضمنة لنص لغوي اختزلت فيه حادثةٍ ما، دل على معنى «ضرب» في الآية على أنها مفيدة لـــــــــ: "ذكر" لعلة أن المثل يذكر بنصه في قول قائله.

---

[1] ينظر: عوض حيدر، علم الدلالة ، مرجع سابق، ص: 158 .

[2] سورة النساء، الآية: 34 .

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1، ص: 342 .

[4] سورة الزمر، الآية: 27 .

[5] المصدر نفسه، ج4 ص: 34 .

ثم أضيف مثالاً ثالثاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] ، فقال الشيخ هود بن محكم :« يعني ما يؤخذ منهم من الجزية» [2] فأجده بهذا الموطن يدل بمعنى الضرب ههنا على أنه بمثابة دلالة «أقيمت» ،باعتبار أن المولى عز وجل في سياق الآية هو بصدد الحديث عن الكافرين وذلتهم ،و المؤمنين وعزهم ، والذي يعزز ذلك قوله تعالى :﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ بعدها مباشرة، فاستعمل ذلك مناسبة لشدة غضبه منهم وعقوبته لهم .

ومن خلال هذا أقول أن تلك المواطن التي تجلت فيها إسقاطات معالم السياق اللغوي بمداخله المعجمية في تفسير الشيخ هود بن محكم كثيرة متعددة، وإلا فهذا تمثيل لا حصر، وصح القول بأن ما يحدد دلالة :« الضرب» في الآيات القرآنية هو سياقها الواردة فيه باعتباره قرينة محددة لذلك .

2ـــ السياق العاطفي" النفسي" في تفسير الشيخ هود بن محكم:

وأما السياق العاطفي (النفسي) ، فهو ذلك السياق الذي يمكن من خلاله الكشف عن المعاني النفسية، و الوجدانية المكنونة عند الإنسان، و المختلفة في طبيعتها من شخص إلى آخر[3]، ومفاد هذا أنه لا يمكن تحديد ذلك القصد الدقيق لخطاب المتكلم، إلا باستدعاء حضور السياق العاطفي المقتضي التأكيد ، أو المبالغة ، أو الانفعال، أو بإظهار القوة و الضعف [4]، و هذا من شأنه أن يؤثر في ارتباط المتكلم و قصده ، ومن ثمة فإن هذا المضمون والارتباط العاطفي النفسي مختلف من متكلم لآخر[5]، وهذا مرده ذلك التباين الحاصل لدى الأفراد في درجة تقبلهم النفسي لبعض الألفاظ دون سواها ، وهذا المبحث من مباحث السياق نادر من حيث الإشارات في تفسير الشيخ هود بن محكم، إلا ما أمكنني الوقوف عنده من إسقاطات متواضعة لذلك .

فلنتأمل تفسير الشيخ هود بن محكم لآيتين حتى تتجلى معالم السياق العاطفي تطبيقاً.

[1] سورة آل عمران ،الآية: 112 .
[2] المصدر نفسه ، ج 1، ص: 280 .
[3] ينظر: محمد على الخولي، معجم علم اللغة النظري ،مرجع سابق،ص: 84 .
[4] ينظر: مختار عمر، علم الدلالة ،مرجع سابق، ص: 70.
[5] ينظر: محمود السعران ،علم اللغة مقدمة للقارئ الغربي ،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،ط1، دت، ص: 302 .

يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[1]،« قال الحسن : ترفعهم بلهبها، فإذا كانوا في أعلاها ، قمعتهم الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهوون فيها سبعين خريفاً ، قال الله و ذوقوا عذاب الحريق »[2] هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أجده يدلي بنفس التفسير عند قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[3]، فقال ثانية: « أي :أنه إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلهبها،حتى إذا كانوا في أعلاها و أروادو أن يخرجوا منها ضُربوا بمقامع من حديد، فهووا إلى أسفلها، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار»[4]، ومن ثمة فإننا نلاحظ إضافة الشيخ هود بن محكم لفظة الحريق في تفسيره الأول لآية السجدة، وفي ذلك إشارة منه إلى أن الله عز وجل اختار لفظة: «الحريق» بعد العذاب ، واختار لفظة: «النار» بعد العذاب كذلك في الموطن الثاني، ومن هنا فإن المتلقي يدرك ذلك الشعور و الإحساس القاسي النفسي اتجاه ما تتضمنه لفظة الحريق من حيث الدلالة، ذلك أنها أشد وقعاً على السامع من لفظة النار، وههنا تتجلى حيثيات السياق العاطفي و دلالته، ولو عدنا إلى تفسير الشيخ قبل ذكر لفظة: «الحريق» في سياقها الأول، لوجدنا أنه يوحي بأن السياق لها فية تفصيل وإيضاح ، وذلك يمتد من قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾[5]، حيث فصل جزاء كل صنف، وأما في سورة السجدة فلقد وقع الجزاء موجزاً بالنسبة إلى الطرفين[6]، ولذلك أضاف الشيخ هود بن محكم لفظة: «النار» موصولة بتفسيره للدلالة النفسية في ذلك ، فلفظة: «النار»، قد لا تهز المتلقي بذلك القدر الذي تهزه بها لفظة الحريق .

وعليه؛ فإن الشيخ هود بن محكم قد راعى ذلك السياق العاطفي في تفسيره للآيتين، من خلال استعمال اللفظة ذات المدلول النفسي في سياقها المحقق لمعناها.

[1] سورة الحج، الآية: 22 .
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ،ج 3 ، ص: 93 .
[3] سورة السجدة، الآية: 20 .
[4] المصدر نفسه، ج 3 ، ص: 306.
[5] سورة الحج، الآية:21 .
[6] ينظر: فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، دار عمار للطباعة والنشر، ط4 ، 1427 ، 2006، ص: 241 .

3ــ سياق الموقف "الحال" في تفسير الشيخ هود بن محكم:

و أما سياق الموقف أو الحال، فلعل أدق إشارة له، ما ذكره الراغب في كتابه: «مقدمة في التفسير» على أنه من الوجوه التي يعبر بها عن المعاني و يبين بها ، إذ يفهم الشيء بحاله الذي وصف به[1] ، لذا تنبأ الراغب بأهمية هذا النوع من السياق و أثره في إبانة المعنى ،وهو الأمر الذي أقرته الدراسات الدلالية الحديثة ،و هو ما يعرف بالتحليل الدلالي، ولست بصدد التوسع في ذلك، إلا بقدر ما يحقق لي الغرض منه، و قديما قيل: لكل مقام مقال، وإذا بحثنا عن تجليات هذا المقتضى في تفسير الشيخ هود بن محكم، فإنه سيتجلى واضحاً من خلال تفسيره لقوله تعالى مثلاً: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾[2]، إذ قال عندها :« قال بعض المفسرين : البأساء : البؤس ،و الفقر ،و الضراء : السقم و الوجع ، قال أيوب: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾، وحين البأس، أي: عند مواطن الجهاد و القتال »[3]، و يكاد الأمر أن يتقارب في تفسيره أيضاً لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[4]، حيث قال :« أي: في الرخاء و الشدة ، وقال بعضهم: في اليسر و العسر و الجهد و الرخاء »[5]، وبناءً على كلا التفسرين له في هذا المقام، يتجلى لنا أنه يقصد بذلك حال كون المنفق أو الصابر متمثلاً لذلك ، وهذا باعتبار مدلول الصبر مثلاً في الآية الأولى عنده، متغيراً بتغير السياق الموقفي الحالي ، حيث أن استعمال الصبر في موقف محاربة يعني الشجاعة، و الصبر في موقف النوائب يعني رحب الصدر، و الصبر في موقف الصمت يعني الكتمان، ولقد ورد في القرآن من خلال الآية السابقة ما يجمع كل تلك المعاني[6]، و هي إشارة ضمنية من الشيخ هود بن محكم لذلك على سياق الموقف و الحال .

وبهذا يبقى سياق الموقف و الحال من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه أحوال المخاطبين ،أو الفاعلين ، وما يقتضيه حال الفعل و هو محتاج إلى الدلالة عليه.

---

[1] ينظر: صلاح الدين بن عبد اللطيف الناهي، الخوالد من آراء الراغب الأصفهاني في فلسفة الأخلاق و التشريع و التصرف ، دار الجيل ، بيروت، ط 1987 ، ص: 95 .

[2] سورة البقرة، الآية: 177 .

[3] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1 ،ص: 160.

[4] سورة آل عمران، 134.

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز هود بن محكم ، مصدر سابق، ج1 ص 287 .

[6] ينظر: الراغب الاصفهاني ، المفردات، مصدر سابق، مادة: " صبر" ج2،ص:344. .

4ـــ السياق الثقافي في تفسير الشيخ هود بن محكم:

و أما السياق الثقافي فيهتم باللفظة ضمن بيئتها الاجتماعية أو الثقافية المستعملة فيها ، حيث إنه يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن يستخدم فيه الكلمة[1]، إذ يفهم من هذا أن أي صورة ذهنية لأي لفظ تختلف باختلاف السياق الثقافي الاجتماعي الوارد فيه ،و أجد إسقاطات هذا في تفسير كتاب الله العزيز نادرة جداً ، غير أني أمثل بالمفهوم المعجمي لمادة:« كفر» ، و الذي يرى الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[2]،أن المقصود بها الزُراع، أي :الفلاحون، باعتبار أنهم يغطون البذور في التراب، وهذا المعنى الذي توحي به الكلمة داخل التركيب، و المرتبطة بثقافة مجتمع معين .

يقول الشيخ هود بن محكم في تفسير الآية المتقدمة:« ليغيض بهم الكفار، أي: يخرجون فيكونون قليلاً كالزرع حين يخرج ضعيفاً، فيكثرون و يقوون فشبههم بالزرع ...»[3]، ومن هنا يفهم بأنه يدل بالمفردة على غير مدلولها المعجمي، بل قصد به دلالة سياقه الدالة على الفلاحين، و أشار إلى معان أخرى في سياقات مغايرة لها ضمن مواطن كثيرة من الآيات الواردة فيها مفردة:« كفر» .

ومما أخلص إليه في الأخير، إنني سعيت لمحاولة إبراز بعض النماذج من خلال تلك الإشارات الواردة في تفسير كتاب الله العزيز، للدلالة السياقية، و تجلياتها عند الشيخ هود بن محكم، وما ذلك إلا دليلاً على أهمية تسييق الألفاظ لديه، محاولةً منه لتحديد دلالتها في إطار سياقاتها المتعددة ، فحاولت إبراز رأي الشيخ هود في نظرية السياق و مباحثها، كيف لا و هو الذي جعل من السياق ركيزةً رئيسةً في تحديد القصد من مراد الله تعالى من خلال تفسيره ، الأمر الذي يؤكد حرصه البالغ كغيره من المفسرين، ومنذ وقت مبكرٍ على مسألة السياق القرآني ودلالة مفرداته .

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، مرجع سابق ، ص: 71 .
[2] سورة الفتح، الآية:29 .
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق ، ج 4، 167 .

5ـــ التقابل الدلالي في تفسير الشيخ هود بن محكم، مفهومه، أنواعه ، أمثلته:

يعتبر التقابل الدلالي من المباحث والظواهر الدلالية الهامة في دراسة أي لغة كانت، وفي كشف معاني المفردات في اللغة العربية بوجه خاص، أساس وجودها عنصرين متمثلين في : التقابل والمواجهة بين مختلف التركيبات والعناصر اللغوية، ثم إن هذه التقابلات متعددة بتعدد المفاهيم المشتملة لها، وباختلاف الدلالات المتعددة، المتضمنة لأصل التقابل وما احتواه من مطابقة، وتضاد، وتناقض وتخالف[1].

وأجد في تعريف هذه الظاهرة الدلالية كما هائلاً من التعاريف، لعل أدقها ما تحدث عنه الراغب الأصفهاني بقوله: « الشيئان المختلفان للذات، وكل واحد قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد، وذلك أربعة أشياء: الضدان: كالبياض والسواد، والمتناقضان كالضعف والنصف، والوجود والعدم،كالبصر والعمى، والموجبة والسالبة في الأخبار، نحو كل إنسان ههنا. وليس كل إنسان ههنا...»[2]، فهذه إشارة موجزة حَدَّ بها الراغب ماهية التقابل، وأنواعه، معرفاً الشيئين المتقابلين بهذا. ويحدده أبو هلال العسكري على أنه إيراد الكلام ثم مقابلته في المعنى بمثله، على جهة الموافقة أو المخالفة.[3] فهي بذلك على أدق وجه، وما يعنيه أنه مقابلة معنًى لكلام مماثل للمعنى آخر، إما توافقاً أو تخالفاً.

ويُعد التقابل الدلالي وقضاياه في مجال الدراسات الدلالية من الظواهر الدلالية الحديثة، ذات الاستقلال العلمي، كظاهرة الاشتراك أو الترادف لدى القدامى مثلاً، وهو في أبسط معانيه « وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى»[4]، وينتج عن هذا التواجد الانعكاسي بين اللفظتين فهماً دلالياً لدى المحدثين جسدوه عبر علاقات دلالية مشتملة على علاقات دلالية.

[1] ينظر: فايز القرعان، التقابل والتماثل في القرءان الكريم، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط 2006، ص: 16.

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرءان، مصدر سابق، مادة: (قبل)، ص: 392.

[3] ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، منشورات عيسى الباي الحلبي، ط1، 1371-1952، ص: 346.

[4] سعيد جبر محمد أبو خضر، التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط 2004، ص: 05.

يمكن توضيحها عبر المخطط الآتي:[1]

علاقات التقابل الدلالي عند المحدثين

- علاقة التباين
  - كل لفظة من المتقابلين بعلاقة التباين يكون مقابلها غير قابل للتعدد أو التنويع
  - مثال
  - (حي، ميت)، (ذكر، أنثى)
- علاقة التضاد
  - تقابل مضبوط بخصائص مثل: التدرج النسبية
  - مثال
  - (سريع، بطئ)، (سهل، صعب)
- علاقة الاتجاهية
  - علاقة أصلية تجمع علاقات فرعية وتتفرع هذه العلاقات إلى (المخطط الموالي)

العلاقات الاتجاهية من علاقات التقابل الدلالي

- 1 تقابل اتجاهي
  - نقطتين دالتين على اتجاهين متعاكسين
  - (فوق،تحت)، (شمال، جنوب)
- 2 تقابل امتدادي
  - اللفظة الأولى تقابل اللفظة الثانية في النقطة القصوى المناظرة لها
  - (قمة، قاع) (الرأس، أخمص القدم)
- 3 تقابل تناظري
  - علاقة أصلية تجمع علاقات فرعية وتتفرع هذه العلاقات إلى (المخطط الموالي)
- 4 تقابل عكسي
  - نقطتين تعبران عن كيانين
  - (دائن، مدين) (خادم، مخدوم)
- 5 تقابل انعكاسي
  - نقطتين دالتين على حركة وتغيير في اتجاهين متقابلين
  - (دنا_ بعد) (صعد، هبط)

[1] ينظر: سعيد جبر محمد أبو خضر، التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية ، مرجع سابق، ص: 15- 30.

وعند التفصيل في هذا الموضوع، فإني أبين من خلال ما سبق ذكره في مجال التضاد، على أنه من بين العلاقات الدلالية الهامة، والذي خصه المحدثون من منظري علم الدلالة خصوصاً علمياً دلالياً في باب التقابل الدلالي عندهم، بدليل أن المعنى قد لا تتحدد دلالته إلاَّ باقترانه بضده، والحق أن نظرة المحدثين للتضاد، ذكرت في قالب التفرقة بين أنماط التضاد في حد ذاته، ولفهم وعرض ذلك التباين الحاصل عندهم في التضاد، استعين بالخطاطة الآتية:[1]

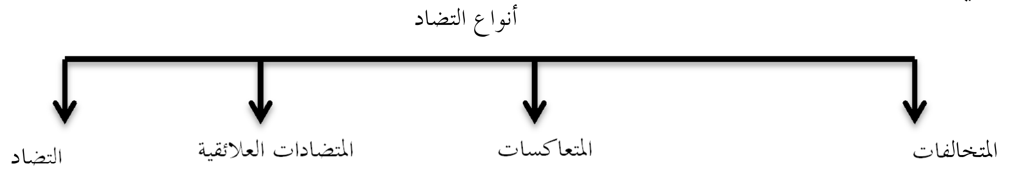

1- **المتخالفات:** ويراد بهذا النوع في الدراسة الحديثة، كل لفظتين مختلفتين في المبنى (النطق) متضادتين في المعنى، وأجد ما يقابله عند البلاغيين ما يسمى بالطباق الإيجابي، مثل: (ضيق، واسع).

2- **المتعاكسات:** وهو ما يصطلح عليه بالتضاد الثنائي المؤسس على العلاقة الدلالية التعاكسية كقولنا: (رجل، امرأة). بمعنى: أن هذا إذا لم يكن رجل فهو امرأة، والعكس صحيح.

3- **المتضادات العلائقية:** وهي عبارة عن ألفاظ تتحدد فيها العلاقة التبادلية فيما بينها، مثل (زوجة، زوج)، (يبيع، يشري).

4- **التضاد:** وهو القسم الشهير في أنواع العلاقات الدلالية، لعلة وقوع اللفظة الواحدة فيه على دلالة شيئين ومعنيين متضادين، وهذا الذي خصه القدامى بالدراسة والتحليل، وانقسموا فيه بين مثبت له ومنكر لوقوعه، وههنا أذكر نظرة المحدثين لهذا النوع، طالما أن القدامى فصلوا فيه تفصيلاً دقيقا أفضى بهم إلى الخلاف فيه، فذهب المحدثون إلى رأي واحد متفق عليه بينهم، حينما اعتبروا التضاد لفظا واحدا مستعمل في معنيين متضادين، وانقسموا بدورهم فيه، في غير هذا الذي اتفقوا عليه إلى مؤيد ومنكر، وآخذ بالتوسط.

فأما من أنكر منهم فأدلى بحجة أنه لا وجود للأضداد في اللغة، وخصصوا الألفاظ ذات المعنيين المتضادين المتقابلين تحديداً، ومنهم عبد الفتاح بدوي حينما أشار لهذه النظرة الإنكارية بقوله:...إننا لنتحدى الذين

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1419هـ، 1999م، ص :97-80.

يزعمون أن في اللغة أَضداداً، ونُبَاهِلُهم بجميع كلمات اللغة العربية أن يأتونا بلفظ واحد له معنيين متقابلين بوضع واحد، فإن لم يفعلوا- ولن يفعلوا- فليس في اللغة تضادٌ[1]، ولعل هذا الفهم فهماً خاطئاً في نظر المحدثين، لاعتقاد عبد الفتاح بدوي أن هناك من يؤمن بأن كلمات وألفاظ الأضداد موضوعة في أصلها لتضاد المعاني، وأن هذا اعتقاد باطل لا يوافقه علم الدلالة، ولعل حجة التطور الدلالي مثلاً قد تؤدي لوحدها إلى علاقة التضاد في كثير من الاستعمالات.

وبالمقابل فإن فيهم طائفة المؤيدين لكن مع التحفظ في استعماله، وفي معالجة إبراهيم أنيس لهذه النقطة ما يستشف منه معالم وأراء هؤلاء حيث قال: «...نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الأضداد، وأن ما روي عنها من الشواهد يعوز أكثر النصوص الصريحة القوية، وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ونستعرضها جميعاً، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها، يتضح لنا أن ليس بينهما ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة، ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة، لا يستحق عناية أكثر من هذا، لا سيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة».[2] فهذا نص صريح له أبعاده وحدوده العلمية والدلالية، التي توضح اتجاه صاحبه وموقفه من القضية، والكاشفة عن مبدأ وقوع التضاد، لكن بأسلوب مضيق غير موسع فيه.

وذهب فريقٌ ثالثٌ ممن توسط واعتدل في النظرة الحديثة للتضاد، حيث رأى أن كل فريقٍ سلك برأيه مسلكاً غير طريق الصواب، وقالوا «... فمن التعسف إنكار التضاد مهما كان قليلا أو نادراً، كما أنه ليس بالكثرة التي ذهب إليها الفريق الثاني المثبت للتضاد».[3]، وبهذا تباين المحدثون في أهم نوع من أنواع العلاقات الاتجاهية التقابلية في نمط التضاد منها.

ومهما يكن الأمر فإن هذا عُدَّ عندهم نظرة دلالية حديثة لمسألة التقابل الدلالي ، وإلا فالأصل في شأن إطارها العلمي وظهورها كانت قبل ما توصل إليه المحدثون في علم الدلالة بكثير من الناحية الزمنية، وإذ أخصص الأمر، فإني أقف عند أول تلك الإشارة العلمية إلى ظاهرة التقابل الدلالي في العصر الحديث ، نلمسها في بحوث العالم الدلالي :« أوجدن» ذات الطابع التقابلي،حيث كان ذلك تحديداً سنة :1932 م، وهي بذلك

[1]ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص :192.

[2]إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 215.

[3]عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط الثامنة، د ت، ص 194.

إشارة غربية قبل أن تمتد إرهاصاتها للعرب[1]، ومن نقطة نهاية هؤلاء الغربيين كانت بداية النظرة الدلالية الحديثة لظاهرة التقابل الدلالي لدى العرب المحدثين.

وتمثل اهتمام الدراسيين المحدثين بهذه الظاهرة الدلالية، حينما أولوها الإهتمام البالغ، لما لها من أثر دلالي بارز في استجلاء معاني ودلالات الألفاظ والمفردات، فحددوا التقابل ومفاهيمه، متوصلين بذلك إلى تقابلات أخرى منبثقة منه، وفي الوقت ذاته مقننين كل ماله صلة بالتقابل الدلالي، من درجات، وأنواع، وصور، وأمثلة، ودقة دلالية مستلزمه لتقابل أي بمعنى بكلام آخر[2]، كما تحدثوا عن أهم أنواعه، وأكثرها وروداً عليها، معتبرين التضاد أهم نوع من أنواع التقابل الدلالي، وهذا ما يسمى حديثاً بالتخالف الدلالي[3]، إلاَّ أن ثمة تفرقة جلية بين التضاد والتخالف، باعتبار أن الأول قد يراد به دلالة التناقض، في حين يُعنى التخالف بالتمايز، دون تضاد، وهو بهذا نوعين:

1. التقابل اللفظي:

والمراد بهذا النوع، كل ما تقابل فيه ألفاظ مع أخرى من باب التضاد، أو التناقض، أو التخالف، وذلك هو التقابل الأصلي، الطارئ تلقائياً على الذهن، لدى ذكر أي لفظ مستدع لمقابله[4]،كمقابلة العزة للمذلة، ومقابلة الحياة للموت، وغير ذلك، وأمثلة هذا النوع كثير في كلام الله عز وجل، ومتعددة في تفسير الشيخ هود بن محكم، وسآتي على ذكر نماذج من تفسيره في حينها وموطنها من البحث.

2. تقابل معنوي:

ويراد بهذا النوع مقابلة الشيء بضده على جهة المعنى دون اللفظ، وفي هذا النوع تتم مقابلة المعاني بعضها ببعض[5]، وسأتطرق لأمثلة هذا في تفسير الشيخ هود بن محكم أيضاً.

ومحصلة القول في ضبط مفهوم التقابل الدلالي، أنه من مقابلة الشيء بالشيء، والمقابلة هي المواجهة، والتقابل مثله، وهو نقيض التدابر، وإلى هذا المعنى فسر المفسرون قوله تعالى : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا

---

[1] ينظر: سعيد جبر محمد أبو خضر، التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية، مرجع سابق، ص 03-04.

[2] ينظر: منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف قاصد ياسر الزيدي، الموسم :1993-1994، ص:62.

[3] ينظر: أبن أبي الأصبع العدواني البغدادي، تحرير التحبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لبنان، د.ط، دت، ص: 179.

[4] ينظر: فايز القرعان، التقابل والتماثل في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 74.

[5] ينظر: منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 3،4.

عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾[1]، ومنهم الشيخ هود بن محكم، إذ أعرب عن دلالتها، مبيناً بإشارة لطيفة منه مفهوم التقابل، بقوله: « ... قال بعضهم، ذلك في الزيارة إذا زار بعضهم بعضاً، أي: لا ينظر بعضهم إلى قَفَا بعض»[2]، والمقصود من الزيارة، زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا، ومن هنا يدل قوله: «لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض» أنهم بذلك متواجهين متقابلين، وقد سبقت الإشارة إلى دلالة التقابل في اللغة، على أنها الجمع بين الشيء وضده، وفي هذا الباب يذكر أن من بين الأوائل اللغويين الذين تنبهوا إلى مسألة التقابل، وأثرها الدلالي في غير القرءان، هو الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما قال لسعيدٍ بن جبيرٍ وقد أُحْضِر له ليقتله، ما اسمك؟، فقال: سعيدٌ بن جبير، فرد عليه الحجاج بن يوسف، بل أنت شقيٌ بن كُسيرٍ[3]، ومن المعروف أن الحجاج بن يوسف كان معدوداً من أهل الفصاحة والنباهة اللغوية، وفي كلامه هذا رداً على سعيدٍ بن جبيرٍ، أسلوباً من كيفيات العربية، من خلال ما قام به لفظاً ودلالة، بنقله الاسمين إلى ضدهما فقابل:

سعيد ← شقي/ جبير ← كُسير.

وعليه فإن التقابل الدلالي بهذا التقديم يعتبر منهجاً دلالياً في التعبير والكشف عن مقاصد أي خطاب قائماً على علاقة التضاد والتناقض، أو التخالف بين الألفاظ ومعانيها، لأغراضٍ دلاليةٍ وأخرى بلاغيةٍ، ومن ثمة فهو فنٌ دلاليٌ له طريقته في أداء المعنى وإبرازه، وأثر ذلك في سمع وذهن السامع أو المتلقي.

ولو توسعنا في هذا المجال لاكتشفنا بذلك اختلاف أهل اللغة قديماً وحديثاً في التقابل الدلالي كمفهومٍ، وكتجلياتٍ في الأساليب، إذ نكاد نتفق على اتجاهين بارزين في هذا الاختلاف.

فأما الاتجاه الأول: مثله العلامة الزركشي في مؤلفه: « البرهان» لما اعتبر التقابل أحد علوم القرءان الكريم الواجب العناية به، وسار على نهجه في هذا العلوي، وابن رشيق، وغيرهم، وتحدث المحدثون في اتجاه ثان: على أن التقابل أحد الأساليب البلاغية البيانية، يستعان به في فهم الخطابات[4]، ومن هذين الاتجاهين تأسس ذلك الاختلاف في بيانه وأثره الدلالي في الكلام.

ومهما يكن الأمر فإني أصبو بالتقابل الدلالي وإسقاطاته وتقسيماته عند المفسرين بشكلٍ عامٍ، ولدى المفسر الشيخ هود بن محكم على وجه خاصٍ، إلى أثره الدلالي، فأما المفسرون حينما نتصفح تفسيراتهم، نقف

---

[1] سورة الحجر، الآية: 47.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص:377.

[3] ينظر: شريف عبد العزيز، أسلوب التقابل وأثره في بلاغة الخطيب، مقال، موقع: www khtabaa com بتاريخ:26.07.1438. ص: 16.

[4] ينظر: منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 83.

حتماً على درجة وحدة وعيهم الكبير في استعمال التقابل الدلالي كآليةٍ في تفسير القرءان الكريم، وإثباتهم بذلك الاستعمال التناسب الحاصل بين آيات القران الكريم، ولعل أفضل مثلٍ يذكر هاهنا "تفسير الظلال للعلامة سيد قطب" في توسعه في ذلك.

أما بالنسبة للشيخ هود بن محكم، فإني أجده قد أظهر وعيه بظاهرة التقابل الدلالي في كثيرٍ من مواطن تفسير الآيات، حيث كان انطلاقه منه لبناءِ رأيه وتوجهه في كثيرٍ من التفسيرات، أو متخذاً منه آليةً لإثبات شيئاً من التناسب الحاصل في بعض مقاطع القرءان الكريم وصوره، وهو بهذا يُلمح لانسجام النص القرءاني والدلالة .

وفي منهجه التفسيري ما يؤكد حسن استطاعته في التعامل مع التقابل الدلالي في بعض الآيات، واكتفى بالإشارة أحياناً له في مواطن أخرى، وهذا هو الغالب عنده، وهذا لا ينقص من قيمة العمل التفسيري لديه أو عند غيره، فراعى في تفسيره ما تعلق بالطباق والمقابلة، وما يتفرع عنهما، وأدرك حسه الدلالي اتجاه التخالف، والتضاد، والتناقض، والترادف أيضاً، وإن كان الأخير ذكرته من باب إبراز الحِس الدلالي عند الشيخ هود بن محكم تجاه مثل هكذا مباحث وقضايا الدلالة المتعددة، كيف لا والواجب على مفسر كتاب الله تعالى الإلمام بهذا.

ومن خلال هذا الحس الدلالي أجد الشيخ هود بن محكم ممثلاً في تفسيره تلك الإشارات التي يُمكنها التقابل في كثيرٍ من سياقات القرءان الكريم، وغرضه من ذلك كله إثبات فاعلية التقابل الدلالي في بناء النص القرءاني، وإيضاح مبهمه وغموضه، وتقوية معانيه، وتقريبها للأذهان، وتصويرها للمتدبر.

ومما تجدر الإشارة إليه هاهنا أن الشيخ هود بن محكم لما فسر القرءان الكريم، وكان آنذاك تفسيره على منوال سابقيه في المنهج والطرح، لكن اليوم نستشف منه الكثير من الأشياء والأمور العلمية الحديثة، وهي إشارةٌ إلى سبق الأوائل في شتى العلوم، وأن نظرته لظاهرة التقابل الدلالي من خلال عمله كانت مبنيةً على علاقة أطراف التقابل والسياق ضمن السياق، متوصلاً في نهاية الأمر إلى الأثر الدلالي المتحصل عليه من النص القرءاني.

ومن خلال التجليات البارزة في تفسيره المتعلقة بهذا الموضوع، يظهر لي فهمه الدقيق الباهر بهذه الجزئيات الدلالية.

وعند التمثيل لهذا في تفسيره، أجد هذا كثيراً، ولنأخذ مثلاً تلك التقسيمات التقابلية التي اعتمدتها المدرسة الحديثة، بزعامة فايز القرعان، حين مايز بين أنماط التقابل، فإني أقف عند تلك التقسيمات تطبيقياً في

تفسير الشيخ هود بن محكم، وذلك من خلال فهمه الدقيق ، وحسه الدلالي، اهتدى بعبقريته إلى تقابلٍ تضاديٍ لفظيٍ، حاصل بين كلمتين متضادتين في اللفظ والمعنى.

وهو بهذا أنواعٌ متعددةٌ، أولها:

أ ــ تقابل التضاد اللفظي

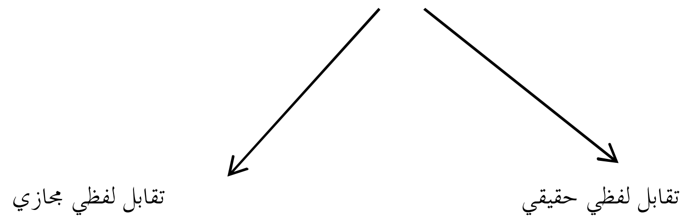

5ــ 1.التقابل اللفظي الحقيقي:

كالتقابل الحاصل بين الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحق والباطل، والشتاء والصيف، والإطعام والجوع، والأمن والخوف، وغير ذلك، ويراد بهذا تقابل الألفاظ بعضها ببعضٍ، على جهة الحقيقة لا المجاز، واستخدام المقابلة الحقيقية للألفاظ يكسب المعاني دلالات مميزة، نظراً للقيمة الفنية للمقابلة، وعلاقة التضاد فيها، وما يتعلق بالذهن من صورٍ ذهنيةٍ ونفسيةٍ متعاكسةٍ، تتم الموازنة في ذلك بعقل القارئ أو السامع، فيميز أو «يتبين ما هو حسنٌ منها، ويفصله عن ضده»[1]، فنفهم من هذا ما تحدثه المقابلة اللفظية الحقيقية من دلالاتٍ متداعيةٍ للمعاني واستثارةٍ للذهن.

والتقابل اللفظي الحقيقي في القرءان الكريم له بصمته الدلالية الرائعة، ذلك أن تركيب المتضادين في النسق القرءاني من شأنه أن ينبه القارئ له إلى حسن التدبر والفهم، فيستجيب لأثر المقابلة عبر دلالتها، وفي هذا يقول إبراهيم مصطفى العيكلي: إنَّ غرض التقابل اللفظي للصور المتناقضة في الكون والحياة والإنسان، وفي الماديات والمعنويات، غرضه الإبانة لكل طرفٍ وتوضيحه، ثم التفريق بينه وبين الطرف الآخر[2]، والكلام قد يتشعب في تفصيل هذا، لاعتبار عمق الفكرة المبسوطة هاهنا.

وتتجلى معالم التقابل اللفظي الحقيقي في تفسير الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره مثلاً: قوله تعالى :﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾[3]، حيث نستشف من معالم تفسيره لهذه الآية وسياقها، ما يفهمنه

[1] أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، مكتبة التراث، بغداد، ط1، 1982، ص: 443.

[2]ينظر: قيس إبراهيم مصطفى العيكلي ،السمات الجمالية في القرءان الكريم، رسالة ماجستير ، إشراف: محسن عبد الحميد أحمد، كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، الموسم: 1419هــ-1998م، ص: 189.

[3]سورة الكهف، الآية :18.

دلالة التقابل، ذلك أن التقابل هاهنا في الآية واقعٌ بين: «اليقظة، والرقاد»، ومن ثمة فهو تقابلٌ لفظيٌ حقيقيٌ، باعتبار أن اليقظة ضد الرقاد، ولكن أجد الشيخ هود بن محكم بفطنته يسوق مماثلاً لهذا التقابل، مشتملاً به على نفس الدلالة الحاصلة لدى المتلقي، فقال في تفسيرها:« وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ، أي: مفتحة أعينهم، وهم موتى»[1]، وبهذا دلَّ على ما يقابل معنى السياق، من خلال إيراده دلالة الحياة، وضدها الموت، فَرَمَزَ للحياة بانفتاح الأعين، وتلك لازمةٌ من لوازم الحياة عادةً، وقابل ذلك بانغلاقها، وهي حالة الموت.

وكتفسيره أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[2]، إذ كشف هاهنا في مطلع هذه السورة عن معالم التقابل اللفظي الحقيقي، القائم بين الليل، وضده النهار، فأبان دلالة كلٍ منها في إطار السياق، انطلاقاً من المقابلة اللفظية الحقيقية، وما تؤديه من أثرٍ دلاليٍ، فقال: « والليل إذا يغشى، أي: غشي النهار، وأذهب ضوءه، والنهار إذا تجلى، أي: ظهر فأذهب ظلمة الليل».[3] ومن ثمة نستنتج مقابلته اللفظية الحقيقية بين دلالة : «الليل، وضدها النهار»، وبين دلالة : «الضياء، وضده الظلام»، فكان بهذا التقابل ذلك المعنى الدلالي المتضمن مقصد الآية الكريمة، وما أرتبط به من أثرٍ لدى القارئ أو السامع المتدبر، وتتضح المسألة لنا عنده، في زيادته ما يدل على قصده من التقابل بقوله : « والليل والنهار يختلفان، والنهار يذهب بظلمة تلك الليلة»[4].

والأمثلة الدالة على هذا التقابل اللفظي الحقيقي في تفسيره كثيرةٌ متعددةٌ، وهي القسم الأكبر استعمالاً عنده في تفسيره، لكن اقتصرت على هذا تمثيلاً لا عداً.

5– 2.التقابل المجازي:

ويراد بهذا النوع تقابل الألفاظ ببعضها ببعضٍ من باب المجاز وعلاقته، وما ينتج عن تلك الاستعمالات المجازية من أثرٍ دلاليٍ مكتسبٍ من المقابلة المجازية، وما يتعلق بالذهن منها في صورةٍ ذهنيةٍ، وأخرى نفسيةٍ متباينةٍ، وهو في الغالب عبارةً عن تقابل معنى، ومعنى المعنى، إذ يقصد بهذا تقابلٌ حاصلٌ بين لفظٍ، وجزئيةٍ معنويةٍ باطنيةٍ، متحققٌ عبر آلياتٍ، مثل المجاز، والاستعارة، والكناية[5] مثلاً.

[1]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 448.

[2]سورة الليل، الآية: 01، 02.

[3] المصدر نفسه، ج4، ص: 463.

[4] المصدر نفسه ، ج4، ص: 461.

[5]ينظر: محمد بازي، التأويلية العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص: 254.

ويضاهي هذا مثلاً في تفسير الشيخ هود بن محكم، تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾[1]، فهذه الآية من أمثلة بيان التقابل اللفظي المجازي لدى الشيخ هود بن محكم، فنلاحظ أن عملية التقابل فيها حاصلةٌ بين:

« ميتاً≠فأحييناه، وبين نوراً ≠ ظلمات »

وكانت هذه المقابلة بين هذه الألفاظ بغرضٍ مجازيٍ ، أراده الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ، وما تضمنه سياقها، فأجد إبراز دلالة ذلك التقابل المجازي في قول الشيخ هود بن محكم في تفسيرها :« أو من كان ميتاً، أي: كافراً، فأحييناه بالإسلام، أو ضالاً فهديناه، وهو واحدٌ، وجعلنا له نوراً، يعني: الهدى، كمن مثله في الظلمات، أي :ظلمات الكفر»[2]، فهذا مؤشرٌ منه على استحضار ذهن القارئ العلاقة المجازية، الناجمة من استعمال الموت بدلالة الكفر، والحياة بدلالة الإسلام، واستعمال النور بدلالة الهدى، والظلمات بدلالة الكفر، للتوصل إلى تجلي الدلالة العامة للسياق كله، وهذا ما أعرب عنه الشيخ هود بن محكم بشكلٍ دقيقٍ هاهنا في تفسير الآية.

وفي تفسيره لقوله تعالى أيضاً :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾[3]، حيث كان التقابل مجازياً في بيان دلالة الإخراج من الظلمات، والإدخال في النور، فهذا من باب المجاز، لدلالة الظلمات على الكفر، ودلالة النور على الإيمان، فأختصر الشيخ هود بن محكم شأن هذا التقابل المجازي اللفظي بقوله في تفسير الآية: « أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور أي: من الضلالة إلى الهدى»[4]، وتتعدد الأمثلة في هذا أيضاً في تفسير كتاب الله العزيز، غير أني اقتصرت على هذين من باب التمثيل.

5ــ 3.تقابل التضاد المعنوي:

ويكون هذا النوع من أنواع التقابل بين المعاني بعضها ببعضٍ، وذلك في حمل دلالة لفظٍ على دلالة معنى لفظٍ آخر بينهما من المقاربة والمُوَاشَجة[5]، وفي هذا النوع نكتشف غزارة الدلالة على المعنى، على العكس

[1]سورة الأنعام الآية :124.

1هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 500.

[3]سورة إبراهيم، الآية: 05.

[4]المصدر نفسه، ج2، ص: 315.

[5]ينظر: منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 3، 4.

ما هو موجودٌ في التقابل اللفظي بنوعيه، ومرد هذا راجعٌ إلى تأدية التقابل المعنوي وظيفةً فنيةً متعلقةً بتعميق المعنى[1]، ثم إن التقابل المعنوي بهذا الطرح، يستلزم إعمال الفكر وتمعناً في النظر اتجاه المعاني، بغية تحقيق الغاية المتوخاة منها في كشف أبعاد الدلالات الخاصة بها، ويسمى القدامى هذا النوع من التقابل، بتقابل: الطباق المعنوي[2]، وله مسمىً آخر عندهم، يطلق عليه: طباق الغير محض[3]، أو ما يعرف عندهم أيضاً بالمقابلة بالخلافين[4]، وسماه المحدثون: بالتقابل الخفي[5]، وغير ذلك، فكل هذه المسميات قديماً أو حديثاً، تطلق على التقابل المعنوي.

وتتجلى أمثلة هذا النوع في تفسير الشيخ لقوله تعالى أيضاً: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾[6]، إذ أجده هاهنا مبيناً دلالة هذا التقابل المعنوي الحاصل بين الجزء الأول : (فإنما أضل على نفسي)، وقوله في الجزء الثاني: (فبما يوحي إلى ربي)، فإشارته بالتفسير إلى هذه الدلالة، يؤكد مدى التقابل في المعنى دون اللفظ، ولو افترضنا ذلك السياق على سبيل التقابل الحقيقي اللفظي، لكان مفاده: « فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما أهتدي لنفسي»، وهذا في غير القرءان طبعاً، لكن الشيخ هود بن محكم فهم دلالة تقابل المعنى هاهنا، فأدلى بقوله في تفسيرها: قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي... أي :فأنتم الضالون، وأنا على الهدى، وقال مضيفاً مؤكداً دلالة تقابل المعنى بالمعنى، وهو كقوله: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلالٍ مبينٍ[7]، وقد فسرناه قبل هذا[8]، وهذه العبارة الأخيرة منه على منهج الاختصار عنده في التفسير.

ومحصلة القول ما ذكره الزمخشري في بيان هذا بقوله: « وهما متقابلان من جهة المعنى، لأن النفس كل ما عليها فهو بها، أعني كل ما هو وبالٌ عليها ، وضارٌ لها، فهو بها، وبسببها، لأنها الأمارة بالسوء، ومالها ما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه».[9]ويكاد أن يكون هذا مماثلاً لرأي الشيخ هود بن محكم في الدلالة ومعنى السياق.

[1]ينظر: شفيع السيد، دراسة في المعاني والبديع، مكتبة الشباب القاهرة، د ت، ص: 95.

[2]ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، مصدر سابق،ج2، ص :14.

[3]ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرءان، مصدر سابق،ج3، ص: 459.

[4]ينظر: يحي بن حمزة بن إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، منشورات مؤسسة النصر، مصر، ط 1332هـ– 1914م، ج2، ص: 383.

[5]ينظر: بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، العراق، بغداد، طبعة:1995، ص :109.

[6]سورة سبأ، الآية: 50.

[7]سورة سبأ، الآية :24.

[8]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 356.

[9]الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص: 296.

ولعل هذا المفهوم يتأكد بوضوحٍ أكثر في تفسير الشيخ هود بن محكم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا ﴾[1]، فحصل ذلك التقابل المعنوي بين لفظتي : (بياتاً) ، (وهاراً)، وهو بهذا الأسلوب على جهة المعنى، لا من جهة اللفظ، وهذا بدليل أن "البيات"لا يُعد في مقابلة لفظ "النهار"، وإذا كان القول في غير كلام الله مثلاً ،لقلنا: " أتاكم عذابه ليلاً ونهاراً "، لأن الليل هي المقابل الحقيقي للنهار، وإلى هذا الاستعمال الحقيقي عوض التقابل المعنوي ودلالته، أشار الشيخ هود بن محكم في تفسير الآية منبهاً بقوله: «.. عذابه بياتاً، ليلاً أو نهاراً...»[2]، فَدَّل بذلك التفسير على دلالة السياق المتضمنة لهذه المقابلة المعنوية بين البَيات والنهار، وما استلزمته من حظورٍ ذهنيٍ ونفسيٍ.

كما أجد مثالاً آخراً عن التقابل المعنوي بارزاً في تفسير الشيخ هود بن محكم، لدى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[3]، فمقتضى التقابل أن يكون أصله لفظياً، في غير القرءان، على النحو التالي : الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليبصروا فيه، لكن رب العالمين ولدلالةٍ خاصةٍ، أورد التقابل هاهنا معنوياً، باعتبار دلالة «مبصراً » وما تحمله من معانٍ، فقال الشيخ هود بن محكم في تفسيرها :« والنهار مبصراً، أي: منيراً»[4]، ليؤكد تلك المقابلة المعنوية الحاصلة في سياق الآية، وقال أبو عبيدة في هذا المقام: « والنهار مبصراً، ترى أن البصر إنما هو في النهار، والنهار لا يبصر، كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل...»[5]، فتحدد بهذا معالم التقابل المعنوي في بيان الدلالة العامة لمراد الآية الكريمة.

وتتعدد أمثلة هذا النوع في تفسير الشيخ هود بن محكم، والأمر اللافت لنظر الباحث في هذا الموضوع ودلالاته، يتجلى له بنتيجةٍ بحثيةٍ أن هذه التقابلات لفظيةً كانت أم معنويةً، في تفسير الشيخ هود بن محكم هي على ثلاث صورٍ، أشار إليها ضِمنياً في كل موطنٍ من تلك المواضع المشتملة على التقابل الدلالي، في سياقات آيات القرءان الكريم، فأما الصورة الأولى:

اـــ تقابلٌ بين التراكيب: إذ يحصل هذا في مقابلة تركيبين مختلفين، أو قد يكون في مقابلة لفظةٍ وتركيبٍ مختلفين، أو بالأحرى مقابلة تركيبٍ بتركيبٍ من جهة المعنى[6]، وأمثلة هذا في تفسير الشيخ هود بن محكم،

[1]سورة يونس، الآية: 50.

[2]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص: 197.

[3]سورة النمل، الآية :86.

[4] المصدر نفسه، ج3، ص: 235.

[5]أبو عبيدة، مجاز القرءان، مصدر سابق،ج2، ص: 96.

[6]ينظر: حميد الزويتي، مفهوم التقابل، مقاربة نظرية، منشورات كلية اللغة، مراكش، دط، دت، ص: 23.

تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1]، فهذا أنموذجٌ عن تقابل لفظة مع تركيب على جهة المعنى، فنلاحظ أن التقابل ههنا واقع بين لفظة: (يضلله) ، وبين التركيب الكلي المكون من: (يجعله+ على صراط مستقيم)، وهذا تقابلٌ من حيث المعنى، باعتبار التقابل الحقيقي للفظة: (يضلله) ≠(يهديه)، ولكن السياق احتمل تركيباً يؤدي تلك الدلالة المعنوية المتولدة من التقابل المعنوي، وهذا هو قول الشيخ هود بن محكم، مشيراً إلى معالم تلك المقابلة المعنوية فقال: « والذين كذبوا بآيتنا صمٌ، أي: عن الهدى فلا يسمعونه، وبُكمٌ عنه فلا ينطقون به، في الظلمات أي: ظلمات الكفر، من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراطٍ مستقيم، أي: الجنة»[2]، والظاهر من كلامه إثر استقرائه للمقابلة المعنوية دلالة الآتي: من يشأ يضلله فيدخله النار، ومن يشأ يجعله على صراطٍ مستقيمٍ، أي : في الجنة.

أما إذا كان التقابل بين تركيبٍ وتركيبٍ، وهذا هو الغالب في هذا النوع، كالتقابل الحاصل في قوله تعالى : ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ ﴾[3]، فهو تقابلٌ بين معنىً ومعنىً آخر ،ناتجين عن تركيبين مختلفين، حيث أجد هاهنا تقابل دلالة: الإيمان كمعنىً، بدلالة: الكفر كمعنىً آخرٍ، غير أنه حصل ذلك المعنى في التركيبين، ويتطابق هذا مع ما ذكره الشيخ هود بن محكم في بيان دلالتها وتفسيره للآية بقوله: « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وهم: الميامين على أنفسهم، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة، وهم: المشائيم على أنفسهم...،وأصحاب الميمنة هم: أصحاب الجنة»[4]، فكان التقابل هاهنا عنده متفرعٌ من تفسيره للجملة الاسمية الأولى على حدة، وتفسيره للثانية على حدة، ثم بعد ذلك إقامة علاقة المعنى الدلالي نتيجة توافق التركيبين، وقد سمى هذا النوع بعض المعاصرين ب: «التقابل في الجمل الاسمية»[5]، وهذا مصطلحٌ لدى المعاصرين فقط.

وكتفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ ﴾[6]،فالتركيبين في الآية هما على النحو التالي: ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، في جملةٍ شرطيةٍ وجزاءها، والمقابلة

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 40.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج1، ص: 472.

[3] سورة الواقعة، الآية: 8،9.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 251.

[5] ينظر: صلاح منال، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 139،140.

[6] سورة لقمان، الآية12.

مع: ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، فهما تركيبين مختلفين، ولو كان الأمر في غير القرءان لقلنا: ومن يشكر، يشكر لنفسه، ومن كفر يكفر لنفسه، لكن سياق الآية جاء بمقابلة التركيبين من حيث المعنى لدلالةٍ ساميةٍ، تتجلى في ضوء تلك المقابلة فقط، ولا يمكن للقارئ أو السامع تحديد دلالتها في غيرها، يقول الشيخ هود بن محكم في تفسيرها « أن أشكر لله النعمة، قال: ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، أي :لنفسه تقع ذلك، والشكور هو المؤمن، ومن كفر، أي: و لم يشكر النعمة فإن الله غنيٌ عن خلقه»[1]، فحدد دلالة السياق العام للآية بناءً على ما أفرزته المقابلة المعنوية، الحاصلة بين تركيبين.

أما الصورة الثانية:

ب ــ تقابل بين الألفاظ المفردة: والمراد من هذا تلك التقابلات المفردة الكثيرة بين الألفاظ المفردة، ويكثر هذا النوع بين الألفاظ المتضادة، والألفاظ المتناقضة، وقد يحصل بين ألفاظٍ متجانسةٍ أيضاً، وهو في الغالب واقعٌ في تقابل:«الاسم مع الاسم»، و«الفعل مع الفعل»، ويندر فيه تقابل «الاسم مع الفعل»، وإن حصل فهو مع الفعل المضارع، وفي هذا تدقيقٌ دلاليٌّ، تحدث عنه المحدثون في هذا النوع[2].

وأمثلة هذا النوع، ودلالاتها في تفسير الشيخ هود بن محكم متعددةٌ منها: التقابل المفرد الحاصل بين الألفاظ: (مات ≠ أحيا، أضحك ≠ أبكى، الذكر ≠ الأنثى) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ ﴾[3]، حيث يبني تفسيره العام للآيات انطلاقاً من دلالة هذه التقابلات المفردة للألفاظ المذكورة في الآية، فيؤكد دلالة السياق بقوله: «... أي: خلق الضحك والبكاء،... وخلق الموت والحياة، وخلق الزوجين، الواحد منها: زوج»[4]، وهذا بعد استطراده في التفسير عن سياق الآيات قبل هذا، فأسس بهذا تلك الآثار الدلالية، التي يقف عليها المتدبر لسياق الآيات، ولعل في تفسيره لآية أخرى بعد هذا، خير مثالٍ في بنائه دلالة المفردات : «أغنى≠ أقنى»، عبر علاقتها التقابلية الحاصلة بين لفظتين مفردتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ ﴾[5]، حيث قوله: « أي: أغنى عبده وأقناه، من قبل القنية ...وأقنى، أي:أخدم، وقال بعضهم:

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 295.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 295.

[3] سورة النجم، الآية: 43،44،45.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 226.

[5] سورة النجم، الآية: 48.

أغني بالذهب، والفضة والثياب والمساكن، وأقنى بالرقيق والإبل والغنم، وهو أيضاً من الغنى »[1]، فكانت هذه الدلالة الناجمة عن هذا التقابل اللفظي المفردي هاهنا، لم تكن لو كانت بين تركيبين مثلاً، والملاحظ أن التقابل المفرد الذي بني عليه الشيخ هود بن محكم تفسيره هاهنا، لم يكن بين متضادين كالسابقتين : (أضحك≠أبكى، أمات ≠ أحيا، الذكر≠ الأنثى)، وإنما بين متجانستين في المعنى: (أغنى= أقنى)، بدليل تساوي الدلالة بينهما في المفهوم العام، وهذا هو تفسير قوله، « وأقنى بالرقيق، والإبل والغنم، وهو أيضاً من الغنى»، فأجد عنده هاهنا في هذا مثلاً، ما اعتمده الفراء في معاني القرءان بقوله: «...رضي الفقير بما أغناه به، وأقنى من القنية والنشب...»[2]،ومن هنا يفهم معنى أقنى دالةً على جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً[3]، وبناءً على هذا انكشفت تلك الدلالة المحصلة من مقابلة ألفاظ مفردةٍ في سياقٍ واحدٍ، وثمة أمثلةٌ أخرى تعرض لها الشيخ هود بن محكم، ذاكراً إياها في تفسيره، مرتباً بناء دلالة كثير من معاني المفردات، على الأثر الدلالي المتولد في تقابل الألفاظ المفردة.

ومن هذه الأمثلة المتعددة في تفسيره: النهار≠ الليل، الظلام≠ النور، كلوا≠ واشربوا، الجنة≠ النار، الجزء بالثواب≠ الجزاء بالعقاب، اليسرى ≠ العسرى...، وغير ذلك من أمثلة تقابل الألفاظ المفردة في تفسيره.

ج ــ **التقابل بين الصور**: ويعني في أبسط حدوده، ما مفهومه التقابل بين صورتين متضادتين مشكلتان لدلالة خاصةٍ[4]، وما ينتج عن هذا النوع من الأثر الدلالي، لدى المتلقي أمرٌ جليٌ واضحٌ من الفهم الدقيق لأي سياقٍ، مشتملٍ على تقابل صورتين متضادتين، باعتبار حصول صورةٍ حقيقةٍ قائمةٍ على الموازنة في الذهن، وهذا ما اختص به أسلوب القرءان الكريم، وسياقه المعجز المبين.

وأمثلة هذا النوع الثالث من تفسير الشيخ هود بن محكم، ونظرته للأثر الدلالي الناتج عن المقابلة الصورية، يتحدد مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾[5]،فنجد دلالة سياق هذه الآية عنده مترتبةً عن تقابل صورتين متضادتين هما:

---

[1] المصدر نفسه، ج4، ص: 227.

[2] الفراء، معاني القرءان، مصدر سابق، ج3، ص: 102.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (قنا).ج 6، ص: 315

[4] ينظر:منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 150،154.

[5] سورة آل عمران، الآية: 27.

(تولج الليل في النهار≠ تولج النهار في الليل)، والصورتين الأخريتين: (تخرج الحي من الميت≠ تخرج الميت من الحي)، وبناءً على هذا التصوير الإلهي المعجز، يحدد الدلالة العامة للسياق في تفسيره للآية بقوله: « تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل: وهو آخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه، وقال بعضهم: نقصان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل، وقوله: وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي...هي: النطفة والحبة، يخرج من النطفة المُيتة الخلق الحي، ويخرج من النبات الحي الحبة اليابسة، وقال بعضهم: والبيضة مثل ذلك، وقال في أية أخرى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[1]، وهذا موافقٌ لقول مجاهد، وقال الحسن وغيره: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن..»[2]، ومحصلة الدلالة العامة من هذا التقابل بين صورتين متضادتين ما ذكره آخر تفسيره في هذا المقام، فنفهم بوضوحٍ بناء هذا التفسير عنده، وتوصله لهذا الأثر الدلالي، إنما مرده عامل التقابل بين الصورتين المتضادتين وفهمه الدقيق لذلك.

وكالدلالة المستنتج إياها أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[3]، حيث أجده هاهنا متوصلاً إلى دلالة مختصرةٍ بقوله في تفسيرها: « أي: يختلفون»[4] وما كان له قول ذلك لولا فهمه العلاقة المتضادة بين الصورتين.

5 ــ 4. أنواع التقابل الدلالي في تفسير الشيخ هود بن محكم:

من خلال قراءتي وتتبعي لتفسير الشيخ هود بن محكم، تولد لدي استنتاجٌ خالصٌ، مفاده إدراك الشيخ هود بن محكم أهمية هذه الظاهرة دلالياً، وأثرها في تحديد بؤرة المعاني، ودلالات الألفاظ، ومقاصد السياق القرآني، فأفهم من التقابل الدلالي من خلال تفسيره، أنه بمثابة الآلية الكاشف بها والموضحة لكثيرٍ من الغموض والإبهام في مراد الله تعالى من كلامه الحكيم، ومن ثمة كان التقابل الدلالي عنده هو من يرسم معَالم تلك المواطن ذات الأثر العميق، الذي لن و لم يصل إليه إلاَّ من اختصهم الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ

[1] الأنعام، الآية :95.

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج1، ص: 255.

[3] سورة الزمر، الآية: 05.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 28.

إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[1]، ولهذا لَمح اعتنائه البالغ، بهذه الآلية، مُعلقاً ومُعللاً، ومُبيناً، ثم مُفسراً لآيات القرءان الكريم.

والواقف على تلك النماذج ذات التقابل الدلالي عنده في تفسيره، يتجلى له التفات الشيخ هود بن محكم الالتفات الدقيق إلى ظاهرة التقابل الدلالي، وأنواعه المختلفة.

وكما سبقت الإشارة إلى مفهوم التقابل من زاوية نظر الدلالة، وتجليات ذلك دلالياً في تفسير الشيخ هود بن محكم، يجدر بي في هذا المقام تبيان ما أمكنني الوقوف عليه من خلال جمع تلك الإشارات التقابلية الدلالية، وتصنفيها حسب ما يقتضيه الحال، وما تقرره الدراسات الحديثة في مجال التقابل الدلالي وأنواعه، ومن ثمة كانت هذه الأنواع متجليةً في التفسير عنده:

1. التقابل بالتضاد ودلالته:

يحدد الشيخ هود بن محكم في تفسيره كثير من الدلالات اعتماداً على أثر التقابل التضادي، ويقصد بهذا تقابل لفظتين متضادتين دلالياً، أحدهما عكس الثاني من حيث المعنى[2]،وفي هذا المجال يراد، بالضد تلك العلاقة الحاصلة بين مفردتين لا يمكن الجمع بينهما تفرقةً مع الخلاف، إذ نجد في كثيرٍ من الدراسات الإشارة إلى هذا على أنه من الخلاف، بمعنى : "الضد يوازي الخلاف "، لكن المدقق في كلام أبي الطيب اللغوي في تفرقته بين الضد والخلاف، يتأكد له أن لكلٍ منهما اختصاصه الدلالي، حيث أن الخلاف عنده مصدر خالف، والخلاف هو: المضادة، ...وتخالف الأمران، لم يتفقا[3]، ومن ثمة فإن الخلاف والاختلاف لدى أهل اللغة، هو المضادة، وضد الإتفاق، وهو نفس الرأي الذي أدلى به الراغب في بيانه شمولية الخلاف على الضد بقوله: « الخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين»[4]، ويمكن التمثيل هاهنا بــ: « السواد والبياض »، ضدان مختلفان، في حين أن الحمرة والخضرة،حصل بينها الخلاف دون التضاد، وهذا هو مرادهم من قولهم : الخلاف أعم من الأضداد، « لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية»[5]، وهذا التمايز الحاصل بين التضاد والخلاف أجده بارزاً في تجليات دلالة معاني التفسير، الذي يورده الشيخ هود بن محكم في كثيرٍ من المواطن المشتملة على التقابل بالضد، مما يؤكد علمّه بتلك التفرقة العَامة بين المصطلحين، كما أجده

---

[1]سورة آل عمران، الآية: 07.

[2]ينظر: منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 157،158.

[3]ينظر: أبو الطيب اللغوي، الأضداد، مصدر سابق، ص: 86، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق،مادة: " ضد" ج 4، ص: 181-191.

[4]الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرءان، مصدر سابق، ص: 294.

[5]عوامه محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ-1998، ص: 08.

في غالب الأمر معتمداً على دلالة مصطلح "التضاد" في تحديد دلالة الألفاظ القرءانية المتقابلة، وقلما يُبين في ذلك الفروقات الدلالية بين المترادفات مثلاً، أو المتقاربات أيضاً.

ومن أمثلة هذا النوع من تفسيره، أذكر وقوفه على هذه المفاهيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1]،حيث أفهم من تفسيره للآية، اعتماده على ذلك التداخل التقابلي مع السياق الخاص بالآية، وبيان دلالتها العامة، رابطاً إياها بالسياق المتقدم عليها، ثم إن الآية اشتملت على متقابلين مختلفين متضادين، لا يمكن فصلهما هاهنا في المعنى، فأما اللفظة الأولى: (سلفاً)، والثانية :(الآخرين)، لهما حضورهما وارتباطهما الدلالي في كشف معنى السياق، فيُضَمِن الشيخ هود بن محكم هذا الحضور الدلالي بقوله : « فَلَما أسفونا، أي: أغضبونا...فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين.. فجعلنا كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام، ومثلاً للآخرين، أي :عبرة لمن بعدهم»[2]، فالدلالة المتحصل عليها من (سلفاً)، مرتبطةً بالسياق الذي فسره الشيخ قبل أن يبين دلالتها، أما دلالة: (الآخرين) ، فنفهم ملامح معناها من عبارته :« عبرةً لمن بعدهم» ، وشأن المتأخر أن يكون بعدياً لا متقدماً.

وكذا الأمر في وقوفه على تفسير آية سورة الحديد، حيث قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾[3]، فالتقابل الحاصل في الآية متعلقٌ بـــلفظة: "مهتدٍ" كطرفٍ أول، مع لفظة "فاسقون" كطرفٍ ثان، حيث وردت اللفظتان متقابلتين، مسبوقتين بسياقٍ ذي أثرٍ دلاليٍ في بيان الدلالة العامة لهذا السياق، وانطلاقاً من هذين السياقين واعتماداً على مدلول العلاقة التقابلية بين اللفظتين، أجد الشيخ هود بن محكم يفسر الدلالة العامة للآية بقوله:« ...فمنهم مهتد، أي:من ذريتها، وكثير منهم، أي: من ذريتهما، فاسقون، أي: مشركون ومنافقون...، وهو فسقٌ دون فسقٍ، وفسقٌ فوق فسقٍ...»[4]، فربط الأثر التقابلي الناجم عن التقاء لفظتين مختلفتين متضادتين في سياقٍ واحدٍ بالسياق الذي قبله بقوله : « أي: من ذريتهما» ، والمقصود بذلك ما عَناه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾[5]، وما كان له ليقف على هذا المعنى العام للآية مُبيناً دلالة ألفاظها، لولا

[1]سورة الزخرف، الآية: 56.

[2]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 109.

[3]سورة الحديد، الآية: 25.

[4] هود بن محكم، تنفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 274، 275.

[5]سورة الحديد، الآية: 26.

ربط السياقين بعضهما ببعضٍ، إضافةً إلى فاعلية ذلك التقابل الكاشفة للإبهام، ومن ثمة تتحدد معالم التقابل بالضد ودلالته في تفسيره.

2. التقابل بالنقيض ودلالته:

يُعرف هاهنا التناقض بمنظور لغوي، على أنه جعل الشيء على خلاف ما كان عليه[1]، ويقول ابن سيده في أصل دلالته: «...وناقضه في الشيء مناقضة، ونقاضاً:خالفه ونقيضك، الذي يخالفك »[2]، والمناقضة في القول، أن يتكلم بما يتناقض معناه، والانتقاض : الانتكاث، وأنقض الحبل ظهره : أثقله[3]، وبهذه الدلالات اللغوية يتضح أن النقض هو جعل الشيء مخالفاً لما كان عليه في الأصل، بمعنى الإنتقال من حالةٍ أولى، إلى حالةٍ أخرى تقابلها، وفي القرءان الكريم نجد قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾[4]، حيث يقول الشيخ هود بن محكم في بيان دلالة النقض معنى: « أي: أثقل ظهرك»[5]، فيتحدد من خلال تفسير الشيخ هود بن محكم للآية وَجْهَا التقابل، بحيث يفهم من دلالة الإنقاض للظهر هاهنا، انتقاله من حالٍ إلى حالٍ، حتى صار نقضاً بمعنى: هزيلاً[6]، فتفسير الشيخ هود بن محكم للآية السابقة، تتجلى من خلاله معالم الدلالة اللغوية عنده لمفردة: «أنقض»، والتناقض والمناقضة.

وما يراد بهذا النوع هاهنا، هو تلك الآلية المستعملة في التفرقة الدلالية بين الألفاظ المتناظرة والمتقاربة ، والمترادفة ،لتحديد دلالتها الدقيقة، وهو أمرٌ ذو شأنٍ علميٍ، اهتم به المفسرون وأهل البلاغة على وجه الخصوص، ذلك أنه يعتبر عندهم أتم أنواع التقابل في البيان والإفصاح، وسموه ب : "طباق السلب"، كما اصطلح عليه في مذهب المناطقة ب : "التناقض" [7]، وهما في الدلالة شيءٌ واحدٌ.

إن من خلال تتبعي لتجليات هذا النوع من تفسير الشيخ هود بن محكم عبر مجلدات تفسيره، توصلت إلى نتيجةٍ مفادها، أنه قلما يتعرض الشيخ هود بن محكم بالتفسير استناداً لدلالة هذا الصنف، فهو في الغالب يتجاهل دلالة تلك الألفاظ المتقابلة المتناقضة، والمشكلة لعلاقةٍ قائمةٍ بين طرفٍ أول وآخر مناقضٍ له،

---

[1] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (نقض)،ج5، ص: 470 .
[2] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج6، ص: 178.
[3] ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة (نقض)، ص: 427.
[4] سورة الشرح الآية: 9.
[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 967.
[6] ينظر: الفيروز أبادي، المحيط، مصدر سابق، ص:846.
[7] ينظر: أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، جامعة بغداد، العدد العاشر، 1984، ص: 15.

ولكن ثمة إشاراتٌ في تفسيره يستفاد منها اعتبار الشيخ هود بن محكم هذا الصنف، أي: مصطلح النقيض، مما يوجب التفرقة الدلالية به بين كثير من الألفاظ المتناظرة دلالياً.

ومن أمثلة ذلك في تفسيره وقوفه عند دلالة السياق العامة في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾[1]، حيث يبرز من خلال قوله: لفي سجين، أي : لفي سِفَالٍ، وهو السفل نقيض العلو والعلاء..[2]، فَعد أصل الدلالة العامة للسياق الإجمالي مترتب من دلالة: سجين المراد بها الأرض السفلى، والمدون فيها أرواح الكفار، وقيل في أسفل الأرض[3]، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه المفردة فيما تعلق بالمشترك اللفظي، غير أن ما يهمني هاهنا عبارة: (السفل :نقيض العلو) ، الواردة في هذا الموضع، ليفهم منها ذلك الارتباط الدلالي الناتج عن تقابل نقيضين في ذهن المتلقي، وما يبعث باستعمال دلالة التناقض في إيحاءاتٍ دلاليةٍ كاشفةٍ للمعنى.

والحق أنني بعد التمحيص الدقيق والتتبع، لأمثلة هذا النوع، كما أشرت في بداية الأمر إلى انتفائها، غير أنه استقر نظري أخيراً على هذا المثال الذي ذكرته آنفاً، وعلى مثالٍ آخر في تفسيره متعلقٌ بلفظتين : «شهيق، زفير»، دون إشارته إلى تلك الدلالة المتولدة عن علاقة نقيضين، مبرزاً في هذا السياق دلالة الصيغة الصرفية :(شهيق على وزن: فعيل)، وما تتضمنه من معانٍ فحسب، فهذا مما أمكنني الوقوف عنده، والإستشهاد به في نوع تقابل النقيض ودلالته.

3. تقابل الخلاف ودلالته:

ويراد بالخلاف عموماً مطلق المغايرة[4]، وحدد ابن فارس دلالة هذا الأصل بقوله: « الخاء، واللام والفاء، أصول ثلاثة: أحدهما: أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه، والثاني خلافُ قُدَام، والثالث: التغير..»[5]، فهي دلالاتٌ ثلاثٌ مجتمعة في مادة: «خلف» ، إلاَّ أنه من اللافت للنظر من خلال ما ذكرته في عنصر التقابل بالضد، نلاحظ تداخلاً استعمالياً بين دلالة: التضاد، ودلالة: التخالف، ومرد ذلك أن الخلاف في غالبه يرد بمفهوم المغايرة، وهذا الرأي حدده الراغب الأصفهاني فيما يفهم من قوله: « الجن خلاف الإنس»[6]، بمعنى

[1] سورة المطففين، الآية: 07.

[2] ينظر: هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج4، ص: 436.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 436.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (خلف)، ج9، ص: 87-90 .

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة: (خلف)، ج4، ص: 327 .

[6] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرءان، مصدر سابق، ص: 28.

مغايره في التقابل الحاصل بين: "الجن والإنس" ، مما يستنتج من ذلك أن الخلاف لوناً من التقابل، كما أجد في أقوال أهل اللغة ما يؤكد على هذه التفرقة الحاصلة بين المفاهيم الدلالية لكلٍ منهما، ومن أبرزهم أبو الطيب اللغوي في كتابه :«الأضداد»، والجاحظ في قوله مثلاً عن إشارة التفرقة بينهما: «...ولا يكون الطعم ضد اللون، ولا اللون ضد الطعم، بل يكون خلافاً ولا يكون ضداً، ولا وفاقاً لأنه لا يكون وفاقاً، لأنه من غير جنسه، ولا يكون ضداً لأنه لا يفاسده »[1]، ومن ثمة تتضح معالم التفرقة بين المصطلحين لدى القدامى الأوائل، بيد أني عثرت على رأيٍ للمتأخرين ، من ساوى منهم بين دلالتي : الضد والخلاف، واعتبرها أمراً واحداً، ومثال هذا الرأي، ما ذكره صاحب المصباح المنير حينما قال: «خَبُثَ خلاف طاب»[2]، ومعهودٌ في اللغة أن الطيب ضد الخبث، لكن في هذا إشارةٌ إلى عدم التفرقة بين المصطلحين.

وما يتوصل إليه من هذا التحليل كله، أن المخالفة ليست مستلزمةً للضدية، وليس كل متضادين متقابلين، بل قد يكونا مختلفين، وفي تفسير الشيخ هود بن محكم، أفهم من خلال وقوفه على كثيرٍ من المواطن المشار فيها من طرفه، إلى دلالة التخالف الحاصلة بها، على تنبهه بالشأن الدلالي للتقابل بالخلاف، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [3]،خيرُ دليلٍ على تلك التجليات لهذا النوع عنده، حيث نجد في الآية تقابلاً تخالفياً واقعاً بين: "فراشاً، وبناءً " ، وتقابلاً تضادياً بين: "الأرض والسماء"، وما يهم هاهنا تلك المقابلة التخالفية الأولى، حيث : "الفراش" مخالفٌ :"للبناء"، فقال في ذلك الشيخ هود بن محكم مفسراً إياها، انطلاقاً من دلالة تقابل الخلاف قوله: « فرشكموها ثم جعلكم عليها، وهو مثل قوله: بساطاً و مهاداً...والسماء بناءً »[4]، ثم يواصل بعد هذا التفسير الموجز مبيناً قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾، بذكره حديثين من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنين لدلالة : (السماء بناءً) ، فنفهم من تفسيره هذا، مقابلته في الفهم العام بين وحدتين :(السماء والأرض)، وهما هنا بمثابة الوحدتين الأساسيتين، كما أجد البارز عنده من هذا التقابل هما : الوحدتين الثانويتين: (فراشاً وبناءً)، ومعلومٌ أن كلاً من: "السماء والأرض" وما تدل عليه نتيجة مقابلتهما أنهما ترمزان لبعدٍ مكانيٍ يُعبر عنه بالألفاظ الاتجاهات، كقولنا : "يمين ويسار، وأعلى وأسفل "، وكذلك الدلالة ذاتها في الوحدتين : (فراشاً ،وبناءً)، تكونت بينهما علاقة تخالف، يتوصل بها إلى

[1] أبو عثمان عمر بن الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1960، ج05، ص: 57.

[2] أحمد بن محمد الفيومي المقري، المصباح المنير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ص: 162.

[3] سورة البقرة، الآية :22.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز ، مصدر سابق، ج1، ص: 90.

علاقةٍ جديدةٍ متمثلة في التضاد[1]، وهذه العلائق من آليات أسلوب القرءان المستعملة من طرف الحكيم سبحانه لأغراض يفهمها المتدبر لكتابه الكريم.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً في تفسير الشيخ هود بن محكم ،أذكر دلالة التقابل بالتخالف الحاصل بين لفظتين في قوله تعالى :﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ ﴾[2]، إذ نقف على طرفي التقابل في الآية ، فنجد أن: "اللعب" يقابل "الحق"، وهو خلافه، وليس بضده أو نقيضه، بدلالة تقابل الضد الحاصلة بين الحق والباطل، ففهم الشيخ هود بن محكم ذلك الأثر الدلالي الناجم عن علاقة التخالف بين:"اللعب والحق"، فذكر في تفسيرها أسلوباً إنشائياً استفهامياً متضمناً لدلالة الآية الكريمة، مقابلاً في تفسيره لها لفظة: اللعب بالاستهزاء، والحق بالحق، ليوضح الأثر الدلالي المرجو، فقال في بيان ذلك على سبيل الاختصار: « أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، أي:أهزوءٌ هذا الذي جئتنا به، أم أحقٌ منك؟»[3]، فناسب بين دلالة: اللعب والاستهزاء، من حيث اشتراكهما في شيءٍ من الدلالة بينهما من حيث الاستعمال، وأفهم من قوله هذا، أنه أرجع بهذا النوع من أنواع التقابل، إلى ما أشار به إليه في تقابل الضد عند مواطن الآيات المتضمنة لهذا، والخطاب متعلقٌ بسياقٍ له دلالته العميقة بعد هذا التقابل، وذلك في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ،ومجريات محاورة قومه له في شأن تهديم الصنم أكبر الآلهة عندهم، وبهذا تتضح من خلال ظاهر تفسيره مقابلة :« اللعب بالحق، فَدَل على أنه خلافه، لأن اللعب مما لا ينبغي أن ينسب إلى أهل النُسك والصلاح»[4]، ففهم دلالة أثر ذلك التقابل .

وأورد مثالاً آخراً في تفسيره يشير به إلى صنف التقابل بالتخالف، ما أورده من دلالات وقف عليها من خلال علاقة التقابل التخالفي ودلالته، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ ﴾[5]، إذ نجد في الآيات ذكر الله سبحانه وتعالى قسمين من الوجوه على سبيل التقابل، فكان ذلك بين : وجوه المؤمنين، ووجوه الكفار، ووصف وجه كل قسمٍ بما استحقه من الجزاء، وأن العلاقة القائمة بالتخالف بين: (مفسرةٌ ضاحكةٌ، وغبرةٌ قترةٌ)، تؤدي دلالةً عميقة الأثر في الذهن، والتي ترسم صوراً ذهنية بحضورها الدلالي في نفسية المتلقي والقارئ المتدبر، ففهم الشيخ

---

[1]ينظر: فايز القرعان، التقابل والتماثل في القرءان الكريم، مرجع سابق، ص: 297.

[2]سورة الأنبياء، الآية: 55.

[3]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص: 66.

1محمد بن الحسن الطوسي، التبيان، تحقيق: أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج6، ص: 105.

[5]سورة عبس، الآيات: 38-39-40-41.

هود بن محكم بتفطنه إلى التقابل بالتخالف الواقع بين وحدات الآيات، فقال مستنتجاً أثرها الدلالي: « وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ، أي: ناضرةٌ ناعمةٌ، وهؤلاء أهل الجنة، ضاحكةٌ مستبشرةٌ، أي: بالجنة وبرضاء الله، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ ترهقها قترةٌ، أي: يغشاها سوادٌ، أي: هؤلاء الذين هذه صفتهم وهذا نعتهم، فباين الله بين خلقه،...وبأسمائهم عند بياض الوجوه وسوادها...»[1]، فهذا التفسير منه صادرٌ عن فهمه دلالة نظام التخالف وأثره الدلالي الناجم عنه، وإلاَّ كان الأصل في غير القرءان أن يقتضي مقابلة: الوجوه المسفرة المضيئة، بالوجوه المظلمة، ومحصلة التفسير كنتيجةٍ لعلاقة التقابل عنده، هي قوله في عبارته: « فباين الله بين خلقه» ، بمعنى مايز بينهم، وصنَّف أقسامهم ودرجاتهم.

والأمثلة في هذا الصنف لدى الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره تكاد تحصر ونادرة، لذا اكتفيت بالإشارة والتمثيل بجزءٍ يسير منها.

ومن خلال ما تقدم ذكره نخلص إلى أن ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية تُعد من جملة الظواهر المشكلة للعلاقة الدلالية: SemanticRelatins ،أو علاقة المعنى:Sense Relations، وأن أهم مصطلح يطلق عليها في الدراسات الدلالية، يقرب لها في التداول والاستعمال هو مصطلح التضاد، وتعرف في الفلسفة والمنطق بظاهرة التناقض ، وفي البلاغة بالطباق أو المقابلة تارةً أخرى، واستقر المصطلح لدى الدلاليين تحت مسمى الأضداد، وإن اختلطت حدود ضبط المصطلح تحت طائلة التقابل، وأن موضوع التقابل الدلالي من موضوعات مستويات الألسنية الحديثة ، التي لها باعها من التنظير في المؤلفات اللغوية قديماً وحديثاً، سعياً منها إلى الوقوف الدقيق على بيان جملة العلائق الوثيقة بين المفردات اللغوية، والأداء القرءاني على وجهٍ خاصٍ، وذلك بكشف المعاني وتحديد العلاقات المصاحبة لها، والموحية إلى دلالاتٍ كثيرةٍ في الاستعمال.

وباعتبار ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، أحد أهم أساليب نظم المعاني، والتي تولد للنفوس لذةً ومتعةً فكريةً تواصليةً، كان ورودها كظاهرةٍ في القرءان الكريم كآليةٍ فنيةٍ إعجازيةٍ بيانيةٍ، لها أثرها الدلالي في معاني الألفاظ والمفردات، لذا أولاها المفسرون لكتاب الله تعالى ذلك القدر الكافي من الاهتمام العلمي، الأمر الذي سهل لهم وذلل لهم صعوبات وعقبات تأويل وتفسير المراد من كلام رب العالمين، ومن بين جملة المفسرين الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره: تفسير كتاب الله العزيز، الذي جعل من ظاهرة التقابل الدلالي آليةً

[1]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4، ص: 428.

يُستعان بها في فك شفرات ورموز وأسرار الخطاب الرباني، فكان له بها في تفسيره ما كان، وقَدَّم بها جملةً من الدلالات والمعاني للألفاظ ومفردات القرءان الكريم.

6ــ المفارقة اللفظية للمفردات القرءانية، وخصوصيتها الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم:

مما تجدر الإشارة بنا هنا أن نقدم تعريفاً لمصطلح الخصوصية الدلالية وما يرمز إليه من معانٍ لدى الباحثين، إذ يعرف بأوجهٍ متعددةٍ، أجد أقربها للفهم أنه يعني المفارقة اللفظية، والتي هي: « شكلٌ من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنىً آخر، يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر »[1]، فهذا الذي أجده مُقَرِباً لماهية الخصوصية الدلالية ذات الإنتاج الدلالي اللغوي في النصوص عموماً، وفي النص القرءاني بوجهٍ خاصٍ، إذ عليها المعوَّل في تشخيص وتحديد الملامح الإعجازية للغة، ومحدداتها في الخطابات، والتي ترتكز دراستها على مقوماتٍ ثلاث :

مفارقة النغمة. المفارقة اللفظية. المفارقة البنائية.

فأما المفارقة النغمية، (irony.of.tone)، فتعني أداء المنطوق عن الكلية بنغمةٍ تهكميةٍ مثلاً، يراد بذلك منها إبراز التناقض بين ظاهر المنطوق وباطنه، أي: بين سطح النغمية المتجلي في قالب الذَّم على صورة المدح[2].

وأما المفارقة اللفظية فهي التي سبق لنا معناها في البداية، غير أنها هي الكاشفة عن قوة العلاقة بين المفارقة والمجاز، مشتملةً على عنصر المغزى والعنصر اللغوي أو البلاغي[3]، ومن أمثلة هذا في القرءان الكريم قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣﴾[4]، إذ إن المعهود أن البشارة لا تكون إلا لخبرٍ سارٍ، غير أنها هنا استُعملت استعمالاً للمفارقة، حيث وُظِفت مع ألفاظٍ مناقضةٍ لها في الدلالة، وعليه فهي الكاشفة بين علاقة العذاب بالبشرى.

[1]محمد العبد، المفارقة القرءانية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2006، ص: 54.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص:41،42.

[3]ينظر: عاصم شمارة علي، المفارقة اللغوية في معهود الخطاب دراسة في بنية الدلالة، مجلة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد 10،2013، ص: 54.

[4]سورة التوبة، الآية: 34.

أما المراد بالمفارقة البنائية فهي ما يعتمد به على معرفة قصد و مقصدية المؤلف الذي هو من نصيب المستمع، غير أنه مجهول لدى المتكلم، ووظيفتها تدعيم بنية الدلالة في الخطاب وتأكيدها[1]، ومن مظاهر ذلك في الخطاب القرءاني أن يُجعل النص القرءاني متكلماً آخراً يترل بغيره تهكماً، فيصير هذا التهكم ذاته وقد انقلب إلى تهكم بالمتكلم الأول نفسه، ولكن هذا التهكم مخفيٌ عن المتكلم أو مجهول لديه، معروفٌ لدى القارئ المستمع، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾[2]، والمراد بذلك أي: أنك لست الحكيم الرشيد، وإنما كان ذلك تهكماً، وهذا الذي أشار إليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره للآية المتقدمة، بقوله: « أي: أنك أنت السفيه الضال، قال الحسن: أي: أنك لست بالحكيم الرشيد»[3]، على جهة التهكم، وسأمثل لكلٍ مما ذُكر بأمثلةٍ توضيحيةٍ في تفسير الشيخ هود بن محكم، حيث أرى تعامل الشيخ مع هذه المفارقات والخصوصية الدلالية.

ومن خلال هذا يتضح لنا أن الكلمة عند متكلمي أي لغةٍ كانت، سواءً كانوا من الخاصة، أو العامة، تقع بمعناها الموضوعة له، في سياقها المناسب، لتؤدي الوظيفة المرادة منها، في إطار ما تستلزمه دلالة ذلك السياق الواردة فيه، غير أن هذه الخصوصية الدلالية في ألفاظ القرءان، تتمظهر في زخمٍ هائلٍ من المفردات ذات الدلالة الخاصة في السياقات المتعددة، مغايرةً لدلالة استعمالها للمتكلمين، وهذا الذي أجد الشيخ هود بن محكم في تفسيره قد اهتدى إليه من خلال عمله على ملازمة السياق للألفاظ، واقترانها بالتفاعل الدلالي والسياق الواردة فيه.

وعليه فالمدقق في الخطاب عموماً يدرك تلك العلاقة القائمة بين الدلالة والسياق، وخصوصية ملازمتها، وما ينجم عن ذلك من ارتباطاتٍ دلاليةٍ، وفي تفسير الشيخ هود بن محكم أجده قد تنبه وأشار إلى موضوع الخصوصية الدلالية لألفاظ القرءان في أكثر من موضعٍ في تفسيره؛ أمثل لذلك بالآتي:

[1] ينظر: عاصم شمارة علي، المفارقة اللغوية، مرجع سابق، ص: 55.

[2] سورة هود، الآية: 87.

[3] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص: 243.

1 خصوصية دلالة: «أمطر» في تفسير الشيخ هود بن محكم :

لم تذكر المعاجم اللغوية في بيان دلالة مادة: «مطر» أنها تفيد العذاب أو الهلاك[1]، غير أنها جاءت في كثيرٍ من سياقات القرءان الكريم مستعملةً بدلالة العذاب، بالرغم من أن أصل دلالتها المعجمية مفيدةً لمعنى الخير ورغد العيش، وبسط النعم[2]، غير أني أجد هاهنا في هذا الصدد من مفارقة الشيخ هود بن محكم بين المعنيين الواردين، أقصد بذلك مفهوم مفردة: «مطر»، الدالة على الرحمة والخير ورغد العيش، وبين مفهوم مفردة: «مطر»، الدالة على العذاب والهلاك المحقق، مستنداً في ذلك إلى فهمه للقاعدة اللغوية المبنية على كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، إذ أن زيادة الألف في الفعل (أمطر)، يفهم به المبالغة فيما أراد الله به من معنى العذاب، وما يؤكد هذا المعنى مثلاً في كثيرٍ من السياقات أن مادة: «مطر» ، أو «أمطر»، ذُكرت متعلقةً بما يفيد آلة العذاب، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾[3]، وكقوله سبحانه في الأنفال ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[4]، ليتأكد بذلك هذا المفهوم منها ومرادها في السياق، ولي أن أقف هاهنا على قول الشيخ هود بن محكم في كشفه للخصوصية الدلالية التي تتمتع بها مفردة: «مطر».

1 فنلاحظ مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾[5]، حيث يقول: « أي: أرسل الله عليهم بعدما قلبها حجارة، فأتبعت سفَّارهم، ومن كان خارجاً من المدينة ... ، فيما أهلك الله به الأمم السالفة »[6]، والظاهر من سياق الكلام قصة سيدنا لوط، وكيفية إهلاكهم من طرف المولى عز وجل، وما يهمنا من تفسيره هذا أنه دل بلفظة: أمطرنا على مفهوم العذاب والهلاك .

2 وفي تفسيره لقوله تعالى أيضاً: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝١٧٣﴾[7]، يشير كذلك إلى معنى العذاب والهلاك بقوله: «أي: بِئس مطر المنذرين، يعنيهم أي: أنذرهم لوطٌ فلم ينتذروا »[8]، فاستحقوا بذلك العذاب والهلاك، وما

---

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (مطر)،ج2، ص: 472.
[2] ينظر: عمر عبد الهادي عتيق، خصوصية الدلالة في الخطاب القرءاني من موقع: www.almeshkat.net، بتاريخ:2019،04،20. 18:52.
[3] سورة الحجر، الآية: 74.
[4] سورة الأنفال، الآية: 32.
[5] سورة الحجر الآية: 74.
[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 2، ص: 349.
[7] سورة النحل، الآية: 58.
[8] المصدر نفسه،ج 3، ص: 229.

يؤكد هذا سياق الآية قبلها: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا﴾ ، حيث ذكر: « وهي الحجارة التي رمى بها أهل السفر منهم »[1]، أي من قوم لوطٍ عليه السلام .

3 وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾[2]، أجد المعنى ذاته عند الشيخ هود بن محكم، ويتأكد هذا بسياق الآية قبلها، وبعدها، المتحدثة عن العذاب[3]، وفي الأمثلة كذلك عن هذه المفارقة والخصوصية الدلالية عند الشيخ هود بن محكم استعمال المفردة ذاتها «مطر» بمعنى الغيث وبمعنى الرحمة .

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾[4]، أجده يضيف معنىً آخراً لما تقدم، حيث أسمى الغيث ههنا مطراً، فقال في ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾، «أي: المطر»[5]، وفي الآية بعدها ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾[6]، يفسر الرحمة بقوله:« أي: المطر»[7] ، فدل بالمطر في هذا المقام على ما يحتمل من معناه الرحمة والمنفعة للبلاد والعباد، ويتضح لنا هاهنا من تفسير إدراكه لتلك الخصوصية الدلالية للمفردة، إضافةً إلى فهمه العميق للسياق العام للآية قبل ذكر المفردة، حيث كان الخطاب من الله بشأن بسط الرزق للعباد وإنعامه عليهم، فاستوجب المعنى لمفردة مطر، ذلك المدلول الذي يوضحه السياق العام .

وفي آية الروم قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾[8]، أجد الشيخ هود بن محكم أكثر إدراكاً لمسألة المفارقة والخصوصية الدلالية لهذه المفردة، حيث قرن البِشارة ومدلولها في الآية بالمطر الدال على معنى الرحمة والمنفعة، خلافاً للمعنى المتقدم، فقال عندها: « يرسل الرياح مبشرات، أي: بالمطر، ويذيقكم من رحمته، يعني بالمطر»[9]، ومن ثمة يفهم من إيراد الشيخ هود بن محكم المفارقتين المذكورتين

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3،ص: 228.
[2] سورة الأنفال، الآية: 32.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص:87.
[4] سورة الشورى، الآية: 28.
[5] المصدر نفسه،ج 4، ص: 91.
[6] سورة الشورى، الآية: 28.
[7] المصدر نفسه،ج 4، ص: 51.
[8] سورة الروم، الآية: 49.
[9] المصدر نفسه، ج 3 ،ص: 290.

لمفردة (مطر) أنها بمفارقة بنائية، حيث استعملت خصوصيتها بنيتين مختلفتين، أدت كل واحدةٍ منهما دلالةً مغايرةً لغيرها في سياقين متعددين.

وإني بالشيخ هود بن محكم تجاه هذه المفردة يفقه قول الراغب فيها من التفرقة الحاصلة حيث قال الراغب: «... وقيل أن مطر يقال في الخير ، وأمطر في العذاب »[1]، فكان تفسيره وفقاً لانتقال بنية «مطر» إلى البنية «أمطر»، وما يلازم تلك الإضافة في المبنى من معانٍ لصيقةٍ للمفردة.

2 خصوصية دلالة: «خَسِرَ» في تفسير الشيخ هود بن محكم:

أجد كذلك من بين الأمثلة التي نبه الشيخ هود بن محكم فيها إلى وجود هذه الدلالة للمفردات، حديثه المفصل عن مفهوم ودلالة المفردة: «خسر»، وهذا في أكثر من موطنٍ بتفسيره، إذ يذكر المعنى العام اللغوي لمفردة: «خسر»، على أنه الانتقاص المحتمل في المال والتجارة والأغراض الدنيوية وغيرها، وذهاب ذلك وزواله، وهذا الذي نقف عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾[2]، إذ يذكر في تفسير خسر الدنيا بمعنى: «ذهبت منه وزالت»[3]، فهذا الوارد عنده هاهنا معنىً معجمياً خالصاً لمفردة: «خسر».

ثم أجده في مواطن أخرى يحدد تلك الخصوصية الدلالية للمفردة عند استعمال السياق القرءاني لها، ومن ذلك مثلاً تفسيره لدلالة: «الخسارة» بالغُبن، والذي يحمل معنى النقصان عند البيع والشراء في الثمن ، يقال غبنه في البيع والشراء ونحوه غُبناً، أي: نقصٌ في الثمن أو غيره[4] ، فذكره لمعنى الخسارة في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾[5]، فقال: « قل إن الخاسرين، أي: المغبونين، وقال في موضعٍ آخر: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم

[1] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (مطر)، ج2، ص: 770.

[2] سورة الحج ،الآية: 11.

[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3 ، ص: 89.

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (غبن)، ج 10، ص: 251.

[5] سورة الزمر، الآية: 15.

القيامة، أي: غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، إلا ذلك هو الخسران المبين، أي: الغبن المبين»[1]، وهذا قد يتقاطع مع سابقه في الدلالة، باعتبار أنه بخسُ الصاحب مثلاً في معاملةٍ بضربٍ من الإخفاء[2].

وفي موطنٍ آخر من سياقات دلالة: «خسر» في القرءان الكريم، أجد الشيخ هود بن محكم يشير إلى معنىً آخر ذو شجونٍ وتقاطعاتٍ دلاليةٍ مع المعنيين السابقين (الإنقاص، والغبن)، غير أني به تتبع خصوصية دلالة المفردة حسب سياقاتها المتعددة، فلما نقف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3]، تتجلى لنا خصوصية ومفارقة مفردة: «الخاسرين»، في قوله عندها: « أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها»[4]، بمعنى أن "يربحوها"، حيث يفهم هذا بمرادف الغنيمة مع الفوز والربح، وسياق الآيات قبلها يؤكد خصوصية الربح والغنيمة للدلالة على الخسران هاهنا، باعتبار حديثه عن المفسدين في الأرض القاطعين لما أمر الله به أن يوصل .

ثم حدد بعد هذا كله خصوصيتها الدلالية القرءانية المؤدية لها في أساس وضعها وتركيبها عند استعمالها في سياق الحديث عن ربح الجنة وخسارتها بقوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[5] ، فذكر أن المقصود بالخسارة ههنا «الذين خسروا الجنة»[6]، إشارةٌ منه إلى القصد الواضح منها، وإشارة منه إلى الخسارة الحقيقية، وهي خسارة الآخرة، استناداً لإمكانية تعويض خسارة الدنيا الفانية، إذ أن الأصل في كل خسرانٍ ذكره الحق تعالى في كتابه، إنما يُصرف مدلوله إلى هذا المعنى الأخير الذي أشار اليه الشيخ هود بن محكم في تفسيره، غير الخسران المتعلق بالدنيا وأغراضها، ومن هذا أفهم بأن الشيخ هود بن محكم قصد بهذا الاستعمال خصوصية الدلالة في مفردة: «خسر» حين توظيفها في الخطاب القرءاني، ثم تنتقل تلك الخصوصية إلى دلالاتٍ معجميةٍ محضةٍ متعلقةٍ بالمفردة، ولن يكون هذا الاستكشاف لخصوصية هذه المفردة دلالياً إلا من ذلك التميز الحاصل بين دلالة المفردة في الخطاب الرباني، وبين دلالتها في استعمال الخطاب البشري.

---

[1] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3، ص: 31.

[2] ينظر: الراغب، مفردات غريب القرءان، مصدر سابق، مادة: (غبن) ،ج 1 ،ص: 357.

[3] سورة البقرة، الآية: 28.

[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1، ص: 93.

[5] سورة المائدة، الآية: 31.

[6] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1، ص: 417.

وبهذا أجد الشيخ هود بن محكم قد أدرك الفرق بين الدلالة القرءانية للمفردات، وبين دلالات البشر، من خلال تفسيره وتعامله في بيانات وكشف معاني المفردات .

3 خصوصية دلالة: «التَّرف» في تفسير الشيخ هود بن محكم:

من الأمثلة المضافة إلى ما تقدم ذكره بشأن خصوصية دلالات المفردات في تفسير الشيخ هود بن محكم، أجده يشير إلى تلك المسألة بمثالٍ ومفردة مغايرة، مادتها الأولية: « ترف»، حيث وردت بمواطن عدة، دالة على العذاب والشرك، وأجد الشيخ هود بن محكم في غالب هذه المواطن يبين دلالتها المعجمية ومعناها اللغوي، وبمواطن أخرى من السياقات الواردة فيها يشير من خلال تفسيره للمفردة إلى مغادرتها لدلالتها المعجمية إلى دلالة قرءانية خاصةٍ مفيدة لمعانٍ عدة.

ولنقف عند هذه المواطن وتفسيراتها في قول الشيخ هود بن محكم، ومن ذلك بيانه المعنى الدلالي المعجمي لمفردة: «ترف»، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥﴾[1]، فذكر دلالة «مترفين»، بقوله: « هو كقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾[2]، والمترفون أهل السعة والنعمة في الدنيا يعني: المشركين »[3]، فدل بها هاهنا على السعة والنعمة كما ذكر هذا الراغب في مفرداته[4]، ثم أجده يبين خصوصية المفردة الدلالية بإشاراته إلى المغادرة للمعنى المعجمي لها بقوله: «يعني المشركين»، وإلا ليس ضرورةً أن يكون حِكراً عنهم.

لكن لما كان السياق قبل هذه الآية: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ ﴾[5]، أراد الله بيان استحقاقهم للعذاب فكان ترفهم في الدنيا موجبٌ لعقوبتهم في الآخرة، وهذا الذي قصد الشيخ في تفسير هذا الموطن.

[1]سورة الواقعة، الآية: 45.
[2]سورة الإنشقاق، الآية: 13.
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 4، ص: 256.
[4]ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (ترفه)، ج2، ص: 81.
[5]سورة الواقعة، الآيات: 41-45.

وفي سورة المؤمنين عند قوله تعالى: ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، أجد منه بيان الدلالة المعجمية فحسب، بقوله: «أي: وسعنا عليهم في الرزق »[2]، وهو كالأول غير أنه لم يُعرب عن تلك الخصوصية للمفردة، ثم أجده أكثر عمقاً في بيانه لخصوصية دلالة هذه المفردة في تفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3]، وذلك حين إضافته مفارقةً لفظيةً ذات خصوصيةٍ ممايزةٍ لما تقدم، فقال: «إلا قال مترفوها، أي: جبابرتها وعظماؤها في تفسير بعضهم، والمترفون أهل السعة والنعمة »[4]، فكان منه في هذا المقام هذه التوسعة الدلالية، وانتقال معنى المفردة إلى دلالة العظمة والتجبر، وكل هذا كان حاصلاً عنده من فهمه للسياق العام للآية، حيث نصت على حال الأنبياء المرسلين في أممٍ وقرى مكذبةٍ لهم، فكان هؤلاء المترفون عارضاً لمسار دعوتهم وتبليغهم بكفرهم وإعراضهم، لذا قال الحق تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[5]، والأمر ذاته عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[6]، حيث قوله: « أمرنا مترفيها، أي: كثرنا جبابرتها، قال الحسن: جبابرة المشركين فأتبعهم السفلة، ففسقوا فيها فحق عليهم القول، أي: الغضب، فدمرناها تدميراً»[7]، فنفهم من هذا أنه يلازم دلالة العذاب والهلاك والتدمير لأهل الترف حيثما ذكرت المفردة في سياقات القرءان، وهذا هو المقصود من بيانه انتقال المفردة من دلالتها المعجمية إلى تلك الخصوصية المتعلقة بألفاظ القرءان.

ولما نتبع هذه المادة: « ترف»، ودلالتها في تفسير الشيخ هود بن محكم، نجده فعلاً أنه قد سعى إلى إبراز تلك الخصوصية الدلالية لها، ونبرهن عن هذا من خلال إيراده مثلاً توضيحياً عن المقصود بالمترفين بعدما أشار في مواطن متعددة إلى المعنى اللغوي المعجمي للمادة: «ترف».

فها هو في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾[8]، يذكر مباشرة من المقصود بمترفيهم، بعدما ربط فهم السياق العام بسبب نزول الآية، فقال: «﴿ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ ﴾، يعني:

[1] سورة المؤمنون، الآية: 31.
[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 3 ،ص: 120.
[3] سورة سبأ، الآية: 34.
[4] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 3 ص: 353.
[5] سورة سبأ ،الآية: 34.
[6] سورة الإسراء، الآية: 16.
[7] المصدر نفسه، ج 2، ص: 409.
[8] سورة المؤمنون، الآية: 64.

أبا جهلٍ وأصحابه الذين قُتلوا يوم بدر، نزلت هذه الآية قبل ذلك بمكة، قال: ﴿إِذَاهُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾، قال بعضهم: إذا هم يجزعون»[1]، وجزعهم هذا نتيجة تألمهم وعذابهم الذي هم فيه، ومن ثمة فإني أجده هاهنا يفسر دلالة المفردة بقوله: أبي جهل... ، كدلالةٍ منه مصاحبة للخصوصية في المفردة.

وإلى حد الآن؛ توافرت لنا من خلال تتبع خصوصية هذه المفردة عنده في تفسيره معطيات هذه الخصوصية الدلالية للمادة: «ترف»، إذ تتقاطع كل هذه المعطيات المذكورة من معنى: الجبابرة ، والعظماء، وأهل السعة، والمشركون، وأبو جهل وأصحابه، كرمزٍ إلى دلالة التجبر والتعالي، وغير ذلك مما ذكره يصب في حيزٍ دلاليٍ موحدٍ عنده، وهو ملازمة دلالة: «ترف» لمعنى العذاب والكفر .

وتتأكد هذه الفكرة بوضوحٍ لما نقف عند تفسيره لقوله تعالى:" ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾[2]، حيث فصَّل في سياق الآية هذه؛ والموالية لها، بسبب استحقاقهم للعذاب، إذ نفهم جلياً ما تقدمت الإشارة إليه فقال: «واتبع الذين ظلموا ما أترفهم فيه، يعني المشركين اتبعوا ما أترفو فيه، أي: من دنياهم ، وقال الحسن: ما وسع الله عليهم فيه من الدنيا وكانوا مجرمين، أي: مشركين »[3]، فجمع هذه المعاني ههنا؛ ثم راح ليتمم المعنى الإجمالي بتفسير الآية بعدها: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧ ﴾[4]، فقال: « يعني بشركهم وتكذيبهم رسلهم، ولو آمنوا؛ لم يُهلكوا بالعذاب» [5] .

وما يمكن الوصول إليه عبر هذا كله، أن الشيخ هود بن محكم بذكره هذه الدلالات كلها إشارةٌ منه إلى أن مادة: «ترف»، غادرت دلالتها المعجمية إلى دلالةٍ خاصةٍ، ذات خصوصية في القرءان الكريم، وهي العذاب أو الكفر[6]، ولو تساءلنا ما علاقة هذه الدلالة المعجمية للمفردة: «ترف»، مع ما سبق ذكره من الخصوصيات لها، لصح لنا القول ربما يكون الترف بمفهومه المعجمي من توسعٍ في النعم، وبسط الدنيا وملذاتها وشهواتها، مع عدم شكر المنعم عنها، تنقلب عذاباً وحسرةً يوم القيامة، وهذا ما ألمس فهمه من طرف الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيراته لها وبيانه دلالاتها المتعددة ، والله أعلم.

[1]المصدر نفسه،ج 3 ، ص: 125.

[2]سورة هود، الآية: 116.

[3]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج 3، ص: 251.

[4]سورة هود، الآية: 117.

[5]المصدر نفسه، ج 2، ص: 225.

[6]ينظر: عمر عبد الهادي عتيق، خصوصية الدلالة في الخطاب القرءاني، مرجع سابق ، ص:47.

ومن خلال هذه الإشارات الممثلة لها من تفسير الشيخ هود بن محكم عن المفارقة اللفظية وموضوع خصوصية الدلالة للمفردات، أجزم أني لم أوفِ الموضوع حقه، لكن أردت بتلك الأمثلة التوضيح، وبيان باع الشيخ هود بن محكم في مجال الدلالة وقضاياها، وإلا فالأمثلة كثيرةٌ، والإشارات لذلك في تفسيره متنوعةٌ متعددة، وما لا يدرك كله، لا يترك جله، فأدركت بذلك التقصي فهم الشيخ هود بن محكم لمسألة الخصوصية الدلالية، الأمر الذي مكنه من التعامل مع ألفاظ ومفردات الخطاب القرءاني تعاملاً دلالياً مؤسساً على بصيرةٍ منه، حيث أبان عن دقة الاختيار للألفاظ القرءانية وما يلازمها من معنى وشؤونٍ، وتفرَّد بتفسيرٍ موجزٍ بسيطٍ كاشفٍ عن أسرار لغويةٍ بيانيةٍ دلاليةٍ ذات بُعد إعجازي خاص بالقرءان الكريم وأسلوب خطابه ليس إلاّ، مما يشد انتباه المخاطب والسامع، ويسترعي اهتمامه، ويدعوه إلى التدبر والخوض في عوالم ومقاصد الخطاب الإلهي المتره .

7 ــ الإرتباط المفاهيمي للمفردات القرءانية في تفسير كتاب الله العزيز:

ترتبط مفاهيم كل مفردة قرآنية مع بعضها البعض، في إطار شبكة منظمة، مُشَكِّلة بذلك الترابط دلالةً عامة لارتباط تلك المفاهيم في قالب نص قرآني، وذلك أمرٌ معلوم لكل باحث في المعجم اللغوي القرآني، استناداً لعلة أن هذه الألفاظ، أي: "المفردات القرآنية" ليست بمعزل عن ارتباطها، وليست مستقلةً عن الأخرى ضمن قالبها، بل أن كل مفردة مستمدة لمعانيها من صاحبتها استمداداً قوياً، لتكون في النهاية كُلاً غير قابلٍ للتجزئة، منظماً بذلك شبكة غاية في التعقيد والتركيب من الترابطات المفهومية[1]، ومن ثمة فإن هذا يؤسس ذلك التأكيد العلمي الواضح ، والمبرهن على صحة وجود معجمٍ مفهومي للقرآن الكريم.

وإني بالشيخ هود بن محكم من خلال عمله في التفسير، وإبرازه لمعاني مفردات القرآن في إطار سياقها ،وسبب نزولها، قد أدرك جيداً ما تنص عليه نظرية المفردة القرآنية حديثاً، عبر وقوفه على تلك المفاهيم الجزئية لكثيرٍ من مفردات القرآن الكريم ، مبرزاً في مواطن مختلفة من حيث سياقاتها المتعددة تغير دلالتها ،الأمر الذي يفضي به حتماً إلى إقرار المعجم المفاهيمي للقرآن إقراراً ضمنياً، و بالتالي فإن هذه المفاهيم هي الطريق الوحيد إلى إدراك القصد والفهم السليم لآيات رب العالمين ، ولتحديد دلالته المترتبة عن ارتباط مفاهيم مفرداته في سياقاتها المتعددة ، وهذا باعتبار أن المفاهيم لا توجد منعزلة وحدها ، بل تكون دائماً منظمة إلى أقصى حدٍ

[1] ينظر: عبد الرحمان حللي ، استخدام علم الدلالة في فهم القرآن ، المؤتمر العلمي الدولي بعنوان : التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن و الحديث) عند المعاصرين، فترة 6 – 7 ذو القعدة 1429 ،/ 4 – 5 نوفمبر 2008 م، ص: 11 .

داخل نظام أو أنظمةٍ ، ولذلك يجب أن نميز تقنياً بين ما يطلق عليه المعنى الأساسي، و المعنى العِلاقي[1]، وهذا الذي أجد أحمد مختارعمر قد أشار إليه من خلال ما أسماه : المعنى التصوري المفهومي (Conceptuel Meanig) ،أو الإدراكي (CONGNITIVE) [2].

و إذا ما أردنا أن نسعى إلى محاولة إسقاط دلالي على المفاهيم الدلالية في النص القرآني ، استناداً للمعنيين ، سنحدد لكل مفردةٍ قرآنية مدلولين «معنيين»، يتسم الأول بالوضوح ،وكونه معروفاً لدى فئة المتكلمين، في حين يدرك الثاني بالتوسع في مفهومه و دلالة سياقه، ومن ثمة فإن ما قصده أحمد مختار عمر بذلك التصنيف، هو المفهوم الخاص بكل مفردة "لفظة"، بمعزلٍ عن سياقها.

وانطلاقا مما سبق ذكره من بيان أثر الترابطات المفهومية في تشكل المعجم اللغوي ، أسعى إلى إبراز ذلك بأمثلة تطبيقيةٍ أشار إليها الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره.

و لنقف مثلاً على المعنى الأساسي لمفردة: «كتاب» في اللغة و المعجم، ومن خلال ما ألصقه الشيخ هود بن محكم بها من مفاهيم أخرى، ذكرت في القرآن، أو في غيره ،إذ تعني بأصلها اللغوي المعجمي الشيء المكتوب فيه[3]، و هذا الذي يفهم من ظاهر تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ﴾[4]، إذ عبر عن دلالة مفردة:« إمام» بترابط مفاهيمي متمثل بقوله:« أي: بكتابهم، أي: ما نسخت عليهم الملائكة من أعمالهم »[5]، فأبرز دلالة «الكتاب» على ذلك الشيء المكتوب فيه.

وهو المعنى ذاته في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[6]،بقوله:« أي: في كتاب بيّن ،وهو اللوح المحفوظ»[7]، وقد بينت سابقاً جزءاً من تلك العلاقات بين معاني المفردة:« كتاب» في تحديد ذكرها على أنها من الألفاظ المترادفة في تفسير الشيخ هود بن محكم،و في تفسيره لقوله تعالى:﴿

[1] ينظر: المغيلي خدير ، علم دلالة مفردات القرآن ، مرجع سابق،ص: 439 .
[2] ينظر : أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 36 .
[3] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: "كتب"، ج2، ص: 425 .
[4] سورة الإسراء، الآية: 71 .
[5] هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج2،ص: 428.
[6] سورة يس،الآية:12.
[7] المصدر نفسه،ج3 ،ص: 376 .

بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ ﴾[1]، حينما خص المعنى الأساسي لمفردة: «السفرة» بقوله: « أي: كتبته» ،بمعنى يكتبون أعمال العباد، ومن هذا نفهم بأن ذلك المعنى الأساسي لمفردة: «كتاب» يحمل مفهوماً مركزياً واحداً، إلا أن معجمه القرآني في إطار سياقه ، يكشف لنا مدلولاً واحداً.

وعليه: فإن مفردة «كتاب» أوردها مثالاً، كونها تكتسب دلالةً عميقةً في علاقتها مع مفاهيم أخرى متعددة[2]، و يتأكد هذا المفهوم في النص القرآني بقول أحمد حسن أنور حسن في مفردة: كتاب ، هي علامة على مفهومٍ دينيٍ خاصٍ جداً ، تحيط به هالة من القداسة ، حيث ترتبط هذه الكلمة بعلاقة قوية جداً بعدة مفاهيم مثل : "الله"، "وحي" ، "تنزيل "،" أهل"... [3]، ومن هنا صح القول بأن تلك المفاهيم المشار إليها، وارتباطها تكوّن معجماً مؤثراً ومسهماً في الوصول إلى القصد السليم، والمعنى ذو الدلالة الواضحة، ثم لي أن أقف على تلك المواطن المتضمنة للارتباط المفاهيمي مع مفردة: « كتاب » ، في تفسير الشيخ هود بن محكم ، عبر معالجته بالبيان والإيضاح لتلك المواطن في سياق الآيات المشتملة عليها.

ولعل ذلك يتجلى عنده مثلاً في إبراز علاقة مفردة:« كتاب»، وارتباطها الدلالي مع مفهوم مفردة: «الله» عبر سياقات متنوعة، و لقد وقف الشيخ هود بن محكم مفسراً لتلك الآيات المتضمنة لذلك ،محاولاً إبراز الارتباط المفهومي، وأثره في تشكّل المعنى، ومن بين تلك المواطن تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ ﴾[4]، فذكر في بيان ذلك الارتباط قوله في تفسيرها:« أي: كأنهم ليس عندهم من الله فيه عهدٌ، وعندهم من الله فيه العهد، يعني من كفر منهم »[5]، وعليه فإن مفردة:« كتاب» ذكرت في الآية مضافةً إلى مفردة (الله) في سياقٍ واحدٍ، ليراد بها المعنى الذي أشار إليه الشيخ هود بن محكم بقوله سابقاً، ومن ثمة فإن هذا وجهٌ من أوجه تلك العلاقات لمفردة: «كتاب» مع المفهوم الدلالي للفظة:(الله).

[1] سورة عبس، الآية: 16 .

[2] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق،ج4،ص:426.

[3] ينظر: المغيلي خدير، علم دلالة مفردات القرآن نحو نظرية مفرداته قرآنية ، مرجع سابق، ص: 440 .

[4] سورة البقرة ،الآية: 101 .

[5] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1،ص:126.

ونجده قد بيّن علاقة أخرى للمفردة ذاتها، مع مفهوم ثانٍ غير ما ذكرته، و لنقف ههنا على مفهوم مفردة: «أنزل»، وارتباطها الدلالي مع مفردة: «كتاب» في السياق، وهي علاقات كثيرة، منها في تفسير الشيخ هود بن محكم ما أشار إليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[1]، فحدد ذلك المفهوم الدلالي لهذا الارتباط بقوله:« يعني القرآن»[2]،فنلاحظ إن علاقة مفردة: «كتاب» مع مفردة: «أنزل»، لها ارتباطٌ دالٌ على القرآن عند الشيخ هود بن محكم ، ومنهم من قال هو القرآن وغيره من الحجج والعلم و العقل[3]، بمعنى هذا؛ أن الذي قصده المولى عز وجل من الكتاب ،و ارتباطها بالإنزال، هو القرآن الكريم ، وهذا مما لا شك فيه أو ريب.

ثم إني به يورد علاقة ثالثة لمفردة:« كتاب» مع مفهوم مفردة:« أوحي» ليحدد من خلال تلك العلاقة الارتباطية بينهما مقصداً دلالياً، يتأتى إدراكه عبر السياق الواردة فيه المفردة، و اقترانها بمفردة:«أوحي»، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[4]، يحدد بذلك الاقتران مدلولاً يقتضي معنى الحكم في الآخرة، وهذا اعتماداً على السياق الوارد بعد المفردة في الآية: ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾، فقال : « أي: لا يحكم في الآخرة، بخلاف ما قال في الدنيا »[5]، وعليه فإن ما اعتمده الشيخ هود بن محكم من مقتضى الحكم في الآخرة ناتجٌ عن تلك العلاقة الارتباطية مع مفهوم مفردة: «أوحى» ،و شبيه هذا كثير عنده في تفسيره.

وفي علاقة مفردة:« كتاب»، مع المفهوم الدلالي لمفردة: «أتى»، يورد الشيخ هود بن محكم ذلك الارتباط المفاهيمي المفضي إلى معنى سياقي مبيناً للقصد من اقتران مفردتي : «أتى ،والكتاب» ، على أنه فعل القراءة له، وعدم تحريفه عن مواضعه، فنلاحظ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[6]،حيث اعتمد ههنا في بيان دلالة المفردتين مقترنتين في

---

[1] سورة الأنعام،الآية:155.

[2] المصدر نفسه،ج1،ص: 517 .

[3] ينظر: الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة:(كتب)،ج2،ص:427 .

[4] سورة الكهف ،الآية: 27 .

[5]هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2،ص:453.

[6] سورة البقرة، الآية: 121 .

سياقٍ واحدٍ، ما يفيد المعنى المذكور في قوله :« يقرأونه كما أنزله الله، و لا يحرفونه عن مواضعه »[1]، و بهذا يتبين أثر الارتباط المفاهيمي ضمن السياق ، في تشكيل المعجم القرآني الخالص .

ثم أجده يقف على مفهوم دلالي آخر؛ من خلال إدراك تلك العلاقة الناتجة عنده من اقتران مفردة: «كتاب»، مع مفردة: «أهل» ،و أثرها في إيضاح الدلالة، ومن ذلك مثلاً من بين الكثير مما اقترنت به مفردة كتاب مع مفردة: «أهل» في كلام الله عز وجل، وقوفه مفسراً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]، محدداً ذلك الارتباط المفاهيمي الدلالي في سياقه، بمراد الله من قوله: ﴿ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الواردة في سياق الآية المذكورة، على أنهم العامة ممن ثبتوا على اليهودية و النصرانية، فقال: « يعني عامتهم ...، يعني به الذين ثبتوا على اليهودية والنصرانية »[3]،وهذا يتحدد من المعنى العلائقي الذي يربط المعنى الأساسي التصوري الإدراكي، مع مفهوم مفردة: «أهل»، و لقد عبّر الراغب الاصفهاني بنصٍ مماثلٍ من حيث الدلالة لهذا ، حين حديثه عن أهل الكتاب بموطنها، إذ قال: « وحيثما ذكر الله تعالى أهل الكتاب ، فإنما أراد بالكتاب التوراة و الإنجيل، وأيهماً جميعاً »[4]، و معلوم أن القصد بذلك اليهود و النصارى.

و من خلال ما تقدم ذكره يتبين لنا أن هذه التشكيلة من المفاهيم الدلالية ، وارتباطاتها التي سردها الشيخ هود بن محكم في محل ارتباطها المفهومي مع مفردة: «كتاب» ،هي في حد ذاتها حقلاً دلالياً ناتجاً عن ذلك الارتباط ، لتؤدي و ظيفتها المستقلة كمفردة في إطار النظام المفهومي، ومن ثمة فإن هذه المفاهيم الدلالية المحددة للمفردات: (الله ،أوحى، أنزل، أتى، أهل)، أسهمت في تكوين ذلك المعجم المفهوي القرآني، على أساس أنه حقلٌ دلاليٌ موسعٌ.

ولي أن أُمثل بخطاطة لحقل مادة: «كتاب»، و ارتباطاتها المفاهيمية الدلالية لدى الشيخ هود بن محكم من خلال تفسيره على النحو التالي:

[1] المصدر نفسه، ج 1،ص: 135 .
[2] سورة آل عمران، الآية: 110 .
[3] هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1،ص: 280 .
[4] الراغب الاصفهاني، المفردات، مصدر سابق، مادة: (كتب)، ج2، ص: 427 .

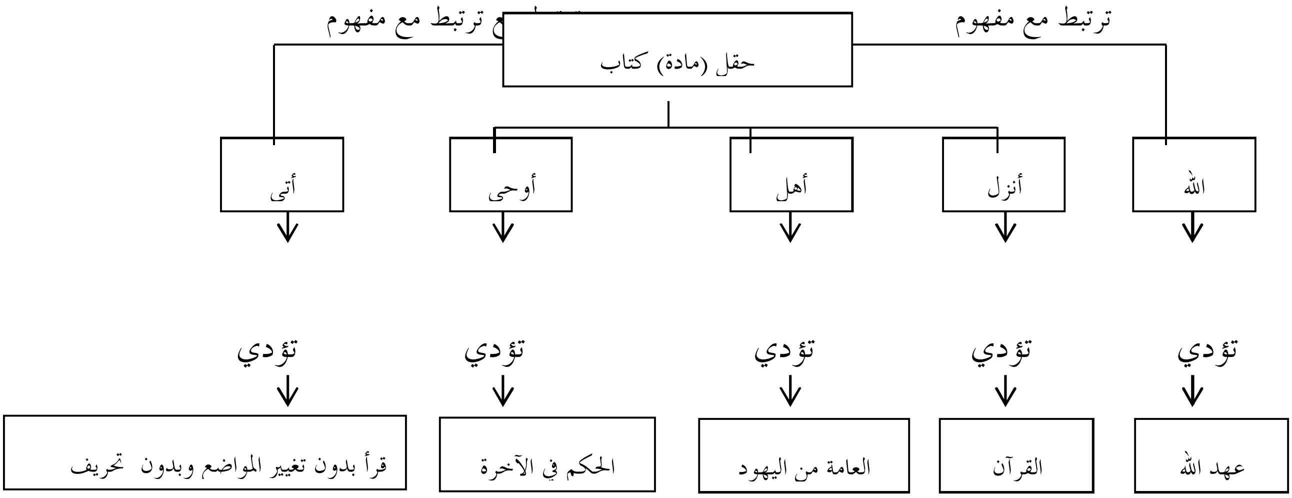
ترتبط مع مفهوم
حقل (مادة) كتاب
ترتبط مع مفهوم
الله
أنزل
أهل
أوحى
أتى
تؤدي
تؤدي
تؤدي
تؤدي
تؤدي
عهد الله
القرآن
العامة من اليهود
الحكم في الآخرة
قرأ بدون تغيير المواضع وبدون تحريف

خاتمة

خاتمة:

وبعد هذه الرحلة البحثية الطيبة، والتي دامت سنوات ها أن حط منها رحالي، مُوقِناً بطول الطريق، وقلة الزاد، عازماً على المواصلة في فرص أخرى بحول الله وقوته، إذ خلصت منها إلى أسرار قرءانية قيمة، وألوان من النور العلمي أنار عقلي، واطمأن إليه قلبي، وأملي أن تكون رحلةً مثمرة نافعة إن شاء الله توصلت عبرها إلى جملةٍ من النتائج الهامة كخلاصة للبحث إن صح القول في هذا الصدد، والمهتم أساساً بالدلالة القرءانية وأبعادها في الدراسات العربية والغربية، بغية الكشف عن تلك القضايا الدلالية العلمية عموماً، ومباحث الدلالة القرءانية خصوصاً.

ولعل اهتمام الشيخ المفسر الجزائري هود بن محكم الهواري بدلالة ألفاظ القرءان، من خلال تفسيره للقرءان الكريم، وتحقيقه للمعاني اللغوية، لخير دليلٍ على ذلك الاهتمام العربي في هذا المجال.

ومن أهم ما خلصت إليه من خلال هذه الدراسة أذكر:

1. أن الشيخ المفسر هود بن محكم الهواري الأوراسي الجزائري يُعد من كبار شيوخ المسلمين وعلمائهم، ومن أبرز مفسريهم وأقدمهم، وممن له فضلٌ على المسلمين كافةً في تذليل وتسهيل فهم المراد من كلام رب العالمين.
2. أثبت البحث أن تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم له أهميةٌ بالغةٌ، وقيمةٌ عمليةٌ عظيمةٌ في صفحات تاريخ التفسير الإسلامي، إذ شهد له بذلك كبار المؤرخين الإسلاميين.
3. أن الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي أحد علماء الجزائر الذين أسهموا بفضل عملومهم ومؤلفاهم في إثراء ساحة التراث والفكر العربي والدراسات الجزائرية.
4. يعتبر تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي من أقدم التفاسير الجزائرية التي حفظها القدر من الضياع والإهمال، ووصل إلينا كاملاً.
5. يعد الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي من قضاة وعلماء ومفسري القرن الثالث الهجري، لذا كان تفسيره من أقدم التفاسير، لكن لم يخرج إلى النور إلاَّ مؤخراً.
6. بنى الشيخ هود بن محكم تفسيره القيم على منهجية تَفرد بها كَسِمَةٍ علميةٍ بين المفسرين، ألا وهي الاختصار.

7. أثبت البحث من خلال مراحله سعة فكرٍ، وغزارة علمٍ للشيخ هود بن محكم في مجالاتٍ لغويةٍ متعددةٍ، كشفت عن عبقريته الفذة، وذكائه الوقاد في تعامله مع مفردات ألفاظ القرءان الكريم، وبيان دلالتها.
8. كشفت هذه الدراسة عن بعضٍ من معالم التفسير الجزائري، مثبتةً بذلك فضل علماء ومفسري الجزائر على الثقافة، والفكر الإسلامي بشكل عامٍ.
9. إن مفردات القرءان الكريم ودلالتها، ولغة القرءان وإعجازها، تعد الركيزة الأساسية لدراسة وفهم القرءان الكريم، و النواة الأولي لفهم علومه لدى الشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي الجزائري.
10. ظهرت إشارات علم الدلالة العربي بنزول القرءان الكريم، إذ كان سعي علماء العرب القدامى دراسةً وتأليفاً لكل ما له صلة بمعجم معاني القرءان.
11. أساس الدراسات الدلالية العربية فكرةً واحدةً، متجسدةً في معاني مفردات القرءان.
12. إن جهود علماء العربية القدامى والمحدثين في مجال الدراسات الدلالية عموماً، وفي مجال الاهتمام بالدلالة القرءانية جهوداً عظيمةً لا ينكر فضلها أحدٌ.
13. على الرغم من تنوع المعارف اللغوية والمعرفية من (فلسفة، نحو، أصول فقه، منطق، تفسير، بلاغة...) لجمهرة علماء العربية، إلا أن ذلك لم يمنع من تشكيل ذلك المناخ العلمي المعرفي الموحد والمستفاد منه.
14. إن هذا المناخ العلمي المعرفي سبق عصر الشيخ هود بن محكم الهواري، وأثر في شخصيته العلمية والمعرفية والإجتماعية.
15. يتعامل الشيخ هود بن محكم الهواري مع علم الدلالة من خلال صفحات تفسيره بنفس تعامل سابقيه، مما يؤكد تحديده لمفهوم الدلالة مفهوماً متعدداً، جامعاً بين اللغة والبلاغة والتفسير والمنطق والفقه، كما أشار في تعريفه للدلالة إلى آراء من سبقه في هذا.
16. نلح من خلال تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري، أنه لم يخرج عما قدمه علماء اللغة الأوائل، مع إضافته لبصمته الدلالية، والتي توصل إليها من خلال فهمه الدقيق للدلالة القرءانية.
17. إن أبرز الجهود الدلالية الأولى المؤسسة لهذا العلم، كانت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي كأول من أصَل لدلالة الكلمة، ثم أعقبه سيبويه بجهود عملية نيرة.

18. إن من أبرز الجهود في مجال الدلالة القرءانية، جهود الإمام الشافعي مؤسس علم الأصول وطرقه التي وضعها لاستنباط الأحكام الشرعية.

19. يعد الجاحظ أول من تنبه إلى مسألة العلامة وأثرها في إيصال وتبليغ القصد من الخطاب، وأهمية ذلك من خلال تحديده للمفاهيم، ووضعه للأصناف، عبر بحوثه البلاغية.

20. أن العلامة ابن جني أحد أهم المنتصرين للمعنى على حساب اللفظ، وقدم شرف خدمة المعنى من باب دراسة الألفاظ، وما اهتمام العرب بالألفاظ، إلا لتحقيق المعنى وخدمته.

21. إن المتتبع لتاريخ علم الدلالة، يدرك أثر القرن الخامس من خلال تلك النقلة النوعية التي شهدتها هذه المرحلة من كثرة التنظير فيه، إلى إضفاء صبغةٍ علميةٍ أخرى، تميل إلى الجانب التطبيقي الوظيفي.

22. ثم بعد هذه المرحلة؛ نجد العلامة المفسر الرازي خير من يمثل تطبيق الدلالة ومستلزماتها في التفسير القرءاني.

23. من خلال تتبعي للمباحث الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري، استنتجت أنه يؤكد تأكيداً هاماً على قضية المصطلح، ودليل ذلك إشاراته المتعددة في تفسيره؛ كقوله مثلاً: « ذكروا، قال بعضهم، عُرف عنهم، أُخْبِرتُ ...»، وكلها إشاراتٌ مفادها قائمٌ على دلالة: أصطلحوا، أو اتفقوا..

24. ذهب الشيخ هود بن محكم إلى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه؛ قائمة على الاصطلاح والتواضع، ومثل لذلك من خلال تلك المفردات التي وافق صوتها معناها.

25. إن المدقق في صفحات تفسير الشيخ هود بن محكم، يتبن له احتوائه على كمٍ هائلٍ من المصطلحات في مجالاتٍ متعددةٍ، وهذا يفهم منه سعة علم الشيخ هود بن محكم في مجالات متنوعة.

26. يتعامل الشيخ هود بن محكم حين تفسيره وبيانه لمعاني مفردات القرآن الكريم بمنهجية أساسها التركيز على عنصر السياق، وأثره في حصر دلالات المفردات القرءانية بوجهٍ خاصٍ.

27. إن إشارات المباحث الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم من صميم الدراسات اللسانية الحديثة، وهذا من قبيل المقارنة رغم تباعد المرحلة الزمنية بين ما قاله القدامى وما تحدث به المحدثون الآن.

28. يوضح الشيخ هود بن محكم حين تفسيره للآيات، وتحديده معاني المفردات بعض المساحات الدلالية بين الألفاظ، لذلك أجده يورد مركزاً تركيزاً تاماً على قضية ما يعرف بالمصطلح القرءاني حديثاً.

29. يسلك الشيخ هود بن محكم مسلكاً وسطاً في القول بالعلاقات الدلالية: (الاشتراك، الترادف، التضاد، المعرب) في القرءان الكريم خصوصاً، باعتباره أنه لم ينف ذلك، و لم يُضيق من ورود ذلك.

30. في المبحث أمثله من تفسير الشيخ هود بن محكم في المباحث الدلالية: (المشترك اللفظي، الترادف، التضاد، المعرب) عبارة عن جزءٍ لا يتجزأ من كليهما، حيث أورد في بعض النماذج ما يفيد أن التضاد جزء من المشترك اللفظي مثلاً.

31. في عملية إحصائي لأمثلة المباحث الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم، نجد أن نسبة أمثلة المشترك اللفظي فاقت غيرها من المباحث الأخرى بكثير.

32. إغفال الشيخ هود بن محكم لقضايا الدلالة الأخرى من إشتقاقٍ وتوليدٍ ونحتٍ...؛ مرده أمرٌ واحدٌ؛ ألا وهو طبيعة الاختصار في تفسيره، وإلا فالإشارات القليلة لذلك تؤكد علمه بها.

33. الشيخ هود بن محكم بإيراده أمثلة عن المباحث الدلالية، وتبيانه بالتفسير والتحليل الدلالي لها، مؤشر على رأيه في مسألة وقوعها بالإثبات وعدم الإنكار.

34. ضم تفسير الشيخ هود بن محكم أصنافاً متعددةً من أنواع الدلالات، تمثل لي أهمها في الدلالة الصوتية، والدلالة النحوية والدلالة الصوفية، والدلالة السياقية.

35. أشار الشيخ هود بن محكم في تفسيره إلى أن الدلالة الصوتية بمفردات القرءان الكريم، وما يطرأ عليها من تغيرات صوتيةٍ على مستوى الحركة، أو على مستوى الصامت لذلك أثرٌ هامٌ في إبراز تلك الفروقات والمساحات الدلالية بين هذه الألفاظ.

36. إلمام الشيخ هود بن محكم بعلم النحو؛ وسعة معرفته به جعله يؤكد على مسألة فاعلية المعنى النحوي، وعلاقته بتحديد معاني مفردات القرءان الكريم.

37. تمثل الدلالة النحوية لدى الشيخ هود بن محكم آليةً من الآليات الهامة في التفسير عموماً، وفي تحديد المقصود من السياقات خصوصاً.

38. يورد الشيخ هود بن محكم حين إشاراته المستلزمات الدلالة النحوية، معاني حروف الجر، ومعاني حروف الاستفهام، وبعض المباحث الاعرابية النحوية، وهذا مؤشرٌ على أهمية معرفة ما يقتضيه علم النحو في تفسير وفهم كلام الله سبحانه وتعالى.

39. لم يغفل الشيخ هود بن محكم أهمية الدلالة الصرفية، وأثرها في إظهار دلالة السياق القرءاني، من خلال ذكره لبعض النماذج منها، فحدد بعض المهمات لكثيرٍ من الصيغ الصرفية وبين دلالاتها المتعددة.

40. يتبين من خلال إشارات الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، المبثوثة في تفسير الشيخ هود بن محكم إشارات دلالية متقاطعة متداخلة، مكونة لكتلة لغوية دلالية قرءانية.

41. اهتم الشيخ هود بن محكم بعامل السياق، وتأثيره الدلالي في مسألة بيان الألفاظ، وتحقيق المفردات، إذ أشار إليه عبر تفسيره، ولأقسامه المتعددة، معبراً بذلك عن تجليات الدلالة السياقية وخصوصيتها في التفسير.

42. يمايز الشيخ هود بن محكم في تفسيره بين معالم الدلالة المعجمية للمفردة، والدلالة الاجتماعية، باعتماده المباشر على عنصر السياق القرءاني الذي يضفي على المفردة القرءانية صيغةً اجتماعية ، المغايرة في مداليلها اللغوية، بمعزل عن السياق.

43. استنتج من خلال البحث في تفسير الشيخ هود بن محكم أنه أجاد إحكام زمام كثيرٍ من آليات التفسير المعجمي، بتدقيقه في البنية المعجمية لكثيرٍ من المفردات القرءانية، وترى أن هذا من صميم ما دعت إليه نظريات علماء المعجمية المحدثين.

44. من أهم القضايا الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم، ظاهرة الخصوصية الدلالية للمفردات القرءانية، إضافة إلى اهتمامه البالغ بقضية التقابل الدلالي، وما لها من أثرٍ دلاليٍ في كشف دلالات المفردات، ومعاني السياقات، و لم يغفل أيضاً ما تعلق بالارتباطات الدلالية المفاهمية، وبين كيف تشكل معجماً مفردياً قرءانياً خالصاً.

45. أشار الشيخ هود بن محكم في تفسيره لخصوصية بعض المفردات، خصوصية دلالية، مضمناً إشاراته لهذا اللمسة البيانية الإعجازية للقرءان الكريم.

46. تضمن تفسير الشيخ هود بن محكم كثيرٌ من المحطات التفسيرية التي تناول فيها جوانب دلالية من باب كشف المعنى بآلية التقابل الدلالي بأنواعه وما يقتضيه.

47. يعتبر الارتباط المفاهيمي الدلالي للمفردات القرءانية، أحد أوجه الإعجاز في كلام رب العالمين، لذا كانت بعض الإشارات المتواضعة من طرف الشيخ هود بن محكم في تفسيره له.

48. لمفردات القرءان الكريم نظماً خاصاً متميزاً، باعتبار ترابط آياته وألفاظه ترابطاً معنوياً وثيقاً، أساسه التناسب الدلالي الحاصل بين الألفاظ والفواصل القرءانية والآيات الواردة فيها.

49. بينت هذه الدراسة جانباً مهماً من إسهامات علماء الجزائر على مستوى الدراسات الجزائرية في مجالي اللغة والأدب العربيين، واختصت ببيان الجهد اللغوي لهم، متخذة علم التفسير كمثالٍ لذلك.

50. كشفت الدراسة على المكانة العلمية المرموقة لعلماء الجزائر في هذا المجال، وما خلفوه من آثارٍ علميةٍ لغويةٍ، وأخرى أدبيةٍ تعد حافزاً لمواصلة السير بعدهم على نهجهم، والاستفادة من جهودهم القيمة.

51. من أحسن الطرق التي سلكها علماء الجزائر في مجال تفسير كلام الله، هي طريقة تفسير الآية أو السورة القرءانية، وهي طريقة السلف رضوان الله عليهم القائمة على تفسير القرءان بالقرءان، ثم بالنسبة النبوية، ثم أقوال الصحابة، والتابعين، وأشعار وأقوال العرب، وهذا ما لمسناه في تفسير الشيخ هود بن محكم مجسداً.

52. يعتبر الشيخ هود بن محكم بدراسته في تفسيره لمفاهيم مفردات القرءان الكريم، أحد السباقين إلى تقديم إرهاصات تتعلق بالمصطلح الحديث، المعروف في الدراسات المعجمية اليوم بـــ: المعجم المفهومي.

إن ما يمكن قوله في ختام هذه الخاتمة، أن تفسير الشيخ هود بن محكم اشتمل في ثنايا سفره على مباحث دلاليةٍ علميةٍ قيمةٍ، وأنه تفسيرٌ حمل حمولةً علميةً لغوية متعلقة بعلوم القرءان الكريم، ومرتبطة بمقصدية الخطاب الألهي، وإرتبطت أيضاً بعَلَمٍ فذٍ من الأعلام الجزائريين البارزين في مجال الدراسات الجزائرية، والذي لم ينل خطة الوافر من الشهرة العلمية في ساحات المكتبات التراثية الفكرية إلاَّ مؤخراً، بعد تحقيق جهده وإخراجه إلى النور على يد المحقق الباحث بالحاج سعيد شريفي- جزاه الله خيراً- .

كما يمكن القول ههنا ، إن دراستي هذه ،كشفت عن جزءٍ يسيرٍ من جوانب شخصيةٍ علميةٍ لغويةٍ جزائريةٍ، تميزت بسعة المعرفة وبغزارة العلم، ودقة تحليلها للقضايا الدلالية على وجهٍ خاصٍ، ومدى إسهامها في إثراء الساحة الفكرية الجزائرية العربية.

وفي الأخير ها أنا أحط الرحال، وأملي في الله أن أكون قد وفيت البحث شيئاً من حقه، ولو بشيءٍ بسيطٍ، مدركاً عدم تمام المهمة، عازماً على المواصلة في البحث في مجال هكذا دراساتٍ علميةٍ، في فرصٍ أخرى بحول الله وقوته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

1. إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1
2. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1963،2.
3. ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى،1994
4. إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،1379ه
5. أبن أبي الأصبع العدواني البغدادي، تحرير التحبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لبنان، د.ط، دت
6. ابن الأثير، النهاية ،المكتبة العلمية ، بيروت، طبعة: 1979، ج 3.
7. ابن الأنباري ، البيان في إعراب غريب القرآن ، تحقيق: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1980، ج 2
8. ابن الأنباري، الأضداد ، المكتبة العصرية، لبنان، طبعة 1987.
9. ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت ، 1987.
10. ابن السكيت ، اصلاح المنطق ، تحقيق، أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون، ، دار المعارف، القاهرة ، ط2.
11. ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق: محمد ناصر ،و إبراهيم بحاز، مطبوعات الجيلة، الجزائر، د.ط، دت.
12. ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ،مؤسسة الرسالة، بيروت ،الطبعة27،ج 3
13. ابن تيمة، المسودة، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، د.ط، دت، ج1
14. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1974
15. ابن جني ، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت،ط2006،ج3
16. ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والايضاح عنها، دار سزكين للطباعة والنشر،ط1986
17. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2،
18. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1

19. ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ط .
20. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتعليق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط:2005
21. ابن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،ظ:1972،ج6.
22. ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحقيق: محمد بدوي المختون، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ط2، 2004
23. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الشريفة ، الجزائر، ط1989 :1 ،ج1.
24. ابن سلام الإباضي، بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: فيرنر سقارتس ، والشيخ سالم بن يعقوب ، دار النشر فرائز ستاينر بفيسبادن، 1986.
25. ابن سينا، العبارة، ،تحقيق :محمود الخضيري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،مصر،ط:1970.
26. ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، 1997 .
27. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط 1999.
28. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد،تحقيق: علي بن محمد العمران ، مجمع الفقه الإسلامي جده ، ط2008، ج 3 .
29. ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، تحقيق: أنس محمد الشامي، دار البيان العربي، بيروت،الطبعة الأولى،دت، ج1.
30. ابن منظور ،لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، دت،
31. ابن نظام الدين الأنصاري ، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، تحقيق: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1423-2002
32. ابن نوفل ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، .
33. ابن هشام الأنصاري، معنى اللبيب، تحقيق: محمد عبد اللطيف محمد الخطيب، دار البيان، الكويت، ط4
34. ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط3، د.ت،ج1
35. ابن هشان الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البيقاعي، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 2001.
36. أبو البقاء الحنفي ، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1.

37. أبو الحسن على بن سيده ، المخصص ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط2 ،ج 2

38. أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط2، 1996.

39. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ،تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة ، الجزائر، 1994

40. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،ط1994،1، ج3

41. أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد عبدالسلام الشافي، دار الكتب، العلمية، بيروت، ط1، 199، ج1.

42. أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق ،شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية،2013

43. أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- لبنان-بيروت، ط الثانية (1422هـــ/ 2001 م)، ج1.

44. أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، لغات القبائل الواردة في القرآن، منشورات قسم الكتاب والسنة، بغداد، دط، دت، ج1.

45. أبو عبيدة ، مجاز القران، تحقيق فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت ،لبنان،الطبعة الأولى، دت،

46. أبو عثمان عمر بن الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1960، ج05

47. أبو علي الفارسي ، المسائل المشكلة، المعروفة بالبغداديات، تحقيق: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط.

48. أبو علي القالي، البارع في اللغة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دط،ـــ دت.

49. أبو محمد بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقق: عبد الرحمان بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط،

50. أبو هلال العسكري ،كتاب الفروق، تحقيق محمد باسل وعيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2003،2.

51. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، منشورات عيسى الباي الحلبي، ط1، 1371-1952

52. أبي بركات الأنباري، أسرار العربية، تحقيق، محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي الغربي، دمشق ، ط:1957.
53. أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط1988، ج01.
54. أبي بكر محمد ابن دريد ، جمهرة اللغة ، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1
55. أبي زكرياء الجناوي ، الوضع، مطبعة الفجالة الجديدة، دط، د.ت.
56. أبي عبد الله محمد قطرب ، كتاب الاضداد، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984.
57. الإتقان في علوم القرءان، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان ط1 ،2003،ج2،
58. أحمد الحملاوي ،شذا العُرف في فن الصرف، دار الكيان، الرياض، ط1، 2006.
59. أحمد بن أبي سهل السرخسي، أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار لجنة إحياء المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1 ،1993، ج1
60. أحمد بن محمد الفيومي المقري، المصباح المنير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت.
61. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الامارات، الطبعة الثانية،2012
62. أحمد عبادي، نظرية الترتيل في القرآن المجيد ، دار أبي رقراق، الرباط المغرب، الطبعة الأولى ،2007.
63. أحمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1996.
64. أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر بيروت ، ط 2 ، 1999 م
65. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، بيروت، ط :1 ،1416 هـ 1996 م.
66. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، ط5، 1998.
67. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1971م
68. أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، مكتبة التراث، بغداد، ط1، 1982
69. أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993

70. أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط2، 1988

71. الأزهري، تهذيب اللغة ،تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى،2001، ج 8

72. أسعد النادري، نحو اللغة العربية في قواعد النحو والصرف، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 1997

73. إسماعيل الأوسي، أساليب النحو عند النحويين و البلاغيين، منشورات بيت الحكمة، بغداد، د.ط. 1988

74. الأشموني، شرح الأشموني، على ألفية ابن مالك ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، دط، دت.

75. الألوسي محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني، دار الفكر لبنان بيروت، ط1، (1403ه/1983م)، ج1.

76. الإمام الحافظ ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، غريب القرآن ، دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى، 1995

77. الإمام محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1414، ج5

78. آية الله الشيخ جعفر السجاني، بحوث في الملل والنحل ،مؤسسة الإمام الصادق، ايران، ط1

79. بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، العراق، بغداد، طبعة:1995،

80. بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية، ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1985.

81. بحاز وآخرون، معجم إعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ، 2000م، ج2.

82. البغوي، معالم التنزيل ، دار المعرفة، بيروت، ط2 ،1987 ،ج5 .

83. البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة،2003.

84. الترمدي، محمد بن عيسى، سنن الترمدي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى اليابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية،1975

85. تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها ،مكبة زهراء الشرق للطباعة والنشر، القاهرة، ط2000

86. تمام حسان ، اللغة بين الوصفية و المعيارية ، دار الكتب ، القاهرة ، ط 4 ، 2001.

87. توفيق شاهين ، المشترك اللغوي في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى،1980

88. الثعالبي، فقه اللغة وخصائص العربية، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، 1980

89. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط1، 1992، ج1.

90. الجصاص، أحكام القرءان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1952،ج2.

91. جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1998

92. جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ،تحق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1998

93. جلال الدين المحلي، شرح جمع الجوامع، مؤسسة الرسالة، دمشق، دت، دط، ج1.

94. جنان محمد مهدي العقيدي، النقد اللغوي عند الطبري (لمسات لغوية نقدية من فكر المفسر)، دار الكتب العلمية. بيروت. ط2012

95. الجواليقي ، المعرب من كلام العجم على حروف المعجم، تحقيق، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1995

96. الجوهري، الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط 4 ، 1990 ،ج3.

97. الحافظ بن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرءان، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1408، باب ذكر اللغات في القرءان

98. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرءان، مؤسسة الطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1416، ج5

99. حسين علي الصغير، تطوير البحث الدلالي دراسات تطبيقية في القرءان الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط الأولى،1999

100. حميد الزويتي، مفهوم التقابل، مقاربة نظرية، منشورات كلية اللغة، مراكش، دط، دت

101. خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير و قواعده، دار النفائس ،ط 2 ،1986

102. الخطابي، بيان إعجاز القرءان، دار المعارف ،مصر، ط3، 1976.

103. خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، دار بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.

104. خليل السيد ، بين اللغة و التشريع، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.

105. دي سوسير، دروس في الألسنة العامة، ، ترجمة صالح القرمادي، الدار العربية للنشر ، مصر ، ط 2.

106. الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق: تديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، مطبعة التقدم العربي، بيروت، 1992،
107. الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط1، 2007م
108. رضي الدين الصنعاني ، الحباب الزاخر واللباب الفاطر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1987.
109. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2
110. الزبيدي، تاج العروس من جوامع القاموس ، تحقيق: علي شير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1994.
111. الزبيدي، تاج العروس من جوامع القاموس، تحقيق: علي شير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1994، ج19.
112. الزجاج، معاني القرءان وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408ه، 1988م، ج5.
113. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرءان،تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج2.
114. الزمحشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، بيروت لبنان، الطبعة1، 2008
115. الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية،1993،ج1.
116. الزمخشري، شرح المفصل، تحقيق: بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة1 ، 2001، ج4
117. سالم مكرم ، المشترك اللفظي في الحقل القرآني ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ط1 1996
118. سعد الدين بن عمر ، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1428
119. سعيد جبر محمد أبو خضر، التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط 2004
120. السيد أحمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، منشورات دار النهضة العربية، ط 1968.
121. الشريف الأدريس ،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،مكتبة الثقافة الدينية ،ط:1994، مج1.
122. الشريف الجرجاني، التعريفات ، مكتبة لبنان، ناشرون، د ط، دت.
123. شفيع السيد، دراسة في المعاني والبديع، مكتبة الشباب القاهرة، د ت، .

124. شهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى،دت.
125. صالح باجية، الاباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972م
126. صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم ، دار مجدلاوي ، عمان ،ط 1 ،2003م.
127. صفية مطهري، الدلالة الايحائية في الصيغة الإفرادية، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط2015،1
128. صلاح الدين بن عبد اللطيف الناهي، الخوالد من آراء الراغب الأصفهاني في فلسفة الأخلاق و التشريع و التصرف ، دار الجيل ، بيروت، ط 1987.
129. صلاح الدين زروال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2008م.
130. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، التفسير والتأويل في القرءان، مطابع دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ط الأولى:(1416-1996).
131. طارق النعمان ،اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم، ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط2003.
132. الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1963.
133. طاهر حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، دار الجميل للنشر والتوزيع،مصر، الطبعة1، 2001
134. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،1980.
135. عائشة عبدالرحمان بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة،ط1971
136. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر ط: 15، ج2،.
137. عبد الجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية،دار الأشرف، بيروت، الطبعة الأولى،1988
138. عبد الرحمان البرقوقي ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، نشر دار الأندلس ، بيروت ، 1386 هـ ، 1966 م
139. عبد الرحمان الجبوري ، الوجوه والنظائر في القرءان الكريم، دار البينة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1433ه
140. عبد العزيز بن جمعة المصلي، شرح ألفية ابن معطي، تحقيق: على موسى الشرملي، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007.

141. عبد الغفار حامد هلالي، علم الدلالة اللغوية، دار الكتاب الحديث،ط 2013.
142. عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرءان، دار الفكر، العربي،ط2003.
143. عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، شرح خالد الزهراني الجرجاوي، تحقيق: البداوي الزهران، دار المعارف، الطبعة الثانية ،1988، ط2
144. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي للنشر، د،ط، دت
145. عبد الكريم الحائري محاضرات أصول الفقه، ، مطبوعات جامعة أهل البيت، بغداد، د ت، د ط، المحاضرة 50
146. عبد الكريم فتحي الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،ط2007
147. عبد الله الأنصاري، الاستفهام في القرآن الكريم، منشورات دار البيان.ط1، 2015.
148. عبد الله بن مالك ابن النظام الدمشقي، المصباح في المعاني و البيان والبديع، المكتبة الوقفية الالكترونية، ط1989،1.
149. عبد الواحد حسن الشيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1419هـــ، 1999م
150. عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط الثامنة، د ت
151. عبدالجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية، مؤسسة الأشرف للطباعة،بيروت، الطبعة الأولى،1988.
152. عبدالحميد الفراهي ، مفردات القرآن ، تحقيق: محمد أجمل أيوب الاصلاحي ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 1، 2002 .
153. عبدالقادر عبدالجليل ، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1
154. عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرءان ، تحقيق سيد صقر، المكتبة العلمية بروت، الطبعة الأولى،1973
155. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرءانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط،1996
156. عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1989م.
157. عثمان العكاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003م.

158. علوي بن عبد القادر السقاق، الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب العاشر، الباب السادس، الإيمان بالجن، منشورات الجامعة العلمية، صنعاء، اليمن، دط، دت

159. علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مكتبة الرحاب، الجزائر، ط الرابعة، 1990

160. علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: صقوت عدنان، دار القلم،دمشق،الطبعة1،دت ج2

161. علي رضا، المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر، ط1، دت،

162. علي يحى معمر، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة، تصحيح: أحمد عمر أوبكة ، المطبعة العربية ،غرداية الجزائر، 1985، ج1.

163. عمرو الجاحظ، البيان والتبين ،تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي،ط1978،ج1.

164. عمرو خليفة النابي ، دراسات عن الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2001م.

165. عوامه محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ-1998.

166. عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة،الطبعة1، 2005.

167. الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، ، منشورات عويدات ، بيروت، ط1، 1986

168. الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، مطبعة الدار البيضاء الرباط، الطبعة الأولى، دت، ج1.

169. فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، دار عمار للطباعة والنشر، ط4 ، 1427 ، 2006.

170. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، الأردن، ط2000م

171. فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة1، 2011

172. فايز القرعان، التقابل والتماثل في القرءان الكريم، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط 2006.

173. فخر الدين أبو عبد الله الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، (1401هـ- 1981م)، ج1.

174. فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط 1401-1981، ج3

175. الفراء، مشكل إعراب القرءان ومعانيه، تحقيق : محمد بن عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة2006،1،ج 3.

176. الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقق:مهدي المخذومي، وإبراهيم السمراني، مكتبة الهلال لبنان بيروت، د ط، (1986م)،ج7.

177. فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، نشر جمعية التراث، القرارة ، غارداية، الجزائر، ط: 1408-1987م، ج1.
178. فردان دي سوسير محاضرات في الالسنية العامة ،ترجمة : يوسف غازي ، و مجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ط1 ، 1986.
179. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان للنشر و التوزيع. الأردن.ط الرابعة.1997.
180. الفيروز أبادي مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، لبنان بيروت، ط1، (1999م)، ج1.
181. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط5 :1996،ج1.
182. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الحديث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة،د ت .
183. لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1999، ج1.
184. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1932، ج2.
185. مجموعة من المؤلفين، معجم المعاني الجامع ، ، مكتبة الشروق الدولية، ط :2004
186. محجوب محمد موسى، تطهير اللغة من الأخطاء الشائعة، دار الإيمان، الإسكندرية، ط1، دت، ج1
187. محمد ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، 2005، ج2
188. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،مكتبة السنة، ط الرابعة، دت
189. محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق،لبنان،دط، دت،ج1
190. محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر،ط 2008، ج1.
191. محمد الترنجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993
192. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1997م، ج1.

193. محمد العبد، المفارقة القرءانية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2 ،2006
194. محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية، مطبعة دحلب، الجزائر،1991،ج1
195. محمد بازي، التأويلية العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
196. محمد باقر (السيستاني)، مباني الأصول، شبكة الفكر الالكترونية، د.ط ، د.ت، ج2
197. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 2003
198. محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، منشورات الحلبي، ط1358، 1940
199. محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى،1939.
200. محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة1422،1ه.
201. محمد بن الحسن الطوسي، التبيان، تحقيق: أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، د ت.
202. محمد بن تميم القيراواني، طبقات علماء إفريقيا و تونس ،تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس ،و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 1985
203. محمد بن عبد الجبار السمعاني، قواطع الأدلة في أصول الفقه، تحقيق، عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة التوبة، ط 1998، ج1
204. محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، ط2000،1
205. محمد بن علي الصبان، حاشية علي بن محمد الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية بن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة:1417ه، ج1.
206. محمد حسنين أبو موسى ،البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر،ط2، د ت،.
207. محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إلى القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، ط 1980.
208. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار آوند دانش للطباعة والنشر، إيران- طهران- ط الأولى، (1425هـ، 2005م)،ج1.

209. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار السلامة، القاهرة، ط1، 1983م
210. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2003،ج1.
211. محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرءان الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1998، ج15
212. محمد عاليم، التوليد الدلالي ، دار توبقال للنشر ، المغرب، الطبعة الأولى،2007.
213. محمد علي التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ج1.
214. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط2، 1982م.
215. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرءان الكريم، بيروت، ط 1986، ج1.
216. محمد عميم، التعريفات الفقهية، دار الإحسان، ط 1407ه – 1986م
217. محمد نورالدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت،الطبعة2، 2007
218. محمود السعران ،علم اللغة مقدمة للقارئ الغربي ،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،ط1، دت.
219. محمود السعران، علم اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، ط3.
220. محمود توفيق محمد سعد ، دلالة الألفاظ عند الأصوليين ، مطبعة الأمانة ، القاهرة، ط1، 1987.
221. محمود توفيق محمد سعد، سُبل الاستنباط من الكتاب والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، طبعة2011.
222. محمود شكري الألوسي ، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 1،دت، ج3
223. محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة:2002 .
224. مختار عمر، الاشتراك و التضاد في القرآن الكريم ، دراسة إحصائية ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.
225. مساعد الطيار، التفسير اللغوي ،دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1422ه.
226. مشكور كاظم العوادي، البحث الدلالي عند ابن سينا، دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، دار المعارف، بيروت، 1986.
227. مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2002 .
228. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الإمام البخاري.الجزائر .ط.الأولى .2008.
229. مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ،دار القلم ، بيروت ، لبنان ،د ط ،د ت.

230. المغيلي خدير، علم دلالة مفردات القرءان نحو نظرية مفرداتية قرءانية، دار الكفاية، الجزائر، الطبعة الأولى،2015.
231. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثهُ في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، الطبعة1، 2001.
232. النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، طبعة 1986
233. نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،1999م، ج2
234. نور الدين بن نعمة الله الحسني ، فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، دار الكتب العلمية، بيروت،طبعة:2003
235. نور الهدى لوشن، علم الدلالة، دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 2006.
236. نورالدين المنجد ، الاشتراك في القرآن بين النظرية والتطبيق ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999
237. الهادي نهر، الأساس في فقه اللغة، دار الفكر، عمان ، ط – 1423 هـ 2002م
238. هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.،
239. وحيد الدين طاهر عبد العزيز، مكونات النظرية اللغوية بين الدراسة والتطبيق، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، عين شمس، الطبعة الأولى
240. ياسر عبد الكريم الحوراني، معجم الألفاظ الاقتصادية في لسان العرب، ، دار المجدلاوي، عمان ط2006.
241. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، ج5.
242. يحى ابن سلام، تفسير يحى بن سلام ، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ط2004،ج1.
243. يحى بن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع ، 1979
244. يحي بن حمزة بن إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، منشورات مؤسسة النصر، مصر، ط 1332هـ- 1914م، ج2.

الرسائل الجامعية:

- **رسائل الدكتورة:**

1. ابتهال كاصد ياسر الزيدي، البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرءان ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، أطروحة دكتوراه إشراف: علي جميل السمرائي، جامعة بغداد، الموسم الجامعي 2004،2005
2. سعاد زغيشي ،منهج هود بن محكم الهواري في التفسير، إشراف: منصور كافي، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية:2006،2007.

- **ماجيستير:**

1. قيس إبراهيم مصطفى العيكلي ،السمات الجمالية في القرءان الكريم، رسالة ماجستير ، إشراف: محسن عبد الحميد أحمد، كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، الموسم: 1419هـــ-1998م.
2. منال صلاح الدين، التقابل الدلالي في القرءان الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف قاصد ياسر الزيدي، الموسم :1993-1994.

- **المؤتمرات:**

عبد الرحمان حللي ، استخدام علم الدلالة في فهم القرآن ، المؤتمر العلمي الدولي بعنوان : التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن و الحديث) عند المعاصرين، فترة 6 – 7 ذو القعدة 1429 ،/ 4 – 5 نوفمبر 2008 م.

المجلات:

1. أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، جامعة بغداد، العدد العاشر، 1984.
2. عاصم شمارة علي، المفارقة اللغوية في معهود الخطاب دراسة في بنية الدلالة، مجلة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد 10،2013.
3. علي حسن مزيان، عبد القاهر الجرجاني دلالياً، ،مجلة القافلة، جامعة الاردن، عدد:11، أكتوبر،1998.
4. موريس أبو ناصر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد (ج) 1992 رقم :19/18،.

مواقع الانترنيت:

1. أبو المقداد، بحث في: المراد بالأسر في قوله تعالى: "وأسروا الندامة "، من موقع ملتقى أهل التفسير، https://vb:tafsir.net، بتاريخ 2018/11/25، 19:52.

2. حيدر فخري، محاضرات في الصرف، جامعة بابل، العراق، من موقع: www.4obabylon.ed4 بتاريخ: 2018/07/16، 20:21

3. شريف عبد العزيز، أسلوب التقابل وأثره في بلاغة الخطيب، مقال، موقع: www khtabaa com بتاريخ:26.07.1438

4. عبد الله اويس ،كيف تعامل المفسرون مع المعرب في القرءان، ص: 14، مقال: من موقع https ://vb.tafsiR.net بتاريخ 2013/03/30، 01:48.

5. عمر عبد الهادي عتيق، خصوصية الدلالة في الخطاب القرءاني من موقع: www.almeshkat.net، بتاريخ:20،04،2019. 18:52.

6. لفظ الخوف في القرءان الكريم، موقع اسلام ويب، iselam wib/net بتاريخ: 2018/11/18، 20:13

7. مقال: من هم القانع والمعتر؟، معاني كلمات القرءان، موقع معلومة، www.ma3elouma.net، بتاريخ: 2018/11/12

8. مهنا راشد بن حمد السعدي، الدولة الرستمية، مقال من موقع:www.istiqama.info. بتاريخ:20افريل2017.

فهرس الموضوعات

مقدمة .... أ

المدخل ....و

إرهاصات البحث الدلالي وقضايا الدلالة ....و

عند العرب القدامى ....و

1ـــ الجهود الدلالية عند العرب القدامى: 7

2 ـــ مفهوم الدلالة عند العرب القدامى: 21

2 ـــ1 تعريف الدلالة في اللغة: 21

2- 2 تعريف الدلالة في الاصطلاح: 22

3ـــ عناصر الدلالة وأنواعها عند العرب القدامى:.................................... 25

ا ـــ عناصر الدلالة:... 25

ب- أنواع الدلالة : 26

4 ـــ اصطلاحية الدلالة واعتباطية الدال والمدلول: 27

5 ـــ اللفظ والمعنى وإشكالية تداخل المصطلحات: 29

6ـــ التفرقة بين مصطلحي: «الدلالة والمعنى».. 33

7ـــ دراسة اللفظ و مشكلاته:... 35

8 ـــ قضايا تعدد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ: 38

الفصل الأول:.. 41

هود بن محكم ومنهجه في تفسير كتاب الله العزيز 41

1- مفهوم التفسير:... 42

أ- التفسير في اللغة:... 42

ب- التفسير اصطلاحا: 44

2-الدلالة عند المفسرين وأثر المفردة في تفسير النص القرآني:........................ 49

3- هود بن محكم من المهد إلى اللحد: 57
ا. اسمه، نسبه، أسرته: 58
ب ــ مولده، وفاته، نشأته: 62
ج ــ رحلاته وشيوخه: 64
د ــ مكانته العلمية: 67
ه ــ مصنفاته: 68
4 ــ التعريف بالمؤلَف « تفسير كتاب الله العزيز»: 71
5- مصادر تفسير الشيخ هود بن محكم، ومنهجه في بيان معاني القرءان ومفرداته: 73
6ــ التفسير بالمأثور في تفسير الشيخ هود بن محكم.. 97
5ــ1. مفهوم التفسير بالمأثور: 99
5ــ2. المأثور اصطلاحاً (التفسير بالمأثور).. 99
الفصل الثاني: 109
المباحث الدلالية في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم..109
1ــ مفهوم المشترك اللفظي ووقوعه بين الإثبات و الإنكار:..110
2ــ المشترك اللفظي عند المفسرين :..114
2ــ 1 التفسير والمشترك اللفظي: 114
2ــ2 أوجه الاشتراك عند المفسرين:..116
2ــ3ــ عناصر التأويل الدلالي للمشترك عند المفسرين:..126
3ــ أمثلة المشترك اللفظي في تفسير الشيخ هود بن محكم. 129
4ــ مفهوم الترادف و وقوعه بين الإثبات والإنكار: 189
5ــ الترادف في تفسير الشيخ هود بن محكم و أمثلته: 193
6ــ مفهوم التضاد، و وقوعه بين الإثبات والإنكار..211
7ــ أسباب التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم : 214
8ــ أمثلة التضاد في تفسير الشيخ هود بن محكم: 223

9ــ مفهوم المعرب و وقوعه بين الإثبات والإنكار: 247
10ــ المعرب والدخيل في تفسير الشيخ هود بن محكم وأمثلته:.............................. 252
الفصل الثالث: 259
الاصناف الدلالية وتقابل الدلالة وخصوصياتها في تفسير كتاب الله العزيز 259
1ــ أصناف الدلالات في تفسير الشيخ هود بن محكم: 260
1_1- الدلالة الصوتية في تفسير الشيخ هود بن محكم:... 260
1_2 تجليات الدلالة الصوتية وأمثلتها في تفسير الشيخ هود بن محكم: 267
2ــ الدلالة الصرفية في تفسير كتاب الله العزيز: 271
3 ــ الدلالية النحوية في تفسير الشيخ هود بن محكم: 279
3- 1- الدلالة النحوية لحروف الجر في تفسير الشيخ هود بن محكم: 282
3 ــ 2. دلالات الاستفهام؛ أحرفه و معانيه في تفسير الشيخ هود بن محكم. 291
3 ــ 3.إشاراتٌ نحويةٌ متفرقةٌ في تفسير كتاب الله العزيز: 301
4- الدلالة السياقية في تفسير كتاب الله العزيز: 308
4ــ 1.أثر السياق في فهم المفردات القرءانية عند المفسرين....................................... 309
4 ــ 2. تجليات إشارات الدلالة السياقية في تفسير الشيخ هود بن محكم: 310
5ــ التقابل الدلالي في تفسير الشيخ هود بن محكم، مفهومه، أنواعه ، أمثلته: 317
5ــ 1.التقابل اللفظي الحقيقي:... 324
5- 2.التقابل المجازي:... 325
5ــ 3.تقابل التضاد المعنوي:... 326
5 ــ 4. أنواع التقابل الدلالي في تفسير الشيخ هود بن محكم: 332
6ــ المفارقة اللفظية للمفردات القرءانية، وخصوصيتها الدلالية في تفسير الشيخ هود بن محكم:......... 340
7 ــ الإرتباط المفاهيمي للمفردات القرءانية في تفسير كتاب الله العزيز: 349
خاتمة.. 355
المصادر والمراجع... 363

فهرس الموضوعات 380